
22101999398

الكامل

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

السيد شحاته

الجزء الأول

دار نهضة مصر
للطبع والنشر

مطبعة نهضة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

أخبرنا[1] أبو عثمان سعيدُ بنُ جابر[2] قال: حدثنا أبو الحسن عَلِيُّ بن سليمانَ الأخفش[3] قراءةً عليه قال: قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المُبَرّد:

الحمد لله حمدًا كثيراً يَبْلُغُ رضاه، ويوجب مَزيده، ويُجيرُ به من سَخَطِه، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين، ورسولِ رب العالمين، صلاة تامة زاكية، تُؤَدِّي حقه، وتُزْلِفُ[4] عند ربه.

قال أبو العباس: هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة.

والنِّيَّة فيه أن نُفَسِّرَ كلَّ ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب،

---

(1) ر، س: «حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال أخبرنا أبو عثمان ...». وأبو بكر محمد بن عمر هو المعروف بابن القوطية؛ كان إماماً في العربية، وصحب أبا علي القالي وتلمذ له؛ وهو أحد رواة الكامل بالأندلس؛ توفي سنة ٣٦٧. (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٣: ١٧٨).

(2) هو سعيد بن جابر الكلاعي الأندلسي؛ توفي سنة ٣٢٦. (جذوة المقتبس ٢١٣).

(3) هو علي بن سليمان أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير؛ راوي كتاب الكامل وصاحب الحواشي التي فيه. سمع من المبرد وثعلب؛ وتوفي سنة ٣١٥. (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٢: ٢٧٦).

(4) ر: «وتزلفه».


LIBRARY

تَكَلُّفاً وتَجاوُزاً، وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء؛ يقال: عينٌ ثَرْثارةٌ. وكان يقال لنهر بعينه: الثَّرْثارُ[1]، وإنما سمى به لكثرة مائه؛ قال الأخْطَلُ[2]:

لَعَمْرِى لَقَدْ لاقَتْ سُلَيْمٌ وعَامِرٌ عَلَى جانِبِ الثَّرْثارِ راغِيَةَ البَكْرِ

قوله: «راغية البكر» أراد أن بَكْرَ ثمود رَغَا فيهم فأُهْلِكُوا، فضربته العرب مَثَلاً، وأكثرت فيه، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفحل:

رَغَافَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّماءِ فَداحِضٌ بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ[3]

[قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضاً: الزالق]

وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ: عينٌ ثَرَّةٌ؛ فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عَنْتَرَةُ:

جادَتْ عَلَيْها كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كالدِّرْهَمِ[4]

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثارةِ، ولكنها فى معناها[5].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «المتفيهقون» إنما هو بمنزلة قوله: «الثرثارون» توكيد له، ومُتَفَيْهِق مُتَفَيْعِل، من قولهم: فَهِقَ الغَدِيرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ

---

(١) الثرثار: موضع عند تكريت.

(٢) زيادات ر: «واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير»، وكذلك فى س.

(٣) زيادات ر: «السقب: ولد الناقة، والشكة: ما يلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه».

(٤) قال فى اللسان: «الحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز، أو أرض مرتفعة». وفى رواية التبريزى (شرح المعلقات ١٠٨): «كل قرارة كالدرهم».

(٥) س، وحواشى ر: «ويجب أن يكون من الثرة ثرارة».

يقول : لاغِيث . وَكَاسٌ : اسم جارية ، وإنما أمرها بإلجام فرسه ليغيث .
والظُّنْبُوب : مُقدَّمُ الساق .

[حديث : « ألا أخبركم بأحبكم إلى . . . . »]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أُخْبِرُكُمْ بأَحَبِّكُمْ إلَىَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً : الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفونَ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إلَىَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّى مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَة ؟ الثَّرْثارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ » .

قوله صلى الله عليه وسلم : «الموطئون أكنافا» مَثَل ، وحقيقته أن التَّوْطِئَةَ هى التذليل والتمهيد ، يقال : دابة وَطِئٌ ، يا فتى ؛ وهو الذى لا يُحرِّكُ راكبَه فى مَسيره ، وفِرَاش وَطِئٌ إذا كان وَثيرًا لا يُؤْذِى جَنْبَ النائم عليه ، فأراد القائل بقوله : « مُوَطَّأُ الأكناف » أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذًى ، ولا نابٍ به موضعُه .

قال أبو العباس : حدثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشِىُّ قال : حدثنى الأصْمَعِىُّ قال : قيل لأعرابىّ — وهو المُنْتَجِعُ بن نَبْهان[1] — : ما السَّمَيْدَعُ ؟ فقال : السيِّد المُوَطَّأُ الأكناف

وتأويل الأكناف الجوانب ؛ يقال : فى المَثَل : فلانٌ فى كنف فلانٍ ؛ كما يقال : فلان فى ظل فلان ، وفى ذَرَى فلانٍ ، [وفى ناحية فلان ،][2] وفى حَيِّزِ فلان

وقوله صلى الله عليه وسلم « الثرثارون » يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام

---

(١) من طيىء ؛ ذكره الزبيدى فى الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥ .
(٢) تكملة من ر .

رحمة الله عليه في عِلّته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفةَ رسول الله ،
فقال : أما إنّي على ذلك لشَديدُ الوَجعِ ، ولَما لَقيتُ مِنكُمْ يا مَعْشرَ
المُهاجِرِينَ أشدُّ عَلَيَّ مِنْ وَجَعي . إنّي وَلَّيْتُ أمورَكم خيرَكم في نفسي ، فكلُّكم
وَرِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه ، والله لَتَتَّخِذُنَّ نَضائِدَ الدِّيباجِ ،
وسُتُورَ الحرير ، ولَتَأْلَمُنَّ النَّوْمَ على الصُّوف الأَذْرَبِيِّ كما يَأْلَمُ أحدُكم النوم
على حسَكِ السَّعْدان ، والذي نفسي بيده لأَنْ يُقَدَّمَ أَحدُكم فتَضْرَبَ عُنُقُهُ في غيْرِ
حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَراتِ الدّنيا . يا هاديَ الطَّريق جُرْتَ ، إنما هو
والله الفَجْرُ ، أو البَجْرُ . فقلتُ : خَفِّضْ عليك يا خليفةَ رسول الله ؛ فإن
هذا يَهيضُكَ إلى ما بك ، فوالله ما زِلْتَ صَالِحاً مُصْلِحًا ، لا تأْسَ على شيء
فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تَخلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيراً .

قوله : « نضائد الديباج » واحدتها نَضِيدة ، وهي الوسادة وما يُنْضَدُ
من المتاع ، قال الراجز :

وَقَرَّبَتْ خُدّامُها الوَسائِدا حتّى إذا ما عَلَّوا النَّضائِدا
سَبَّحْتُ رَبِّي قائِماً وَقاعِدا

وقد تسمي العرب جماعة ذلك النَّضَدَ ، والمعنى واحد ، إنما هو ما نُضِدَ
في البيت من متاع ، قال النابغة :

* وَرَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[1] *

ويقال : نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض ، فهذا أصله ، قال الله

---

(١) ديوانه ٢٤ ، وصدره :
* خَلَّتْ سَبيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحْبِسه *

ماءً فلم يكن فيه موضع مَزِيد، كما قال الأعشى :

نَفَى الذمَّ عن رَهْطِ المُحلَّقِ جَفْنَةٌ   كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كَذا يُنشِدُه أهلُ البَصرة، وتأويله عندهم أن العراقيّ إذا تمكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَه لأنه حَضَرِيّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّه.

قال أبو العباس : وسمعت أعرابية تُنْشِد — [قال أبو الحسن هي أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيَّةُ من ولد المحلَّق، وهى راوية أهل الكوفة] — : « كجابية السَّيْحِ » تريد النهر الذى يجرى على جابيته، فماؤها لا ينقطع، لأن النهر يَمُدُّه. ومثل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به « العراقيِّ الشيخ » قولُ الشاعر — [قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة] — :

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَةٌ   وَخَدٌّ كَمِرْآةِ الغَرِيبَةِ أَسْجَحُ (١)

يقول : إن الغريبة لا ناصحَ لها فى وجهها، لبعدها عن أهلها، فمِرْآتُها أبدًا مَجْلُوَّة، لفرْط حاجتها إليها .

وتصديقُ ما فسَّرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدقَ فى المَنْطِق والقصدَ، وتركَ مالا يُحْتاجُ إليه. قوله لجرير بن عبد الله البَجَلِيِّ : « يا جَرِيرُ، إذا قلتَ فأَوْجِز، وإذا بَلَغْتَ حاجتَكَ فلا تتكلَّف » .

[كلمة أبى بكر فى مرضه لعبد الرحمن بن عوف]

قال أبو العباس : ومما يُؤْثَرُ من حكيم الأخبار، وبارع الآداب، ما حُدِّثْنا به عن عبدالرحمن بن عَوْفٍ، وهو أنه قال : دخلت يوما على أبى بكر الصديق

---

(١) ديوانه ٨٨ . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . وفى الديوان : « لها أذن حشر » . والأذن الحشر : المحددة .

وقال أبو على البَصير — واسمه الفَضْل بن جعفر : وإن لم يكن بحجة : ولكنه أجادفذكَرْنا شِعْرَه هذَا لِجَوْدته لا للاحتجاج به — يمدح عُبَيْدَ الله ابن يحيى بن خاقان وآله فقال :

يا وُزَراءَ السلطان أنتم وآلُ خاقانْ
كبَعْضِ ما رَوَيْنَا فى سالفات الأزمانْ
ماءٌ ولا كَصُدَّى مَرْعًى ولا كالسَّعْدانْ

وهذه الأمثال ثلاثة ؛ منها قولهم : « مَرْعًى ولا كالسَّعدان » ، و « فَتًى ولا كَمَالِك » ، و « ماء ولا كَصُدَّى » ، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه : كقولهم : « مامن طامَّةٍ إلا فوقها طامَّةٌ » ، أى مامن داهية إلاوفوقها داهيةٌ ، ويقال : طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد .

ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نُوَيْرَة ، أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَة .

وصَدَّاء يُمَدُّ ، وبعضهم يقول : صُدَّى ، فيضم أوله ويَقْصُرُ : فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد ، فإنه قال : لم أسمع من أصحابنا إلا صَدْءَاء يا فتى ، وهو اسم لماء ، معرفةٌ ، وهما همزتان بينهما ألف ، والألِف لا تكون إلا ساكنة ، كأنك قلت : صَدْعاع يا هذا] [1] .

* * *

وقوله : « إنما هو والله الفجر أو البَجْرُ » يقول : إن انتظرتَ حتى يَضِيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك . وإن خَبَطْتَ الظَّلْماءَ . وركبتَ العَشْواء هجَمَا بك على المكروه . وضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا ، وتحييرها أهلَها .

وقوله : « يَهيضك » مأخوذ من قولهم : هِيضَ العَظْم إذا جُبِرَ ثم أصابه شيء

---

(١) ما بين العلامتين لم يرد في الأصل ، وأثبتناه عن ر ، س

تبارك وتعالى : ﴿ لها طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾[١] ، وقال : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾[٢] ؛ ويقال : نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميت .

وقوله : « على الصوف الأذربىّ » ؛ فهذا منسوب إلى أذْرَبِيجانَ ، وكذلك تقول العرب ، قال الشَّمَّاخ :

تَذَكَّرْتُهَا وَهْناً وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذْرَبِيجان المَسَالِحِ والجالِ[٣]

وقوله : « على حَسَكِ السَّعْدانِ » ، فالسعدان نَبْتٌ كثير الحَسَك تأكله الإبل فتسمن عليه ، ويغذوها غذاءً لا يوجد فى غيره ، فمن أمثال العرب : « مَرْعًى ولا كالسَّعْدان » تفضيلاً له ، قال النابغة :

الْوَاهِبُ المِائَةَ الأَبْكَارَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضِحَ فى أوبارها اللِّبَدُ[٤]

ويروَى فى بعض الحديث « أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على حَسَكِ السَّعْدان » ، والله أعلم بذلك .

* * *

[قال أبو الحسن : السَّعْدان : نبت كثير الشوك — كما ذكر أبو العباس — ولا سَاقَ له ، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض ، حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيى الشَّيْبانىّ عن ابن الأعرابىّ ، قال : قيلَ لرجل من أهل البادية — وخرج عنها — : أترجع إلى البادية ؟ فقال : أمّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِياً فلا . يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبداً ؛ كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً

---

(١) سورة ق ١٠   (٢) سورة الواقعة ٢٩ ، ٣٠

(٣) المساخ : مواضع المخافة ؛ والجال ، ضبطت فى الأصل بالفتحة والكسرة ، وكذلك فى إحدى النسخ التى قابل بها « ريط » نسخته . وقال المرصفى : « الجال : اسم لجماعة الخيل والإبل ، أضاف أذربيجان إليهما إشعاراً بأنها مملوءة بهما » . وانظر ديوان الشماخ ١١٧ ، ومعجم البلدان ١ : ١٥٩ ، واللسان (سلح) ، وتاج العروس (ذرب) ، والمعرب للجواليقى ٣٦

(٤) توضح : من قرى اليمامة .

لا غير ، ومن قال : بَرَأتُ قال فى المضارع : أبْرَأُ وَأبْرُؤُ ، يا فتى ، مِثْلَ فَرَغَ وَيفْرُغُ . والآية تقْرَأ على وجهين : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ [1] ﴾ ، وَ ﴿ سَنَفْرَغُ ﴾ : والمصدر فيهما « البُرْءُ » يا فتى .

[عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر]

ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : عند آخر عَهْدِهِ بالدنيا ، وأولِ عَهْدِهِ بالآخرة ، فى الحال التى يُؤْمِنُ فيها الكافر ، ويَتَّقِي فيها الفاجر . إنى آستعملتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، فإن بَرَّ وعدَلَ فذلك عِلْمى به . ورأيى فيه ، وإن جار وبدَّلَ فلا عِلْمَ لى بالغيب ، والخيرَ أرَدْتُ . وَلِكُلِّ آمْرِئٍ ما آكتَسَبَ ، وَسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

نصبَ « أىّ » بقوله « يَنْقلبون » ، ولا يكون نَصْبا بـ « سيعلم » لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً آمتنعت مما قبلها كما يمتنع مابعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه ماقبله ، وذلك [2] قولك : « علمتُ زيداً منطلقاً » فإن أدخلتَ الألف قلتَ : « علمتُ أزيدٌ منطلقٌ أم لا » : فأىّ بمنزلة زيدٍ الواقع بعد الألف ، ألا ترى أن معناها : أذا أم ذا . وقال الله عز وجل : ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [3] لأن معناها : أهذا أم هذا ؟ وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا [4] ﴾ على مافسرتُ لك ، وتقولُ : أعْلَمُ أَيُّهُمْ ضربَ زَيْدًا ، وأعْلَمُ

(١) الرحمن ٣١

(٢) ر ، س : « وذلك نحو قولك » .

(٣) الكهف ١٢

(٤) الكهف : ١٩

يُعْنِتهُ فآذاه فكسره ثانيـة ، أو لم يَكْسِرْهُ ، وأكثر ما يستعمل فى كَسْرِهِ ثانيـةً ، ويقال : عظم مَهِيضٌ ، وجَناح مهِيضٌ فى هـذا المعنى ، ثم يشتق لغير ذلك ، وأصله ما ذكرت لك : فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد بن المُهَلَّب سجْنه وهَرَبَ ، فكتب إليـه : لَوْ عَلِمْتُ أنَّكَ تَبْقَى مَافعَلْتُ ، ولَـكِنَّكَ مَسْمُومٌ ، ولم أكُنْ لِأَضَعَ يَدِى فى يَدِ ابن عاتكة[1] . فقال عمر : اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ هَاضَنِى فَهِضْهُ . فهذا معناه .

وقوله : « فكلكم وَرِمَ أنفُهُ » : يقول : امتلأ من ذلك غَضَباً . وذكر أنفه دون السائر كما يقال : فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع ، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر :

* ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا *

أى لا يُكَلَّمُ عند الغضب ، ويقال للمائل برأسه كِبْراً : مُتَشَاوِس ، وثَانِى عِطْفِه ، وثانِى جِيدِهِ ، إنما هذا كله من الكِبْرِياء . قال الله عز وجل : ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] ؛ وقال الشَّمَّاخُ[2] :

نُبِّئْتُ أَنَّ رُبَيْعًا أَنْ رَعَى إِبِلاً ... يُهْدِى إِلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِيدِ

وقوله : « أراك بارئاً يا خليفة رسول الله »[3] يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ ، كلاهما يقـال : ، فمن قال بَرِئْتُ يقول : أَبْرَأُ[4] يا فتى

(١) زيادات ر : « هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز ، ولا يعلم . أحد أعرق فى الخلافة منه » .

(١) سورة الحج ٩ .   (٢) زيادات ر : « يهجو الربيع بن علباء السلمى » .

(٣) ر ، س : « يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٤) ر ، س : « قال » .

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قَيْسٍ . سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإن الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وسنّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إِلَيْكَ ، فإنه لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بحقٍّ لاَ نفاذ له . آسِ بَيْنَ النَّاسِ بوَجهِكَ (١) ، وعَدْلِك ، ومَجْلِسِك ، حتَّى لا يَطْمَع شريفٌ فى حَيْفك ، ولا ييئسَ ضعيفٌ من عدلك . البَيِّنَةُ على مَنِ ادَّعَى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حرامًا ، أوحَرَّمَ حلالاً . لا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَهُ اليومَ فَرَاجَعْتَ فيه عَقْلَكَ ، وهُدِيتَ فيه لرُشْدك ، أن تَرْجِعَ إلى الحق ، فإن الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خير من التمادى فى الباطل . الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب وَلاَ سُنَّةٍ ، ثم اعْرِفْ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، فَقِسِ الأمورَ عند ذلك ، واعْمِدْ إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق . واجْعَلْ لِمَنِ ادَّعَى حَقًّا غائباً أو بينةً أَمَدًا ينتهى إليه ، فإن أحضر بَيِّنَتَهُ أخذتَ له بحقه ، وإلاَّ استَحْلَلْتَ عليه القضيةَ : فإنه أَنْفَى للشك ، وأَجْلَى للعمى . المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلوداً فى حدٍّ ، و مُجَرَّباً عليه شهادةُ زُورٍ ، أو ظَنِيناً فى وَلاَءٍ أو نَسَبٍ ، فإن الله تَوَلَّى منكم السرائر ، ودَرَأَ بالبيِّنات والأَيمان . وإياكَ والغلقَ والضَّجَرَ ، والتَّأذِّىَ بالخصوم ، والتَّنكُّرَ عند الخصومات ، فإن الحق فى مَواطِن الحق لَيُعْظِمُ (٢) الله به الأجر ، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ . فمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ ، وأَقْبَلَ على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه

---

(١) ر ، س : « فى وجهك » .

(٢) ر س : « يعظم » .

أَيَّهُمْ ضرب زيد ، تنصب أيًّا بـ « ضرب » لأن « زيدا » فاعل ، فإنما هذا لما بعده ، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المُسْتَفْهَم بها ، نحو : قد علمتُ غلامُ أَيِّهِمْ فى الدار ، وقد عرفتُ غُلامُ مَنْ فى الدار ، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ : فتنصبه بـ « ضربت » ، فعلى هذا مَجْرَى الباب .

[أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب]

ومما يُؤْثَرُ من هذه الآداب ويُقَدَّم قولُ عمرَ بنِ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَة خَطَبها — حدثنا العُتْبِىُّ قال : لم أرَ أقلَّ منها فى اللفظ ، ولا أكثر فى المعنى — حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيها الناس ، إنَّهُ وَٱللهِ مَا فيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عِنْدِي مِن الضَّعِيفِ حَتَّى آخذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَلاَ أَضْعَفُ عِنْدِي مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنه .

ثم نزل . وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قِبَلِ الاختيار ، بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له .

(١)[قال أبو الحسن : قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما ، وهو الصحيح](١)

[رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى]

قال أبو العباس : ومن ذلك رسالتُه فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرىّ : وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناسُ بعده يتخذونها إماماً ، ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصاً ، وهى :

(١ — ١) لم يرد فى الأصل ، وأثبتناه عن ر ، س .

وقوله : « أَنِيضْ » أى لم تَنْضَج[1] . ومن أمثال العرب : الحقُّ أَبْلَجُ ، والباطل لَجْلَجٌ : أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا .

وقوله : « أوظَنِيناً فى وَلاءٍ ، أو نسب » ، فهو المُتَّهَم ، وأصله « مَظْنون » ، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول : ظننت بزيد ، وظننت زيداً ، أى اتَّهَمْتُ ، ومن ذلك قول الشاعر — أحسِبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان — :

فَلاَ وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ هُجِرْتُ : وَلَـكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ[2]

وفى بعض المَصَاحف : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾[3] : وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لِمَا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : « مَلْعون مَلْعون من انْتَمَى إلى غير أبيه ، أو ادَّعَى إلى غير مَوَاليه » : فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعاً .

وقوله : « وَدَرَأَ بالبينات والأَيمان » إنما هو دَفَعَ : من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » ، وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] وقال : ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[5] ، أى تَدَافَعْتُمْ .

وأما قوله : « وإياك والقَلَقَ والضجَرَ » فإنه ضيقُ الصدر ، وقلة الصبر ،

---

(١) كذا ذكره المبرد ، وهو يوافق ما فى شرح الديوان ، وفى اللسان (أنض) : « فيها أنيض أى تغير » واستشهد بالبيت ، وهو الأوفق .

(٢) البيت فى اللسان (ظن) ، ونسبه أيضاً إلى عبد الرحمن بن حسان ، ثم ذكر أن ابن برى نسبه إلى نهار بن توسعة .

(٣) التكوير : ٢٤ ، وهو مصحف عبد الله بن مسعود ، (وانظر الكشاف) .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٨

(٥) سورة البقرة : ٧٢

شانُهُ الله . فما ظنك بثواب غيرِ الله عزّ وجل في عاجلِ رزقه وخزائنِ رحمته ، والسلام .

قال أبو العباس : قوله : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك » ، يقول : سَوِّ بينهم ؛ وتقديره : اجعل بعضهم أُسْوَةَ بعضٍ ، والتَّأَسِّى من ذا أن يَرَى ذُو الْبَلاء مَنْ به مِثلُ بَلائه ، فيكونَ قد ساواه فيه ، فَيُسَكِّنَ ذلك من وَجْدِهِ ، قالت الخَنْسَاء :

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلٰكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى

يُذَكِّرُنِى طلوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول : أذكره فى أوّل النهار للغارة ، وفى آخره للضِّيفان . وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِل بهذا البيت

وَإِنَّ الأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسَوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيَا(١)

وقوله : « حتى لا يَطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك » : يقول : فى مَيْلك معه لشرفه .

وقوله : « فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك » يقول : تَرَدَّدَ . وأصل ذلك المُضْغَة والأكْلَة يُرَدِّدُها الرجلُ فى فِيهِ فلا تزال تتردد إلى أن يُسِيغَها أو يَقْذِفَها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها بأُخرى ، يقال للْعَىِّ : لَجْلاَجٌ وقد يكون من الآفة تعتَرِى اللسان : قال زُهَيْر :

تَلَجْلَجُ مُضْغَةٌ فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ ، فَهِىَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ

---

(١) البيت فى الأغانى (١٧ — ١٦٥) ونسبه إلى سليمان بن قتة ، وهو أيضاً فى اللسان (أسا) من غير نسبه . قال ابن برى : « وتآسوا » من المؤاساة ، كما ذكر الجوهرى ، لا من التأسى كما ذكر المبرد »

وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيمًا سِوَى خِيمِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُهَا[١]

وقال ذو الإصبع العَدْوَانِيُّ[٢]

كلُّ آمْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ ... وَإِنْ تَمَتَّعَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ

وأما قوله: «ثواب»، فاشتقاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجَع: وتأويله ما يَثُوب إليك من مُكافأةِ الله وفضله.

[كتاب عثمان إلى على بن أبي طالب حين أحيط به]

وكتب عثمانُ بن عَفَّانَ إلى عليٍّ رحمه الله[٣] حين أُحيطَ به:

أما بعدُ؛ فإنه قد جاوزَ الماءُ الزُّبَى، وبَلَغَ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ، وتجاوزَ الأمرُ بي قَدْرَهُ، وطَمِعَ فيَّ مَن لا يَدْفَع عن نفسه

فَإِنْ كُنتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ... وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ[٤]»

قوله: «قد جاوز الماء الزبى» فالزُّبْيَةُ مَصْيَدة الأَسد، ولا تُتَّخذ إلا في قُلَّةٍ أو رَابِيَةٍ أو هَضْبَةٍ، قال الراجز[٥]:

كاللَّذْ تزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

---

(١) البيت فى اللسان (خيم) من غير نسبة.

(٢) زيادات ر: «ذو الإصبع اسمه حرثان بن الحارث بن محرث، وقيل له ذو الإصبع لأن أفعى نهشت إصبعه».

(٣) ر: «على بن أبى طالب رحمهما الله». س: «على بن أبي طالب رضى الله عنهما».

(٤) البيت للممزق العبدى، واسمه شأس بن نهار، (وانظر المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٥).

(٥) قبله فى زيادات ر:

* فأنتَ والأمرَ الَّذِي قَدْ كِيدَا *

يقال فى سوء الْخُلُقِ : رجل غَلِقٌ ، وأصل ذلك من قولهم[1] : غَلِقَ الرَّهْنُ أى لم يوجد له تَخَلُّص . وأغْلَقْتُ البابَ من هذا ، قال زُهَيْر :

وَفارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قدْ غَلِقا

وقوله : «ومن تَخَلَّقَ للناس» ، يقول : أَظْهَرَ للناس فى خُلُقِهِ خلافَ نيته .

وقوله : «تَخَلَّقَ» يريد أَظْهَرَ[2] مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جمالا وتَصَنَّعَ . وكذلك تَجَبَّرَ : إنما تأويله الإظهار : أى أظهر جَبَرِيَّةً ، وإن شئت جَبَرُوتاً ، وإن شئت جَبَرُوتَى [وإنْ شِئْتَ جَبَرُوَة][3] . ومن كلام العرب على هذا الوزن : رَهَبُوتَى خير لك من رَحَمُوتَى : أى [4] تُرْهَبُ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ[4] . قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد[5] :

يَاأَيُّهَا الْمُتَحَلِّى غَيْرَ شِيمَتِهِ ... إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلُقُ[6]

وَلاَ يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ ... إِلاَّ أَخُو ثِقَةٍ فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال : وَأَنْشَدَتْنِى أمُّ الْهَيْثَمِ الكِلاَبِيَّة :

---

(١) ر : « وأصل ذلك من قولهم : أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح ، من ذلك قولهم : غلق الرهن ... »

(٢) ر ، س : « أظهر خلقا » .

(٣) تكملة من ر .

(٤ — ٤) ر ، س « لأن تُرهب خير لك من أن ترحم » .

(٥) زيادات س : « الشعر لسالم بن وابصة الأسدى » .

(٦) الشعر فى ر هكذا :

يأَيُّها المتحلِّى غيرَ شِيمته ... [ومن سَجِيَّتِهِ الإِدْغَالُ والملَق

دَعِ التخلُّقَ يَبْعُدْ عنك أولُه] ... إن التخلقَ يأتى دُونَه الْخُلُقُ

ولا يُؤاتيكَ فيما ناب من حَدَث ... إلا أخو ثِقَةٍ : فانظر بمن تثق

وانظر رواية الأبيات فى ديوان الحماسة ٢ : ٢٣٦ — بشرح التبريزى

إِذَا مَا حَقَبٌ جَالَ شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ

وقال أَوْس بن حَجَرٍ :

وَٱزْدَحَمَتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بِأَقْوَامٍ وَطَارَتْ نُفوسهم جَزَعَا

وَتَمَثُّلُه بالبيتِ يشاكِلُ قولَ القائل :

فَإِنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا القَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

[عتاب عثمان على بن أبي طالب]

ويروى عن قَنْبَرٍ مَوْلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : دخلتُ مع علىّ بن أبى طالب على عثمان بن عَفَّان رضى الله عنهما ، فأَحَبَّا الخَلْوَةَ ، فأَوْمأَ إلىّ علىٌّ بالتَّنَحِّى ، فتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَجَعَلَ عثمانُ يعاتب عليًّا وعلىٌّ مُطْرِقٌ ، فَأَقْبَلَ عليه عثمانُ فقال : ما بالك لا تقول ؟ فقال : إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكْرَه ، وليس لك عندى إلا ما تُحِبُّ .

تأويل ذلك : إن قلتُ اعْتَدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددت به عَلَيَّ فلَذَعَك عِتابى ، وعَقْدى ألاَّ أَفْعَلَ — وإن كنتُ عاتباً — إلا ما تُحِبُّ .

[خطبة على بن أبي طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان]

وَتَحَدَّث ابنُ عائشةَ فى إسنادٍ ذكره أن عليا رحمه الله انتهى إليه أنَّ خيلا لمعاويةَ وردت الأَنْبارَ ، فقتلوا عاملا له يقال له : حَسَّانُ بن حسان ، فخرج مُغْضَبا يَجُرُّ ثوبه حتى انتهى [1] إلى النُّخَيْلَةِ ، واتَّبعه الناس ، فرَقِىَ رَبَاوَةً من الأرض ، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(١) ر : « حتى أتى النخيلة » ؛ والنخيلة : موضع قرب الكوفة .

وقال الطِّرِمّاح :

يا طَيّ السَّهْلِ والأجْبَالِ(١) موعِدُكم ... كَمُبْتَغِى الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأسَدِ

وتقول العرب : « قد عَلاَ الماءُ الزُّبَى » ، و « قد بَلَغَ السِّكِّينُ العَظْمَ » ، و « بَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ » ، و « قد انقطع السَّلَى فى البطن » .

فالسَّلَى من المرأةِ والشاةِ ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن . قال العجّاجُ :

فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبَى فَلاَ غِيَرْ

أى : قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلَحَ .

وقوله : « وبلغ الحزام الطبيين » ، فإن السِّباعَ والخيلَ يقال لموضع الأَخْلاف منها : أَطْباءٌ يا فتى ، واحدها طُبْىٌ ؛ كما يقال فى الظِّلْفِ والخُفِّ : خِلْفٌ ، هذا مكانُ هذا ، فإذا بلغ الحزامُ الطُّبْيين فقد انتهى فى المكروه ، ومِثل هذا من أمثالهم : « التَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ »(٢) : [ويقولون : التقت حلقتا البطان والحقَب](٣) ، ويقال : حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَبِ(٤) ، قال الشاعر(٥) :

(١) أجبال طيء : أجا وسلمى والعوجاء .
(٢) البطان : حزام الرحل .
(٣) من ر ، س .
(٤) الحقب : حزام يشد به رحل البعير .
(٥) ر : « قال أبو بكر : هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وأوله :

سُلَيْمَى تِلْكَ فى العِيرِ ... قِفِى إِنْ شِئْتِ أَوْ سِيرِى
فَلَمَّا أَنْ بَدَا الصُّبْحُ ... بِأَصْوَاتِ العَصَافِيرِ
خَرَجْنَا نَبْتَغِى الصَّيْدَ ... بِأَمْثَالِ اليَعَافِيرِ
إِذَا مَا حَقِبْ جَالَ ... شَدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ
زَجَرْنَا العِيسَ فَارْمَدَّتْ ... بِإِهْذَابٍ وَتَشْمِيرِ

العِشْرين ، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين . ولكن لا رأى لمن لا يُطاع — يقولها ثلاثاً .

فقام إليه رجل ومعه أخوه [1] ، فقال : يا أميرَ المؤمنين : أنا وأخى هذا كما قال الله عز وجلّ : ﴿ رَبِّ إنِّى لاَ أمْلِكُ إلاَّ نَفْسى وأخِى [2] ﴾ فَمُرْنَا بأمرك ، فوالله لَنَنْتَهِيَنَّ إليه ، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغضا ، وشَوْكُ القَتَادِ . فَدَعا لهما بخير ، ثم قال : وأين تَقَعَان مما أريد ! ثم نزل .

قال أبو العباس قوله : « سِيما الخَسْفِ » ، قال : هكذا حدّثوناه ، وأظنه «سِيمَ الخسْفَ» ياهذا ، من قول الله عزّ وجل: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ [3] ﴾ ومعنى قوله : « سِيما الخسفِ » تأويله عَلامَةٌ ، هذا أصل ذا : قال الله عزّ وجل : ﴿ سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [4] ، وقال عز وجلّ : ﴿ يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [5] .

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ [6] قال : مُعْلِمِينَ [7] واشتقاقه من السِّيمَا التى ذكرنا . ومن قال : ﴿ مُسَوَّمِينَ ﴾ ، فإنما أراد مُرْسَلين : من الإبل السائمة : أى المُرْسَلَةِ فى مراعيها ، وإنما أَخذ هذا من التفسير . وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ ﴾ [8] القولين جميعاً ؛ مع العَلامة

---

(١) زيادات ر : « الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار » . وفى حاشية الأصل : « هو جندب بن عفيف ، وأخوه من الأزد » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ .

(٣) سورة البقرة ٤٩

(٤) سورة الفتح ٢٩

(٥) سورة الرحمن ٤١

(٦) سورة آل عمران ١٢٥

(٧) المعلم ، بكسر اللام : الفارس الذى أعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه .

(٨) سورة آل عمران ١٤ .

أما بعدُ ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة ، فَمَنْ تركه رَغْبَةً عنه أَلْبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ ، وسِيماَ الخَسْفِ ، ودُيِّثَ بالصَّغار . وقد دعوتكم إلى حَرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسِرًّا وإعلاناً ، وقلتُ لكم : اغزوهم من قبل أن يَغْزُوكم . فو الذى نفسى بيده ما غُزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا . فتخاذلتم وتوَاكَلْتُمْ ، وثَقُلَ عليكم قولى ، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا ، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ . هذا أخو غامدٍ ، قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنبار ، وقَتَلوا حَسَّان بن حَسَّان . ورجالاً منهم كثيراً ونساءً — والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المُسْلمة والمُعاهَدة ، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهُمَا — ثم انصرفوا مَوْفُورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْماً . فلو أن آمْرَأً مسلماً مات من دون هذا أسَفاً ما كان عندى فيه مَلُوماً ، بل كان عندى به جَدِيراً . يا عَجَبا كلَّ العَجَب ! [عجبٌ يميت القَلْبَ ، ويَشْغَل الفهمَ ، ويكثر الأحزان][1] من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم ، وفَشَلِكُمْ عن حقكم ، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْنَ ولا تَرْمُون ، ويُغارُ عليكم ولا تُغِيرون ، ويُعْصَى اللهُ عزَّ وجل فيكم وتَرْضَوْنَ . إذا قلتُ لكم : اغزوهم فى الشتاء قلتم : هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ ، وإن قلتُ لكم : اغزُوهم فى الصيف قلتم : هذه حَمارَّةُ القَيْظِ ، أنظِرْنا يَنْصَرِمِ الحرُّ عنا . فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون ، فأنتم من السَّيْفِ أفَرُّ ، يا أشباهَ الرجال ولا رجال ! ويا طَغامَ الأحْلام ، ويا عُقُولَ ربَّاتِ الحِجالِ ، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيِى بالْعِصْيان ، ولقد ملأتم جَوْفِى غَيْظًا ؛ حتى قالت قُرَيْشٌ : ابنُ أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا رَأْيَ له فى الحرب . للهِ دَرُّهُمْ ! ومَنْ ذا يكونُ أعلَمَ بها منى ، أو أشدَّ لها مِرَاساً ! فوالله لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ

---

(١) من ز .

ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعةً ، أو دارًا : تأثَّلَ فلانٌ : أى اتخذ أصلَ مالٍ .

وقوله : « وتَوَاكَلْتم » : إنما هو مشتقٌّ من وكَلْتُ الأمرَ إليك ووكَلْتَهُ إلىَّ [أنت][1] أى : لم يتولَّهُ واحدٌ منا دونَ صاحبه ؛ ولكن أحالَ به كل واحدٍ منا على الآخر ، ومن ذلك قول الحُطَيْئة :

فَلَأْيًا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ   أَمُونٍ إِذَا وَاكَلْتَهَا لَا تُوَاكِلُ[2]

وقوله : « وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا » ، أى رَميتم به وراء ظهوركم ، اى لم تلتفتوا إليه ، يقال[3] فى المَثَل : « لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ » ، أى لا تَطْرَحها غير ناظر إليها .

وقوله : « حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ » ، يقول : صُبَّتْ ، يقال : شَنَنْتُ الماءَ على رأسه ، أى صَبَبْتُهُ ، وشَنَنْتُ الشرابَ فى الإناء أى صَبَبْتُهُ ، ومن كلام العرب : فلما لَقِىَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ ، أى صَبَّهُ عليه صَبًّا .

وقوله : « هذا أخو غامدٍ » ، فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية ، من بنى غامد بن نَصْر بن الأَزْد بن الغَوْث . وفى هذه القبيلة يقول القائل[4] :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا   بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ
تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَىْ فَارِسٍ   فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ
فَلَيْتَ لنا بارتباط الخيو   لِ ضَأنًا لها حالبٌ قاعِدُ

---

(١) من ر .

(٢) الجسرة : الناقة الماضية فى سيرها ، والأمون : الوثيقة الخلق . ورواية ديوانه ٩٨ « ذلول » .

(٣) ر : « ويقال » .

(٤) زيادات ر : « هو ربيعة بن مكدم » .

والإرسال ، وأما فى قوله عز وجل : ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾[١] فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً : قالوا : « مُعْلَمَة » ، وكان عليها أمثالُ الخَوَاتيم ، ومن قال : « سيما » قصر . ويقال فى هذا المعنى : سِيمِياء ، ممدود ، قال الشاعر[٢] :

غلامٌ رَمَاهُ الله بالحسْنِ يافعاً . لَهُ سِيمِياءُ لا تَشُقُّ علَى البَصَرْ[٣]

وقوله رحمه الله : « وقَتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان » ، مَنْ أخَذَ حَسَّاناً من الُحسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه « فَعَّالٌ » فالنون منه فى موضع الدال من « حَمَّادٍ » ، ومن أخَذَهُ من الحِسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فعْلان فلا ينصرف فى المعرفة ، وينصرف فى النكرة ، لأنه لَيْسَتْ لَهُ « فَعْلَى » ، فهو بمنزلة سَعْدَان وسرْحان .

وقوله : « دُيِّثَ بالصَّغار » ، تأويله : ذُلِّلَ ، يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضَةُ : بعير مُدَيَّثٌ ، أى مذلَّل .

وقوله : « فى عُقْر دارهم » ، أى فى أصل دارهم ، والعُقْرُ : الأصل ، ومِنْ ثَمَّ قيل : لفلان عَقَار ، أى أصل مالٍ ، ويُروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ بَاعَ داراً أَوْ عَقاراً فلم يَرْدُدْ ثَمَنَهُ فى مِثْلِه فذلك مالٌ قَمَن أَلاَّ يُبارَكَ [له][٤] فيه » . وقوله : قَمَنٌ يريد : خَليقٌ ، ويقال أيضاً : قَمِين وقَمِن .

[قال أبو الحسن : من قال : قَمَنٌ لم يُثَنِّ ولم يجمَعْ ، ومَنْ قال : قَمِنٌ وقَمِينٌ ثَنَّى وَجَمعَ][٥]

---

(١) سورة هود ٨٢ ، ٨٣

(٢) زيادات ر : « وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى » .

(٣) بعده فى زيادات ر :

كأنَّ الثريا عُلِّقَتْ فى جَبينِه . وفى أنفه الشِّعْرَى وفى جيده القمر

(٤) من س .

(٥) من ر .

وقوله: «لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْماً». يقول: لم يُخْدَشْ أحدٌ منهم خَدْشاً: وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فهو كَلْمٌ: قال جرير:

تَوَاصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ بِرَدِّ الْخَيْلِ دَامِيَــةَ الْكُلُومِ

وقوله: «مات من دون هذا أسفاً»، يقول: تَحَسُّراً، فهذا موضع ذا. و[قد][1] يكون الأسَفُ الغضبَ، قال الله عزّ وجل: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[2] والأَسِيفُ يكون الأجيرَ، ويكون الأسيرَ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًا مُخَضَّبا

المشهور أنه من التأسُّف لقطع يده، وقيل: بل هو أسير قد كُبِلَتْ يَدُه، ويقال: قد جَرَحَهَا الغُلُّ، والقول الأول هو المُجْتَمَع عليه، ويقال فى معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أيضاً.

وقوله: «من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم»، يقول: من تَعَاونهمْ وتَظَاهُرِهِم.

وقوله: «وفَشَلِكم عن حقكم»، يقال: فَشِلَ فلان عن كذا[وكذا][3] إذا هابه فَنَكَلَ عنه، وامتنع من المُضِىِّ فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ»، فالصِّرُّ شدة البرد، قال الله عزّ وجل: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾[4]

وقوله: «هذه حَمَارَّةُ القَيْظْ»، فالقَيْظُ الصيف، وحَمَارَّتُه: اشتداد حره

---

(١) من ر.

(٢) سورة الزخرف ٥٥.

(٣) من ر، س.

(٤) سورة آل عمران ١١٧

وقوله : « فَتُنْتَزَعُ أحجالهما » ، يعنى الخَلاَخيل ، واحدها حِجْل ، ومن هـذا قيل للدابة : مُحَجَّلٌ ، ويقال للقيدُ : حِجْل : لأنه يقع فى ذلك الموضع ، قال جَرِيرٌ ، يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حين قَيَدَّ نَفسه ، وأقسم ألا يَحُلَّها حتى يَحْفَظَ القرآن ، فلما هاجَى جريرٌ البَعيثَ هجا [الفرزدق][1] جريراً مَعُونَةً للبعيث ، وذَبًّا عن عَشِيرَتِهِ ، فقال جرير :

وَلَمَّا ٱتَّقَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِىُّ بِاسْتِهِ فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فى الْحِجْلِ[2]

معنى فرغت عَمَدْتُ؛ قال الله عزّوجل : ﴿سَنَفْرُغُ لكم أيُّها الثَّقَلان﴾[3] أى سَنَعْمِدُ[4] .

وقوله : « ورُعُثُهُمَا » الواحدة رَعْثَةٌ ، وجمعها رِعاث ، وجمع الجمع رُعُث وهى الشُّنُوف .

وقوله : « ثم انصرفوا مَوْفورين » من الوَفْرِ ، أى لم يَنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأَ فى بَدَنٍ ولامالٍ ، يقال : فلانٌ مَوْفور ، وفلان ذو وفْر : أى ذو مال ، ويكون مَوْفوراً فى بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه فى بدنه ؛ قال حاتم الطائى :

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ أمسى لَهُ وَفْرُ

— ويروى : « كان له وَفْرُ » .

---

(١) من ر .

(٢) زيادات ر : « يعنى بقوله : « ولما اتقى القين العراقى باسته » البعيث ، وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق » .

(٣) سورة الرحمن ٢٤

(٤) زيادات ر : « تميم تقول : فرغ يفرَغ [بفتح الراء فيهما] فراغاً ، وأهل العالية — وهم قريش ومن والاها — يقولون فرغ يفرغ [بالضم فيهما] فروغا » .

بابٌ

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبو العباس: حُدِّثْتُ أن صَبِرَة بن شَيْمَانَ الحُدَّانِيَّ دخل على معاوية، والوُفودُ عنده، فتكلَّموا فأكثروا، فقام صَبِرَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا حَيُّ فِعالٍ، ولَسْنا بِحَيِّ مَقالٍ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم. فقال: صَدَقْت.

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضي الله عنه، ولَّى يزِيدَ بن أبي سفيان رُبْعًا من أرباع الشام، فرَقِيَ المِنْبرَ فتكلَّمَ فأُرْتِجَ عليه، فاسْتأْنَفَ فأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال: سيَجْعَل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وبعد عِيٍّ بياناً، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ.

فَبلَغَ كلامُه عمرو بن العاص، فقال: هُنَّ مُخْرِجاتِي من الشام! استحساناً لكلامه.

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله[1] لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ — ورآه ظاهرَ الأعرابيَّةِ: يا أعرابيُّ؛ أين ربُّك؟ فقال بالمِرصادِ!

---

(١) س: «رضي الله عنه».

واخْتِدامُهُ، وحَمارّةٌ مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شِعْر: لأن [كلّ][١] ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع فى وَزْنٍ إلا فى ضَرْبٍ [منه][٢] يقال له: المُتَقارِبُ؛ [فإنه جُوِّز فيه على بُعْدٍ التقاءُ الساكنين][٣]، وهو قوله:

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وَكَانَ التَّقَا صّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلَى المسْلِمِينَا

ولو قال: «وكان القصاص فرضاً وحتماً» كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العَرُوض، ولا نظيرَ له فى غيرها من الأعاريض.

وقوله: «ويا طَغامَ الأحلام» فمجازُ الطَّغامِ عند العرب مَنْ لا عَقل له، ولا معرفة عنده، وكانوا يقولون: طَغامُ أهلِ الشأم: كما قال:

* فَمَا فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ[٤] *

وقوله: «ويا عقولَ رَبَّاتِ الحِجال» يَنسُبهمْ إلى ضَعْفِ النساء: وهو السائر فى كلام العرب. وقال الله تعالى يذكر البنات: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٥]

---

(١) من ر، س.
(٢) من ر
(٣) من ر
(٤) قبله؛ كما فى زيادات ر:

* إذا ما كان مِثْلهمُ رجالًا *

(٥) الزخرف ١٨

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ　　لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى ، وأقْرَبُ مَأْخَذٍ .

وليس لِقِدَم العَهْدِ يُفضَّلُ القائلُ ، ولا لحدثانِ عَهْدٍ يُهْتَضَمُ المصيب . ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق ، ألا ترى كيف يفضل قولُ عُمارَة[1] على قرب عهده :

تَبَحْثَمْتُمُ سُخْطِي فَغَيَّرَ بَحْثُكُمْ　　نَخِيلَةَ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا

وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً　　عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا[2]

وَمَا النَّفْسُ إلاَّ نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ　　إذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

فهذا كلام واضح ، وقول عَذْبٌ ، وكذلك قوله أيضاً :

بَنِي دَارِمٍ إنْ يَفْنَ عُمْرِي فَقَدْ مَضَى　　حَيَاتِي لَكُمْ مِنِّي ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا　　وَإِنْ عُدْتُمُ أَثْنَيْتُ ، وَالعَوْدُ أَحْمَدُ

[مما يفضل من أقوال الشعراء لتخلصه من التكلف]

ومما يُفَضَّلُ لتَخَلُّصِهِ مِنَ التَّكَلُّف ، وسلامته من التَّزَيُّدِ ، وبُعْدِهِ من الاستعانة قولُ أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا　　عَشِيَّةَ آرامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ[3]

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي ؛ من شعراء الدولة العباسية ، والأبيات في معجم المرزباني ٢٤٧ عن المبرد .

(٢) التخشين : إيغار الصدر ؛ ويستمر : يقوى .

(٣) زيادات ر : «قيل في ستر الله الإسلام ، وقيل فيه إنه الشيب ، وقيل ما حرم الله عليهما» .

فتأويل هذا أن بيتَ جرير فى العرب كالبيت الواهن[1] الضعيف ، فقال : وقضى عليك به الكتابُ المنزل : يريد به قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾[2] .

ومن كلامه المُسْتَحْسَن قوله لجرير .

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة ، وأهْجَنِ الألفاظ ، وأبْعَدِ المعانى قوله :

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

مَدَحَ بهذا الشعر إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرَ بنِ مَخْزوم ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، فقال :

* وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكاً *

يعنى بالمُمَلَّك هشامًا ، أبو أمِّ ذلك المُمَلَّكِ أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى مَوْضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حَىٌّ يقاربه إلا مُمَلَّكٌ : أبو أمِّ هذا المُمَلَّك أبو هذا الممدوح ، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهَجَّنَهُ بما أوقع فيه من التقديم والتأخير : حتى كأنَّ هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

تَصَرَّمَ مِنِّى وُدُّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَمَا كَادَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْتَقِرُونَهَا ... وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الإِنَاءَ فَيُفْعَمُ[3]

---

(١) ر : « الواهى » .

(٢) سورة العنكبوت ٤١ .

(٣) زيادات ر : « القارصة : الكلمة المؤذية » .

أَلَسْتَ تَسْمَعُ ؟ أَفَهِمْتَ ؟ أين أنتَ ؟ وما أشبه هذا ، وربما تَشَاغَلَ العَيِيُّ بِفَتْلِ إصبعه ومَسِّ لحيته ، وغير ذلك من بدنه ، وربما تَنَحْنَحَ . وقد قال الشاعر يَعِيبُ بعضَ الخُطَبَاء فى شعر :

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسَعْلَةٍ ... وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأَصَابِعِ

وقال رجل[1] من الخوارج يصف خَطيباً منهم بالجُبْنِ ، وأنه مُجِيدٌ لولا أنَّ الرُّعْبَ أَذْهَلَه :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ ... لَمَّا رَأَى وَقْعَ الأَسَلْ

وَيْلُمِّهِ إِذَا ارتَجَلْ ... ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ[2]

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانِسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القَسْرِيِّ ؛ فإنه كان متقدِّما فى الخَطَابةِ ومُتَنَاهِياً فى البلاغة ، فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعِيدٍ بالكوفة فى عشرين رجلاً ، فَعَطْعَطوا[3] به ، فقال خالد : « أَطْعِمونى ماءً » ، وهو على المِنبر ، فَعُيِّرَ بذلك ، فكَتَبَ به هِشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُه فيها ، سنذكرها[4] فى موضعها إن شاء الله . وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال :

لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأَصْلِ فِى عَدَدٍ يَسِيرِ

هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ : أَطْعِمُونِى ... شَرَاباً ، ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

---

(١) ذكر الجاحظ أنه الأشل الأزرق من بعض أخوال عمران بن حطان يصف زيد بن جندب الإيادى خطيب الأزارقة ؟ (البيان والتبيين ١ : ٤١ — ٤٢) .

(٢) زيادات ر : « وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى ، وكان أبوه خطيباً وخاله :

جمعتَ صُنُوفَ العىّ من كلّ وجهةٍ ... وكنتَ مليئا بالبلاغة من كَثَبْ

أبوكَ مُعَمٌّ فى الكلام ومُخْوَلٌ ... وخالُكَ وثّاب الجراثيم فى الخطبْ »

(٣) العطعطة : تتابع الأصوات واختلافها .

(٤) ر : « وستذكرها » .

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا وَلَـكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ[1]

يقول: رَمَتْنِي بطَرْفها، وأصابَتْنِي بمَحَاسنها، ولو كنتُ شابا لرَمَيْتُ كما رُمِيتُ، وَفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، ولـكن قد تَطَاوَلَ عهْدِي بالشَّباب. فهذا كلام واضح.

*

[قال أبو الحسن : أنشَدَنا أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب البيتين عن عبد الله بن شَبِيبٍ؛ ورَوَى:

* عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيم *

وزاد فيه بيتاً:

رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَّا يَزَالَ يَهِيمُ

الـكِناسِ والمَكنِسُ: الموضع الذى تأوى إليه الظِّباءُ، وجمع الـكِناس كُنُسٌ، وجمع المَكْنِسِ مَكَانِس. ورَميم: اسم جارية: مأخوذ من العظام الرَّميم، وهى البالية، وكذلك الرِّمَّةُ، والرُّمَّةُ: القطعة البالية من الحبل، وكلُّ ما اشتق من هذا فإليه يَرْجِع].

* * *

[الاستعانة فى الـكلام]

قال أبو العباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ فى الـكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْماً [أووزنا][2] إن كان فى شِعر، أو ليتذكَّرَ به ما بعده إن كان فى كلام منثور. كنحو ما تَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة قولهم:

---

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

يرى الناس أنى قد سَلَوْتُ وإننى لمرمىُّ أحْنَـاء الضُّلُوع سقيم

(٢) من ر.

وقال الشاعر [1] :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ   فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

أى أمرتُكَ بالخير، ومن ذلك [2] قول الفرزدق :

وَمِنَّا [3] الَّذِى اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً   وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال . فهذا الكلام الفصيح .

وتقول العرب : أقمْتُ ثلاثاً ما أَذُوقهُنَّ طعامًا ولا شراباً ، أىْ ما أَذوق فيهنَّ ، وقال الشاعر :

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وَعَامِرًا   قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوافِله [4]

***

[قال أبو الحسن : قوله : « لم يَغْرَضْ » ، أى لم يَشْتَقْ ، يقال : غَرِضْتُ إلى لقائك ، وحَنَنْتُ إلى لقائك ، وعطِشْتُ إلى لقائك ، وجُعْتُ إلى لقائك أى اشْتقت ، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ ، وأنشدنا عنه :

مَنْ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ   عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا   غَرَضَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

التناصُف: الْحُسْن .

وأما قوله : « لَقَضَانِى » فإنمـا يريد : لَقَضَى علىّ الموتَ ، كما قال

---

(١) زيادات ر : « هو أعشى طرود ، واسمه إياس بن عامر »

(٢) ر ، س : « ومن ذا » .

(٣) س : « ومنا » ؛ وعلى رواية الأصل فى البيت خرم .

(٤) البيت أورده سيبويه فى الكتاب ١ : ٩٠ ؛ قال الأعلم فى شرحه : « النوافل هنا الغنائم ؛ يقول : يوم لم نغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن ، والنهال المرتوية بالدم ؛ وأصل النهل أول الشرب ، والطعن هنا : جمع طعنة » .

فهذا عارِضٌ . وقال آخر [١] يُعَيِّرُهُ :

بَلِ المَنابِرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ وَٱسْتَطْعَمَ المَاءَ لمـا جَدَّ فِى الهَرَبِ
وألحنُ النّاسِ كُلِّ النّاسِ قاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فى الخُطَبِ

[لأعرابى من بنى كلاب]

ومما يُسْتَحْسَنُ [لفظه] [٢] ويُسْتَغْرَب معناه ، ويُحْمَدُ ٱخْتِصَارُهُ قولَ أعرابىّ مِنْ بنى كِلَابٍ :

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّى وَنَاقَتِى بحَجْرٍ إلى أَهْلِ الحِمَى غَرِضَانِ [٣]
تَحِنُّ فَتُبْدِى ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِى الَّذِى لَوْلَا الأُسَى لَقَضَانِى [٤]

يريد : لقَضَى عَلَىَّ ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسَنَ مُخْرَجٍ : قال الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [٥] والمعنى إذا كَالُوا لهم أو وَزَنُوا لهم ، ألا تَرَى [أن] [٦] أول الآية : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ فهؤلاء أَخَذُوا منهم ثم أعطوهم ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً ﴾ [٧] أى من قومه .

---

(١) هو أيضاً يحيى بن نوفل ، (وانظر البيان والتبيين ٢ : ١٦٧)
(٢) من ر ، س .
(٣) حجر : هى مدينة اليمامة وأم قراها ؛ ويريد بالحمى حمى ضرية ؛ وكان حمى كليب (وانظر ياقوت) . ومن زيادات ر بعد هذا البيت :

هوى ناقتى خلفى وقدّامِىَ الهوى وإنى وإياها لمختلفان

(٤) ر : « أنشد صاعد بعدهما زيادة فيهما :

فياكبدينا أجملا قد وَجَدْتُما بأهل الحِمَى مالم يجد كبدان
إذا كبدانا خافَتا وَشْكَ بَيْنِهِ وعاجلَ بَيْنٍ ظَلَّتا تجبان »

(٥) سورة المطففين ٢
(٦) من ر .
(٧) سورة الأعراف ١٥٥ .

يريد فى ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَام ، وكذلك الأول ، معناه : ما أذوقُ فيهن ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلا : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾ إلا فى الحذف فقط ، وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَةِ ، كقولهم : يَوْمُ الجمعة سِرْتُه ، ومكانُكُمْ قمتُه ، وَشهرُ رمضان صُمْتُه ، فهذا يُشبَّهَ فى السَّعَةِ بقولك : زيدٌ ضربتُه وما أشبهه ، فهذا بَيِّنٌ]

* * *

[لأعرابى من بنى سعد وقد نزل به أضياف]

قال أبو العباس : ومما يُسْتَحْسَن وَيُسْتَجَاد قول أعرابىّ[1] من بنى سَعْد ابن زيد مَناةَ بن تميم ، وكان مُمْلِكاً[2] ، فنزل به أضياف ، فقام إلى الرحَى فطحن لهم ، فمرّتْ به زوجتُه فى نِسْوَةٍ ؛ فقالتْ لهن : أهذا بَعْلِى ؟ فأُعْلِمَ بذلك فقال — [قال أبو الحسن : أخبرنا به عن أبى مُحَلِّمٍ له يعنى السَّعْدِىّ] — :

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَها بِيَمِينِهَا : أَبَعْلِيَ هٰذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ !

فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْجَبِي وَتَبَيَّنِي بَلَائِى إِذَا الْتَفَّتْ عَلَىَّ الْفَوَارِسُ

أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمَيَّاهُ الْأَلَدُّ الْمُدَاعِسُ

لَعَمْرُ أَبِيكِ الْخَيْرِ إِنِّى لَخَادِمٌ لِضَيْفِى ، وَإِنِّى إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله : « المُتَقاعِس » إنما هو الذى يُخْرِجُ صَدْرَه وَيُدْخِلُ ظهره ، ويقال : عِزَّةٌ قَعْساءُ ، وإنما هذا مَثَلٌ ، أى لا تَضَع ظهرَها إلى الأرض . وقوله :

---

(١) هو المذلول بن كعب العنبرى ؛ ذكره أبو تمام فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦٩٥ — ٧٠١

(٢) من الإملاك ، وهو عقد النكاح .

الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ المَوْتَ ﴾[1] ، فالموتُ فى النية ، وهو معلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به ، فلهذا ناسب قوله عزّ وجل : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ . وكذلك قوله : ﴿ كَالُوهُمْ ﴾ فالشئُ المَكيلُ معلوم ، فهو بمنزلة ماذُكِرَ فى اللفظ ، ولا يجوز : مررت زيداً وأنت تريد : مررت بزيد ، لأنه لا يتعدى إلاّ بحرف جر ، وذلك أنّ فعل الفاعل فى نفسه ، وليس فيه دليل على المفعول نفسه ، وليس هذا بمنزلة ما يَتَعَدّى إلى مفعولين ، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جرٍّ ، وإلى الآخر بنفسه ، لأنّ قولك : اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً ، قدْ عُلِمَ بذِكْرِك « زيداً » أن حرف الجر محذوف من الأول . فأما قول الشاعر — وهو جرير — وإنْشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تَمُرُّونَ الدِّيارَ وَلَمْ تَعُوجُوا   كَلامُكُمْ عَلَيَّ إذاً حَرَامُ

وروايةُ بعضِهم له : « أتَمْضُونَ الدِّيارَ » فليسا بشىء لما ذَكَرْتُ لك ، والسماع الصحيح والقياس المُطَّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذة .

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال : قرأت على عُمارةَ بن عَقِيل بن بلال بن جرير :

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ .

فأما قولهم : أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاما ولا شراباً ، وقولُ الراجز :

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلامُ[2]   بِكَبِدٍ خَالَطَها سَنَامُ

* فِي سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

---

(١) سورة سبأ : ١٤ .   (٢) صبحت : أتت بالتصبيح ، تريد به الغداء .

ويقال : ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا سقط ، فدخل عُنُقُه(١) فى جوفه ، والكلام مُشْتَق بعضُه من بعض ، ومُبَيَّنٌ بعضه بعضاً ، فيقال من هذا فى المَثَلِ : ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتدَع عنها ، أى رجع ، وكذلك : فلان لا يَرتَدِع عن قبيح ، والأصل ما ذكرتُ أوّلًا .

ومثل هذا قولُهم : فلانٌ على الدّابة ، وعلى الجبل ، أى فوق كل واحد منهما ، ثم تقول : فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلًا ، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَه ، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها ، وكذلك : عَلَا فلانٌ القومَ ، إذا علاهم بأمره وقهرهم ، أو جُعِل فى هذا الموضع .

وقوله :

* وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ *

فالغِرار هاهنا الحدُّ ؛ وللغرار مواضع .

قال أبو العباس : وحدثنى الرِّيَاشِيُّ فى إسنادٍ له قال : قال جَبْرُ بن حبيب — وذكر الراعى — : أخطأ الأعْوَرُ — قال : ولم يعْلَمْ الحاكى عنه أن الراعىَ كان أعوَرَ إلا مِنْ هذا الخبر — فى قوله :

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ كَسَرْنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغِرَارَا(٢)

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ ؛ لأن الغرار هاهنا هو الحدّ ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ . وقد يكون المثال ، وليس ذلك بمانعه من أن يحتَمِلَ مَعانِيَ ، يقال : بَنَوْا

---

(١) ر : « فدخلت عنقه » ، والعنق تذكر وتؤنث .

(٢) القف : حجارة بعضها فوق بعض . وعير النصل : ما نتأ فى وسطه .

« بالرحى المتقاعس » ، لو أراد : الذى يَتَقَاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ ، لأن قوله : « بالرحى » من صلة الذى ، والصلة تمام الموصول ، فلو قدمها قبله لكان لحناً وخطأً فاحشاً ، وكان كَمَنْ جَعَلَ آخرَ الاسم قبل أوله ، ولكنه جَعَلَ «المتقاعسَ» اسما على وجهه ، وجعل قوله : « بالرحى » تَبْييناً بمنزلة «لَكَ » التى تقَعُ بعد «سَقْياً» ، وبمنزلة « بكَ » التى تقع بعد قولك : «مَرْحَباً» ، فإن قَدَّمْتَها فذلك جَيِّدٌ بالغ ، تقول : بك مرحباً وأهلا ، وتقول : لك حَمْداً ، ولزيدٍ سَقْياً ، فأما قولُ الله عزّ وجل : ﴿ وأَنَا على ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1] وكذلك ﴿ وقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[2] فيكون تفسيره على وجهين : أحدهما أن يكون : إنى ناصحٌ لكما ، وأنا شاهد على ذلكم ، ثم جعل « من الشاهدين » و « لمن الناصحين » تفسيراً لشاهدٍ وناصح ، ويكون على ما فسرناه يراد التبيين ، فلا يدخل فى الصلة ، ويكون على مذهب المازنىّ .

قال أبو العباس : وهو الذى أختار ، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى ، ألا ترى أنك تقول : نِعْمَ القائم زيدٌ ، ولا يجوز : نِعْمَه الذى قامَ زيد ، وإنما هو بمنزلة قولك : نِعْمَ الرجلُ زيد ، وهذا الذى شرحناه متصلٌ فى هذا الباب كُلِّهِ مُطَّرِد على القياس .

وقوله :

* أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ *

فإنما اشتقاقه من السهم يقال : ارتدَعَ السهمُ إذا رجع متأخرا ،

---

(١) الأنبياء ٥٦

(٢) الأعراف ٢١

ومن قال : « ذا مِعْلاقٍ » ، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصماً لم يَتَخَلَّصْ منه ، وجعل السعدىّ الألَدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك ، والمداعِس : المُطَاعِن ، يقال : دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ ؛ قال عُمَيْرُ بن الحُبَاب السُّلَمىّ :

أَنَا عُمَيْرٌ وَأَبُو المُغَلِّسْ   وَبِالْقَنَاةِ مَازِنِىٌّ مِدْعَسْ

* * *

[قال أبو الحسن : تأويل قول السعدىّ :

* أَبَعْلِىَ هٰذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِس *

«بالرحى» تبيين ولم يوضحه ، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال : «أبعلى هذا بالرحى المتقاعسُ» ، فإن المتقاعِسَ يدل على أن تقاعُسًا وقع ، فكأنه قال : وقَعَ التقاعُس بالرحى ، ولم يرد أَنْ يُعْمِلَ « المتقاعِس » فى قوله: «بالرحى» ، لأنه فى الصِّلَةِ ، والصلةُ من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء ، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعضٍ ، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول ، فأما قول الله عزّ وجل : ﴿وقاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وكذلك : ﴿وَأَنَا عَلَى ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فإنه يكون على التبيين الذى قدَّمنا ذِكْرَه وهو قول البصريين أجمعين ، إلاَّ أن أبا عُمر الجَرْمِىَّ أجازَ أن يَجْعَلَ « لكما » ، و «على ذلكم » مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما « من الناصحين » ، و « من الشاهدين » ، لأن « من » مُبَعِّضَةٌ ، فكأنه قال — والله أعلم — : وقاسَمَهُما إنى ناصحٌ لكما من الناصحين ، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين .

وأما اختياره وذِكْرُهُ أنه قولُ المازنىّ ، وجَعْلُهُ الألفَ واللام للعهد مِثْلَهُما فى الرجل وما أشبهه ، فإن هذا القول غير مَرْضِىٍّ عندى .

بيوتَهُمْ على غِرار واحد: أي على مثالٍ واحد، كما قال عمرو بن أحمر [الباهلىّ] [١]:

وُضِعْنَ [٢] وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرارٍ ... هِجَانَ اللَّوْنِ قَدْ وَسَقَتْ جَنِينا

ويقال: لِسُوقِنا دِرَّةٌ وغِرارٌ، أي نَفاقٌ وكَسادٌ، فهذا معنى آخر، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شيء بعد شيء. ومن هذا: غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ، لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شيء، وكذلك غارَتِ الناقةُ فى الحَلَبِ، ويقال من هذا: ما نِمْتُ إلا غِرارًا، قال الشاعر:

ما أذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرارًا ... مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءَ الثِّمادِ

فكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه.

وقوله

* يهابُ حُمَيّاهُ الألَدُّ المُداعِسُ *

فأصل الحميّا إنما هى صَدْمة الشيء، يقال: فلان حامى الحميَّا، ويقال: صَدَمَتْهُ حُمَيّا الكاس، يراد بذلك سَوْرَتُها.

وقوله: «الألدّ» فأصله الشديد الخصومة، يقال: خَصْمٌ ألَدُّ، أى لا ينثنى عن خصمه. قال الله عزّ وجل: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [٣] كما قال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [٤]، وقال مُهَلْهِل:

إنَّ تَحْتَ الأحْجارِ حَزْمًا وَجودًا ... وَخَصِيمًا ألَدَّ ذا مِغْلاقِ

ويروى: «مِغْلاق»، فمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلِقُ الحجّةَ الخَصم،

---

(١) من ر، س.

(٢) كذا ضبطت فى الأصل بالبناء للمجهول. وفى زيادات ر: [الرواية عن أبى العباس: «وضعن» بفتح الضاد والواو، والصحيح: «وضعن» بضم الواو وكسر الضاد].

(٣) مريم ٩٧

(٤) الزخرف ٥٨

[لطخيم بن أبي الطخماء الأسدى يمدح قوماً من أهل الحيرة]

قال أبو العباس : ومن سَهْلِ الشعْرِ وحَسَنِهِ قول طُخَيْم بن أبي الطخماء الأَسَدِيِّ يمدح قوما من أهل الحِيرَةِ من بني امْرِئِ القَيسِ بن زَيْدِ مناة ابن تميم ، ثم من رَهْطِ عَدِيِّ بن زيد العِبادِيِّ ، قال :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمٌ بِزُورَةَ صَالِحٌ ... وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ وَصَدِيقُ[1]

وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ[2]

مَعِى كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالْحَدَّاءِ ، كُلُّ سَمَيْدَعٍ ... لَهُ فِى الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ

وَإِنِّى وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أُحِبُّهُمْ ... وَيَرْتَاحُ قَلْبِى نَحْوَهُمْ وَيَتُوقُ

قال أبو العباس : أَنْشَدَنِى هذا الشِّعْرَ أبو مُحَلِّمٍ ، ثم أَنْشَدْنِيهِ رجلٌ نصرانىٌّ يُكْنَى أبا يَحْيَى ، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُوا به ، وذَكَر أنه يَذْكُرُ طُخَيْمًا ، وهو يَتَرَدَّدُ إليهم ويَظَلُّ عندهم. قال هذا النصرانىُّ — وهو رجل من بنى الحُدَّاءِ — قال: أَذْكُرُهُ وأنا صغيرٌ جدًّا ، والسلطانُ يطلبه لقوله :

* له فى العروق الصالحات عروق *

يقول : أتقول هذا لقومٍ من النصارى ! وكان هذا النصرانىَّ قد قارَبَ مائةَ سنة فيما ذُكِر .

وقوله : «معى كل فضفاض القميص» يريد أنّ قميصه ذو فضول ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الْخُيَلاء ، كما قال زُهَيْر :

---

(١) زورة : موضع قرب السكوفة ، ضبطه ياقوت بفتح الزاى ؛ وقال : « وقرأته بخط بعض أعيان أهل الأدب « زورة » بضم الزاى» ، وأورد الأبيات .

(٢) البروقتان : موضع قرب السكوفة ، وضبطه ياقوت بواوين ، الأولى مضمومة ؛ وأورد البيت .

لأنك إذا قلت : نعْمَ القائمُ زيدٌ ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه ، فإنه إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة ، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل ، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّراً إلا على حيلة ووجهٍ بعيدٍ من التبيين الذى ذَكَرْنا . وإذا كان فى التأخير لا يعْمَلُ بنفسه : فكيف يَعْمَلُ إذا تقدَّم عليه الظَّرْفُ ! وهذا مستحيل لا وَجْهَ له.

وأما إنشاده :

* لاأَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَاراً *

فإن هذه أبيات أربعة أنْشِدْناها عن الزِّيادِىِّ، وذُكِرَ أنه كان يستحسنها وهى لأعرابىّ قال :

مَا لِعَيْنِى كُحِلَتْ بِالسُّهَادِ وَلِجَنْبِى نَابِياً عَنْ وِسَادِى

مَا أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَاراً مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءَ الثِّمَادِ[1]

أَبْتَغِى إِصْلَاحَ سُعْدَى بِجُهْدِى وَهْىَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادِى

فَتَتَارَكْنَا عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِى

وأما إنشاده :

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ على غِرَارِ *

فإن البيت لِعَمْرو بن أحمر بن الْعَمَرَّدِ الباهِلِىّ]

* * *

(١) ر ، س : « لا أذوق » .

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الجَمَائِلَ بَعْدَمَا ... تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الخَطْرُ[١]

[قول مخيس بن أرطاة الأعرجى لرجل من بنى حنيفة]

ومِنْ حَسَنِ الشعر وما يَقْرُب مَأْخَذه قولُ مُخَيِّسِ بنِ أَرْطاةَ الأعْرَجِى — وَالأعْرَجُ الحارثُ بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم — لرجل من بنى حَنيفَة يقال له يَحْيَى، وكان يَصِيرُ إلى امرأة فى قرية من قُرَى اليمامةِ يقال لها: بَقْعَاءُ: — [قال أبو الحسن: أُنْشِدْتُه عن الرِّيَاشِىِّ: « نَقْعَاء »[٢]، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فَصِيحاً من بنى حنيفة عن هذا، فقال: مانعرفه[٣] إلا « نقعاء »] —[٤]:

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّى لِيَحْيَى ... فَقَالَ: غَشَشْتَنِى وَالنُّصْحُ مُرُّ

وَمَابِى أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى ... وَيَحْيَى طَاهِرُ الأثوابِ[٥] بَرُّ

وَلٰكِنْ قَدْ أَتَانِى أَنَّ يَحْيَى ... يُقَالُ عَلَيْهِ فِى بَقْعَاءَ شَرُّ

فَقُلْتُ لَهُ: تَجَنَّبْ كُلَّ شَىْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ، إِنَّ الحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه.

وقوله: « إن الحر حُر » إنما تأويله أن الحرَّ على الأخلاق التى عُهِدَت فى الأحرار، ومثلُ ذلك:

---

(١) الزرق: أكثبة بموضع يقال له الدهناء. والجمائل: جمع جمل؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والغربان هنا: رءوس الأوراك؛ وتقوب: تقطع؛ يريد أن خطر الجمال بإدراكها أحدث فيها قوبا فتقطعت. (وانظر ديوانه ٢٠٩).

(٢) ر: « نقعاء » بالنون ».

(٣) ر: « ما أعرفه ».

(٤) س: « نقعاء » بالنون ». ر: « بقعاء » بالباء ».

(٥) ر: « الأخلاق ».

يَجُرُّونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ   حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

ويقال: إن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَضْلُ الإِزارِ فى النار» إنما أراد معنى الْخُيَلاء، وقال الشاعر:

وَلاَ يُنْسِينِيَ الحدَثَانُ عِرْضِي   وَلاَ أُرْخِي مِنَ الْمَرَحِ الْإِزَارَا

وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى تَمِيمةَ الهُجَيْمِيّ: «إِيَّاكَ وَالمخِيلَةَ» فقال: يارسول الله، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ، فما المَخِيلَة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «سَبَلُ الإِزارِ»، والحديث يَعْرِضُ لما يَجْرِي فى الحديث قبله، وإن لم يكن من بابه. ولكن يُذْكَرُ به.

قال أبو العباس: رُوِيَ لنا أَنَّ رَجُلاً من الصالحين كَانَ عند إبراهيم[1] ابن هشام، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةٌ   وَإِذْ أَجُرُّ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فقام ذلك الرجل فَرَمَى بشِقِّ رِدائه، وأَقْبَلَ يَسْحبه حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام: ما بكَ؟ فقال إنِّي: كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته، فآلَيْتُ ألاّ أَسْمَعَه إلاّ جَرَرْتُ رِدَائى كما تَرَى، كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَه.

وأما الفنِيقُ فإنه الفَحْل من الإبل[2]، وإنما أراد خَطَرانَه بِذَنَبِه من الْخُيَلاء، فشَبَّه الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بذَنَبِهِ يَمْنَةً وشَأْمَةً، قال ذو الرُّمَّة:

---

(١) كان والى المدينة؛ والشاعر هو الأحوص؛ والخبر فى الأغانى (٤: ٢١٦) طبعة الدار.

(٢) سقطت كلمة «الإبل» من ر، س.

ابن حسن ، وكان أشار عليه بأن يعتزِل القومَ فلم يفعل فقتِل ، فقال ابن مَيَّادة :

أَمَرْتُكَ يا رِيَاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ ... فقُلْتَ : هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ

نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ... عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدِ

وَوَجْدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ ... وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِى

وقوله[1] :

* فقلتَ هَشِيمَةٌ من أهل نجد[2] *

تأويله ضَعَفَة . وأصل الهشيم النَّبْتُ إذا وَلَّى وَجَفَّ وتكسَّر ، فذرَتْه الرِّياحُ يمينًا وشِمالاً . قال الله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾[3] والنَّجْدُ : أعالى الأرض .

وقوله :

* عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدِ *

فالمَحْبُوك الذى فيه طَرَائق ، واحدها حِباكٌ ، والجماعة حُبُك ، وكذلك الطرائق التى على جَناح الطائر : من ذلك قول الله عز وجل[4] : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ[5] ﴾ .

* * *

[قال أبو الحسن : ابن مَيَّادَة اسمه الرَّمّاحُ ، وأمه مَيّادَة ، وأبوه أبْرَد ، وكان عاقًّا بأمه ، ولها يقول :

---

(١) ر : « فقوله » س : « قوله » .

(٢) فى اللسان : « ضعف » .

(٣) الكهف ٤٥

(٤) ر : « تبارك تعالى » .

(٥) الذاريات ٧ .

* أَنا أَبو النَّجْم وَشِعْرِى شِعْرِى [1]

أَىْ شِعْرِى كما بلغَكَ ، وكما كُنْتَ تَعْهَدُ ، وكذلك قولهم : الناسُ الناسُ ، أى الناس كما كنت تعْهَدُهُمْ . [قال أبو الحسن : ومنه قول الله عز وجل : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾] [2]

وقوله :

فقلتُ له تجَنَّبْ كل شيء يعاب عليك . . .

كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عبدَ المَلِكِ [بن مروان] [3] فقال: آخِذٌ بثلاث ، تاركٌ لثلاث : آخِذٌ بقلوب الرجال إذا حَدّث ، وبحسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ ، وبأيسَرِ الأمرين عليه إذا خُولِف ، تاركٌ للمِرَاء ، تاركٌ لمقارَبة اللئيم ، تاركٌ لما يُعْتَذَر منه ، كقوله :

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَىْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الحُرَّ حُرُّ

[قول ابن ميادة لرياح بن عثمان المرى]

ومما يُسْتَحْسَنُ إنشادُه من الشعر لصحة معناه ، وجَزَالة لفظه ، وكثرة تَرَدُّدِ ضَرْبِه من المعانى بين الناس ، قولُ ابن مَيَّادةَ لرِياحِ بن عثمان بن حَيَّانَ المُرِّىّ [4] ، من مُرَّةَ غَطَفَانَ ، يقوله فى فتنة [5] محمد بن عبد الله بن حسن

(١) بعده :

* للهِ درِّى ما يُجِنُّ صَدْرِى *

(وانظر معاهد التنصيص ١ : ١٩)

(٢) سورة طه ٨٧

(٣) من ر ، س .

(٤) كان والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور سنة ١٤٤ (وانظر زامبور ١ : ٣٦) .

(٥) ذكر ابن الأثير هذه الفتنة مفصلة فى حوادث سنة ١٤٤ . والخبر والأبيات فى الأغانى ٢ : ٣٣٧ — ٣٣٨ (طبعة الدار) ، واللسان (هضم) عن المبرد .

[يروى عن ابن عمر أنه كان يقول : إنّا معشرَ قريش ، كنا نعدّ الجود والحلم السُّودد ، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة] [١]

قال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ : كثرةُ الضّحكِ تُذْهِبُ الْهَيْبَة ، وكثرة المَزْح تذْهبُ المُرُوءة ، ومن لَزِمَ شيئًا عُرِفَ به

وقيل لعبد الملك بن مَرْوانَ : ما المُرُوءَة ؟ فقال : مُوالاَةُ الأَكْفاءِ ، ومَدَاجاةُ الأَعْداء .

وتأويل المُدَاجاةِ المُداراة : أى لا تُظْهِرْ لهم ما عندك من العداوة ، وأصله من الدُّجى ، وهو ما أَلبَسَكَ الليلُ من ظلمته .

وقيل لمعاوية : ما المُرُوءَةُ ؟ فقال: احتمال الجَرِيرَة ، وإصْلاحُ أَمْرِ الْعَشِيرة . فقيل له : وما النُّبْل ؟ فقال : الحِلْمُ عند الغضب ، والْعَفْو عند القُدْرة .

وكان أبو سُفْيَان إذا نزل به جارٌ قال له : ياهذا ، إنك قد آخترتنى جارًا ، واخترتَ دارى دارًا ، فجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحْتَكِمْ علىَّ حُكمَ الصبىّ على أهله .

وذلك أن الصبىّ قد يَطْلُبُ ما لا يوجد إلاّ بعيدًا ، ويطلب ما لا يكون أَلبَتَّةَ ، قال الشاعر [٢] :

وَلاَ تَحْكُمَا حُكمَ الصَّبىّ فَإِنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُه

وروى [٣] أن معاوية بن أبى سفيان لما نَصَبَ يزيدَ لِولاية الْعَهْدِ أَقْعَده فى قُبَّةٍ حمراء ، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى

---

(١) ما بين العلامتين تكملة من ر .
(٢) زيادات ر : « هو الأعرج المعنى » .
(٣) ر : « ويروى » .

* أَغْرَنْزِمِى مَيَّادَ لِلْقَوَافِى[1] *

وأصل الإِغْرِنْزامِ التَّجَمُّع والتَّقَبُّض ، يقول : اسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئِى .

وأَنْشَدَنا أبو العباس محمد بن يزيدَ له :

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قلن يَوْمَ تَرَحُّلِى   قَوْلَ المُجِدِّ وَهُنَّ كالمُزَّاحِ
يَا لَيْتَنَا مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِحٍ   طَلَعَتْ عَلَيْنا الْعِيسُ بالرَّمَّاحِ

فى أبيات له ، يعنى نفسَه .

قال أبو الحسن : وتمام الأبيات

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِى مُتَعَصِّبًا   بالخَزِّ فَوْقَ جُلاَلَةٍ سِرْدَاحِ[2]
فِيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ طَفْلَةٌ   بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ[3]
رَيَّشْنَ حِينَ أَرَدْنَ أَنْ يرمِينِى   نَبْلاً بِلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ
وَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ   مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ]

* * *

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس : ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا ، ونعود[4] إلى المُقَطَّعات إن شاء الله .

---

(١) حاشية الأصل : بعده :

* واستَسْمِعِيهِنّ ولا تخافى *

وفى ر :

واستسمعيهن ولا تخافى   ستجدين ابنك ذا قذاف

(٢) الجلالة : الناقة الضخمة . والسرداح : الناقة الطويلة .

(٣) صفراء المعاصم : هى التى طليت بالزعفران . والطفلة : الناعمة . والغريض : الطرى .

(٤) ر : « ثم نعود » .

وَإِنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ

وَمَازَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

[لإياس بن الوليد يمدح قومه]

وقال إياس بن الوَليدِ يمدح قومه :

إِنِّى وَجَدِّكَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا طَلَبُوا ... بَعْدَ النَّسِيئَةِ دَيْنًا أَحْسَنُوا الطَّلَبَا

لاَ تَحْسِبُوا هَجْمَ أَبْيَاتِى عَلاَنِيَةً ... وَلاَ اسْتِلاَبَ سِلاَحِى ذَاهِبًا لَعِبَا

تَبْقَى الْمَعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِيَةً ... وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيمَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

[لرجل يهجو]

وقال آخر :

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَيْرَ تَأْشِيبِ نِسْبَةٍ ... وَلٰكِنَّ عَمْرًا غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ

إِذَا عُيِّرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ ... وَمَا الْعَارُ إِلاَّ مَا تَجُرُّ الْمَقَادِرُ

[لرجل من بنى نهشل بن دارم يتأى بنفسه]

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دارِم :

إِذَا مَوْلاَكَ كَانَ عَلَيْكَ عَوْنًا ... أَتَاكَ الْقَوْمُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ

فَلاَ تَخْنَعْ إِلَيْهِ وَلاَ تُرِدْهُ ... وَرَامِ بِرَأْسِهِ عُرْضَ الْجَبُوبِ

فَمَا لِشَآفَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ... إِذَا وَلَّى صَدِيقُكَ مِنْ طَبِيبِ

قوله :

« ورام برأسه عرض الجبوب »

جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعْلَمْ أنك لو لم تولّ هذا أمورَ المسلمين لأَضَعْتَهَا — والأحنفُ جالس — فقال له معاوية : ما بالكَ لا تقولُ يا أبا بَحْرْ ! قال : أخاف الله إن كَذَبْت ، وأَخافكم إن صَدَقْتُ . فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ! وأَمَرَ له بألوفٍ ، فلما خرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرَجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بحْر ، إنى لَأَعْلَمُ أن شَرَّ مَنْ خَلَقَ اللهُ هذا وابنُه ، ولكنهم قد استَوْثَقُوا من هذه الأموال بالأبوابِ والأقْفالِ ، فلسْنا نَطْمَعُ فى استخراجها إلا بما سمعت ، فقال الأحنف : يا هذا أَمْسِكْ عليك[1] ، فإن ذا الوجهين خَلِيقٌ ألاَّ يكونَ عند الله وجيهاً

[لرجل يهجو بلال بن البعير المحاربى]

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعِيرِ المحاربِيّ[2] :

يقولون أَبْنَاءُ الْبَعِيرِ وَمَالَهُ ... سَنَامٌ وَلاَ فى ذِرْوَةِ الْمَجْدِ غَارِبُ

أَرَادَتْ ـ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لأَهْجُوهَا ـ لَمَّا هَجَتْنِى مُحَارِب

مَعَاذَ إِلٰهِى إِنَّنِى بِعَشِيرَتِى ... وَنَفْسِىَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ لَرَاغِبُ

[لأبى الطمحان القينى يفخر بقومه]

وقال أبو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيّ[3] :

---

(١) كلمة « عليك » ساقطة من ر ، س .

(٢) زيادات ر : « الشاعر الرماح بن ميادة » ؛ ورواية الأغانى (٢ : ٣٣٠ — طبعة الدار) للبيتين الأخيرين عن أبى حذافة السهمى :

أظنَّتْ سَفاهًا من سَفاهةِ رأيها ... أن اَهْجُوَها لما هجتنى محاربُ !

فلا وأبيهـا إننى بعشيرتى ... ونفسىَ عن ذاك المقام لراغبُ

(٣) زيادات ر : « اسمه حنظلة بن الشرقى ؛ والطمحان فعلان ؛ من طمح بأنفه وبصره إذا تكبر ، والقين : الحداد ؛ وكل صانع قين ، والقين أيضاً : مواضع القيد من البعير » .

وقوله : « عَضْب » أى قاطع ،ومن ذلك رجل عضبُ اللسان ، وجعله أفَلَّ لكثرة ما يُقَارعُ به الحروبَ ؛ كما قال النابغة :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فلولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله : « عقدات » فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل ، الواحدة عَقِدَة ، وأعْقادٌ أيضاً وَعَقِدَات ، قال ذو الرُّمَّة لِهِلاَلِ بن أَحْوَزَ المازنىّ يمدحه :

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلاَلُ لَهَا ... رَفْعَ الطِّرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ[1]

حَتَّى نِسَاءُ تَمِيمٍ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالعَقِدِ

لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ ... وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

وقوله : « الأبرق » فالأبْرَقُ حجارة يَخالِطُها رَمْلٌ وطين ، يقال لتلك : بُرْقَة ، وأبْرَقُ ، وبَرْقاء ، يا فتى : كما يقال : الأمْعَزُ والمعْزاء ، وهى الأرض الكثيرة الحصْباءِ ، ومثل ذلك الأبْطَحُ وَالْبَطْحاء ، وهو ما انْبَطَحَ من الأرض ، فمن قال : أبْرَقُ فإنما أراد المكان ، ومن قال : بَرْقاءُ فإنما أراد البقعة .

وقوله : « المتقاود » يريد المنقاد المستقيم : ومن ذلك قولهم : قُدْتُهُ أى جَرَرْتُهُ على استقامة ، وكذلك طريق مُنْقاد ، وفلان قائد الجيش ، قال حاتم ابن عبد الله الطائىّ : يضرب هذا مثلا :

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ ... وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ[2]

وقوله :

« ولو كان مخلوطا بسمّ الأساود »

---

(١) الطراف : بيت من جلد ، والعلياء : المكان المرتفع .

(٢) حاشية الأصل : « الأقود من الرجال : الذى لا يلتفت » .

يريد الأرضَ — وهو اسم من أسمائها — أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثى ابنه :

بُنَىَّ عَلَى عَيْنِى وَقَلْبِى مَكَانُهُ   ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله : « فما لشآفة » يقول : لِبُغْضٍ ، يقال : شَنِفْتُ الرجلَ أشْأَفُهُ شآفةً وشَأْفًا ، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ ، قال الراجز :

لَمَّا رَأَتْنِى أُمُّ عَمْرٍو صَدَفَتْ   وَمَنَعَتْنِى خَيْرَهَا وَشَنِفَتْ[١]

وقال آخر :

* وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلْبِ الشَّنِفْ[٢] *

[لنبهان بن عكى فى النسيب]

قال نَبْهَانُ بن عَكِّىٍّ العَبْشَمِىُّ :

يُقِرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى مَنْ مَكَانُهُ   ذُرَا عَقِدَاتِ الْأَبْرَقِ الْمُتَقَاوِدِ

وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الَّذِى شَرِبَتْ بِهِ   سُلَيْمَى ، وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ

وَأُلْصِقَ أَحْشَائِى بِبَرْدِ تُرَابِهِ   وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الْأَسَاوِدِ

قوله : « ذُرَا عَقِدات » ، فالذِّرْوَةُ من كلّ شيء أعلاه ، فذِرْوَةُ السنام أعلاه ، وذُرْوَةُ المَجْدِ أرفعُهُ وأسناه ، ويقال : فلان فى ذُرْوة قَوْمِه إذا كان فى الموضع الرفيع منهم ، وأما قول لَبِيد :

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا   دَنَسَ الْأَسْؤُقِ عن عَضْبٍ أَفَلّْ

فإنما يقول : هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل يَنْحَرُهَا ثم يمسح ذرا أسْنِمَتِهَا بسيفه ، لِيَجْلُوَ ما عليه من دم الأسْؤُق .

---

(١) البيتان فى اللسان (شنف) .

(٢) البيت فى اللسان (شنف) ، ويرواه « علة القلب » بالمهملة .

عَلَى حَرْدٍ قادِرِين ﴾ [١] ، فإن فيه قولين : أحدهما ما ذَكَرْنا من القصد ؛ قال الشاعر [٢] :

قَدْ جاءَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّـةِ الْمُغِلَّهْ [٣]

وقالوا : « على حَرْدٍ » : أى على مَنْعٍ ؛ من حارَدَتِ السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا ، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا .

* * *

[قال أبو الحسن : رواية أبي العباس : «يُقِرُّ بعيني» يريد يُقِرُّ عيني ، ثم أتى بالباء توكيداً ، وقال لنا : هكذا سمعته ، ويقال : أَقَرَّ الله عينَهُ يُقِرُّها ، وَقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ ، وقَرِرْتُ بالمكان أَقِرُّ . وقال الأصمعىّ : قَرَّتْ عينُه من القُرِّ وهو البَرْدُ : أى جَمَدَتْ فلم تدمع ، وهو بحِذاء سَخِنَتْ عينُهُ . وأجْوَدُ مما رَوَى عندى : « يَقَرُّ بعيني » ، وهو الأصل ، والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة .

وقال أبو العباس : الذى رَوَيْتُ : « وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحد » ، وهو المنفرد فى السير المُتَوَحِّدُ به ، ورَوَى غيره : «كلُّ واجِدٍ» ، أى عاشق ، ورُوِىَ أيضاً : «كل واخِدٍ» ، وهو من الوَخْد والوَخَدانِ ، وهو السير الشديد ، والوَخْدُ المصدر ، والوَخَدانُ الاسم] .

* * *

---

(١) سورة القلم ٢٥
(٢) س : « قيل : هو قطرب » .
(٣) زيادات ر : « قال أبو حاتم : هذه صنعة من لاأحسن الله ذكره — يعنى قطرباً ؛ وفيها « قطربا » تصحيف .

يريد جمع أسْوَدَ سالخٍ ، وجَمَعَهُ عَلَى أساود ، لأنه يجرى مجْرَى الأسماء ، وما كان من باب « أفْعَل » اسْمًا فَجَمْعُهُ على أفاعِلَ ، نحو أفْكَل وأفاكِلَ[1] ، والأكْبَرَ والأكابِرِ ، وكذلك كلُّ ما سَمَّيْتَ به رجلا ، تقول : أحْمَد وأحامِد ، وأسْلَمُ وأسالِمُ ، فإن كان نعتا فَجَمْعُهُ « فعْل »[2] نحو أحْمَرَ وحُمْر ، وأصْفَر وصُفْر ، ولكن أسْوَد إذا عَنَيْتَ به الحيّة ، وأدْهَم إذا عَنَيْتَ به[3] القَيْدَ ، وأبْطَحَ إذا عنيت[4] المكان المنْبَطِح . والأبرق[5] إذا عنيت المكان ، مُضارِعَةٌ للأسماء ، لأنها تدل على ذات الشيء ، وإن كانت في الأصل نعتاً محضا[6] ، تقول في جمعها : الأباطِح والأبارق والأداهِم والأساوِد ، فإن أرَدْتَ نعتاً مَحْضاً يَتْبَعُ المنعوت ، قلت : مررت بثياب سُودٍ ، وبخَيْلٍ دُهْم ، وكل ما أشْبَهَ هذا فهذا مجراه ، قال جرير :

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِي أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ[7]

وقال الأشْهَب بن رُمَيْلَة — [قال أبو الحسن : رميلة اسم أمّه] —[8] :

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تساقت[9] عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله : « على حرد » يقول : على قصدٍ . فأما قول الله عز وجل : ﴿ وَغَدَوْا

(١) الأفكل : اسم لرعدة من برد أو خوف .

(٢) ر ، س : « فجمعه على فعل » .

(٣) ر ، س : « إذا عنيت به القيد » .

(٤) ر : « إذا عنيت المكان » .

(٥) ر : « وأبرق إذا عنيت به المكان » .

(٦) ساقطة من ر .

(٧) المساحي : « جمع مسحاة ، وهي المجرفة من حديد يجرف بها الطين عن وجه الأرض » .

(٨) مابين العلامتين من ر ، س .

(٩) ر ، س : « تساقوا » .

الهاء زائدة كما استَوَيَا فى « فَعْل » الساكن العين ، تقول : كَلْبٌ وكِلاب ، وكَعْبٌ وكِعابٌ ، كما تقول فى المؤنث : طَلْحَةٌ وطِلَاحٌ ، وجَفْنةٌ وجِفان ، وصَحْفَةٌ وصِحَافٌ . ونظير ذلك من غير المعتل ورَل[1] ووِرْلان ، وبَرَق وبِرْقان وخَرَب وخِرْبان ، وهو ذَكَرُ الحُبارَى ، والبَرَقُ الحَمَل . ومن أنشد : « أُمْوَان » فقد غلط ، لأنه يَحْتَجُّ بقولهم : حَمَلٌ وحُمْلانٌ ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ ، وهـذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مِثْلَهُ ، نحو أَخ واخْوان . وقد رَوَى أبو زيد : أُخْوان ، فإلى هـذا ذهبوا ، والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عَلَيْه الرِّوايةُ الضعيفة .

وقوله : « لا أرْضِـعَ الدَّهْرَ » فهذا على لغته ، لأن قيْسًا تقول : رَضِـعَ يَرْضَع ، وأهل الحجاز يقولون : رَضَعَ يَرْضَـعُ ، ويُنشِدون بيت عبد الله ابن هَمَّام [السلوليّ][2] على وجهين ، وهو :

إِذَا نَصَبُوا لِلقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا   ولٰكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
وذَمُّوا لَنا الدُّنْيَا وهُمْ يرْضِعُونَهَا   أَفَاوِيقَ حَتَّى ما يَدِرَّ لَهَا ثُعْلُ[3]

وبعضهم يقول : « يَرْضَعُونَهَا » .

وقوله :

« لا أَرْضِـعُ الدهر إلا ثَدْىَ واضحة »

يقول : إنما تُرْضِعُنِى أمّى ، وليست غير كريمة ، كما قال الأعشَى :

---

(١) الورل : دابة على خلقة الضب ؛ إلا أنه أعظم منه ؛ يكون فى الصحارى .
(٢) من و . وفى س « يتى ابن همام » .
(٣) الثعل ، مثلثة : خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة .

[للقتّال الكلابي يفخر بنفسه وقومه]

وقال القتّالُ الكِلابِىُّ[1] ، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِىّ :

أنا ابنُ أسماءَ أعمامِى لها وأبِى ... إذا ترامى بنُو الإموانِ بالْعَارِ

لا أرضعُ الدهرَ إلا ثَدْىَ واضحةٍ ... لِواضِحِ الخدِّ يحمِى حوزةَ الجارِ

مِنْ آلِ سُفْيانَ أوْ ورقاءَ يمنعُها ... تحتَ العجاجةِ ضربٌ غيرُ عُوّارِ

يا لَيْتَنِى والمُنَى لَيْسَتْ بنافعةٍ ... لِمالِكٍ أوْ لِحِصْنٍ أوْ لِسيّارِ

طِوالُ أنضيةِ الأعْناقِ لمْ يجدُوا ... رِيحَ الإماءِ إذا راحتْ بأزفارِ

قوله :

« إذا ترامى بنو الإموان بالعار »

فالإِمْوَانُ : جمع أَمَةٍ ، وأصل أمةٍ « فَعَلَةٌ » متحركة العين ، وليس شيء من الأسماء على حرفين إلا وقد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمعه ، أو بتثنيته ، أو بفعل إن كان مشتقًّا منه : لأن أقل الأصول ثلاثة أحرف ، ولا يَلْحَقُ التصغيرُ ما كان أقلَّ منها ، فأَمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم : «إِمْوَان» ، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أَبَوَانِ وأَخَوَانِ ، وعلمنا أن أمة « فَعَلَةٌ » متحركة بقولهم فى الجميع : آمٍ ، فوزن هذا أَفْعُلٌ ، كما قالوا : أَكَمَةٌ وآكُمٌ ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أفعُلٍ ، ثم قالوا إِمْوَانٌ : كما قالوا فى المذكَّر الذى هو منقوص مثله : إِخْوَان ، واستوى المذكر والمؤنث : لأن

---

(١) ر ، س : « وقال أبو العباس ، قال القتال ... »

والأبيات فى أمالى القالى (٢ : ٢٢٥ — ٢٢٦) ، وذكر فيها : « نازع القتال الكلابي — وهو عبيد بن المضرحى — رجلا من قومه ؛ فقال له الرجل : أنت كَلٌّ على قومك ، والله إنك لخامل الذكر والحسب ، ذليل النفر ، خفيف على كاهل خصمك ؛ كل على ابن عمك » ، فقال هذه الأبيات .

بنو بدرٍ ، وبيت بَكْر بن وائل شَيْبان ومركزه بنو ذى الجَدَّيْن .

وقوله : « طوالُ أنْضيةِ الأعناق » فالنَّضِىُّ مُرَكَّبُ النَّصْل فى السِّنْخ ، وضَرَبَهُ مَثَلاً ، وإنما أراد طِوال الأعناق ، كما قال الأعشى :

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ يَمْشُونَ فى الدفَئِىِّ والْأَبْرَادِ[1]

يُرِيد السُّودَدَ والنِّعْمَةَ ولم يَخْصُصِ الصدورَ ، وإنما أراد النعال كلها ، وقال الشاعر[2] :

يُشَبَّهُونَ مُلُوكاً فِى تَجِلَّتِهِمْ وطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ واللِّمَمِ

إِذَا بَدَا الْمِسْكُ يَنْدَى فِى مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ

[قال أبو الحسن : وغيره يروى : يُشَبَّهُونَ قريشاً فى تجلّتهم] .

وقوله : «بأزفار» فالزِّفْرُ الحِمْل ، ويُضْرَبُ مثلا للرجل،فيقال:إنه لَزُفَر : أى حَمَّالٌ للأثقال ، ويقال: أَبَى حِمْلَهُ فازْدَفَرَهُ ، قال أبو قُحافة أعشى باهلة :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها يَأْبَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وإنما يريده بعينه ، كقولك : لئن لقيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسدُ .

وقوله : « النَّوْفَلُ » من قولهم : إنه لذو فَضْلٍ ونَوَافِلَ .

* * *

[لرجل من بنى عبس ، وكان عروة بن الورد قد شتمه]

وقال رجل من بنى عَبْسٍ ، يقوله لعُرْوَةَ بن الوَرْدِ :[3]

لا تَشْتُمَنِّى يا بنَ وردٍ فإنَّنِى تَعُودُ عَلَى مَالِى الْحُقُوقُ الْعَوَائِدُ

---

(١) الدفئى : ضرب من الثياب ؛ قيل هى المخططة .

(٢) زيادات ر : «هو الشمردل بن شريك اليربوعى ، عن ابن قتيبة» .

(٣) ر ، س : «قال أبو الحسن : يقوله لعروة بن الورد» .

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِىَّ ولاَ   يَشْرَبُ كَأسًا بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول : إنّما تَشْرَبُ بكفك ، ولَسْتَ ببخيل ، ومثل هذا قولُ التّمِيمِىّ لنَجْدَةَ بن عامرٍ الحَنَفِىّ الخارجىّ[1] :

مَتَى تَلْقَ الحَرِيشَ حَرِيشَ سَعْدٍ   وعَبَّادًا يَقُودُ الدَّارِعِينا[2]

تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُوَرِّكْ   ولَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَا

وقوله : « واضحة » أى خالصة فى نَسَبِها ، وليست بأَمَةٍ ، وهذا توكيد لبيته الأول ، وقد أنشد بعضهم : « لواضح الجدّ » والمعنى قريب .

وقوله : « يَحْمِى حَوْزَةَ الجارِ » أى مايَحُوزه ، يقال : فلانمانع لحَوْزَتِهِ ، أى لما صار فى حَيِّزِه ، ويُرْوَى عن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه[3] أنه قال : للأزْد أربعٌ ليست لحىّ : بذْلٌ لما ملَكَتْ أيديهم ، ومَنْعٌ لِحَوْزَتِهِمْ ، وحَىٌّ عِمارةٌ[4] لا يحتاجون إلى غيرهم ، وشُجْعَانٌ لا يَجْبُنُونَ .

وقوله :

* لِمَالِكٍ ، أو لِحِصْنٍ ، أو لسَيَّار *

فهؤلاء بيت فزارَة ، وبُيُوتاتُ العَرَب فى الجاهلية ثلاثة : فبيتُ تميم بنو عبد الله بن دارِمٍ ، ومَرْكَزُهُ بنو زُرارَةَ ، وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومركزُه

(١) هو نجدة بن عامر الحنفى ، من رءوس الخوارج ؛ وكان ممن لقبوه بأمير المؤمنين ؛ قتل سنة ٧٢ . (وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٩٤) .

(٢) هو الحريش بن هلال القريعى الشاعر ، وعباد بن علقمة المازنى ؛ وسيأتى ذكرهما فى أخبار الخوارج .

(٣) ر : « رضى الله عنه » .

(٤) العمارة هنا : الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه ، بفتح العين وكسرها . قال ابن الأثير : « فمن فتح فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة والعمامة ، ومن كسر فلأن بهم عمارة الأرض » (وانظر النهاية ٣ : ١٢٨) .

[لرجل من بنى تميم يهجو تعلة بن مسافر]

وقال رجل من بنى تَميم :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافِرٍ   مادَامَ يَملِكُهَا علَىَّ حَرَامُ
وطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُهَا   مادامَ يَسْلُكُ فِى البُطُونِ طعَامُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِى أَعنَاقِهِمْ   زَادٌ يُمَنُّ عليهِمِ لَلِئَامُ
لَعَنَ الْإِلهُ تَعِلَّةَ بْنَ مُسَافِرٍ   لَعْنًا يُشَنُّ علَيْهِ مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جداً .

قوله : « يسوغ فى أعناقهم » يريد حُلوقَهُمْ لأن العُنُقَ يحيط بالحلْق ، ويُشْبِهُ هذا الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِيِّ :

لمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ   مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الْوَادِى
نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا   مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

لأن الخِياطة تَضُمُّ خِرَقَ القَميص ، والسَّرْد يضم حلَقَ الدِّرْع ، فضَرَبَهُ مَثَلاً فجَعَلَهُ خِيَاطةً .

* * *

[قال أبو الحسن : رَوَى أبو العباس :

* وطعام عمران بنِ أوفى مثلُها *

ردّ الهاء والألف على الألبان ، وهذا لا نظر فيه ، ورَوَى أيضاً مِثْله لأن الألبان تجرى مَجْرَى اللبن ، فحَمَلَهُ على المعنى . وقد يجوز أن تجْعَل الألبان جَمْعًا فتُذَكِّرَ لتذكير الجمع . ورُوِىَ أيضاً .

* مادَامَ يَسْلُكُ فى الحلوق طَعَامُ *

وَمَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤُوبَ تَكُنْ بِهِ   خَصَاصَةُ جِسْمٍ ، وهُوَ طَيَّانُ ماجِدُ[1]

وإنِّى امْرُؤٌ عافى إِنائِيَ شِرْكَةٌ   وأَنْتَ امْرُؤٌ عافى إِنائِكَ وَاحِدُ

أُقَسِّمُ جِسْمِى فِى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ   وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والماءُ بارِدُ

قوله : « النؤوب » يريد الذى يَنُوبه ؛ وكل واو انْضَمَّتْ لغير علَّةٍ فأنت فى همزها وتركها بالخيار ، تقول فى جمع دارٍ : أَدْؤُر ، وإن شئت لم تَهْمِزْ . وكذلك النُّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو ، فأمّا الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة ، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ، ولو التَقَتْ واوانِ فى أول كلمةٍ ، وليست إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى ، تقول فى تصغير واصِلٍ وواقِدٍ : أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ؛ لا بُدَّ من ذلك ، فأما وُجُوهٌ فإن شئت هَمَزْتَ فقلت : أُجوه ، وإن شئتَ لم تَهْمِزْ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[3] والأصل وُقِّتَتْ ، ولو كان فى غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت . وقوله عز وجل[4] ﴿ مَا وُورِىَ عَنْهُمَا ﴾[5] الواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو .

وقولى : « إذا انضمت لغير علة » ، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا ، نحو هذا غَزْوٌ يا فتى ، ودَلْوٌ كما ترى ، فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ ؛ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة ، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين ، فذلك أيضاً غير لازم ، فلا يجوز همزه : نحو اخْشَوُا الرجل ، و ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾[6] و ﴿ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ﴾[7] ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئاً فقد أخطأ .

---

(١) الخصاصة : سوء الحال . والطيان : الجائع .

(٢) العافى : طالب المعروف .   (٣) سورة المرسلات ١١ .

(٤) ر ، س : « وقوله تعالى »   (٥) سورة الأعراف ٢٠ .

(٦) سورة آل عمران ١٨٦   (٧) سورة التكاثر ٦

« قَبْلُ وبَعْدُ » كما قال [طرفة بن العبد] :[1]

ثُمَّ تفْرِى اللَّحمَ مِنْ تَعْدَائِهَا   فَهْىَ مِنْ تَحْتُ مُشِيحَاتُ الحُزُمْ

وكما قال عُتَىّ بن مَالِكٍ العُقَيْلِىُّ ، أنشده الفراء أيضاً :

إذاأَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ ولَمْ يكُنْ   لِقَاؤُكَ إلاَّ مِنْ وَرَاءُ ورَاءُ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جِهَةِ التعريف ، وجِهَةُ التعريف أن يكون معرّفا بنفسه ، كزيد وعمرو ، أو يكون مُعَرَّفاً بالألف واللام أو بالإضافة ، فهذه جهة التعريف ، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى ، فلذلك بُنِىَ إذْ خرجَ من الباب ، ويُرْوى : «لَعَنّاً يُسَنُّ عليه» بالسين ، ويُسَنُّ ويُشَنُّ واحد ، أى يُصَبُّ ؛ إلا أن بعضهم قال : السَّنُّ : الصبُّ على جهة واحدة ، وقالوا : يقال : شَنَنْتُ عليه الماء ، وسَنَنْتُهُ ، وسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لا غير . وقالوا : شَنَنْتُ عليه الغارَةَ لا غير]

* * *

[للقطامى يفتخر]

قال أبو العباس : وقال القُطامِىُّ :

فمَنْ تَكُنِ الحضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ   فَأَىَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا !

ومَنْ رَبَطَ الجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا   قَنًا سُلُباً وأَفْرَاساً حِسَانَا[2]

---

(١) من ر ؛ وعجز هذا البيت صدر لبيت آخر ؛ ورواية الديوان ٥٩

وخلّ الصنعة فى مشتاتها   فهى من تحت مشيحات الحزُمْ

وتفرّى اللحم من تعدائها   وتعالى فَهْى قُبٌّ كالعَجَمْ

(٢) القنا : جمع قناة ؛ وهى الرمح : والسلب : الطوال ؛ واحده سلب ، بفتحتين .

ورَوَى الفَرّاءُ فى هذا الشِّعر :

* إنَّ الّذينَ يَسُوغُ فى أَحْلاقِهِمْ *

وإنما كان ينبغى أن يكون : « فى أَحْلُقِهِمْ » كقولك : فَلْسٌ وأَفْلُسٌ ، وما أشبهه ولكنه شبَّهَ باب « فَعْلٍ » بباب « فَعَلٍ » . كما قالوا : زَنْدٌ وأَزْنادٌ ، وفَرْخٌ وأفراخٌ، قال الحُطَيْئَةُ لِعُمَرَ بن الخطاب رضى[1] الله عنه :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِى مَرَخٍ حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب « فَعَلٍ » كما شَبَّهُوا فَعَلاً بِفَعْلٍ فى الجمع ، فقالوا : جَبَلٌ وأَجْبُلٌ ، وزَمَنٌ وأَزْمُنٌ ، كما قال :

إِنِّى لَأَكْنِى بأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبُلِهَا وبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ ذِكْرِ وادِيهَا

فأتى به على الأصل ، وتشبيهاً بغيره على ما أخبرتُكَ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الأَزْمُنُ اللاتى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ !

والباب « أزمان » كما قال رُؤْبَةُ :

أزْمَانَ لا أدرى وإن سألت ما فرقُ بين جُمعةٍ وسَبْتِ

ورَوى أبو العباس البيتَ الأخير مُقْوًى ، وجَعَلَهُ نكرة ، وهو قوله : « من قُدَّامٍ » ، كما تقول : جئتك من قَبْلٍ ، ومن بَعْدٍ ، ومن عَلٍ ، وما أشبهه ، كما قرأ بعضهم : ﴿ لِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ ﴾[2] ، كما تقول : أوّلا وآخِرًا ، ورواه الفراء : « من قُدَّامُ » ، وجعله معرفة ، وأجراه مُجْرَى الغايات ، نحو :

---

(١) ر ، س : « لعمر رحمه الله » .
(٢) سورة الروم ٤

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قيل لمعاوية رحمة الله عليه : ما النُّبْلُ ؟ فقال : الحِلْمُ عند الغضب ، والعَفْوُ عند القدرة . ويُرْوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ [1] : من أَكَلَ وَحْدَهُ ، ومَنَعَ رِفْدَهُ ، وضَرَبَ عَبْدَهُ . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ ؟ : مَنْ لا يُقِيلُ عَثْرَةً ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً ، وَلا يَغْفِرُ ذَنْبًا . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكُمْ ؟ : مَن يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ » . وَيُرْوَى عنه عليه السلام أنه قال : « المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِماؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ ، والمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » .

قوله صلى الله عليه وسلم : « تَتَكَافَأُ دماؤُهم » ، من قولك : فلان كُفْءٌ لفلان ، أي عَدِيلُهُ ، وموضوع بحذائه ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ويقال : فلان كِفاءُ فلان ، وكَفِيءُ فلان ، وكُفْءُ فلان .

ويروى أن الفَرَزْدَقَ بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَاتِ بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارِمِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تميم ، فقال الفرزدق :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الحَبِطَاتُ

قال مِسْمَع بيت بَكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام ، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَة

---

(١) ر : « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى ، قال من أكل وحده ... » .

وكُنّ إذَا أَغرْنَ عَلَى قَبِيلٍ[1] فَأَعوَزَهُنّ كَوْزٌ حَيْثُ كَانَا[2]
أَغَرْنَ مِنَ الضِّبابِ عَلَى حِلَالٍ وضَبّةَ، إنّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
وأَحْيَاناً عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إذَا مَالَمْ نَجِدْ إلاّ أَخَانَا

قوله: «الحضَارةُ» يريدُ الأمْصارَ، وتقول العرب: فلانٌ بادٍ، وفلانٌ حاضرٌ، وفى الحديث: «ولا يَبِيعَنَّ حاضرٌ لبادٍ»، وتأويلُ ذلك أن البادى يَقْدَمُ وقد عرف أسْعار ما مَعَهُ وما مقْدارُ رِبْحِهِ، فإذا جاءه الحاضرُ عَرَّفَهُ سُنّةَ البَلَدِ فَأَغلَى على الناس. ومِثْلُ ذلك النهى عن تَلَقّى الجَلَبِ، ومثله: دَعُوا عِبادَ الله يُصِبْ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ. ويقال: حَىٌّ حِلَالٌ، إذَا كانوا مُتَجَاوِرِين مُقِيمين، وأنشد الأصمعىّ:

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ نَجْراً أَحَبُّ إلَيْكَ أَمْ حَىٌّ حِلَالٌ

---

(١) القبيل: الجماعة من الناس.
(٢) كوز: رجل من أسد. وفى ر: «كون» تحريف وانظر الديوان ٥٨.

فَمَنْ فارِسُهَا ؟ قيل : عمرو بن معدى كرب . قال : فأىُّ سُيوفِها أَمْضَى ؟ قيل :
الصَّمصامة .

وقال مُعَاوية بن أبى سُفيان رحمه الله للأَحْنَفِ بن قَيْسٍ وجارِيَة بن
قُدَامَةَ ورجال من بنى سَعْدٍ معهما كَلامًا أحْفَظَهُمْ ، فَرَدُّوا عليه جوابًا مُقْذِعًا ،
وبنت قَرَظَةَ فى بَيْتٍ يَقْرُبُ منه ، فَسمِعَتْ ذلك ، فلما خرجوا قالت : يا أمير
المؤمنين ، لقد سَمِعْتُ من هؤلاء الأَجْلافِ كلاماً تلَقَّوْكَ به فلم تُنْكِر ،
فَكِدْتُ أَخْرُجُ إليهم فأسْطو بهم . فقال لها معاوية : إنَّ مُضَرَ كاَهِلُ العَرب ،
وتميمًا كاهلُ مضر ، وسعداً كاهل تميم ، وهؤلاء كاهلُ سَعْدٍ .

وكان معاوية يقول : إنِّى لا أَحمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لا سَيْفَ معه ، وإن
لم تكن إلا كلمةٌ يَشْتَفِى بها مُشْتَفٍ جَعَلْتُها تَحْتَ قَدَمِى ، وَدَبْرَ أُذُنِى .

المُقْذِعُ : الذي فيه إقْذاعٌ ، وهو السيئ من القول .

ابن عُكَابَة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل ، والحبطات هم بنو الحارثِ ابن عمرو بن تميم . فقوله : « أكفاؤهم » إنما هو جمع كفءٍ يا فتى ، فقال رجل من الحبطاتِ يُجيبُه :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئاً لِدَارِمٍ ! بَلَى وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الحُجُراتُ

يعنى بنى هاشم ، من قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ ﴾[1] .

وقال عليّ بن أبي طالب رحمه الله : مَنْ لاَنَتْ كَلِمَتُهُ ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُه . وقال : قِيمَة كلِّ آمْرِىءٍ مَا يُحْسِن

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاثٌ يُثْبِتْنَ لَكَ الوُدَّ فى صَدْرِ أخيك : أنْ تَبْدأَهُ بالسَّلام ، وتُوَسِّعَ له فى المجلس ، وتَدْعُوَه بأحبِّ الأسماء إليه . وقال : كَفَى بِالمَرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاثٍ : أن يَعِيبَ شيئاً ثم يَأْتِيَ مِثْلَهُ ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نفْسه ، أو يُؤْذِيَ جليسه فيما لا يَعْنيه .

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيةِ : لكم من السماء نَجْمُهَا ، ومن الكَعْبَةِ رُكْنُهَا ، ومن السُّيوفِ صَمِيمُهَا . يعنى سُهَيْلاً من النجوم ، والرُّكْنَ اليمانىّ ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدى كَرِب .

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال يوما : مَنْ أَجْوَدُ العربِ ؟ فقيل له : حاتِم ؛ قال : فَمَنْ شاعِرُها ؟ قيل : آمرؤُ القَيْس بن حُجْرٍ ؛ قال :

---

(١) سورة الحجرات ٤ .

السَّبَابِجَة[1] لأنه قد اجتمع فيه النَّسبُ والعُجْمَة .

وقوله : « تحت جَمَانه » يعنى شخصه ، والضالُ : السِّدْرُ البَرِّىّ ، وماكان من السِّدْرِ على الأنهار فليس بِضَالٍ ، ولـكن يقال له : عُبْرِىٌّ . قال ذو الرُّمَّةِ: « عُبْرِيا وضالا »[2]

وقوله :

ورِثْتُ سِلاحه ووَرِثتُ ذَوْدًا

يصف قُرْبَ نَسَبِه منه ، والذَّود : القطعة من الإبل ، وأكثر ما يُسْتعمل ذلك فِى الإنَاث ، ويجوز فى السائر ، ومنه قولهم : الذَّوْد إلى الذَّوْدِ إبِل ، ثم قال:

وَحُزْنًا دَائماً أُخْرَى اللَّيَالِى

كما قال الأول — وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَه من أحد أهله :

يَقُولُ جَزْءٌ ـ وَلَمْ يَقُلْ جَلَلاً ـ إِنِّى تَزَوَّجْتُ نَاعِمًا جَذِلَا

إِنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنِى بِهَا كَذِباً جَزْء ، فَلَاقيْتَ مِثْلَهَا عَجِلَا

أُغْبَطُ أَنْ أَرْزَأَ الْكِرَامَ وأَنْ أُورَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلَا

قوله : « ولم يقل جللا » أى صغيراً ، والجَلَلُ يكون للصغير ، ويكون للكبير ، من ذلك قوله :

كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلَا اللهَ جَلَلْ

---

(١) قال فى اللسان : السبابجة : قوم ذو وجلد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية ؛ واحدهم سبيجى ؛ ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب ؛ كما قالوا : البرابرة » .

(٢) ر : « قال ذو الرمة :

قطعت إذا تجوفتِ العَواطِى ضُروبَ السِّدْر عُبْرِيًّا وضَالَا

والعواطى : الظباء تمد أعناقها إلى الشجر . (وانظر ديوانه ٤٤٠)

باب

[لرجل من بنى سعد يرثى رجلا]

قال أبو العباس: قال رجل — أحْسِبُه من بنى سَعْد — يرثى رجلا:

وَمُخْتَضَرِ المَنَافِعِ أَرْيَحِىّ ... نَبِيلٍ فِى مَعَاوِزَةٍ طِوَالِ

عَزِيزٍ عِزَّةً فِى فَقْرِ نُخْشٍ ... ذَلِيلٍ لِلذَّلِيلِ مِنَ المَوَالِى

جَعَلْتُ وِسَادَهُ إِحْدَى يَدَيْهِ ... وَتَحْتَ جَمَائِهِ خَشَبَاتُ ضَالِ

وَرِثْتُ سِلَاحَهُ، وَوَرِثْتُ ذَوْدًا ... وَحُزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِى

قوله: «أَرْيَحِىّ» هو الذى يَرْتَاح للمَعْروف، أى يَخِفُّ له، ويقال: أَخَذَتْ فلانا أَرْيَحِيَّة، أى خِفَّةٌ وحركةٌ لفعل المعروف. والمَعاوِزُ: الثياب التى يَتَبَذَّلُ فيها الرجل، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها، واحدها مِعْوَزٌ. قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْس:

إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ ... حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ

وقوله: «فى مَعَاوِزَةٍ»: فزاد الهاء؛ فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث، لأن كل جَمْعٍ مؤنث، كما تقول فى جمع صَيْقَلٍ صَيَاقِلٍ وصَيَاقِلَة، وكذلك جَوَارِب وجَوَارِبَة، إلا أن أكثر الأعجمىّ يختص بالهاء، وهو فى العربىّ جَيِّدٌ، وفى العَجَمِىِّ أكثر استعمالا نحو المَوَازِجَة[2]، فإن كان منسوباً كان الباب فيه إثبات الهاء، وتركها جائز؛ نحو المهالبة والأَحَامِرَة، وقالوا:

(١) الأنداء: جمع الندى، وهو ما يسقط ليلا. وأشعرت: ألبست الشعار، وهو الثوب الذى يلى الجسد. والحبير: البرد الموشى.

(٢) الموازجة: جمع مورج، وهو الخف، وأصله: «موزه». (وانظر المعرب ٣١١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ[1]﴾ وقدقالوا: النازلُ: والقَصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ بن أبي خازِمِ الأسدِيُّ:

[تُؤَمِّلُ[2] أن أَؤُوبَ لها بِغُنْمٍ] وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صابَا

وقوله: «ومُمَرُّ العُقْدَتين» يعني وَتَرًا، والمُمَرُّ: الشديد الفَتْل.

وقوله: «من خَوافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرُ» يريد ريش السهم، والحُمُّ السُّود، وذلك أَخْلَصُهُ وأَجْوَدُهُ: وجَعَلَها نظائرَ في مقاديرها، لأنه أَقْصَدُ لِلسَّهْمِ، وإذا كانت الريشات بَطْنُ الواحدةِ منها إلى ظهر الأخرى فهو الذى يُخْتار، وهو الذى يقال له اللُّؤَام، وإنما أُخِذَ من قولهم: مُلْتَئِمٌ. وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأخرى، وبَطْنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه، يقال له اللُّغَاب.

وقوله: «كنصل الزاعبيّ»، شَبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بِنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِيّ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ، يقال له زاعِبٌ، كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ، هذا قول قوم. وأما الأصمعيّ فكان يقول: الزَّاعِبِيُّ: الذى إذا هُزَّ فكأَنَّ كُعُوبَهُ يَجْرِي بعضُهَا في بعضٍ لِلِينِهِ وتَثَنِّيهِ، يقال: مَرَّ يَزْعَبُ بِحِمْلِهِ إذَا مَرَّ به مَرًّا سَهْلًا.

وقوله: «فتيق» يعني حادًّا رقيقًا، يقال: فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ: وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له. و«فَعِيلٌ» يقع اسمًا للفاعل، ويقع للمفعول، فأمّا الفاعل فِمثْلُ رَحِيم وَعَلِيمٍ وَحَكِيمٍ وَشَهِيدٍ، وأما ما كان للمفعول: فنحو جَرِيحٍ وقَتِيلٍ وصَرِيعٍ.

---

(١) سورة البقرة: ١٩. (٢) ر: «صدر البيت عن أبي الحسن».

أى صغير ، وقال لبيدٌ فى الكبير :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِى وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ

وقوله : « شصائصاً » ، يعنى حقيرةً دَمِيمَةً . وزعم التَّوَّزِىُّ أَنَّ النَّبَلَ من الْاضداد ، يكون للجليل والحقير ، واحْتَجَّ بهذا البيت الذى ذكرناه؛ قال : يريد هاهنا الحقيرة .

وقوله : « أَزْنَنْتَنِى » ، أى قَرَفْتَنِى ونَسَبْتَنِى إليه ، يقال : فلان يُزَنُّ بكذا وكذا ، ، أى يُسَمَّى به ، ويُنْسَب إليه ، ، قال امْرُؤُ القيسِ بن حُجْر :

كَذَبْتِ ، لَقَدْ أُصْبِى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِى أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى

وفى معنى قوله : « ورثت سلاحه » قولُ الشاعر :

يَفْرَحُ الْوَارِثُ بِالْمَالِ إِذَا وَرِثَ المالَ وَيَبْكِى إِنْ غَضِبْ

ومثله قول نَعَامَةَ الفَزَارِىِّ :

« يَاحَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ »

[لجميل بن معمر فى النسيب]

وقال جَميلُ بن مَعْمَرٍ :

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ ؛ وَمُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِىِّ فَتِيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ ، أَيْمَا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ ، وَأَيْمَا عُودُهَا فَعَتِيقُ

بِأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِى نَوَافِذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَوَ انَّهَا تَكَشَّفُ غُمَّاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ   فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا   لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

* * *

[قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة ، وهى لرجل من الْخوارج قتَلَهُ الْحَجَّاج :

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ   عَاشَتْ قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا
وَأَيْقَنَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا   كَانَ بَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا]

* * *

قوله : «عَبْطة» ، أى شابًّا ، يقال : اعْتُبِط الرجل : إذا مات شابًّا من غير مرض ، وأصل العبيط الطَّرِىُّ من كل شىء .

وقوله :

* نَوَافِذَ لم تَعْلَم لهنّ خروقُ *

معنى طَرِيفٌ ، وقد أخذه أبو حَيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة ، وهى : [1]

وَإِنَّ دَمًا — لَوْ تَعْلَمِينَ — جَنَيْتِهِ   عَلَى الْحَيِّ جَانِى مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكِ أَرْقَلَتْ   إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَاذِمِ [2]
وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللهِ مَاطَلَّ مُسْلِمًا   كَغُرِّ الثَّنَايَا وَاضِحَاتِ الْمَلَاغِمِ

(١) زيادات ر : « اسم أبى حية الهيثم بن الربيع » وفى س : « وهو قول أبى حية النميرى » .
(٢) اللهاذم : القواطع .

وقوله : « زَوْرَاء » يريد مُعْوَجَّة ، وكلما كانت القَوْس أشدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى .

وقوله : « على نَبْعَةٍ » ؛ يعنى قَوْساً ، وأَكرَمُ القِسِىّ ماكان من النَّبْعِ .

وقوله : «أَيْمَا» إنما يريد «أمَّا» ، واستثقل التضعيف ؛ فأبدَلَ الياء من إحدى الميمين ، ويُنْشد بيت ابن أَبى رَبِيعَة :

رَأَتْ رَجُلاً أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى ، وَأَيْمَا بِالْعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

وهـذا يقع ، وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّال ، فيكرهون التضعيفَ والـكَسْرَ ، فيُبْدِلون من المُضَعَّفِ الأول الياء للـكسرةِ ، وذلك قولهم : دِينارٌ وقِيرَاطٌ ودِيوانٌ وما أشبه ذلك : فإن زالت الـكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين من الآخر رَجَعَ التضعيفُ ، فقلت : دَنانير وقَرَاريط ودَوَاوِين ، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِير .

وقوله : « وأَيْمَا عُودُها فعَتِيق » ؛ يصف كَرَمَ هذه القوس وعِتْقَهَا ؛ ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَكَ ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه ، كما قال الشَّمَّاخ :

فَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائِهَا وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا : شَرَّبَهَا[١]

وقوله : « بأَوْشَكَ قتلا منك » ، يقول : بأسرع ، يقال : أمْرٌ وشيكٌ أى سريع ، ويقال : يُوشِكُ فلان أن يفعل كذا ؛ أى يقارِبُ ذلك ، ويُوشِكُ يفعل ، كذا بطرح « أَنْ » كلٌّ ذلك جيِّد ، قال[٢] :

---

(١) زيادات ر : « قوله : « فظعها حولين » ؛ أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء ؛ يقال : مظع الرجل الظل إذا تحول من مكان إلى مكان » .

(٢) زيادات ر : « هو أمية بن أبى الصلت » ، وكذا فى حاشية الأصل أيضاً

قوله : « ثمن شَكْرِها » فإنما يعنى الرَّضاعَ ، والشَّبْرُ : النكاح ، والشَّكْرُ : الفَرْج .

وقوله : « أنشأتَ تطلُّها » أى تَسْعَى فى بطلان حقها .

وقوله : « تضهلها » ؛ أى تعطيها الشىء بعد الشىء ؛ يقال : بئر ضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جِرابِها شيئاً بعد شىء ، وجِرَابُها جوَانِبُها ، وإنما يَغْزُرُ ماؤُها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُم جَمَّتُهَا[1] .

وقوله : « واضحات الملاغم » ، يريد العَوَارض ؛ قال الفَرَزْدَق :

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عِلاَطًا وَلاَ مَخْبُوطَةً فى المَلاَغِمِ

يقول : عَلِمَ أربابُ الماء لِمَنْ هِىَ فَسَقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لِعزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ .

والعِلاَطُ : وَسْمٌ فى العُنُق والخِبَاطُ فى الوجه .

(١) الجمة كثرة الماء .

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَى المَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ
رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوًى فِي الْحَيَازِمِ (١)

☆ ☆ ☆

[قال أبو الحسن : وأول هذه الأبيات المختارة أنشدناه غيره :
وخَبَّرَكِ الْوَاشُونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُمْ بَلَى وسُتُورِ ٱللهِ ذَاتِ المَحَارِمِ (٢)
أَصُدُّ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ شِفَاءٌ لنا إِلاَّ اجْتِرَاعَ الْعَلاَقِمِ]

☆ ☆ ☆

قال أبو العباس : فهذا مأخوذ من ذلك .

وقوله :

☆ ولكن لَعَمْرُ اللهِ ما طَلَّ مسلماً ☆

يقول : ماطَلَّ دَمَهُ ، يقال : دَمٌ مَطْلُولٌ : إذا مضَى هَدَرًا ، كما قال الراجز :

☆ بِغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولِ ☆

وحدّثنى التَّوَّزِىُّ قال : قال يَحْيى بن يَعْمَر لرجل نازَعَتْه امرأته عنده : آنْ طَالَبَتْكَ بِثَمَنِ شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وَتَضْهَلُهَا !

---

(١) زيادات ر : « الكاف فى قوله : « كفر » فاعلة بقوله : « طل » ؛ ومنه قول الأعشى :
أَتنتهونَ ولَنْ ينهى ذوى شَطَطٍ كالطعن يذهب فيه الزيتُ والفُتُل
وقول امرئ القيس :
وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ، ولم يغلبك مثل مُغلَّب
(٢) ر : ذكر بعده عن أبي الحسن :
حياء وبقيا أن تشيع نميمةٌ بناديكم ، أفّ لأهل النمائم !
وأورد هذا البيت فى حاشية الأصل عن أبي على .

وقال بُزُرْجمهر : مَنْ كَثُرَ أَدبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ ؛ وإن كان قَبْلُ وَضِيعاً ، وبَعُدَ صِيتُه وإن كان خامِلاً ، وسادَ وإن كان غريباً ، وكَثُرت الحاجةُ إليه وإن كان مُقْتِراً .

وكان يقال : عَلَيْكُمْ بِالْأَدَب ، فإنه صاحبٌ فى السَّفر ، ومُؤْنِسٌ فى الوحدة ، وجَمالٌ فى المَحْفِل ، وسَبَبٌ إلى طلَب الحاجة .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : مِنْ أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُها الرجلُ أمامَ حاجَتِهِ ؛ فَيَسْتَعْطِفُ بها الكريم ، ويستنزِل بها اللئيم .

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج ، أو سِماكُ بن حَرْبٍ — [قال أبو الحسن : هو سِماك بلا شكّ] — [1] إذا كانت له إلى أمير حاجة ٱستنزله بأبيات يقولها فيه

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرائِهِ — وأراد مِحْنَتَهُ — : ما خَيْرُ ما يُرْزَقه العبدُ ؟ قال : عَقْلٌ يعيش به . قال : فإن عَدِمَه ؟ قال : فَأَدَبٌ يَتحَلَّى به . قال : فإنْ عَدِمَه ؟ قال : فمالٌ يستره . قال : فإن عَدِمَه ؟ قال : فصاعِقَةٌ تحرِقُه ، فتُريح منه العباد والبلاد .

وقيل لرجل من ملوك العجم : متى يكونُ الْعِلْمُ شرًّا من عَدَمه ؟ قال : إذا كَثُرَ الْأَدَبُ ، ونَقَصت القَرِيحة

وقال أرْدَشِير : مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أَغلَبَ خِلالِ الخير عليه ، كان حَتْفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه .

---

(١) من ر : وحاشية الأصل .

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس[1] : قال بعض الحكماء : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صغيراً سُرَّ به كبيراً .

وكان يقال : من أَدَّبَ ولده أَرْغَمَ حاسِدَهُ .

وقال رجل لعبدِ الملِكِ بن مَرْوان : إنى أريد أن أُسِرَّ إليك شيئاً ، فقال عبدالمَلِكِ لأصحابه : إذا شئتم ، فنهَضُوا ، فأرادالرجلُالكلامَ ، فقال له عَبْدُالملك قِفْ ، لا تمدَحنى ، فأنا أعْلَمُ بنفسى منك ، ولا تكْذِبْنِى ، فإنه لا رأىَ لِمَكْذوبٍ ، ولا تغتَبْ عندى أحداً . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أفتأذن لى فى الانصراف ؟ قال له : إذا شئت .

وقال بعض الحكماء : ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ : مجانبَةُ الرِّيَبِ ، وحُسْنُ الْأَدَبِ ، وكَفُّ الْأَذَى .

وقال عمرو بن العاص لِدِهْقَانِ[2] نَهْرِ تِيرَى[3] : بِمَ يَنْبُلُ الرجلُ عندكم ؟ فقال : بترك الكَذِب ؛ فإنه لا يَشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله ، وبقيامِهِ بأمر أَهْلِهِ ؛ فإنه لا يَنْبُلُ مَنْ يحتاجُ أَهلُهُ إلى غيره ، وبمجانبة الرِّيَبِ ؛ فإنه لا يَعِزُّ مَنْ لا يُؤْمَنْ ألاَّ يُصادَفَ على سَوْأَة ؛ وبالقيام بحاجات الناس ؛ فإنه مَنْ رُجِىَ الْفَرَجُ لَدَيْهِ كَثُرتْ غاشِيَتُهُ .

---

(١) ساقطة من ر .

(٢) الدهقان : زعيم فلاحى العجم ؛ ويطلق على رئيس الإقليم .

(٣) نهر تيرى : موضع بناحية الأهواز .

بابٌ

[لرجل من بنى عبد الله بن غطفان ، وكان قد جاور فى طيىء]

قال أبو العباس[١] : قال رجل[٢] من بنى عبد الله بن غَطَفان وجاوَرَ فى طيئ وهو خائف :

جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ ... وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ

هُمُ خَلَطُونِى بِالنُّفُوسِ وَدَافَعُوا ... وَرَائِى بِرُكْنٍ ذِى مَنَاكِبَ مِدْفَعِ[٣]

وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ ... نُفِدْكَ ، وَإِنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ وَنَشْفَعِ

[لرجل من بنى سلامان يمدح طيئا]

وقال رجل من بنى سَلَامَانَ بن سعد هُذَيْمٍ[٤] من قُضَاعَةَ ، وجاوَرَ فى طَيِّءٍ :

كَأَنَّ الْجَارَ فى شَمَجَى بن جَرْمٍ[٥] ... لَهُ نَعْمَاءُ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبُ

يُحَاطُ ذِمَارُهُ وَيُذَبُّ عَنْهُ ... وَيَحْمِى سَرْحَهُ أَنِفٌ غَضُوبُ[٦]

أَلِفْتُ مَسَاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلَفُهَا الْغَرِيبُ[٧]

---

(١) ساقط من ر .

(٢) نسبه أبو تمام إلى ابن دارة ؛ (وانظر الوحشيات ٢٠٣) .

(٣) قال المرصفى فى شرح البيت : « بركن ، يريد بجيش يعتصم به ، تشبيها بركن الجبل ؛ والمناكب فى الأصل : جمع المنكب ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ؛ شبهه بها مبالغة فى الاعتصام ، ومدفع ، كمنبر : اسم آلة الدفع ؛ يريد أنه قوى فى الدفاع » .

(٤) حاشية الأصل : « سعد هذيم أضيف إلى عبد كان لأبيه يحتضنه » .

(٥) شمجى بن جرم : قبيلة من قضاعة .

(٦) الذمار : ما يلزم الإنسان حمايته من عرض ومال . والسرح : ما يسام فى المرعى من الأنعام .

(٧) زيادات ر : « الجبلان : سلمى وأجأ ، وهما لطيىء ؛ والغوث : قبيلة من طيىء » .

وقال محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس — وذكر رجلا من أهله : إنى لأكره أن يكون لِعِلْمِهِ فَضْلٌ على عقله ، كما أكره أن يكون للسانه فَضْلٌ على علمه .

وقال محمد بن علىّ بن الحسين : جميع التَّعَايُشِ والتَّنَاصُف والتَّعَاشُر فى مِلْءِ مِكْيالٍ : ثلثاه فِطْنَةٌ ، وثلث تَغَافُلٌ : فلم يَجْعَلْ لغير الفِطْنَة نَصِيباً من الخير ، ولا حَظًّا فى الصَّلاح ، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شىء قد عَرَفَهُ وَفَطِنَ به .

وَقَدْ نَرَى بِكِ وَالأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيضاً عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ[1]

فِيهِنَّ عِشْمَةُ لاَ يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا ... وَلا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ

إِذْ يَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلتَ نائِلَهَا ... قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِ

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُفْنِي شَبِيبَتَهُ ... يَبْكِي على ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ

خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ[2]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

فِيهِمْ ومِنْهُمْ يُعَدُّ المَجْدُ مُتَّلِدًا ... وَلا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولا عَارِ[3]

لا يَنْطِقُونَ على العَمْيَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

وَإِنْ تَلَيَّنْتَهُمْ لانُوا وَإِنْ شَهِمُوا ... كَشَفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ[4]

إِنْ يُسْأَلُوا العُرْفَ يُعْطُوهُ وإِنْ جُهِدُوا ... فَالجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي]

* * *

[المكعبر الضبي يمدح بني مازن ويذم بني العنبر]

قال أبو العباس : وكان قوم نزلوا ببَنِي العَنبرِ بن عَمْرِو بن تميم ، والقومُ من بني ضَبَّةَ ، فأُغِير عليهم ، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغِيثُوهُمْ ، وجعلوا يُدافعونهم حتى خافوا فوْتَها ، فاستغاثوا بني مازِن بن مالك بن عمرو بن تميم ،

(١) عين : جمع عيناء ؛ وهى الواسعة العين ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « عون » ؛ وتكون جمع عوان . وهى المرأة النصف فى سنها .

(٢) الأنفال : العطايا . والأخطار : المنازل الرفيعة ؛ جمع خطر بالتحريك .

(٣) المجد المتلد : القديم المؤثل . والنثا : إشاعة الحديث .

(٤) شهموا : أفزعوا . والأذمار : جمع ذمر وهو الشجاع .

[لعبيد بن العرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم]

قال أبو العباس[١] : وأنشدني عبد الوهاب بن جَنْبَة الغَنَوىّ لعُبَيْد ابن العَرَنْدس الكلابِىّ يصف قوما نزَل بهم :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسارٌ ذَوُو يسَرٍ   سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْناءُ أَيْسارِ[٢]

لا يَنْطِقُونَ على الْعَمْيَاءِ إنْ نَطَقُوا   وَلا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بإكْثَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ   مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارِى

* * *

[قال أبو الحسن : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال : حُدِّثْتُ عن أبي الفضْل العَبَّاس بن الفرج الرِّيَاشِىِّ قال : قَصَد رجل[٣] من الشعراء ثلاثة من غَنىّ ، إخوة وكانوا مُقِلِّين ، فامتدحهم ، فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذَوْدًا ! فكان يأتى فيأخذ الذَّوْدَ . والشِّعْر الذى امتدحهم به قوله :

يا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّـاتٍ وَأَظْفَارِ   وَالحَمَّتَيْنِ ، سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ

عَلَى تقَادُمِ مَاقَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ   مَعَ الَّذِى مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ

عنَّا[٤] غَنِيتِ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلَى[٥]   وَالْعَهْدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ

---

(١) ساقط من ر ، س .

(٢) هينون لينون ، قال فى اللسان(هين) عن ابن الأعرابى : «العرب تمدح بالهين اللين (مخفف) ، وتذم بالهين اللين (مثقل) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون هينون لينون » جمله مدحاً لهم ؛ وعن غير ابن الأعرابي أنهما بمعنى واحد .

(٣) ذكر البكرى فى معجم ما استعجم ٨٦٢ أنه عقيل بن العرندس ؛ وأورد أبياتاً منها .

(٤) حاشية الأصل : «يريد أنى» . وفى ر : «أراد « أني » فقلب الهمزة عينا » وقال المرصفى : « هذه لغة قيس ؛ وأسد وتميم يقلبون همزة « أن » المفتوحة عينا ؛ شددت النون أوخففت و«أنّي» كذلك » .

والنَّوَى : البُعْد ، ويقال : شطتْ بِهِمْ نِيَّةٌ قَذَف ، أى رِحْلَة بعيدة ، قال الشاعر[١] :

* وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ *

وليس بمأخوذ من « نأيت » فى اللفظ ؛ ولكنه مثله فى المعنى .

وقوله :

* فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاء *

يقول : الطالب فى إِثْرِ طَلِبَتِهِ أبداً . وَيُرْوَى أن رجلاً من قُرَيْشٍ بَعَثَ إلى رجل منهم — وكان أَخَذَ له غلاما — : ياهذا ، إن الرجل ينام على الثُّكْل ولا ينام على الحَرَبِ ، فإمَّا رَدَدْتَهُ ، وإما عَرَضْتُ ٱسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات .

* * *

[قال أبو الحسن : الرجل الذى أخذ منه الغلام هو جعفر بن محمد بن على ابن الحسين ، والآخذ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس] .

ومن أمثال العرب : « لا ينا نْ اثـأَرَ » . ويقال لِمَنْ أدرك ثأْراً بِيلاً : أصاب ثأراً مُنِيماً ، وأنـ

تَقُولُ لِيَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍ   لَعَلَّكَ ا َسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله :

وَإِنِّى لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كما فى بُطُونِ الْحَامِلاتِ رَجَاءُ

يقول : هذا رَجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوفٍ عليه ، كما أن هذه الحَوَامل

(١) هو العجاج ؛ والصحصحان : المكان المستوى الأملس ؛ وللاسته شبهه بالترس . (وانظر مشارف الأقاويز — ١)

فركِبُوا فَرَدّها عليهم ، فقال المُكَعْبِرُ[١] الضَّبّىُّ فى ذلك :

أَبْلِغْ طَرِيفاً حَيْثُ شطَّتْ بها النَّوَى ... فليْسَ لِدَهْرِ الطّالِبِينَ فَنَاءُ
كُسَالَى إذَا لاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَحْرُوبُ وَهْوَ عَنَاءُ
وإنّى لأَرْجُوكُمْ على بُطْءِ سَعْيِكُمْ ... كما فى بُطُونِ الْحَامِلاَتِ رَجَاءُ
أُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ ... وَلَوْ شِئْتُ قال المُخْبَرُونَ أَسَاءُوا
فَهَلاَّ سَعَيْتُمْ سَعْىَ أُسْرَةِ مَالِكٍ ... وهَلْ كُفَلاَنِى فى الْوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَانِيراً على قَسِمَاتِهِمْ ... وإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا ... وبَعْضُ الرِّجَالِ فى الْحُرُوبِ غُثَاءُ

قوله : « حيث شَطَّتْ بها النَّوَى » ، معنى شطَّتْ : تباعَدَتْ ، ويقال : أشَطَّ فلانٌ فى الحكمِ إذا عَدَلَ عنه متباعداً ، قال عز وجل : ﴿ ولا تُشْطِطْ ﴾[٢] .

وقال الأحْوَصُ :

أَلاَ يا لَقَوْمِى قَدْ أَشطَّتْ عوَاذِلِى ... ويَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّىَ باطِلِى
وَيَلْحَيْنَنِى فى اللَّهْوِ أَلاَّ أُحِبَّهُ ... وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ

---

(١) ضبط فى الأصل بفتح الباء وكسرها معا . وفى حاشية الأصل : « قال أبو الحسن : حفظى : المكعبر [بكسر الباء] . وفى زيادات ر : « اسمه حريث بن عفوط » .
والأبيات فى حماسة أبي تمام (٤ : ٣٠) ـ بشرح التبريزى منسوبة إلى محرز بن المكعبر الضبى ؛ وأولها بروايته :

أُبلغْ عرَبَا حيث صارت بها النوى ... وليس لدهر الطالبين فناءُ

قال التبريزى : « كان محرز بن المكعبر جارا لبنى عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها ، فطلب إليهم أن يسعوا له ، فوعدوه أن يفعلوا ، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتي المخارق والمساحق ابنى شهاب المازنيين — وهما من بنى خزاعة — فسعيا له بإبله ، فرداها عليه » ، فأنشد الأبيات .

(٢) سورة ص ٢٢

قال : وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد قال : سمعتَ العرب تُنْشِدُ هذا البيتَ فتنصب « الظَّبْيَة » وترفعها وتخفضها .

قال أبو العباس : أما رفعها فعلى الضمير ؛ وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ﴾ [1] وهذا الباب قد شرحناه فى الكتاب « المُقْتَضَب » فى باب « إنّ وأنّ » بجميع عِلَلِهِ ؛ ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضمير ، وأَعْمَلَها مخففة عَمَلها مُثَقَّلَةً ؛ لأنها تَعْمَلُ اشْبَهها بالفعل ، فإذا خُفِّفَتْ عمِلَتْ عَمَلَ الفعل المحذوف ، كقولك : لم يَكُ زيدٌ منطلقاً ، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَمَلَهُ تامًّا ، فيصير التقدير : كأنّ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى وارِقِ السّلم هذه المرأةُ . وحَذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره . ومن قال : « كأنْ ظَبْيَةٍ » جَعَلَ « أن » زائدةً ، وأَعْمَلَ الكاف ؛ أراد : كظبية ، وزاد « أنْ » كما تزيدُها فى قولك : لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ ، وواللهِ أنْ لو جئتَنى لأعطيتك .

وقوله :

﴿ لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا ﴾

فكلُّ شىء كان على « فِعَالٍ » من المؤنث فَجَمْعُهُ أَفْعُل ، وكذلك فُعَال ، تقول : ذِرَاعٌ وَأَذْرُعٌ ، وَكُرَاعٌ وَأَكْرُعٌ ، لأنهما مؤنثتان ، ومن أنَّثَ اللسانَ قال: أَلْسُن ، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَة ، وشِمَالٌ وأَشْمُلٌ ، كما قال الشاعر: [2]

﴿ يَأْتِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ ﴾

فأما المذكر فعَلى أَفْعِلَةٍ فى أدنى العَدَدِ وفُعُل فى الكثير ، يقال : حِمارٌ

---

(١) المزمل ٢٠

(٢) زيادات ر : « هو أبو النجم العجلى » ؛ وبعده :

﴿ وهى حيالَ الفرقَدَيْن تعتَلى ﴾

لا يُعْلَمُ ما فى بطونها وليس بمَيْئُوسٍ منه ، وإنما يَتَهَكَّم بهم وهو يَعْلَم أنَّ سَعْيَهُمْ غير كائن ، ألا تراه يقول :

أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ ... وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبَرُونَ أَسَاءُوا

وقوله :

* كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ *

زعم أبو عبيدة أن القَسِمَاتِ مَجَارِى الدُّمُوع ، واحدتها قَسِمَة ، وقال الأَصْمَعِىّ : القَسِمات أعالى الوجه ؛ ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا . وقول أبى عبيدة مَشْرُوح ، ويقال من هذا : رجل قَسِيمٌ ، ورجل مُقَسَّمٌ ، ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ ، قال الشاعر :

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ ... كَأَنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ

قوله : « تعطو » ، أى تتناول ، يقال : عَطَا يَعْطُو إذا تناوَلَ ، وأعْطيتُه أنا ، أى ناولته ، قال امْرُؤ القَيْس :

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ ... أَسَارِيعُ ظَبْىٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ [١]

والسَّلَمُ : شجر بعينه كثير الشوك ، فإذا أرادوا أن يَحْتَطِبُوهُ شَدُّوه ثم قطعوه ، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج : وَاللهِ لَأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمَةِ ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ [٢] .

---

(١) برخص ، أى ببنان رخص ، والرخص : الناعم . والشثن : الغليظ الخشن . ظبى : اسم رملة ، والأساريع : دود مفصل الألوان بياضاً وحمرة ، تشبه به أصابع النساء . والإسحل : شجر يستاك بعيدانه .

(٢) غرائب الإبل : هى الإبل الغريبة التى تدخل بين الإبل حال ورودها الماء ؛ فتضربها الرعاء ضرباً شديداً .

لَوْ لَمْ يُفَارِقْنِى عَطِيَّةُ لَمْ أَهِنْ ... وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إذَا لاَقَى، ورَامٍ إذَا رَمَى، ... وَهَادٍ إذَا ما أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا ... وَيَشْفِىَ مِنِّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ

أحسَنُ الإنشادَيْنِ عندى : « لَمْ أَهِنْ » ، يأخذه من وهنَ يَهِن ، لأنه إذا قال : «لم أهُنْ» فهو من الهَوَانِ ، ومن قال : «لم أهِنْ» فإنما هو من الضَّعْف ، وهو أشبه بقوله :

* وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ *

والآخرغيربعيد ، يقول: لم أَهُنْ على أعدائى ، وإذا قال «لم أَهِنْ» فالأصل: «لمأوْهِنْ» ، ولكنَّ الواوإذا كانت فى موضع الفاء من الفِعْل ، وكان ذلك الفعل على «يَفْعِل» ، فالواو محذوفة ، وإنما تُحْذَف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، وتصير حروف المُضَارَعة الباقية تابعة للياء ، لئلا يختلف الباب ، وهى التاء من قولك : «تَفعِل» إذا عَنَيْتَ مخاطباً أو مؤنثاً غائباً ، نحو : أنت تَعِد ، وهى تَعِد ، والهمزة إذا عنيت نفسك ، نحو : أنا أعد ، والنون إذا أَخْبَرْتَ عن نَفْسِك ومعك غَيْرُك ، نحو : نَحْنُ نَعِد .

فإن قال قائل : إنما هذا لأن الفعل المتعدىتحذف منه الواو ، فإن كان غيْرَ مُتَعَدٍّ ثبتت ، فقد قال أَقْبَحَ قول ، لأن التَّعدِّىَ أو غيْرَ التعدى لا يُحْدِث فى أَنْفُسِ الأفعال شيئاً. ولو كان كمايقول لأثبتَ الواوَ فى «وَهَنَ يَهِن» ، لأنك لا تقول : وهَنْتُ زيداً ، وكذلك وَرِمَ يَرِمُ ، ووكف[1] البيتُ يَكِفُ ، ووَنَمَ الذُّبابُ يَنِم[2] ، وهذا أكثر من أن يُحْصَى . فإن لم تكن بعد الواو كسرة

---

(١) وكف البيت : قطر منه الماء .

(٢) ونم الذباب : سلح

وأحْمِرَة وحُمُر ، وفِرَاش وأفرِشة وفُرُش . والنَّوَاشِرُ : ما يظهر من العُرُوقِ في ظَهْرِ الذِّراع مما يُدَانِي المِعْصَم ، وذلك الموضع يقال له أسَلة الذِّراع ، قال زُهَيْر :

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ [1]

وقوله :

* وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ *

فالغُثَاءُ : ما يَبِسَ من البَقْلِ حتى يصير حُطَاما ، وينتهي في اليُبْسِ فيَسْوَدّ ، فيقال له : غثاء وهَشِيم ودِنْدِن وثِنّ ، على قَدْرِ اختلاف أجناسه ، ويقال له : الدَّرِين ، قال الله عز وجل : ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ [2] ، وقال : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [3] ، وقال الشاعر يصف سحابا : [4]

إِذَا مَاهَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا بَكَيْنَ بِهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز :

* تَكْفِي الْفَصِيلَ أُكْلَةٌ مِنْ ثِنّ *

وقد يقال للشيء الذي لا خير فيه : هذا غُثَاء ، أي قد صار كذلك الذي وَصَفناه ، ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذي لاوَجْهَ له

[لرجل تميمي في الرثاء]

وقال رجل أحْسِبُه تَمِيمِيًّا [5]

---

(١) الرقمتان : روضتان بناحية الصمان .

(٢) الأعلى : ٥ (٣) الكهف : ٤٥

(٤) زيادات ر : « هو ابن ميادة » وقبله :

سحائب لا من صيِّف ذي صواعق ولا محرقات ماؤهن حميم

(٥) نسب هذه الأبيات أبو علي القالي إلى حكيم بن معية أحد بني ربيعة الجوع يرثي أخاه عطية بن معية . وانظر ذيل الأمالي ١ : ٧٥ . وفي زيادات ر « هو الفرزدق » ؛ قال المرصفي : « يرثي صديقه ونديمه عطية بن جمال ، وكان من سادات تميم » .

فاستجمعَ فى هذا المَدْح رَكانَةَ الحزْم ، وإمْضاءَ العَزْم ، ومثله قول النابغة الجَعْدِيّ :

أَبَى لِى الْبَلاَءُ وَأَنِّى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدةِ : «رَوِّ تحزُمْ ، فإذا استوْضحْتَ فاعْزِمْ» ومن أمثالهم : « قد أَحْزُمُ لَوْ أَعْزِمُ » ; وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّبَيُّن ، فقد قال الشّعْبِىُّ : أصابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد ، وأخطأ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد .

ومثل قوله :

* وَيَشْفِى مِنِّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ *

قولُ الفَرَزْدَقِ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ[1] بَكَيْتُ فَنَادَتْنِى هُنَيْدَةُ : مَالِيَا !

فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَة بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلاَقِيَا

* * *

[قال أبو الحسن ويَتْلُو هذين البيتين مما يُسْتَحْسَن :

قَعِيدَكُمَا ٱللهَ الَّذِى أَنْتُمَا لَهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا ![2]

حَبِيبٌ دَعَا ، وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَه فَأَسْمَعَنِى ، سَقْياً لِذلِكَ دَاعِيَا !

يقال : قَعِيدَكَ ٱللهَ ، وقَعْدَكَ ٱللهَ ، ونَشْدَكَ ٱللهَ ; أى سألتُكَ بالله ، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ ، وهو من بنى يَرْبُوعٍ :

قَعِيدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينِى مَلاَمَةً وَلا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيِيجَعَا

(١) جو سويقة : موضع بالصمان .
(٢) قعيدك الله ; قال الجوهرى : « هى يمين للعرب ; وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر » (وانظر اللسان قعد) .

لم تحْذَف ، نحو وَحِلَ يَوْحَل ، ووَجِل يَوْجَل ، ووَجِعَ الرجل يَوْجَع . وقد يجوز يَيْجَعَ وَيَاجَع ويِيْجَع لمـا نذكره إذا جرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله ، فأما الحذف فلا يكون فيها .

فإن قال قائل: فمابالُ يطأويَسَعُ حذفتْ منهما الواو، ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواو، فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفعِلُ مثل وَلِيَ يَلِي ، ووَرِمَ يرِم ، فَفَتَحتْه الهمزة والعين ، والأصل الكسر ، فإنما حذفت الواو بما يَلْزَم في الأصل ، ألا ترى أنك تقول : وَلَغَ السَّبُعُ يَلَغ ، فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفعِل ، ولكن فَتَحَتْهُ العين ، لأن حروف الحَلْقِ تَفْتحُ ما كان على يَفعِل ويَفعُل ، ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَل . وحروف الحَلْقِ ستة : الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء، وهُنَّ يُفَتِّحْنَ إذا كُنَّ في موضع العين واللام ، فأما العين فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وذَهَبَ يَذْهَبُ ، وأمااللام فمثل قَرَأَ يَقْرَأُ ، وصَنَعَ يَصْنَعُ ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْتُ لك .

وقوله

وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعَ

فتأويل « مِصْدع » أى ماض في الأمر ؛ قال الله عز وجل : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[1] ويقال : أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأمْرُ صَدَعَ به .

وقال أعرابي[2] يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضي ، وسَوَّارٌ أحد بني العَنْبَرِ ابن عَمْرِو بن تميم :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ ۞ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيَا

(١) الحجر ٩٤

(٢) حاشية الأصل : « هو سلمة بن عياش » .

وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ... وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ

قوله: «وهو مَوْتور مُشِيح»، فالمُشِيح الحاملُ الجادُّ، يقال: أشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَل، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال: أنشدنى أبو زَيْدٍ — وهو لأبى العِيَال الهَذَلِىّ:

مُشِيحٌ فَوْقَ شِيحَانٍ ... يَشُدُّ كَأَنَّهُ كَلِبُ

قال: وشِيحان اسم فرسه.

٭٭٭

[قال أبو الحسن ويروى: «شَيْحَانَ» [بفتح الشين] [1]؛ وحقه [2] على رواية أبى زيد ألّا يَنْصَرِفَ لأنه فَعْلان، فالألف والنون زائدتان، وهو معرفة، فضَارَعَ عَطْشان وماجَرَى مَجْرَاه، وإنما اضطرَّ فصرَفَه [3] وعن أبى زيد أيضاً يرويه: «شَيْحان»، وهو الجاد، وهو صفة شائعة؛ وليس كالأول؛ فالأول معرفة مشتق من النعت [3]].

٭٭٭

وقال ابن الإِطْنَابةِ، واسمه عمرو:

وَإِجْشَامِى عَلَى المَكْرُوهِ نَفسِى ... وَضَرْبِى هَامَةَ الْبَطَلِ المُشِيحِ

ويقال فى هذا المعنى: رجل شِيحٌ؛ كما يقال: ناقة نِقْضٌ، إذا كانتْ هَزِيلا، قال أبو ذُؤَيْبٍ [4]

---

(١) من ر

(٢) س: «وجب على رواية أبى زيد»

(٣ — ٣) ساقط من ر

(٤) صدره:

٭ بدرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقتَهمْ ٭

وانظر ديوان الهذليين ١: ١١٦

وروى : « فَقِعْدَكِ أَلاَّ تُسْمِعِينى » ، والبيضتان : موضع معروف] .

⁂

قال أبو العباس : وقال أبو بكْر بن عَيَّاش : نَزَلَتْ بِى مصيبةٌ أوْجَعَتْنى ، فذَكَرْتُ قول ذى الرُّمَّةِ :

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... منَ الْوَجْدِ ، أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلاَبِلِ

فَخَلَوْتُ فَبَكَيْت فَسَلَوْت .

[لنضلة السلمى فى يوم غول]

وقال نَضْلَةَ السُّلَمِىُّ[1] فى يوم غَوْلٍ — وكان حقيراً دَمِيماً ، وكان ذا نَجْدَةٍ وبأْسٍ :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ غَوْلٍ[2] ... بِنَضْلَةَ ، وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ

رَأَوْهُ فَٱزْدَرَوْهُ وَهْوَ حُرٌّ[3] ... وَيَنفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

فَشَــدَّ عليْهِمْ بالسَّيْفِ صَلْتاً ... كما عَضَّ الشَّبَا الفرَسُ الْجَمُوحُ

فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى ... قَتِيــلاً مِنْهُمُ وَنَجَا جَرِيحُ

---

(١) الأبيات فى مجالس ثعلب ٧ـ٨ ؛ روى أنه « مرقوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة فى إبل له ، فاستسقوه لبنا فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه ، فأرادوا أن يستاقوها ؛ فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ، وأجلى الباقين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم ... » ؛ وأورد الأبيات . ونسبها الجاحظ فى البيان (٣ . ٣٣٨) إلى أبى محجن الثقفى ؛ ولم ترد فى ديوانه .

(٢) الغول : ماء للضباب فيه نخل وعيون .

ورواية ثعلب :

* ألم تسألْ فَوَارِسَ من سُلَيْمٍ *

ورواية الجاحظ :

* ألم تسل الفوارس من سُلَيْمٍ *

(٣) ثعلب والجاحظ : « وهو خرق » . والخرق : الفتى الكريم الخليقة

ومن أمثال العرب : « إنه لَيُسِرُّ حَسْواً فى ٱرْتِغاءٍ » ، ومعنى ذلك أنه يُوهِمُك أنه يأخذ بِفِيهِ تلك الجلدة عن اللبن لِيُصْلِحَهُ لك ، وإنما يَحْسُو من تحتها ، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لمن يُرِيك أنه يُعِينُك ، وإنما يَجْتَرُّ النفع إلى نفسه .

[لأعرابي من بنى سعد فى خلاف الدمامة]

وقال أعرابى — خُبِّرْتُ أنه من بنى سعدٍ — وقد تَمَثَّلَ بهذا الشِّعْرِ الْخِنَّوْتُ ؛ وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ ، أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم ، فى خلاف الدَّمامة :

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا ... نِهَالاً وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالُهَا
تَبَيَّنَ لى أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ ... وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا
دَعَوْا: يَالَسَعْدٍ ! وَٱنْتَمَيْنَا لِطَيِّءٍ ... أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

قوله : « نِهالا » ، يريد أنها قد وَرَدَت الدَّمَ مرة ولم تُثَنِّ ، وذلك أن النّاهلَ الذى يَشْرَبُ أول شَرْبَةٍ ، فإذا شَرِبَ ثانية فهو عالٌّ ، يقال : سقاه عَلاًّ بعد نَهَل ، وعَلَلا بعْدَ نَهل ، وفى المثل : « سُمْتُه سَوْمَ عالَّةٍ » إذا عَرَضْتَ عليه عَرْضاً يستحيي من أن يُقْبِلَ معه ، والعالَّةُ لا حاجة بها إلى الشُّرْب ، وإنما يُعْرَضُ عليها تَعْزيزاً . قال : «وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالُهَا» : أى أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده ؛ وأنشدنى غير واحد :

* وَأَنَّ أَشِدَّاء الرِّجَالِ طِيَالُهَا *

وليس هذا بالجَيِّدِ ، وإنما قَلَبَ الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف

(١) حاشية الأصل : « ذكر أبو رياش فى شرح الحماسة أن هذا الشعر لأنيف بن حكيم النبهانى » وانظر شرح التبريزى ١ : ١٨٩

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شيحُ *

وقوله : « بالسيف صَلْتاً » يقول : مُنْتَضًى ، ورجل صَلْتُ الجبين إذا كَانَ نَقِيَّه .

وقوله : « كما عَضَّ الشَّبَا » يريد حَدَّ اللجامِ ، وشبا كُلِّ شيءٍ حَدُّه .

وقوله : « وَأَرْدَى » أى أَهْلَكَ ، يقال : رَدِيَ يَرْدَى إذا هَلَكَ ، والردى : الهَلاك ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾[1] ؛ قيل فيه قولان : إحداهما إذا تَرَدَّى فى النار ، والآخر إذا مات ، وهو « تفعَّل » من الرَّدَى .

وقوله :

* وَلَمْ يخشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ *

فهى «مَفْعَلَة» من صالَ يَصُولُ ، ويقالُ : صالَ البعيرُ إذا عَضَّ .

وقيل للمغيرة بن شعْبَة : إنَّ بَوَّابَكَ يَأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك ، فقال : إن المَعْرفة لتَنْفَعُ عند الكلب العَقُورِ ، والجَمَلِ الصَّؤُولِ ، فكيف بالرجُلِ الكريمِ !

وقوله :

* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللبَنُ الصَّرِيحُ *

يقول : إذا رأيت الرَّغْوَةَ — وهو ما يَرْغُو كالجلدة فى أعلَى اللَّبَنِ — لم تدرِ ما تحتها ، فربما صادفتَ اللبنَ الصريح إذا كشَفْتَها ؛ أى أنهم رَأَوْنِي فازْدَرَوْنِي لِدمامَتِي ، فلما كشفوا عنى وَجدُوا غير ما رأوا . والصَّرِيح : المَحْضُ الخالص ، من ذلك قولهم : عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ أى خالص ، ومَوْلًى صَرِيح .

---

(١) الليل : ١١

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : طافَ علىٌّ بن عبد الله بالبيت ، وهناك عجوزٌ قديمةٌ ، وعلىّ قد فَرَعَ الناس ، كأنه راكِبٌ والناسُ مُشَاة ، فقالت : مَنْ هذا الذى فرَعَ الناسَ ؟ فقيل : علىٌّ بن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناس ليُرْذَلونَ ! عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ(١) أبيض .

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن علىّ بن سُلَيمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس قال : كان يُقال : صار شَبَهُ علىّ بن عبد الله فى عِظَم الأجسام فى الْعَلِيَّيْنِ — يعنى علىّ بن أمير المؤمنين المَهْدِىّ المنسوب إلى أُمِّهِ رَيْطَةَ ، وعلى بن سليمان ابن علىّ .

ويُرْوَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو الأُسْوَة والْقُدْوَة — كان فوق الرَّبْعَة(٢) ، ولم يكن بالطويل المُشَذَّب(٣) ، وكان إذا مَشَى مع الطِّوَالِ طالَهُمْ . ولم يختلف أهل الحِكْمَةِ والنَّظَر من العربِ والعَجَم أن الكمال فى الاعتدال ، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ . وأَبْيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد يقال : الكَيْسُ فى القِصَرِ . وقد قيل فى خبرِ قَصِيرٍ(٤) وكَيْدِهِ ومَكْرِهِ ما قد سار به المَثَل ، واستغنى عن الإعادة .

[لأعرابي برد على مغنية عابته بالقصر]

وحدّثنى العباس بن الفَرَج الرِّياشِىُّ قال : حدّثنى أبو عثمان المازِنى قال :

---

(١) الفسطاط : ضرب من الأبنية .

(٢) الربعة : الرجل بين الطول والقصر .

(٣) المشذب : المفرط فى الطول .

(٤) هو قصير بن سعد اللخمى ؛ وانظر خبره مع جذيمة بن مالك والزباء فى مجمع الأمثال ١ : ٨٥

كقولهم : ثِيَابٌ ، وحِيَاضٌ ، وسِيَاطٌ ، والواحد ثَوْبٌ، وحَوْضٌ، وسَوْطٌ: وهذا جيد ، لكون الواو فى الواحد ؛ فأما فى مثل طوال ، فإنما يجوز على التشبيه بهذا ، وليس بجيد لتحرُّكِ الواو فى الواحد . وأنشدنى مسعود ابن بِشْرٍ المازِنِىّ :

لَهُمْ أَوْجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طِيَالٌ وَمِنْ سِيما المُلوكِ نِجَارُ[1]

ومجاز هذا فى النحو على ما وصَفْتُ لك .

[العرب تمدح الطول]

والعرب تَمْدَحُ بالطول ، وتضَعُ من القِصَرِ ، فلا يَذكُره منهم إلا مُحْتَجٌ عن نفسه ، ولا يمدَحُ به غيْرَهُ ، قال عنْتَرَة :

بَطَلٌ كَأنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ[2]

يقول : لم يُشَارَكْ فى الرَّحِمِ ، وقال جَرِير :

تَعالَوْا فَفَاتُونا فَفِى الحُكْمِ مَقْنَعٌ إلَى الغُرِّ مِنْ أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ[3]

فَإِنِّى لَأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ مِنْ آلِ هَاشِمِ

وقال حَسَّان بن ثابت :

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لِذِى جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِى بَيَانِ

كَأَنَّكَ أَيُّهَا المُعْطَى بَيَاناً وَجِسْماً مِنْ بَنِى عَبْدِ المَدَانِ

ويقال إن علىَّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطَّلِبِ كان إلى مَنْكِبِ عبد الله ، وكان عبد الله إلى مَنْكب العباس ، وكان العباس إلى منكِبِ عبد المطَّلِبِ .

---

(١) النجار : الأصل .

(٢) السبت : الجلد المدبوغ بالقرظ .

(٣) فاتونا : حاكمونا .

وَلَمَّا تَدَانَوْا بالسُّيوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائلُ كانَتْ قَبْلُ سِلْماً حِبَالُها
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُها

الكتائب : جمع كَتيبةٍ ، سميت كَتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض ؛ يقال : تَكَتَّبَ القومُ إذا تضامُّوا ، ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه ، ولذلك قالوا : بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حَياؤها وضُمّ . ويُرْدِي : يُهْلِكُ ، يقال : رَدِيَ الرجلُ إذا هَلَكَ ، والرَّدَى : الهَلاكُ ، والإرْدَاءُ : الإهْلاكُ . والمُقْرِفون : الذين دخلوا فى الفساد والعَيْثِ ، وهو فى الأصل الهُجْنَةُ يقال : فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجيناً ، ثم يَشِيعُ فى الفساد .

والعَجُزُ : مُؤَخَّرُ العَسْكرِ هاهنا ، وهو مستعار . والحَزْنُ : مَا خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ . واللِّوَى : مُسْتَدَقُّ الرَّمْلة حيث ينقطع ، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا : أى صِرْتُمْ إلى آخر الرملة ، وهو اللّوى . وجَديس : قبيلة معروفة ، فلذلك لم يَصْرفها . والرِّعالُ : الجماعات المتفرقة ، واحدها رَعْلَةٌ .

والحَرْشفُ : نبت يكثر فى البادية ، وإنما شَبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة ، والرَّجْلَة : الرَّجَّالَةُ . وتُتاح : تقدَّرُ ، يقال أَتاحَ الله له كذا وكذا ؛ أى قَدَّرَ له ، والنِّبَالُ جمع نَبْلٍ .

والنَّاتِقُ : الوَلُودُ ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جِدًّا قيل مِنتاقٌ .

والسَّفْحُ : أصل الجبل من الوادى . وحائل : موضع . وتَناصى : تَقابَلَ وتَقرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهذا ، وهذا بهذا عند هبوب الرياح ، يقال : تَناصَى الرجلان نِصاءً وتَناصِياً إذا اقتتلا فأَخَذَ كُلُّ واحدٍ منهما بناصِية صاحبه ، والطَّلْحُ والسَّيال : ضربان من الشجر معروفان .

كان أعرابيّ يختلف إلى مُغَنِّيَةٍ لآل سليمان ، فأشرفت إليه [1] ذات مرّةٍ ، فأوْمَأَتْ إليه بيدها إيماءَ عائبٍ له بالقِصَرِ ، فأنشأ يقول :

يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرٌ يَا جَعْفَرُ ... إنْ أكُ رَبْعَةً فَأَنْتِ أَقْصَرُ

أَوْ أَكُ ذَا شَيْبٍ فَأَنْتِ أَكْبَرُ ... غَرَّكِ سِرْبَالٌ عَلَيْكِ أَحْمَرُ

ومِقْنَعٌ مِنَ الحَرِيرِ أَصْفَرُ [2] ... وتحْتَ ذَاكِ سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ

* * *

[قال أبو الحسن : أنشدَنى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قوله :

* وَلَمَّا الْتقى الصَّفّانِ واختلف القنا *

بتمامه ؛ وهو شِعْرٌ مختارٌ لرجل من طيِّء ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُه فى الشعر ، وهو قوله :

جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَىِّ غَوْثٍ وَمَالِكٍ ... كَتَائِبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نكالُهَا [2]

لَهُمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّ جَدِيسَ رِعالُهَا

وتحْتَ نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا

أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا

فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِن بطْنِ حَائلٍ ... بحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهَا

دَعَوْا لِنزارٍ وانْتَمَيْنَا لِطَيِّءٍ ... كَأُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُهَا ونِزَالُهَا

فلمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فِيهِمُ ... لِسَائِلَةٍ عنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا

ولَمَّا عَصَيْنَا بالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ ... صُدُورُ الْقَنَا منهم وعلَّتْ نِهَالُهَا

---

(١) ر : « عليه » .

(٢) المقنع : ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها .

بابٌ

[صبرة بن شيمان عند معاوية]

قال أبو العباس : حُدِّثْتُ أن صَبِرَةَ بن شَيْمَانَ الحُدَّانِيَّ دخل على معاوية ، والوُفودُ عنده ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقام صَبِرَةَ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا حَيٌّ فِعالٍ ، ولَسْنا بِحَيِّ مَقال ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم .

فقال : صَدَقْت .

[كلمة يزيد بن أبي سفيان حين أرتج عليه]

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه ، ولَّى يَزِيدَ بن أبى سفيان رُبْعًا من أرباع الشام ، فَرَقِيَ المِنْبَرَ فتكلَّمَ فأُرْتِجَ عليه ، فاستأْنَفَ فأُرْتِجَ عليه ، فقطع الخطبة ، فقال : سَيَجْعَل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فَعَّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قَوَّالٍ .

فَبلَغَ كلامُه عمرو بن العاص ، فقال : هُنَّ مُخْرِجاتِي من الشام ! استحساناً لكلامه .

[جواب عامر بن قيس لعثمان بن عفان]

وقال عثمان بن عَفَّانَ رحمه الله [1] لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ — ورآه ظاهرَ الأعْرابِيَّةِ : يا أعرابيُّ ؛ أين ربُّك ؟ فقال بالمرصادِ !

(١) س : « رضي الله عنه » .

وانْتَمَى ونَمَى : انْتَسَبَ . والشَّرَى : موضع كثير السباع ، وإنما يريد : كإقْدامِ أُسْدِ الشَّرَى إقْدَامُها ، ثم حَذَفَ لعلم السامع .

وعَصَيْنا : جعلنا الرماح كالْعِصِيِّ . والعَلَلُ : الشُّرْب الثانى ، والنَّهَلُ : الأول ، يريد أنَا أَعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى .

وقوادم : ذاتُ إقْدامٍ ، فجاء به على الأصل ، كما قال :

* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْـــلٍ غَاضِ[1] *

أى مُغْضٍ ، فجاء به على الأصل ، وهو كثير .

والمَرْبوعات : المُعْتَدِلَةُ التى لمْ تَبْلُغ أنْ تكون رُمْحًا ، وهو رفعٌ ؛ كأنه قيل له : ما هى ؟ فقال : هى مربوعاتها وطِوالها ، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكلّ لكان حَسَنا ، وكان يكون مُقْوًى ، ولكن هكذا أنشدناه مرفوعًا على التقدير الذى ذكرناه] .

* * *

(١) البيت لرؤبة :
وبعده :

* نَضْوَ قداحِ النابل النواضى *

وانظر ديوانه ٨٢

قوله : «حتى تشاد» ، يقول : تُطْلَى ، وكلُّ شيء طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ أو جَيَّارٍ . وهو الكِلْسُ ، فهو المشيد ، يقال: دار مُشَيَّدَةٌ ، وقَصْرٌ مَشِيدٌ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [١] ، وقال الشَّمَّاخ :

لَا تَحْسَبَنِّى وَإِنْ كُنتُ آمْرَأً غَمِرًا　　كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العِبادِىّ

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـسًا فَلِلطَّيْرِ فِى ذُرَاهُ وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ : المطْلِىُّ أيضاً ، فمن ثَمَّ قال : «حتى تُشَاد بقَرْمَدِ» فى معنى حتى تُطْلَى ، ومن ذلك قول النابغة :

* رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ [٢] *

وقال الحسن : تَلْقَى أَحَدَهُمْ أبيضَ بضًا ، يَمْلَخُ فى الباطل مَلخاً ، يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ، ويَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ ، يقول : هأنذا فاعْرِفونى. قد عَرَفْناك، فَمَقَتَكَ الله ، ومَقَتَكَ الصالحون .

قوله : «أبيض بضا» فالبضُّ الرقيقُ اللون ، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء . وفى الحديث أنّ معاوية قَدِم على عمر بن الخطَّاب رحمهما الله [٣] من الشام وهو أَبَضُّ الناسِ ، فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِه ، فَأَقْلَعَ عن مثل

---

(١) سورة النساء ٧٨

(٢) قبله :

* وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدَف *

وانظر ديوانه ٣٢

(٣) ر ، س : «رحمه الله» .

[جواب على بن أبى طالب حين سئل : أين ربنا ؟]

وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رحمه الله : أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرضَ؟ فقال علىّ : أينَ ، سُؤالٌ عن مكانٍ ، وكان اللهُ ولامَكان.

[للحسن البصرى فى المواعظ]

وحُدِّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام ، فنظرا إلى الحسن البصرىّ ، فقال أحدهما لصاحبه : مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المَسِيح ، فعَدَلا إليه ، فألفَياهُ مُفترِشًا بذَقَنِهِ ظاهرَ كَفِّهِ ، وهو يقول : ياعَجَباً لقوم قد أُمِرُوا بالزاد ، وأُوذِنُوا بالرحيل ، وأقام أوّلهم على آخرهم ! فليت شِعْرِى ما الذى ينتظرون ؟

ونَظَرَ الحسنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَةِ يضحكون ويلعبون فى يوم عيد ، فقال الحسنُ : إن الله جَعَلَ الصوم مِضْماراً لعباده لِيَسْتَبِقُوا إلى طاعته ، فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا ، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا ، ولَعَمْرِى لو كُشِفَ الغطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه ، ومُسِيءٌ بإساءته عن تَجْدِيد ثوب ، أو تَرْطيل شَعَر .

قوله : « ترطيل شعر » إنما هو تليينُ الشَّعَر بالدُّهْنِ وما أشبهه ، ويقال للرجل إذا كان فيه لينٌ وتوضيع : رجل رَطْلٌ ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقال له : رِطْلٌ ، بكسر الراء .

وكان الحسن يقول : اجْعَلِ الدنيا كالقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها .

قوله : « القنطرة » يعنى هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس ، والعرب تُسَمِّى كل أَزَج [1] قنطرة ، قال طَرَفَةُ بن العَبْد :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أَقْسَمَ رَبُّها ... لَتُكْتَنَفًا حتّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

(١) الأزج : نوع من الأبنية يطول بناؤه .

فإن قال قائلٌ : فما بالُ يَتَرَجَّى ويَتَغَازَى ، يكونان بالياء ، نحو : هُما يَتَغَازَيانِ ويَتَرَجَّيانِ ؟ فإنما ذلك لأنهما فى الأصل : رَجَّى يُرَجِّى ، وغازَى يُغازِى ، ثم لَحِقَتْ التاء بعد ثبات الياءِ . والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه ؛ فقولك : مِذْرَوان لا واحد له لما أعْلَمْتُكَ ، وثَبات الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر ، فلذلك جاء على أصله[1] .

---

(١) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٥٦

الشَّراب ، أو مثل الشِّراكِ ، فقال : هذا والله لِتَشَاغُلك بالحَمَّاماتِ ، وذَوُ الحاجاتِ تُقَطَّعُ أَنْفُسُهُمْ حسَراتٍ على بابك !

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلَالِيُّ :

مُنَعَّمَةٌ بَيْضَاءُ أوْ دَبَّ مُحْوِلٌ عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

وقوله : «يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخًا» ، يقول : يَمُرُّ مرًّا سريعاً ، يقال: بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَة المَرِّ .

وقوله : «يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ وَأَزْدَرَيْهِ» ، فإنما يقال ذلك للفارغ ، يقال: جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ وأَزْدَرَيْهِ ، ولا يُتَكَلَّمُ منه بواحد ، ويقال : فلانٌ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ، وهما ناحيتاه ، وإنما يوصف بالخُيَلَاء ،

قال عَنْتَرَة :

أَحَوْلِى تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيْهَا لِتَقْتُلَنِى ، فهأنذا عُمَارَا

ولا واحد لهما ، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ فى التثنية مِذْرَيانِ ، لأن ذواتِ الواو إذا وقَعَتْ فيهن الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى الياء ، كما تقول فى مَلْهًى : مَلْهَيانِ ، وهو من لَهَوْتُ ، وفى مَغْزًى : مَغْزَيانِ ، وهو من غَزَوْتُ ، وإنما فعلتَ ذلك لأن فِعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كانتْ رابعةً فصاعِدًا ، نحو غزوت ، فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ : أغزَيْتُ ، وكذلك غازَيْتُ واسْتَغْزَيْتُ ؛ وإنما وجب هـــذا لانقلابها فى المضارع ، نحو يُغْزِى ، ويَسْتَغْزِى ، ويُغازِى ، وإنما انقلبتْ لانكسار ما قبلها .

عن بعض الصالحين[1] أنه كان يقول : إذا ماتت له جار أو حميم : أَوْلَى لى ! كِدْتُ وَاللهِ أكونُ السوادَ المخْتَرَمَ[2] .

☆☆☆

[لابن حبناء التميمى فى مكارم الأخلاق]

وقال ابن حَبْناءَ التميمى :

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِى	لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِى مِنَ النَّارِ
لَاأَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ	وَلَا أُكَسِّرُ فِى ٱبْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِى
إِنْ يَحْجُبِ ٱللهُ أَبْصَارًا أُرَاقِبُهَا	فَقَدْ يَرَى ٱللهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِى

قوله :

☆ لا أقرب البيت أحْبُو من مؤخّره ☆

يقول : لا آتيه لِرِيبةٍ . ومِثْلُ ذلك قولُ الشاعر[3] :

وَلسْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِى	كَفِعْلِ الْعَــيْرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ

يقول : لا أخْرُجُ خُروجَ الخائف ، لأنه إنما يقال : تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ ، ويقال للقدَحِ الصغير : الغُمَرُ من هذا .

وقوله :

☆ ولا أكسِّر فى ابن العم أظفارى ☆

---

(١) حاشية الأصل : « هو محمد بن الحنفية » ؛ وهو من زيادات ر .

(٢) يقال : اخترمته المنية ؛ أى أخذته من بين أصحابه .

(٣) زيادات ر : « وهو عقيل بن علفة » ؛ والبيت من كلمة له فى حماسة أبى تمام (١ : ١٥١ — ١٥٢) — طبعة الرافعى

باب

[ليزيد بن الصقيل ، وكان يسرق الإبل ثم تاب]

قال أبو العباس : قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلِيُّ — وكان يَسْرِقُ الإبل ، ثم تاب ، وقُتِلَ فى سبيل الله :

أَلَا قُلْ لِأَرْبَابِ المَخَائِضِ :أَهْمِلُوا   فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ

وَإِنَّ آمْرَأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ ما   تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

وفى هذا الشعر [(١)] :

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ   حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

قوله : «ألا قُلْ لأرباب المخائض» ، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفَةٌ والجميع مَخاضٌ ، وهذا جَمْعٌ على غير واحده ، إنما هو بمنزلة امرأة ونِساءٍ ، ثم جَمَعَ الجمعَ فقال : مخائض ، كقولك فى رِسالةٍ : رَسائل ، وكما تقول فى قوم : أقوام ، فتَجْمَعُ الاسم الذى هو للجَمْعِ ، وكذلك أعراب وأعارِيبُ ، وأنعامٌ وأناعيم .

وقوله : « أَهْمِلُوا » : أى اسْرَحُوا إبلكُمْ ، والهَمَلُ ما كان غير مَحْظُور ، وهو السُّدَى ، ويُرْوَى فى مِثْل قوله :

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ   حَمِيمَكَ فاعلم أنها ستعودُ

---

(١) س : « وفى هذا الشعر يقول » .

والدجاج ها هنا : الديوك ، يريد وَقْتَ السَّحَر ، لأنه يقال للديك : هذا دَجاجةٌ ، فإن أردت الأنثى قلت : هذه ، وكذلك هذا بقرة ، وهذا بَطَّةٌ ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر ، ولهذا باب يُذْكَرُ فيـــه إن شاء الله .

قال جَرير :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرَّقَنِي　　صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعٌ بِالنَّوَاقِيسِ

قوله : « أرقنى صوت الدجاج » ، والأرق لا يكون فى آخر الليل وإنما يكون فى جميعه .

وكذلك النواقيس لا تقرع أيضاً إلا فى السحر فإنما أراد : أرقنى انتظارى هذا الوقت ؛ لأنه وعد فيه وعداً فهو منتظر له .

* * *

[قال أبو الحسن : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائيَّة المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبى عبد الله بن الأعرابىّ ، وهى لأحد ابْنَىْ حَبْناءَ — أخْنَسُ صَخْرا — وهما من بنى تميم ، وكانا من الأزارِقة .

قال :

إِنِّى هَزِئْتُ مِنْ أُمِّ الْغَمْرِ إِذْ هَزِئَتْ　　بِشَيْبِ رَأْسِى ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ

مَا شَقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ　　وَلاَ سَعَادَتُهُ يَوْماً بِإِكْثَارِ[1]

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِى فِى النَّارِ مَنْزِلُهُ　　والفَوْزُ فَوْزُ الَّذِى يَنْجُو مِنَ النَّارِ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْرٍ يُزَيِّنُ لِى　　لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِى مِنَ الْعَارِ

---

(١) زيادات ر : « يقتره ، الهاء تعود على الإقتار » .

يقول : لا أغتابه ، وهذا مَثَلٌ كما قال الحُطَيْئَة :

مَلّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمُ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وقوله :

* فقد يَرَى الله حال المدلج السارى *

فالمدْلِجُ : الذى يسير من أول الليل ؛ يقال : أَدْلَجْتُ ، أى سِرْتُ من أول الليل ، وادَّلَجْتُ : أى سرت فى السَّحَر ، قال زهير :

* بَكَرْنَ بُكُورًا وادَّلَجْنَ بسُحْرَةٍ[1] *

والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل ، قال الله عز وجل : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ[2] ﴾ مِنْ قولك أَسْرَيْتُ ، وهى اللغة القرشيَّة ، وغَيْرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ ، وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ[3] ﴾ فهذا من سَرَى ، ولو كان من « أَسْرَى » لكان « يُسْرِى » ؛ كما قال لبيد :

فَبَاتَ وَأَسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَّافًا بغيرِ مُعَصَّرِ

والمُعَصَّرُ المَلْجَأ ، والسارى إنما هو من قولك سَرَى ، كقولك : قَضَى فهو قاض . ومن أَسْرَى يقال للفاعل : مُسْرٍ كما تقول : أعطى فهو مُعْطٍ ، كما قال الأَخْطَلُ :

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِى

---

(١) رواية الديوان ١٠ : « واستحرن بسحرة » ؛ وبقيته :

* فهنَّ ووادى الرسِّ كاليد فى الفم *

(٢) الحجر ٦٥

(٣) الفجر ٤

وأنشدونا عن أبي عمرو — وكان يقرأ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى ﴾ [١] على « فَعْلَى » [٢] :

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سوءَى بِفِعْلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَى مِنَ الْحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ ... رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ [٣]

فقوله : « رئِمتُ لسلمى بوَضيم » : أي أقمتُ لها على الضَّيْمِ ، ويقال : فلان رَءومٌ للضَّيْمِ ، إذا كان ذليلاً راضياً بالخَسْفِ .

[لأحد الأعراب]

وقال أعرابي — أحْسبُهُ تميميًّا :

وَدَاهِيَةٍ دَاهَى بِهَا الْقَوْمَ مُفْلِقٌ ... شَدِيدٌ بِعُورَانِ الْكَلَامِ أَزُومُهَا

أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَا وَعَيْتُهَا ... رَمَيْتُ بِأُخْرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا ... تَسَاقَوْا عُقَارًا لَا يَبِلُّ سَلِيمُهَا

فَلَمْ تَلْقَنِي فَهًّا ، وَلَمْ تَلْقَ حُجَّتِي ... مُلَجْلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

---

(١) الروم : ١٠ .

(٢) زيادات ر : « لأفنون التغلبي » ، والبيتان في أمالي القالي : ٢ — ٥١ ، وشواهد المغني للسيوطي ٥٤ .

(٣) في حاشية الأصل : « قال ثعلب : اجتمع الكسائي والأصمعي بحضرة الرشيد ؛ وكانا ملازمين له ، يرحلان برحيله ويقيمان بإقامته ؛ فأنشد الكسائي : « أني جزوا عامراً ... البيتين » فقال الأصمعي : إنما هو « رئمان » ؛ بالنصب ، فقال له الكسائي : اسكت ! ما أنت وهذا ! يجوز فيه الرفع والنصب والخفض ؛ أما الرفع فعلى الرد على « ما » لأنها في موضع رفع بـ « ينفع » ، والنصب بـ « تعطي » . والخفض على الرد على الهاء في « به » . قال ثعلب : فسكت الأصمعي » . وانظر المغني ١ : ٤١ .

وفي أمالي القالي : « العلوق : التي ترأم بأنفها وتمنع درها ؛ يقول : فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئاً فكيف ينفعني ذلك ! » .

وَخَيْرِ دُنْيَــا يُنَسِّى شَرَّ آخِرَةٍ   وَسَوْفَ يُنْبِئُنِي الجَبَّارُ أَخْبَارِى

ثم يتفقان بَعْدُ فى الرواية ، وكان ربما أنْشَدَنا : «إِنِّى هَزَأْتُ مِنْ أَمِّ الغَمْر»] .

* * *

[لأعرابي من بنى الحارث بن كعب]

قال أبو العباس : وقال أعرابىٌّ من بنى الحارث بن كَعْبٍ :

رَئِمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْمٍ وإِنَّنِى   قَدِيماً لآبِى الضَّيْمِ وَآبْنُ أُبَاة

فَقَدْ وَقَّفَتْنِى بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ   وَمَا كُنْتُ وَقَّافاً عَلَى الشُّبُهَاتِ

فَيَا بَغْلَ سَلْمَى كَمْ وَكَمْ بِأَذَاتِهَا   عَدِمْتُكَ مِنْ بَغْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِى

بنفسى حَبِيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ   تَقَطَّعُ نَفْسِى دُونَهُ حَسَرَاتِ

وَوَاللهِ لَوْلَا أَنْ تُسَاءَ لَرُعْتُهُ   بِمَا لَيْسَ بِالْمَأْمُونِ مِنْ فَتَكَاتِى

قوله : «رَئِمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ ضَيْمٍ» فإنما هذا مَثَلٌ ، وأصله أنّ الناقة إذا أُلْقِتَ سَقْبَها خِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ[1] فَحَشَوْهُ تِبْناً ، ولَطَخُوهُ بشىء من سَلاها ، ثم حَشَوْا أنفها بخِرْقةٍ ، فتَجِد لذلك كَرْباً ، ويقال للخرقة التى تُجْعَلُ فى أنفها : الغِمامةُ ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحاً ، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها ، وهو جلد الحُوار المَحْشُوّ فتَرْأَمُهُ ، فإن دَرَّتْ عليه قيل : ناقة درور ، وتَرْأَمُهُ تَشَمُّهُ ، ويقال فى هذا المعنى : ناقة ظَئُور ، فيَنْتَفِعُ بلبنها ، ويقال : ناقة رائِمٌ ورءوم إذا كانت تَرْأَمُ ولدها أو بَوَّها ، فإن رَئِمَتْ ولم تَدُرَّ عليه فتلك العَلُوقُ ، ولا خير عندها .

---

(١) الحوار : ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم .

فانتزعها ، وسقطت ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأرَدْتُها فأقسم علىَّ أبو عبيدة ، ففعل فيها ما فعل فى الأولى ، وكان مُشفِقاً من تحريكها لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أبو عبيدة أهْتَمَ .

وقوله : « فأزَمَ بها » ، يقال : أَزَمَ يأْزِمُ ، وأزمَ يأْزَمُ .

وقوله : « أصَخْتُ لها » : يقول استَمَعْتُ لها ، قال العَبْدِىُّ [1] :

يُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أسْماعَهُ   إصاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

والإصاخة : الِاستماع ، والناشد : الطالب ، والمنشد : المُعرِّف ، يقال : نشَدْتُ الضالة إذا طلبتها ، وأنْشَدْتُها : إذا عرَّفتها . والنَّبْأَةُ : الصوت ، قال ذو الرُّمَّة :

وقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدُسٌ   بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ ما فى سَمْعِهِ كَذِبُ [2]

وقوله : « حتى إذا ما وعَيْتُها » ، يقول : جَمَعْتُها فى سمعى ، يقال : وعَيْتُ العِلْمَ ، وأوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَجَمَعَ فأوْعَى﴾ [3] . وقال الشاعر [4] :

الخَيْرُ يَبْقَى وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ   والشَّرُّ أخْبَثُ ما أوْعَيْتَ مِنْ زادِ

وقوله :

* رَمَيْتُ بأخرى يستدير أمِيمُها *

يريد يستدير ، من الدُّوار ، ويقال فى هذا المعنى : يستديم ، ومنه سميت

(١) زيادات ر : « وهو المثقب » .

(٢) توجس : تسمع . والركز : الصوت الخفى . مقفر : أخو قفرة . والندس : السريع الاستماع للصوت الخفى ، يصف الصائد .

(٣) المعارج ١٨ .

(٤) زيادات ر : (هو عبيد بن الأبرص) .

قوله : « وداهية » يعنى حُجَّةً داهَى بهـا القوم . مُفْلِقٌ : يريد عَجِيبة ، والفِلقُ : آسم من أسمـاء الدواهى ، ويقال : فَلْقٌ فى هذا المعنى ، ويقال : داهية فَلِيقٌ ، وجاء القوم بالفَليق ، وهذا مشهور كثير فى الـكلام ، ومنه قول خَلَفِ الأحمر :

* مَوْتُ الْإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقْ *

وأنْشَدَنى مُنْشِدٌ :

إِذَا عَرَضَتْ دَوِّيَّةٌ مُدْلَهِمَّةٌ[1]   وَغَرَّدَ حَادِيهَا فَرَيْنَ بِنَا فَلْقَا[2]

بفتح الفاء .

وقوله : « شديدٌ بعُوران الكلام » ، العَوْراءُ هى القبيحة ، قال حاتم ابن عبد الله الطائىّ :

وعَوْرَاءَ قَدْ أَعْرَضْتُ عَنْهَا فَلَمْ تَضِرْ   وذِى أَوَدٍ قَوَّمْتُــهُ فَتَقَوَّمَا

وأَزُومُهَا : إِمْساكُها[3] ، يقال : أَزِمَ به إذا عَضَّ به فأمسكه بين ثَنِيَّتَيْهِ . وفى الحديث أن أبا بكر رحمه الله قال فى يوم أُحُدٍ : فنَظَرْتُ إلى حَلْقَةٍ من دِرْعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبِينِ رسول الله صلى الله عليه؛ فانْكَبَبْتُ لأنْزِعَها فأَقْسَمَ علَىَّ أبو عبيدة ، فَأَزِمَ بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْهِ ، فَجَذَبها جَذْباً رفيقاً .

---

(١) شطر هذا البيت لم يذكر فى س ؛ وفى ر بين علامتى الزيادة ؛ ورواه : « داوية » .

(٢) عرض : تعرض . وغرد حاديها : طرب فى حدائه . والبيت فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٢٢ ، ٢٦٤ ؛ وروايته فيه : « فرين بها فلقا » . وقال فى شرحه : « اى عملن بها داهية من شدة سيرهن . والفلق : القضيب يشق فيعمل منه قوسان ؛ ويقال لـكل واحدة فلق » . وهو أيضا فى اللسان (فلق) .

(٣) قال المرصفى : « أخطأ أبو العباس فى تفسير الوصف بالمصدر والصواب : ممسكها » .

وقوله : «فلم تلفنى فهًّا» يقول : ضعيفاً ، يقال : فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها ، ويقال : رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزاً .

وقوله : « مُلَجْلَجَةً » ، وهو أن يُرَدِّدَها فى فيه ، وقد مضى تفسيره .

[لأبى مخزوم النهشلى يفخر بقومه]

وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزوم، من بنى نَهْشَلِ بن دارِمٍ [1] :

إنا بَنى نَهْشَلٍ لَاندَّعِى لِأَبٍ ... عَنْهُ ، وَلا هُوَ بِالْأَبْناءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدَرْ غايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوابِقَ مِنَّا وَالمُصَلِّينَا
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً ... إِلَّا افْتَلَيْنا غُـلاماً سَيِّداً فِينَا
إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوائِلَهُمْ ... قِيلُ الْكُماةِ: أَلَا أَيْنَ المُحَامُونَا ؟
لَوْ كَانَ فى الْأَلْفِ مِنَّا واحِدٌ فَدَعَوْا: ... مَنْ فَارِسٌ ؟ خالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ رَزِيَّتُهُمْ ... مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فى الْأَمْنِ أَغْلِينَا
إِذَا الْكُماةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنالَهُمُ ... حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
فَرْضٌ عَلَى مُكْثِرِينَا نَيْلُ بَذْلِهِمُ ... وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فى طَبْعِ الْمُقِلِّينَا
إِنِّى وَمَنْ كَأَبِى يَحْيَى وَعِتْرَتِهِ ... لَا فَخْرَ إِلَّا لَنَا أَم مَن يُوَازِينَا

---

(١) زيادات ر : «هو بشامة بن حزن النهشلى» . والأبيات أوردها أبو تمام منسوبة إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة ، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات وعددها ، وانظر الحماسة ١ : ٩٧ — بشرح التبريزى .

الدَّوَّامَةَ(١) ، وفى الحديث : « كُرِهَ البول فى الماء الدائم » ؛ لأنه كالمستدير فى موضعه ؛ قال جرير :

عوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهم لِبَعْضٍ عَلَىَّ فَقَدْ أَصَابَهُمُ انْتِقَامُ
إذَا أَرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهم رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا(٢)

وقوله : « أميمها » يريد المأموم بها ، ويقال : أَمِيمٌ ومأموم ، كقولك : قَتِيلٌ ومقتولٌ ، ومَجْرُوح وجريح ، ويقال : للشَّجَّةِ التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغِ — وأُمُّ الدماغ جُلَيْدَةٌ رقيقةٌ تُحيط بالدِّماغ — فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومأمومة ؛ قال الشاعر :

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فى قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كالْمَغَارِيدِ(٣)

المغاريد : صغار الكَمْأَةِ .

وقوله : « فى قعرها لجف » ، أى تقلع ، يقال : تَلَجَّفَتِ البئر ، إذا انقلع طَيُّها من أسفلها ، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم ، إذا وَسَّعوه من أسفله .

وقوله : « تَسَاقَوْا عُقاراً » يريد : كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّةِ . والعُقارُ : اسم من أسماء الخمر ، وإنما سميت عُقاراً لِمُعَاقَرَتِها الدَّنَّ .

وقوله : « ما يَبِلُّ » يقال : بَلَّ وأَبَلَّ من مرضه ، وكذلك اسْتَبَلَّ .

والسَّلِيمُ المَلْسوع ، وقيل له سَليم على جهة التفاؤل ، كما يقال للمَهْلَكَة مَفَازَةٌ ، وللغراب : الأَعورُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِهِ .

(١) الدوامة : فلكة يرميها الصبى بخيط فتدور .
(٢) استداموا : أخذهم الدوام ، وهو الدوار .
(٣) البيت فى اللسان (غرد) ونسبة المرصفى إلى غدار بن دارة الطائى .

وقرأ بعض القراء : ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾ [١] .

وقوله : « يشرينا » يريد يَبيعُنا ، يقال : شرَاه يَشْريه إذا باعه ، فهذه المعروفة ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ ﴾ . وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ :

شَرَيْتُ بُرْدًا ، ولَوْلَا مَا تَكَنَّفَنِى ... مِنَ الحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدا

ويكون « شَرَيْتُ » فى معنى اشْتَرَيْتُ ، وهو من الأضداد ، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ :

اشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَابْغُوا لِخُتْنَتِهَا [٣] ... مَوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرُ [٤]

وقوله :

﴿ تَلُقَ السوابقَ منّا والمصلّينا ﴾

فالمصَلِّى الذى فى إثْرِ السابق ، وإنما سُمِّىَ مصلّياً لأنه مع صَلَوَىِ السابق ، وهما عِرْقان فى الرِّدْفِ ، قال الشاعر :

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلَاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

---

(٥) سورة المؤمنون ١٤

(١) سورة يوسف ٢٠

(٢) بعده فى س وزيادات ز :

يا بُرْدُ ما مسَّنا دَهْرٌ أَضَرَّ بنَا ... من قبلِ هذا ، ولا بعنا له ولدا

(٣) كذا فى الأصل . وفى ر : « لختنتها » ؛ وهى المرة من الختن . وفى الزيادات : « كان ابن جابر يروى : « لخُتنتها » [بضم الخاء وتاءين] ، ويقول : الخنت : العفل » . والعفل : لحم ينبت فى قبل المرأة .

(٤) تذكير : صلابة وحدة .

قوله : « إنا بنى نهشلٍ » ، يعنى نَهْشَل بن دارِم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيمٍ ، ومن قال : « إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ » ، فقد خبَّرَكَ ، وجَعَلَ « بنو » خبر « إنّ » ، ومن قال : « بنى » ، إنما جَعَلَ الخبرَ

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوما لِمَكْرُمَةٍ   تَلْقَ السوابق منا والمصلينا

ونَصَبَ « بَنِي » عَلَى فِعْلٍ مضمر للاختصاص ، وهذا أَمْدَحُ ، ومثله :

* نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحابُ الجَمَلْ[1] *

أراد نحن أصحاب الجمل ، ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا ، فقال : أعنى بنى ضبة . وقرأ عيسى بن عمر : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾[2] أراد وامرأتُهُ . ﴿ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ ثم عرَّفَها بحمَّالة الحطب ، وقوله : ﴿ والمقيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ[3] ﴾ إنما هو على هذا ، وهو أبلغ فى التعريف . وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله :

وأكثر العرب يُنْشِدُ[4]

إنَّا بَنِي مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ   فِينَا سَرَاةُ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا

---

(١) من رجز رواه ابن جرير الطبرى لعمرو بن يثربى الضبى قاله فى وقعة الجمل ، وبعده :

نَنْزل بالموت إذا الموت نزل   القتل أحلى عندنا من العسل

نَنْعَى ابن عفان بأطراف الأسل   ردّوا علينا شيخنا ثم بَجَل

وانظر تاريخ الطبرى ، حوادث ٣٦

(٢) سورة المسد ٤ — ٥

(٣) سورة النساء ١٦٢

(٤) زيادات ر : (هو لعمرو بن الأهتم المنقرى) . وانظر ...

وقوله :

* إنّا لنرْخِصُ يوم الرَّوْعِ أَنفُسَنا *

أخذه من قول الهمْدانِيّ — وهو الأَجْدَعُ[1] — أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه :

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْوَانُ هَمْدَانَ أَنَّنِي ... لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ
وَأَبْذُلُ فى الهَيْجَاءِ وَجْهِى وَإِنَّنِى ... لَهُ فى سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولِ

ومن القتَّالِ الكِلاَبِيّ حيث يقول :

أَنا ٱبنُ الأكْرَمِينَ بَنِى قُشَيْرٍ ... وَأَخْوَالِى الْكِرَامُ بَنُو كِلاَبِ
نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إذَا الْتَقَيْنَا ... وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ

---

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية الوادعى ؛ من بنى نوف بن همدان . فارس شاعر ؛ أدرك الإسلام ، وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب . (المؤتلف والمختلف للآمدى ٤٩) .

وقوله :

* إلا اقتلينا غلاما سيّدا فينا *

مأخوذ من قولهم : فَلَوْتُ الفُلُوَّ[١] يا فتى ، إذا أخذته عن أمه ،
قال الأعشى :

مُلْمِعٍ لَاعَةِ الْفُؤَادِ إِلَى جَحْـشٍ فَلَاهُ عَنْهَا ، فَبِئْسَ الْفَالِي[٢]

وأخذ هذا المعنى من قول أبي الطمحان القيني :

* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ *

وقوله :

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: مَنْ فَارِسٌ ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيتُ ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

ومن قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتًى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى: وَلَـٰكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله : «حدّ الظُّبات» ، فالظُّبَةُ الحدّ بعينه ، يقال : أصابته ظُبَةُ السيف ، وظُبَةُ النَّصْلِ ، وجمعه ظُبَاتٌ . وأراد بالظُّبَةِ هاهنا موضع المَضْرِبِ من السيف . وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُمًا ، وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

---

(١) الفلوّ : المهر .

(٢) البيت في وصف الناقة ملمع : في ضرعها لمع سود . واللاعة : الملتاعة . والفالي : الطارد .

وسُئِلَ : ما بَلَغَ من برّه بك ؟ فقال : ما مَشَى معى بِنَهارٍ قطّ إلّا قدّمَنِى ، ولا بليلٍ إلّا تقدّمَنى ، ولا رَقِىَ سَطْحاً وأنا تحته .

[جواب أبى دلامة حينما سأله المنصور عما أعده ليوم القيامة]

وماتت بنت عَمٍّ للمنصور ، فحَضَرَ جَنَازتها ، وجلس لدفنها ، وأقبل أبو دُلامةَ الشاعر ، فقال له المنصور : وَيْحَكَ ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابْنَةَ عَمِّك هذه التى واريْتَها قبْلُ ! قال : فضَحِكَ المنصور حتى استُغْرِبَ[1]

[الفرزدق فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود]

ودخل لَبَطَة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالكِ بنِ المُنذرِ ابن الجارود[2] ، ومالكٌ عاملٌ على البصرة لخالد بن عبدالله القَسْرِىّ ، فقال : يا أَبتِ ، هذا عَمْرُ بن يزيد الاسَيْدِىُّ ، ضُرِبَ آنِفاً ألفَ سَوْطٍ فمات فَشُدَّ على حمار ؛ فقال الفَرَزْدَقُ : كأنك والله يا بُنَىَّ بمثل هذا الحديث قد تُحُدِّثَ به عن أبيك — والحسَنُ[3] إذ ذاك عند محبوس له — فقال : يا أبا فِراس :

(١) استغرب فى الضحك : أكثر منه .

(٢) حاشية الأصل : « كان السبب فى سجن الفرزدق أنه كان قد هجا خالد بن عبد الله القسرى ؛ فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه ، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبى فأتاه به ؛ فأمر به إلى السجن ؛ فى ذلك يقول الفرزدق يهجو أيوب بن عيسى :

فلوْ كنتُ قيسيًّا إذا ما حبستنِي ... ولكنّ زنجيًّا غليظاً مشافرهُ

متَتُّ له بالرّحْمِ بينى وبينَهُ ... فألفيتُه منّى بعيدًا أواصرُهْ

(٣) هو الحسن البصرى .

بابٌ

[من كلام عمر بن عبد العزيز]

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فقد كَمَل : مَنْ لم يُخرِجْهُ غَضَبُهُ[1] عن طاعة الله ، ولم يستنزله رضاه إلى معصية الله ، وإذا قدر عفا وكَفَّ .

[من كلام الحسن البصري]

قال الحسن : نِعَمُ الله أكثرُ مِنْ أنْ تُشْكَرَ إلا ما أعانَ عليه ، وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

[كلام عمر بن ذر حينما دخل على ابنه وهو يجود بنفسه]

وقال عمر بن ذَرّ[2] — ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه ، فقال : يا بُنَيَّ ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ .

فلما قضى وصَلَّى عليه وواراه وَقَفَ على قبره ، فقال :

ياذَرُّ ، إنه قد شغَلَنا الحُزْنُ لك عن الحزن عليك ، لأنَّا لا ندْري ماقلْتَ ولا ما قيلَ لك ، اللّهُمَّ إنى قد وَهَبْتُ له ما قصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حقّى ، فهَبْ له ما قصَّرَ فيه من حقّك ، واجعل ثوابى عليه له ، وزدْنِى من فضلك ، إنّى إليك من الراغبين .

---

(١) ر : « من » .

(٢) هو عمر بن ذر بن عبد الله الهمدانى ؛ من أقران أبى حنيفة وابن عيينة ؛ وكان رأساً فى الإرجاء ، توفى سنة ١٥٠ . (تهذيب التهذيب ٧ : ٤٤٥) .

[لقاء الحسن البصري والفرزدق في جنازة]

وَالتقى الحسَن والفرزدق في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدرى مايقول الناس ياأباسعيد قال : ومايقولون ؟ قال : يقولون : اجتمع في هذه الجِنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس ! فقال الحسن : كلاَّ ، لَستُ بخيرهم ، ولَسْتَ بشرِّهم ، ولكن ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مذ[(١)] ستّون سنة ، وخمسَ نجائبَ لَا يُدْرَكْنَ — يعني الصلواتِ الخمس — فيزعم بعض التَّميميَّة أن الفرزدق رُئِيَ في النوم ، فقيل له : ما صَنَعَ بك رَبُّكَ ؟ فقال : غفَرَ لي . فقيل له : بأيِّ شيء ؟ فقال : بالكلمة التي نازعني فيها الحسن

[الفرزدق وأولاد بني تميم]

وحدثني العباس بن الفَرَجِ في إسنادٍ له ذَكَرَهُ قال : كان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بني تميم والمَصاحِفَ في حُجُورهم ، فيُسَرُّ بذلك ويَجْذَلُ به ، ويقول : إيهٍ فِدًى لكم أبي وأمّي ! كذا والله كان آباؤكم .

* * *

[قال أبو الحسن : إنما هو فِداءٌ لكم ، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية .]

* * *

[الفرزدق وأبو هريرة الدوسي]

ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ ، فقال [له][(٢)] : مَهْما فَعَلْتَ فَقَنَّطَكَ

(١) ر : « منذ » .

(٢) من ر ، س .

ما عندك إن كان ذلك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد ، لله أحبُّ إليَّ من سمْعى وبَصَرِى، ومن مالى وولدى ، ومن أهلى وعَشيرتى : أفتَرَاهُ يَخذلنِى ؟ فقال الحسن : لا .

[للفرزدق حين قتل عمر بن يزيد الأسيدى]

وكان عمر بن يزيد الأسَيْدِىُّ شريفاً ؛ حدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال : كان رجلُ أهلِ البَصْرَةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدِىَّ ، ورجلُ أهل الشام عمرَ بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىَّ ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرىّ ، فقيل ذلك لعمر بن عبدالعزيز ؛ فقال : أَجَلْ ، لو لا خِبٌّ[1] فى بلالٍ ، فقال بلالٌ لمَّا بلغه ذلك: «رَمَتْنى بدائها وانْسَلَّت» وقتله مالكُ[2] ابن المُنْذِرِ تعصُّباً فيما تذكره المُضَرِيَّةُ . فلما دُخِلَ بمالك على هشام أقبل على أصحابه ، فقال : أما رأيتم عمر بن يزيد ؟ أمَا إنى ما تمنَّيْتُ أن تكون أمى ولدت رجلًا من العرب غيْرَهُ ثم قال لمالك : قتلتَ والله خيراً منك حسبا ، ونسَباً ، وريشاً[3] ، وعَقِباً ! فقال : وكيف يا أمير المؤمنين ! ألستُ ابنَ المنذر ابن الجارود ، وابنَ مالك بن مِسْمَعٍ ! — وكان جدَّهُ أبا أمه — وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى : يا هِشَامَاهُ ! ففى ذلك يقول الفرزدق :

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِىِّ ظُلْماً ... أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْكُبَرِ الْعِظَامِ

قَتِيلُ جَمَاعَةٍ فِى غَيْرِ حَقٍّ ... يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو : يا هشامِ !

(١) الخب : الخداع والمكر .

(٢) أى قتل مالك عمر بن يزيد الأسيدى

(٣) الريش : اللباس والزينة . وفى ر ، س : « ودينا » .

كما قال الله عزّ وجل: ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا[١] ﴾، ويقال: رجل عَدْلٌ، أى عادل، ويوم غَمٌّ، أى غامٌّ، وهذا كثير جدًّا، فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال: قُمْ قائماً، فيوضع فى موضع قولك: قُمْ قياماً، وجاء من المصدر على لفظ «فاعِلٍ» حروفٌ، منها: فَلِجَ فَالِجاً، وعُوفِىَ عَافِيَةً، وأَحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على «مَفْعول»: نحو رجل ليس له مَعْقول، وخُذْ مَيْسُورَه، ودَعْ مَعْسورَه، لدخول المفعول على المصدر. يقال: رجل رضاً، أى مَرْضِىٌّ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمير، أى مَضْرُوبٌ؛ وهذه دراهم وزن سَبْعةٍ، أى مَوْزونةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله: «لا أَشْتِمُ» حال؛ فأراد: عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ مِنْ فِىَّ زُورُ كلام، ولم يَذْكُر الذى عاهَدَ عليه.

[للفرزدق فى أيام نسكه]

وقال الفرزدق فى أيام نُسكه:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِى ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهاباً وَأَضْيَقا

إِذَا قَادَنِى يَوْمَ الْقِيامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقا

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقا[٢]

إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقا

[للفرزدق حين طلق النوار]

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأَصْمَعِىّ عن الْمُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخْزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راويةِ الفرزدق، قال: قال لى الفرزدق يوما: اِمض

---

(١) سورة الملك ٣٠

النَّاسُ ، فلا تقنَطْ من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قَدَمَيْنِ لطيفتين ؛ فابْتَغِ لهما مَوْقِعاً صالحاً يوم القيامة .

يقال : قَنِطَ يَقْنَطُ ، وقَنَطَ يَقْنِطُ ، وكلاهما فصيح ، فاقرأ بأيّهما شئت ، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ ، ونَقَمَ يَنْقِمُ .

[قول الفرزدق حينما تعلق بأستار الكعبة]

والفرزدق يقول فى آخر عُمْرِهِ حين تَعَلَّقَ بِأَسْتَار الكعبة ، وعاهَدَ ٱللهَ ألاَّ يَكْذِبَ ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِماً :

أَلَمْ تَرَنِى عاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنِى لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِماً وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِماً وَلاَ خَارِجاً مِنْ فِىَّ زُورُ كَلاَمِ

وفى هذا الشعر :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا ٱنْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى
رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِى مُلاَقٍ لِأَيَّامِ ٱلْمَنُونِ حِمَامِى

قوله : « لَبين رتاج » ، فالرِّتاجُ غَلَقُ الباب ، ويقال : باب مُرْتَجٌ ، أى مُغْلَقٌ ، ويقال : أُرْتِجَ على فلان ، أى أُغْلِقَ عليه الكلامُ ، وقولُ العامة : « ارْتُجَّ عليه » ، ليس بشيء ، إلا أن التَّوَّزِىَّ حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ . قال : يقال : أُرْتِجَّ عليه ، ومعناه وَقَعَ فى رَجَّةٍ ، أى فى ٱختلاط ، وهذا معنى بعيد جداً .

وقوله : « ولا خارجاً » إنما وَضَعَ اسم الفاعل فى موضع المصدر ، أراد : لا أَشْتِمُ الدهر مُسْلِماً ، ولا يَخْرُجُ خروجاً من فِىَّ زُورُ كلامٍ ، لأنه على ذا أَقْسَمَ ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ، يقال : ماءٌ غَوْرٌ ، أى غائر ،

بابٌ

[للقيط بن زرارة فى الشراب]

قال لَقِيطُ بنُ زُرارَةَ :

شَرِبْتُ الخَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّى   أَبُو قَابُوسَ ، أَوْ عَبْدُ المدَانِ

أُمَشِّى فى بَنِى عُدُسَ بْنِ زَيْدٍ   رَخِيَّ الْبَالِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ

* * *

وحدثنى أبو عثمان المازنىّ قال : أُسِرَ رجلٌ يوم الحسين بن علىٍّ رحمة الله عليه ، فَأُتِىَ به يَزيدبن معاوية ، فقال [له] : (١) أليس أبوك القائل :

أُرَجِّلُ جُمَّتِى وَأَجُرُّ ذَيْلِى   وَتَحْمِلُ شِكَّتِى أُفُقٌ كُمَيْتُ (٢)

أُمَشِّى فى سَرَاةِ بَنِى غُطَيْفٍ   إِذَا مَا سَامَنِى ضَيْمٌ أَبَيْتُ

قال : بَلَى ، فَأَمَرَ به فَقُتِلَ .

[خبر هانئ بن عروة المرادى مع معاوية]

قال أبو العباس : ونُمِىَ إِلَىَّ أنّ معاوية وَلَّى كَثِيرَ بن شِهاب المَذْحِجِىَّ خَراسانَ ، فاختانَ مالاً كثيراً ، ثم هَرَبَ ، فاسْتَتَرَ عند هانىء بن عُرْوَةَ المرادىّ . فبلغ ذلك معاوية ، فنَذَرَ دم هانئ ، فخرج هانئ فكان فى جِوَارِ معاوية ، ثم حَضَرَ مجلسَه ، ومعاويةُ لا يَعْرِفُه ، فلما نَهَضَ الناس ثَبَتَ مكانه ، فسأله معاوية عن أمره ، فقال : أنا هانئ بن عُرْوَةَ ، فقال : إن هذا اليوم ليس بيومٍ يقولُ فيه أبوكَ : « أُرَجِّلُ جُمَّتِى ... » ، الشِّعْرَ : فقال له هانئ :

---

(١) من ر

(٢) الشكة : السلاح . والأفق : الفرس الرائعة .

بنا إلى حلقةِ الحسنِ ، فإنى أريد أن أطلِّق النوّار ، فقالت : إنى أخاف عليك أن تتبعها نفسُك ، ويشهدَ عليك الحسنُ وأصحابه ، فقال : امضِ بنا . فجئنا حتى وقفْنا على الحسن ، فقال : كيف أصبحْتَ يا أبا سعيدٍ ؟ فقال : بخير ، كيف أصبحتَ يا أبا فِراسٍ ؟ قال : تعلَمُنْ أن النَّوار منى طالق ثلاثاً ، فقال الحسنُ وأصحابه : قد سمعنا ، قال : فانطلقنا ، قال : فقال لى الفرزدق : يا هذا ، إن فى قلبى من النوار شيئاً ، فقلت : قد حذَّرْتك ، فقال :

نَدِمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمّا[1] ... غدَتْ منّى مُطلَّقةً نوارُ[2]
وكانَتْ جنّتى فخرجتُ منْها ... كآدمَ حينَ أخْرجَهُ الضِّرارُ
ولَوْ أنّى ملكْتُ يدِى ونفسِى ... لكانَ علَىَّ لِلْقدرِ الخِيارُ

قال الأصمعىّ : ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجْلِ هذا البيت .

---

(١) الكسعى : رجل من كسع ، حى من اليمن ، اسمه غامد بن الحارث ، وكان اتخذ قوساً وخمسة أسهم وكمن فى طريق قطيع ؛ فرمى حمارا منه ، فنفذفيه السهم وصدم الجبل ، فأورى ناراً فظن أنه أخطأ ، فرمى ثانياً وثالثاً إلى آخرها وهو يظن خطأه ، فعمد إلى قوسه فكسرها ، ثم بات ، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة ، وأسهمه بالدم مضرجة ، فندم وقطع إبهامه ، وأنشد :

ندِمْتُ ندامةً لو أنّ نفسِى ... تطاوعنى إذًا لقطعتُ خمسى
تبيَّن لى سَفَاهُ الرأى منّى ... لعمرُ أبيك حينَ كسرْتُ قوسِى

وانظر مجمع الأمثال (٢ : ٢٧٤)

(٢) فى زيادات ر بعد هذا البيت :

وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمدًا ... فأصبح لا يضئ له النهارُ
وما فارقتها شبعًا ولكنْ ... رأيت الزهد يأخذ ما أعارُ

وقال آخر :

دَعَتْنِي أخاها أُمُّ عَمْرٍ ولَمْ أكُنْ ... أخاها، ولَمْ أرْضَعْ لَهَا بِلَبانِ

دَعَتْنِي أخاها بَعْدَ ما كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْأمْرِ مالاَ يَفْعَلُ الأَخَوانِ

وقال آخر [1] :

فبِتْنَا فوَيْقَ الحَى لَا نَحْنُ مِنْهُمُ ... ولا نَحْنُ بِالْأعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ

وبَاتَ يَقِينا سَاقطَ الطَّلِّ والنَّدَى ... مِنَ اللَّيلِ بُرْدَا يُمْنَةٍ عَطِرانِ

نُعَدِّى بِذِكْرِ اللهِ فى ذَاتِ بَيْنِنَـا ... إِذَا كانَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ

☆ ☆ ☆

[قال أبو الحسن : وزادنى فيه غير أبى العباس :

ونَصْدُرُ عَنْ رأى [2] الْعَفَافِ ورُبَّما ... نَقَعْنَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشَفَانِ]

☆ ☆ ☆

وقال أبو العباس : « نُعَدِّى » أى نصْرِفُ الشرّ بذكر الله : يقال : فَعَدِّ عما ترَى ، أى فانْصَرِفْ عنه إلى غيره ، ويقال : لا يَعْدُوَنَّكَ هذا الحديث : أى لا يَتَجاوَزَنَّكَ إلى غيرك .

قال أبو العباس : وقال رجل من قُرَيْشٍ :

مِنْ تَقْرَعِ الْكَأْسَ اللَّئِيمَةَ سِنُّهُ ... فَلاَ بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُسِىءَ ويَجْهَلَا

ولَمْ أرَ مَطْلوباً أخَسَّ غَنِيمَةً ... وأوْضَعَ للأشْرَافِ مِنْهَا وأخْمَلا

وأجْدَرَ أَنْ تَلْقَى كَرِيماً يَذُمُّهَا ... ويَشْرَبُهَا حَتَّى يَخِرَّ مُجَدَّلا [3]

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى : أَخَبْلٌ أصَابَهُمْ ... أمِ الْعَيْشُ فِيهالَمْ يُلاقُوهُ أَشْكَلاَ !

---

(١) زيادات ر : « أنشده أبو على لأم ضيغم البلوية » .

(٢) ر : « زى العفاف » ، س « ورى العفاف » .

(٣) ر : « أى انصرف » .

أنا اليومَ أعزُّمنى ذلك اليومَ، قال (١) له : بِمَ ذاكَ ؟ قال (١) :بالإسلام يا أمير المؤمنين ، قال (١) له : أين كَثِيرُ بن شهابٍ ؟ ، قال: عندى فى عَسكَرِكَ يا أمير المؤمنين ؛ فقال له معاوية : انْظُرْ إلى ما اختانه فخُذْ منه بَعضًا ، وسَوِّغْهُ بَعضا .

[نبذ من أقوال الشعراء فى الخمر وشاربها]

وقال أعرابىّ :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ حَتَّى خِلْتُنِى ... لَمَّا خَرَجْتُ أجُرُّ فَضْلَ المِئْزَرِ

قَابُوسَ أوْعَمْرَوبْنَ هِنْدٍ مائِلاً (٢) ... يُجْبَى لَهُ ما دُونَ دَارَةِ قَيْصَرِ (٣)

وقال آخر :

شَرِبْنَا مِنَ الدَّاذِىِّ حَتَّى كَأَنَّنَا ... مُلُوكٌ لَهُمْ بَرُّ العِرَاقَيْنِ والبَحْرُ (٤)

فَلمَّا انْجَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْتَنَا ... تَوَلَّى الْغِنَى عَنَّا وَعَاوَدَنَا الفَقْرُ

وقال آخر ، وهو عبد الرحمن بن الحكم :

وكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الإنَاءِ وبَيْنَهَا ... قَذَى العَيْنِ قَدْ نَازَعْتُ أُمَّ أبَانِ (٥)

تَرَى شَارِبَيْهَا حِينَ يَعْتَوِرَانِهَا ... يَمِيلاَنِ أحْيَاناً ويَعْتَدِلاَنِ

فَمَا ظَنُّ ذَا الوَاشِى بِأرْوَعَ ماجِدٍ ... وبَدَّاءَ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ (٦)

---

(١) ر : « فقال » .

(٢) هو قابوس بن المنذر ، أخو عمرو بن هند ؛ وكلاهما من ملوك الحيرة .

(٣) الدارة كالدائرة ؛ يصف سعة ملك قيصر .

(٤) قال فى اللسان : « الداذى : نبت ؛ وقيل هو شىء له عنقود مستطيل ؛ على شكل حب الشعير ؛ جاء على لفظ النسب وليس بنسب » .

(٥) حاشية الأصل : « أم أبان الكبرى هى ابنة عثمان بن عفان ، وهى التى نسب بها عبد الرحمن ابن الحكم » .

(٦) البداء : المرأة الكثيرة لحم الفخذين ، والخود : الناعمة .

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس : قال الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ : ألا أَدُلُّكم على المَحْمَدَةِ بلا مَرْزِئَةٍ ؟ الخُلُقُ السَّجِيحُ[1] ، والكَفُّ عن القَبيح . ألا أُخْبِرُكُمْ بأَدْوَإ الداء ؟ الخُلُقُ الدَّنِيء ، واللسان البَذِيء .

وقال الأحنف : ثلاثٌ فِيَّ ما أقولُهُنَّ إلا ليَعْتَبِرَ مُعْتَبِرٌ : ما دخلت بين اثنين حتى يُدْخِلاني بينهما ، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم أُدْعَ إليه ، — يعني السُّلْطان — ولا حَلَلْتُ حَبْوَتِي إلى ما يَقُومُ إليه الناس .

تَكْسِر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم ، وتفتحها إذا أردتَ المصْدر : أنشدني عُمارةُ بن عَقِيلٍ لِجَرِيرٍ :

قُتِلَ الزُّبَيْرُ ، وأَنْتَ عاقِدُ حُبْوَةٍ   قُبْحًا لِحُبْوَتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ !

ويقال في جمع حُبْوَةٍ : حِباً وحُباً ، مقصوران .

وقال عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ : ما أَحْسَنَ الحَسَنَاتِ في آثارِ السَّيِّئَات ! وأَقْبَحَ السيئاتِ في آثار الحَسنات ! ، وأَقْبَحُ من ذا وأَحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئات في آثار السيئات ، والحَسَناتُ في آثار الحسناتِ .

والعَرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين ، ثم ترمي بتفسيرهما جُمْلَةً ، ثِقَةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَه . وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ

(١) الخلق السجيح : السهل .

وقال الآخر :

إِذَا صَدَمَتْنِي الْكَأْسُ أَبْدَتْ مَحَاسِنِي ... وَلَمْ يَخْشَ نَدْمَانِي أَذَاتِي وَلاَ بُخْلِي
وَلَسْتُ بِفَحَّاشٍ عَلَيْهِ وَإِنْ أَسَا ... وَمَا شَكْلُ مَنْ آذَى نَدَامَاهُ مِنْ شَكْلِي

وقال آخر :

كُلْ هَنِيئاً وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئاً ... ثُمَّ قُمْ صَاغِراً فَغَيْرُ كَرِيمِ
لاَ أُحِبُّ النَّدِيمَ يُومِضُ بِالْعَيْـنِ ... إِذَا مَا انْتَشَى لِعِرْسِ النَّدِيمِ

الإيماض : تفتّحُ البرْقِ ولَمْحُهُ . يقال : أوْمَضَتِ المرأةُ إذا ابْتَسَمَتْ ، وإنما ذلك تشبيه لِلَمْعِ ثَنَايَاهَا بِتَبَسُّمِ البرق ، فأراد أنه فتحَ عينَهُ ثم غمّضها بغَمْزٍ .

وقال حسّان بن ثابت :

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
نُوَلِّيهَا الْمَلاَمَةَ إِنْ أَلِمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا ... وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُهَا اللِّقَاءُ

الْمَغْثُ : المُمَاغَثَةُ باليد . واللِّحاءُ : المُلاحاة باللسان ، يقول : يَعْتَذِرُ المسيءُ بأن يقول : كنتُ سكرانَ ، فَيُعذَر .

وقوله : « كأنَّ سَبيئةً » ، يقال سَبَأْتُهَا : إذا اشتريتها سِبَاءً ؛ يعنى الخمرَ ، والسابئُ : الخَمّار .

وقوله : « من بيت رأسٍ » ، يعنى موضعاً : كما يقال حارثُ الجوْلان .

(١) حارث الجولان : الجولان : جبل بالشام ، وحارث : قلة من قلله .

وَمِثْلَ سَرَاةِ قَوْمِكَ لم يُجَارُوا   إلَى رُبُعِ الرِّهَانِ وَلَا الثَّمِينِ[1]

قوله : « تلقَّاها عَرابةُ باليمين » ، قال أصحاب المعانى : معناه بالقُوَّة ، وقالوا مثلَ ذلك فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ[2] ﴾

وقد أحسَنَ كلَّ الاحْسانِ فى قوله :

إذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

يقول : لستُ أحتاج إلى أن أرْحَلَ إلى غيره

وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولَهُ : «فاشرقى بدم الوتين» ، وقال : كان ينبغى أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية[3] المأسورة بمكة وقد نجتْ على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إنِّى نَذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحرَها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبِئْسَ ما جَزَيْتِها » ؛ وقال : « لا نَذْرَ فى معصية ، ولا نذْرَ للإنسان فى غيرِ مِلْكِه » .

ومما لم يُعَب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رَوَاحةَ الأنصارىِّ لما أمَّرَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زَيد وجَعْفَرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ[4] :

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ

فَشَأْنَكِ فَانْعَمِي وَخَلَاكِ ذَمٌّ   وَلا أَرْجِعْ إلَى أَهْلِي وَرَائِي

الحِساءُ : جمع حِسْيٍ ، وهو موضع رَملٍ تحته صَلابَةٌ ، فإذا مَطَرَتِ السماء

(١) الرهان : ما يوضع من المال فى مسابقة الخيل ؛ والثمين : الثمن .

(٢) الزمر ٦٧

(٣) ذكر ابن هشام أنها امرأة رجل من غفار . (وانظر خبر أسرها مع زوجها فى السيرة ٣ : ٣٢٣ — ٣٢٧)

(٤) مؤتة : اسم قرية بالشام ، موضع الغزوة المشهورة .

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (١)

وقال رجل لِسَلْمِ بن نَوْفَلٍ : ما أَرْخَصَ السُّؤْدُدَ فيكم ! فقال سَلْم : أَمّا نَحْنُ فلا نسَوِّدُ إلاّ مَنْ بَذَلَ لنا مالَهُ ، وأَوْطَأَنا عِرْضَهُ ، وامْتَهَنَ فى حاجتنا نفسه . فقال الرجل : إن السُّؤْدُد فيكم لَغالٍ .

ولِسَلْمٍ يقول القائل :

يُسَوَّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ ... بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نَوْفَلِ

وقال معاوية رحمه الله لَعَرَابَةَ بن أَوْس بن قَيْظِيٍّ الأَنْصارِيِّ : بِمَ سُدْتَ قومك؟ فقال : لَسْتُ بسيدهم ، ولكنى رجلٌ منهم ، فَعَزَم عليه فقال : أَعْطَيْتُ فى نائبتهم ، وحَلُمْتُ عن سَفِيهِهِمْ ، وشَدَدْتُ على يَدَىْ حليمهم ، فَمَنْ فَعَلَ منهم مِثْلَ فِعْلى فهو مِثْلى ، ومن قصَّرَ عنه فأنا أفضلُ منه ، ومن تجاوزه فهو أفضل منى .

[مدح الشماخ لعرابة بن أوس]

قال أبو العباس : وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفر ، فجمَعَهُ الطريقُ والشَّمّاخَ بن ضِرار المُرِّىّ ، فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الذى أَقْدَمَكَ المدينة ؟ قال : قَدِمْتُ لأَمْتارَ منها ، فَمَلأَ له عَرابةُ رَواحِلَهُ بُرًّا وتمرا ، وأتحفه بغير ذلك ، فقال الشَّمّاخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بالْيَمِينِ

إذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى ... عَرَابَة ، فاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ

---

(١) سورة القصص ٧٣

بابٌ

[لرجل من رجّاز بنى تميم فى وقعة الجفرة]

قال أبو العباس : أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجّازِ بنى تميم فى وَقْعة الْجُفْرة [1] .

نَحْنُ ضَرَبْنَا الْأَزْدَ بِالْعِرَاقِ   وَالْحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ الْمُرَّاقِ

وَٱبْنَ سُهَيْلٍ قَائِدَ النِّفَاقِ   بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاقِ

إلاَّ بقَايَا كَرَمِ الْأَعْرَاقِ   لِشِدَّةِ الخَشْيَةِ وَالْإِشْفَاقِ

* مِنْ المَخَازِى وَالحَدِيثِ الْبَاقِى *

الأعْرَاق : جمع عِرْق ، يقال : فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرْقِ ، أى الأَصل .

[أقوال فى قلّة النوم]

وقال آخر يَصِفُ ابنه :

أَعْرِفُ مِنْهُ [2] قِلَّةَ النُّعَاسِ   وخِفَّةً فِى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

يخاطب أمّ ابنه . فقوله : « أعرف منه قلة النعاس » ، أى آلذَّكاءَ والحركة .

وكان عبد المَلِكِ بن مَرْوانَ يقول لِمُؤَدِّبِ ولده : عَلِّمْهُمُ الْعَوْمَ ، وَهَذِّبْهُمْ بقلّة النوم .

---

(1) الجفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة بين خالد بن عبد الله بن أسيد — وكان من قبل عبد الملك بن مروان — وبين أهل البصرة ، من أصحاب مصعب بن الزبير ؛ سنة ٧٠ . وانظر الخبر مفصلا فى (معجم البلدان ٣ : ١١٦) .

(2) س : « أعرف فيه » .

على ذلك الرمل نزل الماء ، فَمَنَعَته الصَّلابةُ أن يَغيضَ ، ومَنَعَ الرملُ السَّمائمَ أن تُنَشِّفَه ، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء . يقال : حِسىٌ وأَحساء وحِساء ، ممدودة .

وقوله : « ولا أرجعْ إلى أهـــلى ورائى » مجزوم لأنه دعاء ؛ فقوله : « لا » يعنى الجازمة ، ومعناه : اللهم لا أَرْجِعْ ، كما تقول : زيد لا تَغْفِرله[1] ، فهذا الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهى ، كما تقول : زيد ليَقُمْ ، وزيد لا يَبْرَحْ .

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّماخَ فى قوله :

إِذَا ٱبْنَ أَبِى مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ   فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وِصليكِ جازِر

الوِصل : المَفْصِل بما عليه من اللحم ، يقال : قَطَعَ ٱللهُ أوصاله ، ويقال : وِصْلٌ ، وكِسْرٌ وجِذْلٌ ، فى معنى واحد .

---

(١) ر : « لا يغفر الله له » .

مطِلا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ (١)

وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ ٱقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ المُتَنَظَّرِ

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيدًا،وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ (٢)

* * *

[قال أبو الحسن : كذا أنشده ، «فذلكَ» لأنه لم يَرْوِ أولَ الشعر ، والصواب كسر الكاف ، لأنه يخاطب آمرأة ، ألا تراه قال :

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يابْنَةَ مَالِكٍ وَنَامِي، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي ذَاكِ فاسْهَرِي (٣)]

* * *

قوله :

* يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ *

يريد المُتَتَرِّب،والعَفْرُ والعَفَر: آسمان للتراب ، من ذلك قولهم : عَفَّرَ الله خَدَّه ، ويقال للظَّبْيَة : عَفْرَاءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة ، وكذلك الكَثِيبُ الأَعْفَر .

وقوله : « كالبعير المحسَّر» هو المُعْيِي ، يقال : جَمَلٌ حَسِير ، وناقة حَسِير ، قال الله عزّ وجل : ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (٤)

وقوله :

* وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ ٱقْتِرَابَهُ *

---

(١) مطلا على أعدائه: مشرفا عليهم . يزجرونه : يصيحون به . المنيح: من قداح الميسر، يستعار من صاحبه للتيمن بفوزه المشتهر .

(٢) زيادات ر بعد هذا البيت :

يريحُ عليَّ الليلَ أضيافَ ماجدٍ كريمٍ ومالى سارحاً مال مُقْتِر

(٣) مابين العلامتين تكملة من ر . (٤) سورة الملك ٤

وكذا قال أبو كَبِيرٍ[١] الهُذَلِيُّ :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّناً سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الهَوْجَلِ[٢]

وقال آخر :

فَجَاءَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُسَهَّدًا وَأَفْضَلُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَيْنَيَّ تنامانِ وَلاَ ينامُ قَلْبِي » .

[لعروة بن الورد]

وقال عُرْوَة بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليكِ[٣] :

لَحَا[٤] اللهُ صُعْلُوكاً إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ آلِفاً كُلَّ مَجْزَرِ[٥]

يَنَامُ ثَقِيلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ[٦]

يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالبَعِيرِ المُحَسَّرِ[٧]

وَلَكِنَّ صُعْلُوكاً صَفِيحَةُ وَجْهِهِ كَضَوْءِ سِرَاجِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ[٨]

---

(١) س : « أبو بكير » ، تصحيف .

(٢) حوش الجنان : حديد القلب . مبطناً : ضامر البطن خميصه . والهوجل : الأحمق .

(٣) لقب عروة الصعاليك ، لأنه كان يجمع الفقراء الذين لامال لهم — وهم الصعاليك — فيقوم بأمرهم وينفق عليهم .

(٤) لحا الله : دعاء عليه . والمشاش : العظام الرقيقة . والمجزر : موضع الجزر .

(٥) زيادات ر بعد هذا البيت :

يَعُدُّ الغِنَى من نفسِهِ كلَّ ليلةٍ أصابَ قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ

(٦) يحت الحصى : يفركه .

(٧) طليحا : من الطلح ، وهو الإعياء .

(٨) صفيحة وجهه : بشرة جلده . والقابس : الآخذ شعلة من النار على طرف عود . والمتنور : الذي يبصر النار من بعيد .

ثم قعْ عليها ، فإنك تسبِقُها بالماء ، وكذلك ولد الفزِعة ، كما قال أبو كَبِيرِ الهُذَلِيُّ :

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وهُنَّ عوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهبَّلِ [1]

حَمَلَتْ بِهِ فى لَيْلَةٍ مَزْءودَةٍ كَرْهًا ، وعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزءودة : ذات زُؤْدٍ ، وهو الفَزَعُ ، فمن نصب «مزءودة» فإنما أراد المرأة ، ومن خفض فإنه أراد الليلة ، وجعل الليلة ذات فزَع ، لأنه يُفزَعُ فيها ، قال الله عز وجل : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ [2] ﴾ والمعنى : بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار ؛

وقال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يا أَمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ ، وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر :

* فَنَامَ لَيْلِى وَتَجَلَّى هَمِّى [3] *

وهذا الرجزُ ضدُّ ماقال الآخر فى ولده ، فإنه أقر بأن امرأته غلَبَتْهُ على شَبَهِهِ ، وذلك قوله :

* نِمْتُ وَعِرْقُ الخَالِ لاَ يَنَامُ *

---

(١) الحبك : جمع حباك ؛ وهو مايشد به النطاق ، والنطاق : شقة تلبسها المرأة ترسل أعلاها إلى الركبة بعد شد وسطها بالحباك ، وتدع الأسفل ينجر على الأرض . والمهبل : المكثر اللحم ؛ أو المدعو عليه بالهبل وهو الثكل .

(٢) سورة سبأ ٣٣

(٣) هو رؤبة : وقبله :

* حارثُ قد فرّجْت عنى غمّى *

على التقديم والتأخير ، أراد : لا يأمَنون آقرانه وإن بعدوا ، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضياً ، كما قال زُهَيْر :

وإن[١] أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مسألةٍ يَقُولُ : لاَ غَائِبٌ مَالِى وَلاَ حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأول مجزوماً لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة ، فسيبويه[٢] يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير ، وهو عندى على إرادة الفاء ، لِعِلَّة تَلْزَمُهُ فى مذهبه ، نذكرها فى باب المجازاة إذا جرَى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، فمن ذلك قوله :

يَا أَقْرَعُ بن حَابِس يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه : إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك . وهو عندى على قوله : إن يُصْرَعْ أخوك فأنت تُصْرَعُ يا فتى . ونَسْتَقْصِى هذا فى بابه إن شاء الله تعالى .

وقوله .

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِراسِى *

يقول للمرأة : عَزَزْتِنِى[٣] على شَبَهِهِ ، ويقال: أَنْجَبُ الأولاد ولدُ الفارِكِ ، وذلك لأنها تُبْغِض زوجها ، فيسبقُها بمائه ، فَيَخْرُجُ الشَّبَهُ إليه ، فيخرج الولد مُذكرا . وكان بعض الحكماء يقول : إذا أردت أن تَطَّابَ ولد المرأة فأغْضِبْها .

---

(١) الكتاب ١ : ٤٣٦

(٢) نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى ؛ ونقل المرصفى عن كتاب فرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى ، يحض الأقرع على أن يحكم بالفضل لجرير . (وانظر رغبة الآمل)

(٣) عززتنى : غلبتنى .

والغَيْلُ ما فسرناه .

وأماقولها : « ولا أبَتُهُ مَثِقاً» ، تقول : لم أبِتْهُ مَغِيظاً : وذلك أن الخَرْقاءَ تبِيتُ ولدها جائعاً مَغْموما ، لحاجته إلى الرضاع ، ثم تحركه فى مَهْده حتى يغلبه الدُّوارُ فَيُنَوِّمَه : والكَيِّسة تُشْبِعُه وتُغَنِّيه فى مَهْده ، فَيَسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبَع كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر .

ومن أمثال العرب : « أنا تَئِقٌ، وصاحبى مَئِقٌ ، فكيف نَتَّفِقُ » ؟ التَّئِقُ : المملوء غيظاً وغضباً ، والمئق : القليل الاحتمال ، فلا يقع الاتفاق .

يقول : عَزَّتنى أمُّهُ على الشَّبَهِ ، فذهبتْ به إلى أخواله . وقال آخر :

لقد بَعَثْتُ صاحِباً من العَجَمْ بَيْنَ ذَوى الأَحْلاَمِ وَالْبيضِ اللِّمَمْ (١)

كَانَ أَبُوهُ غَائِباً حَتَّى فَطِمْ .

يقول : لم يُسْقَ غَيْلاً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَمَمْتُ أَنْ أَنْهى أُمَّتِى عن الْغِيلَةِ حتى عَلِمْتُ أن فارسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها ، فلا تضِيرُ أولادَها » . والغيلة : أن تُرْضِعَ المرأة وهى حامل ، أو تُرْضِعَ وهى تغْشَى . ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من العرب والعجم أن ذلك اللَّبَنَ داءٌ .

وقالت أُمُّ تَأبَّطَ شَرًّا : والله ما حَمَلْتُهُ تُضْعاً — ووُضْعاً أيضاً — ولا وَضَعْتُهُ يَتْناً ، ولا سَقَيْتُهُ غَيْلاً ، ولا أَبَتُّهُ مَئِقاً . وقال الأصمعى : ولا أَبَتُّهُ على مَأَقةٍ .

قولها : « ما حملته تضْعاً » . يقال إذا حملت المرأة عند مُقْتَبَلِ الحيض : حَمَلَتْهُ وُضْعاً وتُضْعاً ، وإذا خرجتْ رجْلا المولود من قِبَلِ رأسه قيل : وَضَعَتْهُ يَتْناً : قال الشاعر :

فَجَاءَتْ بِهِ يَتْنًا يَجُرُّ مَشِيمَةً (٢) تُسَابِقُ رِجْلاَهُ هُنَاكَ الْأَنَامِلاَ

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشىءَ عن جهته : جاء به يَتْنا . قال عيسى بن عمر : سألت ذا الرُّمَّةِ عن مسألة ، فقال لى : أَتَعْرِفُ الْيَتْنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قال : فمسألتك هذه يَتْنٌ . قال : وكنت قد قلبتُ الكلام .

---

(١) ذو الأحلام : واحده حلم ، وهو العقل . واللمم : جمع لِمَّة ؛ وهى ما ألمَّ بالمنكب من شعر الرأس .

(٢) المشيمة : ما يكون فيه الولد .

فقال له : إن كانت ترضى باليسير ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى ، فأنا أعرف نفسى ، ادْفَعْها إليها .

[حديث للأصمعى عن ضرار بن القعقاع]

وزعم الأصمعىّ أن حَرْباً كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقمَ الأمر فيها ، ثم مُشِىَ بين الناس بالصُّلْحِ ، فاجتمعوا فى الجامع ، قال : فَبُعِثْتُ وأنا غلام إلى ضِرار بن القَعْقاع من بنى دارم ، فاستأذنتُ عليه ، فأذِنَ لى ، فدخلتُ ، فإذا به فى شَمْلةٍ يَخْلِطُ بِزْرًا لِعَنْزٍ له حَلُوبٍ ، فخبَّرتُهُ بمُجْتَمَعِ القوم ، فأَمْهَلَ حتى أكلتِ العنز ، ثم غسَل الصَّحْفَة وصاح : يا جاريةُ غَدِّينا ، قال: فأتته بزيت وتمر ، قال : فدعانى فَقَذَرْتُهُ[1] أن آكُلَ معه ، حتى إذا قَضَى من أكله حاجة ، وَثَبَ إلى طينٍ مُلْقًى فى الدار ، فغسَل به يَدَهُ ، ثم صاح : يا جارية ، اسقينى ماء ، فأتته بماء ، فَشَرِبَهُ ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه ، ثم قال : الحمد لله ، ماءُ الفُراتِ ، بتمر البصرة ، بزيت الشام ، متى نؤَدِّى شُكْرَ هذه النِّعم ! ثم قال : يا جارية ، علىّ بردائِى ، فأتته بِرِداءٍ عَدَنِىّ ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَةِ .

قال الأصمعىّ : فتجافَيْتُ عنه استقباحاً لِزِيِّهِ ، فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ[2] إلا حُلَّتْ إعظاماً له ، ثم جلس ، فتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف .

---

(١) س « فقذرت » .

(٢) الحبوة : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

باب

[من كلام ابن عباس]

قال أبو العباس : قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يُزَهِّدَنَّكَ فى المعروف كُفْرُ مَنْ كفره ، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه .

(من كلام عبد الله بن جعفر)

وأَنْشِد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر :

إنَّ الصَّنِيعَةَ لاَ تَكُون صَنِيعَةً حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ المصْنَعِ

فقال : هذا رجل يريد أن يُبَخِّلَ الناسَ ، أَمْطِرِ المعروف مَطَراً ، فإن صادف موصعاً فهو الذى قصَدْتَ له ، وإلا كنتَ أَحَقَّ به .

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش : حدثنا المبرّد فى غير الكامل قال : قال الحسَن والحُسَيْنُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جَعْفَرٍ : إنك قد أَسْرَفْتَ فى بَذْلِ المال ، قال : بأبى أنتما وأُمّى ! إن الله عَوَّدَنى أن يُفْضِلَ علىّ ، وعَوَّدْتُهُ أن أُفْضِلَ على عباده ، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فَتُقْطَعَ عنى] .

* *

(ليزيد بن معاوية وقد مر بأعرابية عند خروجه من سجنه)

وَمَرَّ يَزِيدُ بن المُهَلَّب بأعرابية فى خروجه من سِجْن عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة ، فَقَرَتْهُ عَنْزًا ، فقبلَها ، وقال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ فقال : ثمانمائة دينار ، قال : فادْفعْها إليها ، قال ابنه : إنك تريد الرجالَ ، ولا يكون الرجالُ إلا بالمال ، وهذه يُرْضيها اليسير ، وهى بَعْدُ لا تعرِفُكَ .

فلما توافقوا بعَثَ إليهم الأحنفُ: يامَعْشَرَ الأَزْدِ ورَبيعة من أهل البصرة ، أنتم والله أحبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة ، وأنتم جيرانُنا فى الدار ، ويَدنا على العَدُوّ ، وأنتم بدأتمونا بالأمس ، ووطِئْتم حَرِيمَنا ، وحرَّقتم علينا ، فدَفَعْنا عن أنفسنا ، ولا حاجة لنا فى الشر ما أصَبْنا فى الخير مَسْلَكاً ، فتَيمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً [١]

فوجَّهَ إليه زِياد بن عمرو : تَخَيَّرْ خَلَّةً من ثلاثٍ: إن شئت فانْزِلْ أنتَ وقومكَ على حُكْمنا ، وإن شئت فَخَلِّ لنا عن البصرة وارْحَلْ أنت وقومُكَ إلى حيث شئتم ، وإلا فَدُوا [٢] قَتْلانا ، واهْدُروا دِماءَكُمْ ، ولْيُودَ مسعودٌ دِيَةَ المُشْعَرةِ .

قال أبو العباس : وتأويل قوله . « دِيَةَ المُشْعَرة » يريد أمْرَ الملوك فى الجاهلية ، وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكةِ وُدِيَ عشرَ دِياتٍ .

فبعَثَ إليه الأحنفُ: سنختارُ ، فانصرفوا فى يومكم . فهَزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا ، فلما كان الغَدُ بعَث إليهم : إنكم خيرتمونا خِلالاً ليس فيها خِيارٌ ، أما النزول على حُكمكم فكيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دَمًا ؟ وأما ترك ديارنا فهو أخو القَتْلِ ، قال الله عزّ وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ مافَعَلُوهُ إلاَّ قليلٌ [٣]﴾؛ ولكنَّ الثالثةَ إنما هى حَمْلٌ على المال ، فنحن نُبْطِلُ دماءنا ، ونَدِي قَتْلاكم ، وإنما [٤] مسعودٌ رجل من المسلمين ، وقد أذْهبَ اللهُ أمرَ الجاهلية .

---

(١) قاصدة : مستقيمة .
(٢) دوا قتلانا ، من الدية .
(٣) النساء : ٦٦ .
(٤) س : « وأما مسعود » .

(بين زياد بن عمرو العتكى والأحنف بن قيس التميمى)

وحدثنى أبو عثمان [بكر بن محمد][1] المازِنِىُّ عن أبى عبيدة قال : لما أتى زِياد بن عمرو المِرْبَدَ[2] ، فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العَتَكِى[3] ، جَعَلَ فى المَيْمَنة بَكْرَ بن وائل ، وفى المَيْسَرةِ عبد القَيْسِ — وهم لُكَيْز بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلَةَ بن أسَد بن رَبيعة — وكان زِياد بن عمرو العَتَكِىُّ فى القَلْب ، فبلغ ذلك الأحْنَفَ ، فقال: هذا غلام حَدَثٌ ، شأنُهُ الشُّهْرَة ، وليس يُبالِى أين قَذَفَ بنفسه ! فَنَدَبَ أصحابَهُ ، فجاءه حارثةُ بن بَدْرِ الغُدانِىُّ ، وقد اجتمعت بنو تميم ، فلما طلع قال : قُوموا إلى سيِّدكم ، ثم أجلسه فناظَرَهُ . فجعلوا سَعْداً والرِّبَابَ فى القَلْب ، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْقِ الطَّعّان ، المعروف بأخى كَهْمَس ، وهو أحَدُ بَنِى صريم بن يَرْبوع ، فجُعِلَ فى القَلْبِ بحذاءِ الأزْدِ ، وجُعِلَ حارثةُ بن بَدْرٍ فى بنى حَنْظَلَةَ بحِذاء بَكْرِ بن وَائِل ، وجُعِلَتْ عمرو ابن تميم بحذاء عَبْدِ القَيْس ، فذاك حيثُ يقول حارثةُ بن بَدْرٍ للأحنف :

سَيَكْفِيكَ عَبْسٌ أخُو كَهْمَسٍ ... مُقَارَعَةَ الْأزْدِ بالمِرْبَدِ[4]

وتَكْفِيكَ عَمْرٌو عَلَى رِسْلِهَا[5] ... لُكَيْزَ بنَ أفْصَى وَمَا عَدَّدُوا

وتَكْفِيكَ[6] بَكْرًا إذَا أقْبَلَتْ ... بضَرْبٍ يَشِيبُ لَهُ الْأمْرَدُ

---

(١) من س .

(٢) المربد : سوق بالبصرة كانت تباع فيها الإبل .

(٣) كان مسعود بن عمرو من بنى عتيك ؛ وهم بطن من الأزد ؛ استخلفه عبيد الله بن زياد على البصرة ؛ بعد أن هرب إلى الشام مطارداً . فوقف على المنبر يبايع من أتاه ؛ فرماه رجل من أهل فارس فقتله ؛ وعلى إثر ذلك شاعت الفتنة بين الناس ؛ فريق يقول: قتلته الخوارج وفريق يقولون قتلته تميم ؛ (وانظر تفصيل الخبر فى تاريخ الطبرى، حوادث سنة ٦٥) .

(٤) فى البيت إقواء .

(٥) الرسل هنا : اللين والرفق .

(٦) ر : « تكفيك » .

قال الأحنفُ بن قَيْس : فـكثرَتْ علىّ الدِّيات ، فلم أَجِدْها فى حاضرة تميم ، فخرجتُ نحو يَبْرِين[1] ، فسألتُ عن المقصود هناك ، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ ، فإذا شيخٌ جالس بفنائها ، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلةٍ ، مُحْتَبٍ بحبل ، فسلّمْتُ عليه ، وانتسبت له ، فقال : ما فعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : تُوُفِّىَ صلوات الله عليه ! قال: فما فعلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها ؟ قلت له :مات رحمه الله تعالى! قال : فأىُّ خَيْر فى حاضرتكم بعدهما ! قال : فذكرتُ له الدِّياتِ التى لزمَتْنا للأزْدِ ورَبيعة . قال : فقال لى : أقِمْ ، فإذا راعٍ قد أراحَ ألْفَ بعير ، فقال :خُذْها ، ثم أراحَ عليه آخر مثلَها ، فقال: خذْها ، فقلت لا أحتاج إليها ، قال : فانصرفت بالألف عنه ، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة !

قوله «المَناسِم » واحدها مَنْسِمٌ ، وهو ظُفُرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخف ، وهو من البعير كالسُّنْبُكِ من الفرَس .

وقوله :

* عشيّة سالَ المِرْبَدانِ كلاهما *

يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه ، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جَرَيَا فى بابٍ واحد ، قال الفرزدق :

أَخذْنا بِآفاق السَّماءِ عَلَيْكمُ   لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر ؛ لأنَّهما قد اجتمعا فى قولك : « النَّيِّرانِ » ، وغُلِّبَ الاسم المُذكَّرُ ، وإنما يُؤْثر فى مثل هذا الخِفَّة ، وقالوا : « العُمَرانِ» لأبى بكرٍ وعُمرَ

---

(١) يبرين : قرية كثيرة النخل فى بلاد البحرين .

فاجتمع القوم على أن يَقِفُوا أمر مسعود، ويُغمَدَ السيفُ، ويُودَى سائرُ القَتْلَى من الأَزْدِ وربيعة. فضمِن ذلك الأحنف، ودفَع إياسَ بن قتادة المُجاشِعِيَّ رهينةً حتى يُؤَدَّى هذا المالُ، فرَضِيَ به القومُ، ففَخَرَ بذلك الفرزدقُ[1] فقال:

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَى يَدَيْهِ رَهِينَةً لِغَارَىْ مَعَدٍّ يومَ ضَرْبِ الجَمَاجِمِ[2]

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَان كِلَاهُمَا عَجَاجَةَ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالِكَ لَوْ تَبْغِى كُلَيْباً وَجَدْتَهَا أَذَلَّ مِنَ القِرْدَانِ تَحْتَ المَنَاسِمِ[3]

[قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه: لغار[4] مَعَدّ].

ويقال: إن تميماً فى ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفَائها من الأَسَاوِرَةِ[5] والزُّطِّ[6]، والسَّبَابِجَةِ[7] وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفاً، ففى ذلك يقول جرير:

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ وَرَهْطَ مُحَرِّقٍ وَالأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودَا[8]

فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ مُتَسَرْبِلِينَ يَلَامِعاً[9] وَحَدِيدَا

---

(١) من قصيدة يهجو فيها جريراً ويعرّض بالبعيث؛ مطلعها:

وذُّ جرير اللؤم لو كان عانياً ولمْ يَدْنُ من زأرِ الأسودِ الضَّراغِمِ

(٢) الغارانِ: مثنى غار؛ وهو الجيش؛ ومنه قول على يوم الجمل: «ماظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين»!.

(٣) يريد كليب بن يربوع، رهط الفرزدق. والقردان: جمع قراد؛ وهو دويبة تعض الإبل.   (٤) ر: «لغازى معد».

(٥) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً، كالأحامرة. (اللسان).

(٦) الزط: جيل أسود من السند؛ وقيل هم من الهند. (اللسان).

(٧) السبابجة: قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم سبيجى؛ ودخلت الهاء فى جمعه والنسب؛ كما قالوا: البرابرة. (اللسان).

(٨) المحرق: هو عمرو بن هند ملك الحيرة؛ وكان حرق يوم أوارة تسعة وتسعين رجلا من دارم، قبيلة الفرزدق.

(٩) اليلامع: جمع يلمع؛ وهو الدرع هنا. وفى ر: «يلامقا»، جمع يلمق، وهو القباء.

ويروى أن رجلا قال : حضرتُ المَوْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فصاح به صائح : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : يا أمير المؤمنين . فقال رجلٌ من خَلْفِي : دعاه باسم رجل مَيِّتٍ [1] ، مات والله أمير المؤمنين . فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بنى لِهْبٍ ، وهم من بنى نَصْرِ بن الْأَزْدِ ، وهم أزْجَرُ [2] قوم ، قال كُثَيِّرٌ :

سَأَلتُ أَخَا لِهْبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالمِينَ إِلَى لِهْبِ

قال : فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصَاةٌ قد صَكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ ، فقال قائل : أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين ، واللهِ لا يَقِفُ هذا المَوقِفَ أبداً . فالْتَفَتُّ فإذا بذلك اللِّهْبِيِّ بعينه ، فقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل .

---

(١) يريد أبا بكر .

(٢) الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها ، والتفاؤل بطيرانها ؛ وهو ضرب من الكهانة

فإن قال قائل : إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز ، فلم يُصِبْ ، لأن أهل الجمل نادَوْا بعَلِيّ بن أبى طالب رحمة الله عليه : أَعْطِنا سُنَّةَ العُمَرَيْن . فإن قال قائل : فلِمَ لَمْ يقولوا : أَبَوَىْ بكرٍ ، وأبو بكر أفضلهما ؟ فلأنّ عمر اسم مفرد ، وإنما طلبوا الخفة .. وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ لجرير

وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ   نَجْمٌ يُضِيءُ وَلاَ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ   وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أنْشَدَنيه[1] :

وقال آخر[2]

* قَدْنِىَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى *

يريد عبد الله ومُصْعَباً ابنى الزُّبَيْرِ وإنما أبو خُبَيْبٍ عبد الله ، وقرأ بعضُ القُرَّاءِ : ﴿سَلاَمٌ على إِلْيَاسِينَ[3]﴾ فجَمَعَهُمْ على لفظ إِلْيَاسَ ومن ذا قولُ العرب : المَسامِعَةُ ، والمَهَالِبَةَ ، والمَناذِرَةُ ، فجمعَهُمْ على اسم الأب .

والمُشْعَرَة : اسم لِقَتْلى الملوك خاصَّةً ، كانوا يُكْبِرُونَ أن يقولوا قُتِلَ : فلان ، فيقولون أُشْعِرَ فلانٌ ، من إشعار البُدْنِ[4] .

---

(١) زيادات ر : «إنما قال هكذا أنشدنيه لأن غير التوزى يرويه :

* والطَّيّبان أبو بكرٍ ولا عمر *

(٢) زيادات ر : « هو حميد بن الأرقط » ؛ والبيت فى اللسان (قدد) ، وإصلاح المنطق ٣٧٧، ٤٤٤ وبعده :

* لَيْسَ الإمامُ بالشَّحِيحِ المُلْحِدِ *

(٣) سورة الصافات ١٣٠

(٤) البدن ، بالضم : جمع بدنة ؛ وهى الناقة والبقرة وكذا البعير مما ينحر بمكة للهدى . وإشعارها : أن يشق جلدها أو سنامها بمبضع ونحوه حتى يظهر الدم ، ليعلم أنه هدى .

[مما قيل فى المال]

وأنشدنى أبو مُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلِبَةَ بن قيْسِ بن عاصِم :

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصْمًا كَبَبْتُهُ   عَلَى الْوَجْهِ ، حَتَّى خَاصَمَتْنِى الدَّرَاهِمُ

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الخُصُومَــةَ غُلِّبَتْ   عَلَىَّ ، وقالُوا : قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبى الفَضْل العباس بن الفرَجِ الرِّياشِىِّ ، عن أبى زيد الأنصارىّ :

وَلَقَدْ بَغَيْتُ المَالَ مِنْ مَبْغَاتِهِ   والمَالُ وَجْهٌ لِلْفتى مَعْرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبٍ ليحبَّنى   إِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِىِّ بَغِيضُ

وقال آخر — أَنْشَدَنيهِ التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد — :

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا   إِذَا الْكَرَى فى عَيْنِهِ تَمَضْمَضَا

فَقَامَ عَجْلَانَ وَمَا تَأَرَّضَا   يَمْسَحُ بِالْكَفَّيْنِ وَجْهاً أَبْيَضَا

قوله : « وما تأرّضاً » : أى لم يلزم الأرض .

[لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه]

وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد الأنصارىّ — [قال أبو الحسن هو شَبِيبُ ابن البَرْصاء] — :

لَقَــدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِى   إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ

إِذَا الْمُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا   عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ

وَإِنِّى لَأُغْلِى اللَّحْمَ نِيًّا وإِنَّنِى   لِمَنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله : «قوَّامُ السِّنَات»، يريد سريع الانتباه ، والسِّنَة: شدة النُّعاس، وليس

بابٌ

[لذى الرمة فى الزجر]

قال أبو العباس : أنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سَعْدٍ ، قال : أنشدنى أعرابىّ فى قصيدة ذى الرُّمَّة :

أَلاَ يَا ٱسْلَمِى يَا دَارَمَىَّ عَلَى الْبِلَى ... وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكَ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتِ بهما الرُّواةُ ، وهما :

رَأَيْتُ غُرَاباً سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ[1] ... مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرْ

فقُلْتُ : غُرَابٌ لِاغْتِرَابٍ ، وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى، هذِى الْعِيَافَةُ وَالزَّجْرْ

[لجحدر العكلى]

وقال آخر — [قال أبو الحسن : هو جَحْدَرٌ العُكْلِىُّ ، وكان لِصًّا] — :

وَقِدْمًا هَاجَنِى فَازْدَدْتُ شَوْقًا ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

[« وقَدْمًا » عن أبى الحسن]

تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِىٍّ ... عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ[2]

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى ... وَفِى الْغَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ

---

(١) القضبة : واحدة القضب ؛ وهو شجر له ورق كورق الكمثرى ، إلا أنه أرق وأنعم.

(٢) الغرب والبان : ضربان من الشجر .

يَدَاهُ وكَاهِلُهُ »[١] يقول : كان ذلك أعزَمافيه ، ويقال : لَهِجَ الفَصِيلُ فهو لَهُوجٌ إذا لَزِمَ الضَّرْعَ ، ويقال : رجل مُلْهِجٌ : إذا لَهِجَتْ فِصَالُهُ ، فيتَّخِذ خِلالا ، فَيَشُدُّه على الضَّرْعِ ، أوعلى أنف الفصيل ، فإذا جاء لِيَرْضَعَ أَوْجَعَهَا بالخلال فَضَرَحَتْهُ[٢] عنها برجلها ؛ قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار :

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّما ... يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارِضُ : أَوّلُ مَا يَبْدُو من النبت ، والبُهْمَى يشبه السُّنْبُلَ ، يقول : فهو لِمَا اعتاد هذا المَرْعَى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمَى . وسَفاها : شوكُها . فيقول : كأنه مخلول عن البُهمى ، أى يراها كالأخِلَّةِ .

وقوله « ذو تُومتين » فالتُّومةُ فى الأصل الحَبَّةُ[٣] ، ولكنها فى هـذا الموضع التى تُعَلَّقُ فى الأذن . وكالبيت الأخير قوله :

وَإِنِّى لَأُغْلِى لَحْمَها وَهْىَ حَيَّـةٌ ... وَيَرْخُصُ عِنْدِى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ

بِذَا فانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإِنَّنِى ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ

---

(١) البيت بتمامه

تَمِيم فلوناه فأكمِلَ صُنْعُهُ ... فتمّ ، وعزّته يداه وكاهلُه

وانظر ديوانه ١٣٠ . (٢) ضرحته : دفعته .

(٣) زيادات ر: « وقوله « الحبة » إنما معناه من حبات النظم » .

بالنوم بعينه ، قال الله عز وجل : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] ؛ وقال ابن الرِّقاع العامليّ :

لَوْلَا الحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ[2]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ[3]

معنى « رنقت » تهيأت ، يقال : رَنَّقَ النَّسْرُ : إذا مَدَّ جناحيه ليطير ، قال ذو الرُّمَّة[4] :

* على حَدِّ قَوْسَيْنَا كما رَنَّقَ النَّسْرُ *

وقوله : « المُرْغِثُ » : يعنى الَّتى تُرْضِعُ وتُرْغِثُ[5] ولدها ، ويقال لها رَغُوثٌ ، قال طَرَفة :

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله : « يَعُزُّها » ، أى يَغْلِبها ، وقال الله عز وجل : ﴿وَعَزَّنِى فِى الخِطَابِ﴾[6] : يقول : غلبنى فى المُخَاطَبَة ، وأصله من قوله : كان أعزَّ مِنِّى فيها . ومن أمثال العرب : « مَنْ عَزَّ بَزَّ » ؛ وتأويله : من غَلَبَ اسْتَلَبَ . وقال زُهَيْرٌ : « وَعَزَّتْهُ

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٢) جاسم : قرية بالشام ، وفى ر : « عاسم » ، وهو رمل لبنى سعد .

(٣) أقصده : أصابه .

(٤) قبله فى زيادات ر :

* إذ ضربته الريحُ رنّق فوقنا *

وانظر ديوانه ٢١٨

(٥) ر : « يعنى التى ترضع ترغث » . س : « التى ترضع الرغث » .

(٦) سورة ص ٢٣

نَاجٍ : سريع ، والأَيْنُ : الإعْياءُ . والوَجِيفُ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . ونَصَبَ « طَيَّ الليالي » لأنه مصدر من قوله : « طواه الأينُ » ، وليس بهذا الفعل ، ولكنَّ تقديره : طواه الأيْنُ طيًّا مثل طَيِّ الليالى ، كما تقول : زيد يشرب شُرْبَ الإبل ، إنما التقدير يشرب شرباً مثل شرب الإبل ، « فمِثْلَ » نعت ، ولكن إذا حذفتَ المضاف استغنَى بأن الظاهر يُبَيِّنُه ، وقام ما أضيف إليه مَقامه فى الإعْراب ، من ذلك قول الله تبارك تعالى : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ[1] ﴾ ، نُصِبَ لأنه كان : « واسأل أهلَ القريةِ » . وتقول : بنو فلانٍ يَطَؤُهُمْ الطريق ؛ تريد أهلَ الطريق فحذفتَ « أهل » فرفعتَ « الطريقَ » لأنه فى موضع مرفوع ، فعلى هذا فقِسْ إن شاء الله .

وقوله « سماوة الهلال » إنما هو أعلاه ، ونَصَبَ « سماوة » بـ : « طىّ » ، يريد طواه الأينُ كما طوَتِ الليالى سَماوةَ الهلال . والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيْل :

سَماوَتُهُ أَسْمالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وَسائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ[2]

ويروى : « مُعَصَّب » ، وإنما سماوته من قولك : سَماء ، فاعلم . فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيه على التأنيث على أصله ، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء ، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو ، تقول : شَقاوةٌ لأنها من الشَّقوة ، وتقول : هذه آمرأة سَقَّايَةٌ ؛ إذا أردتَ البناء على غير تذكير ، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين ؛ لأن الإعراب عليهما يَقَعُ ، فقلت : سَقَّاءٌ وغَزَّاءٌ يافتى ، فإن أَنَّثْتَ قلت : سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ ، والأَجْوَدُ فيما كان له تذكير

---

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) الأسمال : الأخلاق من الثياب . والمحبّر : الموشى . والأتحمىّ : ضرب من البرود فيه خطوط . والمشرعب ؛ يريد أنه منسوب إلى الشرعبية ؛ وهى ضرب من البرود .

بابٌ

[لعمر بن عبد العزيز حينما سئل : أى الجهاد أفضل ؟]

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أىُّ الجهادِ أفضلُ ؟ فقال : جِهادُك هَوَاك .

[لرجل من الحكماء فى مجاهدة النفس]

وقال رجل من الحكماء : اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ .

[لمحمد بن على بن الحسين فى الزهد]

وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم : مالَكَ من عَيْشك إلا لَذّةٌ تَزْدَلِفُ بك إلى حِمامك ، وتُقَرِّبُك من يومك ، فأيّة أَكْلةٍ ليس معها غَصَصٌ! أَوْ شَرْبَةٍ لَيسَ مَعَهَا شَرَقٌ ! فتأمَّلْ أَمْرَكَ ؛ فكأنك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقود ، والخَيَالَ المُخْتَرَم . أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّون عَقْدَ رحالهم إلا فى غيرها .

قوله : «تَزْدَلِفُ بك إلى حمامك» ، يقول: تُقَرِّبك ؛ ولذلك سميت المُزْدَلِفَة . وقوله عز وجل : ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [1] إنما هى ساعات يَقْرُبُ بعضُها من بعض ، قال العَجّاجُ :

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِما وَجَفَا طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفاً فَزُلَفَا

* سَماوَةَ الهِلالِ حَتى احْقَوْقَفا *

---

(١) سورة هود ١١٤

مُسْتَرْشِدٍ وابن سبيل ، أيُّ الهيآت أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرَى فيها عُمَّالَه ؟ فأومأ إليّ بالخشونة ، فاتخذتُ خُفَّيْنِ مُطارَقَيْن ، ولبستُ جُبَّةَ صوف ، ولثتُ عمامتي على رأسي .

وذخلنا[1] على عمر رحمه الله فصَفَّنا بين يديه : فصَعَّدَ فينا وصَوَّبَ ، فلم تأخُذْ عينُه أحداً غيري ، فدعاني فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثيّ ، فقال : وما تتولىّ من أعمالنا ؟ قلت : البَحْرَيْن ، قال : كم ترتزِق ؟ قلتُ : ألْفاً . قال : كثيرٌ ، فما تصنعُ به ؟ قلتُ : أتقوّتُ منه شيئاً ، وأعود به على أقارِبَ لي . فما فضَلَ عنهم فعلى فُقَرَاءِ المسلمين ، قال : فلا بأسَ ، ارجعْ إلى موضعك ، فرجعتُ إلى موضعي من الصَّفّ ، فصَعَّدَ فينا وصَوَّبَ ، فلم تقع عينه إلا عليَّ ، فدعاني ، فقال : كَمْ سِنُّكَ ؟ قلتُ : خمس وأربعون سنةً ، قال : الآن حين استحكمتَ ! ثم دعا بالطعام — وأصحابي حديثٌ عهدهم بلَيِّنِ العيش ، وقد تجوّعتُ له — فأتى بخبز وأكسارِ بعير ، فجعل أصحابي يعافون ذلك ، وجعلت آكلُ فأُجيدُ ، فجعلت[2] أنظرُ إليه يلحظني من بينهم ، ثم سبقتْ مني كلمةٌ تمنّيتُ أني سُختُ في الأرض ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمَدْتَ إلى ألْيَنَ من هذا ! فزجرني ، ثم قال : كيف قلتَ : فقلتُ : أقول : يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحِين ، فيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم ، ويُطبَخَ لك اللحمُ كذلك ، فتُؤْتَى بالخبز ليِّناً ، واللحم غَريضاً . فسكَّنَ من غَرْبِهِ وقال : أهاهنا غُرْتَ ؟ قلتُ : نعم ، فقال : يا ربيع ،

---

(١) ر ، س : « فدخلنا » .

(٢) س : « ثم جعلت » .

الهمزُ ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار ، وإنما السماء من الواو ، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع ، وسماء كلّ شيْءٍ سَقْفُه .

وقوله : « حتى احْقَوْقَفا » يريد اعْوَجَّ ، وإنما هو افعَوْعَل من الحِقْفِ . والحِقْفُ : النَّقا من الرَّمْلِ يَعْوَجّ ويَدِقُّ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقافِ ﴾[١] أى بموضع هو هكذا .

[لعلى بن أبي طالب فى وصف الدنيا]

وقال رجل لعلىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه[٢] وهو فى خطبته[٣] : ياأمير المؤمنين ، صِفْ لنا الدنيا ، فقال : ما أَصِفُ من دارٍ أولها عَناءٌ ، وآخرها فَناءٌ ، فى حَلالها حِسابٌ ، وفى حَرامها عِقابٌ ، مَنْ صَحّ فيها أَمِنَ ، ومَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ ، ومن اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِن

[مقدم الربيع بن زياد الحارثى على عمر بن الخطاب]

قال الرَّبيعُ بن زِيادٍ الحارثىُّ[٤] : كنتُ عاملاً لأبى موسى الأشْعَرِىّ على البَحْرَيْنِ : فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رحمه الله يأمره بالقدوم عليه هو وعُمّالُه ، وأن يَسْتَخْلِفُوا جميعاً . قال : فلما قَدِمْنا أتيت يَرْفَأَ[٥] فقلتُ : يا يَرْفَأُ ،

---

(١) سورة الأحقاف ٢١ . والأحقاف : رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ؛ وهى مساكن عاد .

(٢) س : « رضى الله عنه » .

(٣) ر ، س : « وهو فى خطبته » .

(٤) س : « رضى الله عنه » .

(٥) يرفأ : مولى عمر بن الخطاب ؛ يقال إنه أدرك الجاهلية ، وحج مع عمر فى خلافة أبى بكر ، وكان حاجبا على بابه . (تاج العروس) .

وقوله : «صلائق» فمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخاً وشَيًّا ، يقال : صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه .

وقوله : « سَبائك » يريد ما يُسْبَكُ من الدقيق فيؤخذ خالصه : يريد الحوَّارَى[1] ، وكانت العرب تُسَمِّى الرُّقاقَ السَّبائك ، وأصله ما ذكرنا .

والصِّناب : صِباغٌ يُتَّخَذُ من الخَرْدَلِ والزبيب ، ومن ذلك قيل للفرس صِنابِىٌّ إذا كان فى ذلك اللونِ ؛ وكان جَرِيرٌ اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ، ففَرِكَتْه[2] جريرا ، وجعلت تحِنُّ إلى زيد . فقال جرير :

تُكَلِّفُنِى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِى بِالْمُرَقَّقِ والصِّنَابِ !
وَقَالَتْ : لا تَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ ، وَمَا ضَمِّى وَلَيْسَ مَعِى شَبابِى !

فقال الفَرَزْدَقُ يجيبه :

فَإِن تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَيُعْوِزْكَ الْمُرَقَّقُ وَالصِّنَابُ[3]
فَقِدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا يَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلَابُ

وأما قوله : « أَكسار بعير » ، فإِن الكِسْرَ[4] والجِدْلَ والوِصْلَ : العَظْمُ يَنْفَصِلُ بما عليه من اللحم .

وأَما قوله : « نَعَى على قوم» فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخهم ؛ قال أبو عبيدة :

---

(١) الحوارى : لباب البر .
(٢) فركته : أبغضته .
(٣) العلجة : مؤنث العلج ؛ وهو الغليظ من كفار العجم .
(٤) الكسر والجدل ، ضبطا فى الأصل بفتح أوله وكسره .

لو نشاء ملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائِقَ ، وسَبائِكَ ، وصِناب ، ولكنى رأيتُ الله عز وجل نَعَى على قوم شَهَواتِهِمْ ، فقال : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا[١]﴾ ، ثم أمَرَ أبا موسى بإقرارى ، وأن يستبدِل بأصحابى .

قوله : «فَلَثْتُها على رأسى» يقول : أدرْتُ بعضها على بعضٍ على غير استواء . يقال : رجل ألْوَثُ إذا كان شديداً ، وذلك من اللَّوْثِ ، ورجل ألْوَثُ إذا كان أهْوَجَ ، وهو مأخوذ من اللُّوثةِ . وحدثنى عبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّلِ قال : سُئل الأصمعىُّ عن المجنون ، المسمى قَيْسَ بن مُعاذ ، فَثَبَّتَهُ وقال : لم يكن مجنوناً ، ولكن كانت به[٢] لُوثةٌ كلُوثةِ أبى حَيَّةَ الشاعر . وقيل للأشعثِ بن قيْس بن مَعْدِ يكَرِبَ الكِنْدِىِّ : بِمَ كنتم تعرفون السُّؤدُدَ فى الصبىّ منكم ؟ قال : إذا كان مَلُوثَ الإزْرَةِ[٣] ، طويلَ الغُرْلة[٤] ، سائلَ الغُرَّةِ[٥] ؛ كأنَّ به لُوثَةً ، فَلَسْنا نَشُكُّ فى سُؤدُدِهِ .

وقوله : «تُوْتَى باللحم غريضاً» يقول : طَرِيًّا ، يقال : لحم غَرِيض ، وشِواء غَرِيض ، يُرَاد به الطَّرَاءُ ؛ قال الغَسَّانِىُّ[٦] :

إذا ما فاتَنِى لَحْمٌ غَرِيض ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِى فاشْتَوَيْت

---

(١) سورة الأحقاف ٢٠ . (٢) ر ، س : « فيه » .

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم ، والإزرة : هيئة الائتزار .

(٤) الغرلة : القلفة . (٥) الغرة فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس — وسيلانها : استطالتها ، وهو هنا استعارة لإشراق الوجه .

(٦) زيادات ر : « هو السموءل » .

طِرَاقُ الخَوَافِي وَاقِعٌ فوْقَ رِيعَةٍ   نَدَى لَيْلِهِ فى رِيشِهِ يترَقْرَقُ[(١)]

قوله : «رِيعةٍ» موضعُ ارتفاعٍ : قال الله عزّ وجل : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾[(٢)] ، وهو جمع ريعةٍ ، وقال الشَّمَّاخُ :

تَعِنُّ لَهُ بِمِذْنَبِ كُلِّ وَادٍ   إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ[(٣)]

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس : وحدثنى العباس بن الفَرَجِ الرِّياشِىُّ عن الأَصْمَعِىِّ قال : قال عَدِىُّ بن الفُضَيْلِ : خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أستحفره بئرًا بالعَذْبَة ، فقال لى : وأَين العَذْبة ؟ قلت : على ليلتين من البصرة ، فتأسّف ألا يكونَ بمثل هذا الموضع ماءٌ . فأَحْفَرَنى ، واشترط علىَّ أن أولَ شارِبٍ ابنُ السَّبيلِ ، قال فحَضَرْتُهُ فى جُمْعة وهو يَخْطُبُ ، فسمعتُه وهو يقول :

يأَيها النـاس ، إنكم مَيِّتُون ، ثم إنكم مَبْعوثون ، ثم إنكم مُحَاسَبون ، فلَعَمْرِى لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ . أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بحِضِيض أرض يَأْتِهِ ، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا فى الطَّلَب .

قال : فأَقَمْتُ عنده شهراً ما بى إلا استماع كلامه .

قوله : «حضيض[(٤)]» يعنى المُسْتَقَرَّ من الأرضِ إذا انْحدَرَ عن الجبل ،

---

(١) الخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ؛ عند القوادم ، وطراقها : ركوب بعضها على بعض .

(٢) الشعراء ١٢٨ .

(٣) تعن : تظهر . والمذنب : مسيل الماء فى الحضيض .

(٤) ر : «قوله بحضيض» .

اجتمع العكاظِيُّون [١] على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ ، ففارسُ تميمٍ عُتَيْبَة بن الحارث بن شِهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ ، صَيَّادُ الفوارس وسَمُّ الفرْسان. وفارسُ قيس عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جَعْفر بن كِلابٍ وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ بن قيسِ بن مسعود بن قيس بن خالد ، أحدُ بنى شَيْبان بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائِل . قال : ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ .

وأما قوله : « أَهِهنا غُرْتَ » ، يقول : ذَهَبْتَ ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض ، وأَنْجَدَ إذا أَتَى نَجْدًا وناحيتَهُ مما ارتفع فى الأرض ، ولا يقال « أغار » إنما يقال : غارَ وأَنْجَدَ . وبيتُ الأعشى يُنْشَدُ على هذا :

نَبِيٌّ يَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ   لَعَمْرِىَ غَارَ فِى الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

وقوله :«فَسَكَّن من غَرْبِهِ» ، يقول : من حَدِّهِ ، وكذلك يقال فى كل شىء : فى السَّيْف والسَّهْمِ والرجل وغير ذلك .

* وقوله : « خفين مطارَقَيْنِ » تأويله : مُطْبَقَيْنِ : يقال : طارَقْتُ نَعْلى إذا أَطْبَقْتَها ، ومن قال : « طَرَقْتُ » أو « أَطْرَقْتُ » فقد أخطأ ، ويقال لكل ما ضُوعِف : فقد طُورِقَ ، قال ذو الرُّمَّة [٢] :

---

(١) العكاظى : منسوب إلى عكاظ ؛ وهم الذين عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ ؛ وهو سوق كانت تقيمه العرب بين نخلة والطائف ؛ فى شوال من كل عام ؛ يجتمع فيه شعراء العرب يتناشدون الشعر .

(٢) زيادات ر : « بعف صفرا » .

قوله صلى الله عليه وسلم : « فى سَرْبه » يقول : فى مَسْلكه ، يقال : فلان واسعُ السَّرْبِ ، وخَلِىُّ السَّرْب ، يريد المَسَالِكَ والمَذَاهِبَ ، وإنما هو مثلٌ مضروب للمصدر والقلب ، يقال : خَلِّ سَرْبَه ، أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء ، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَرِبُ فى الطرُقات ، ويقال : سَرِّبْ علىَّ الإبلَ ، أى أرْسِلْها شيئاً بعد شىء ، فإذا قلت : سِرْبٌ ، بكسر السين ، فإنَّما هو قَطِيعٌ من ظباء ، أو بقر ، أو شاء ، أو نساء ، أو قطًا . قال امْرؤ القيس :

فَعَنَّ لَنا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ   عَذَارَى دَوَارٍ فى المُلاءِ المُذَيَّلِ

دَوارٌ : نسُكٌ يَنْسُكونَ عنده فى الجاهلية ، ودُوَّارٌ ما استدار من الرمل ، ودَوَّارُ سِجْنُ اليمامةِ . قال بعض اللُّصوص[(١)] :

كَانتْ مَنَازِلُنَا الَّتِى كُنَّا بِهَا   شَتَّى ، فَأَلَّفَ بَيْنَنَا دَوَّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ :

فَلَمْ تَرَعَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ   خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقاقِ ابْنِ وَاقِفِ[(٢)]

وكان الحسن يقول : ليس العَجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيف نجا

---

(١) زيادات ر : « واسمه جحدر » .

(٢) نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٢١ : ١٧٥ إلى هدبة بن خشرم ؛ من أبيات أربعة ؛ وبعده :

تضَمَّخْنَ بالجادِىّ حتى كأنما الـ   أنوف إذا استعرضتهنَّ رَواعفُ

وفيها إقواء .

ولا يقال حَضيضٌ إلا بحضْرَةِ جبلٍ ، يقال : حَضِيضُ الجبلِ ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى عنه لأن هذا لا يكون إلا له ، ومن ذلك قول امْرِئُ القيْسِ :

نَظَرْتُ إلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال عليٌّ بن أبى طالب رحمه الله : يابن آدم ، لا تَحْمِلْ هَمَّ يومِكَ الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه ، فإنه إنْ يُعْلَمْ أنَّه مِنْ أَجَلِكَ يأْت فيه رزقك ، واعلم أَنك لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوتِكَ إلا كنتَ خازناً لغيرك فيه .

ويروى للنابغة[٢] :

وَلَسْتُ بِخابِىءٍ أبداً طَعَامًا حِذَارَ غدٍ ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَام

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان آمنا فى سَرْبِهِ[٣] ، مُعافَى فى بَدَنِهِ ، عنده قُوتُ يَوْمِهِ ، كان كَمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافِيرِها » .

---

(١) الضمير يعود على الفرس فى البيت قبله ، وصدره .

« فلمَّا أجنَّ الشَّمْسَ عَنِّى غيارَها ،

(٢) زيادات ر : « هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلة لم يعرفها الأصمعى »

(٣) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها ؛ وإنما السرب ، بفتح السين : المال الراعى » .

عَبْدِ العُزَّى بن قصَيّ ذُكِرَ لِوَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ فقال : محمد بن عبد الله يخطب خَدِيجة بنتَ خُوَيْلِدٍ ! الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفهُ .

وكان الحجاج يقول : إنَّ امرأً أتتْ عليه ساعةٌ من عُمرِهِ لم يَذكُرْ فيها ربَّه ، أو يستغفرْ من ذنبه ، أو يُفكِّرْ في مَعادِه ، لَجَديرٌ أن تطول حَسْرَتُه يوم القيامة .

وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر : أيها الناس ، اقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ ؛ فإنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ ، وأَمْنَعُ شيء إذا سُئِلَتْ ، فرَحِمَ الله امرَأً جَعَلَ لنفسه خِطاماً وزِماماً فقادها بخِطامها إلى طاعة الله ، وعطَفَها بزِمامها عن معصية الله ، فإني رأيت الصَّبْرَ عن محارم الله أيسرَ من الصبر على عذابه .

قوله : « اقدعوا » يقال قَدَعْتُهُ عن كذا : أي منعته عنه ، ومنه قول الشَّمَّاخ :

إذَا مَا اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ مِنْهُ مَكَانَ الرُّمْحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدُوعِ

قوله : «استافهُنَّ» يعني حِماراً يَسْتافُ أُتُناً ، يقول : يَرْمَحْنَهُ إذا اشْتَمَّهُنَّ ، والسَّوْفُ الشَّمُّ .

وقوله :

* مكان الرمح من أَنْفِ القَدُوعِ *

يريد بالقَدُوع المقدوع ، وهذا من الأضداد ، يقال طريق رَكُوبٌ إذا كان يُرْكَبُ ، ورجل رَكُوبٌ للدوابِّ إذا كان يَرْكَبُها ، ويقال : ناقة رَغوثٌ إذا كانت تَرْضِعُ ، وحُوَارٌ رَغوثٌ إذا كانت تُرْضِعُ ، ومثل هذا كثير ، يقال : شاة حَلُوبٌ إذا كانت تُحْلَبُ ، ورجل حَلُوبٌ إذا كان يَحْلُب الشاة ، والقَدُوعُ هاهنا : البعير الذي يُقْدَعُ ، وهو أن يريد الناقةَ الكريمةَ ولا يكون كريماً ، فيُضرَبُ أَنْفُهُ بالرُّمْحِ حتى يَرْجِع : يقال : قَدَعْتُهُ ، وقَدَعْتُ أنفه ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خَطَبَ خَدِيجةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أَسَدِ بن

قال أبو العباس : قوله :

* فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور *

مثلٌ ، يريد أنَّ مجْدَكم الذى بناه آباؤكم متى لم تعْمُرُوه بأفعالكم خَرِبَ وَذَهَبَ . وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب:

لَسْنَا وَإنْ كَرُمَتْ أَوائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كانَتْ أَوَائلُنَا تَبْنِي ، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وكما قال الآخر :

أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ !
إنَّ الْقَدِيمَ إذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ كَسَاعِدٍ فَلَّهُ الْأَيَّامُ مَحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطّفَيْل :

إنى وَإنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسِ عامِرٍ وَفى السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلٰكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا ، وَأَتَّقِي أذاهَا ؛ وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

* * *

[قال أبو الحسن : أنشدَنى هذه الأبياتَ محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُون — ويكنى أبا عبد الله — لعامر بن الطفيل العامرىّ . قال أبو الحسن : قال الأصمعىّ : وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبِّرًا لِحُسْنِ شِعْرِهِ ، وأوّلها :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ : مَالَكَ بَعْدَ مَا أَرَاكَ صَحِيحاً كَالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ !

باب

[لعمارة بن عقيل يحض بنى كعب وبنى كلاب على بنى نمير]

قال أبو الحسن : أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بنى كَعْب وبنى كِلابٍ، ابنىْ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْرِ بن هَوازِنَ على بنى نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَباتٌ وتِراتٌ[1] . وكانت بنو نُمَيْر أعداءَ عُمارة؛ فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوَتَهُمْ، ويحاربهم فى عَشيرتِه، فقال :

رَأَيْنا كُمَا يا بَنِىْ رَبِيعَةَ خُرْتُمَا ... لِعَضِّ الْحُرُوبِ : وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ

وَصَدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فِيكُمَا ... وكَذَّبْتُمَا مَا كَانَ قَالَ جَرِيرُ

أَصَابَتْ نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوْقَ قَدْرِهَا ... فَكُلُّ نُمَيْرِىٍّ بِذَاكَ أَمِيرُ

فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِكُمْ ... فَقَدْ هُدِّمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ

رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوِّ فَقُوِّضَتْ ... مَدَائِنُ مِنْهَا كَالْجِبَالِ وَسُورُ

وَشَيَّدَهَا الْأَمْلَاكُ: كِسْرَى وهُرْمُزٌ ... وَآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً ، وَنَضِيرُ

فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجْدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فِى مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ عَرِيرُ

خَبَطْتُمْ لُيُوثَ الشَّأْمِ حَتَّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتَّى لَا يَهِرَّ عَقُورُ

فَكَيْفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ ... ثَعَالِبُ يَنْحَشْنَ الْحَصَى وَأُبُورُ

---

(١) التراتُ : جمع ترة ، وهى الجناية .

كانت وقعتْ إليها ، فيها رِماحٌ ، وأُرْفِئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة ، فقيل لتلك الرماح : الخَطِّيَّة ، ثم عمّ كلَّ رُمْحٍ هذا النَّسَبُ إلى اليوم . والزَّغْف : الدِّرْع الرقيقة النسج ، والمثوّب : الذى تُصَفِّقُهُ الرياح فَيَذْهَبُ ويجىء ، وهو من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجَعَ . وإنما سُمِّىَ الغَدِيرُ غَدِيراً لأن السيل غادَرَه ، أى تركه]

* * *

قال أبو العباس : وقوله :

* لكم فى مُضِرَّاتِ الحروب ضَرِير *

يقال : رجل ضَرِير إذا كان ذا مشقة على العَدُوّ ، وقال مُهَلْهِلُ بن رَبيعة التَّغْلَبِىّ :

قَتِيلٌ ما قَتِيلُ المَرْءِ عَمْرٍو ⁂ وَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرِ [1]

وقوله : « خبطتم ليوث الشام » يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِىّ ، وهو عُقَيْلُ بن كَعْبِ بن ربيعة .

وقوله : « أُبور » جمع وَبْر [2] ؛ وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز ؛ وقد ذكرنا ذلك قبلُ .

[لعمارة أيضاً فى الحث على الأخذ بالثأر]

وقال عُمارة أيضاً لهم ، أنشدَنيه :

أَلَا لِلّٰهِ دَرُّ الحَىِّ كَعْبٍ ⁂ ذَوِى العَدَدِ المُضَاعَفِ وَالْخُيُولِ

أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ ⁂ يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ

تَنَوَّخَهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يَوْمٍ ⁂ كَفِعْلِ أَخِى الْعَزَازَةِ بِالذَّلِيلِ

---

(١) زيادات ر : « ما » زائدة ؛ وفيها معنى التعظيم .

(٢) الوبْر : دويبة على قدر السِّنّورى .

فقُلْتُ لهـا: هَمِّى الّذِى تَعْلَمِينَهُ   مِنَ الثَّأْرِ فى حَىَّىْ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
إنَ أغْزُ زُبَيْدًا أغْزُ قوْمًا أعِزَّةً   مُرَكَّبُهُمْ فى الحىِّ خَيْرُ مُرَكَّبِ
وَإنْ أغْزُ حَيَّىْ خَثْعَمٍ فَدِمَاؤُهُمْ   شِفَاءٌ ، وخَيْرُ الثَّأْرِ لِلْمُتَأَوِّبِ
فَمَا أدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ   بِأَجْرَدَ طَاوٍ كالعَسِيبِ الْمُشَذَّبِ
وَأَسْمَرَ خَطِّىٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ   وَزَغْفٍ دِلَاصٍ كالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلاحُ آمْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النّاسُ أنّهُ   طَلُوبٌ لِثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطَلِّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس على وجهه ، إلا أنه رَوَى: «مَن رَمَاهَا بِمَنْكِبِ».
السليم: الملدوغ ، وقيل له : «سَلِيم» تفاؤلاً له بالسلامة ، وزُبَيْدٌ وأرْحَبُ: حَيَّانِ من اليمن . والثأر : ما يكون لك عندمن أصاب حَمِيمك ، من التِّرَةِ ، ومن قال « ثار » فقد أخطأ .

والمتأوِّب : الذى يأتيك لطلب ثاره عندك ، يقال: آبَ يئوبُ إذا رَجَعَ . والتَّأْوِيبُ فى غير هذا : السير فى النهار بلا تَوَقُّفٍ .

والأوتار والأَحْقادُ واحدهما وِتْرٌ وحِقْـــدٌ . والأَجْرَدُ : الفرس المتَحَسِّر الشّعر ، والأجرد الضامر أيضاً . والعسيب : السَّعَفَةُ . والمُشَذَّب : الطويل الذى أُخِذَ ماعليه من العُقَدِ والسُّلَّاءِ[1] والخُوص ، ومنه قيل للطويل المُعَرَّقِ : مُشَذَّب .

وخَطِّىٌّ : رمح منسوب إلى الخَطِّ ، وهى جزيرة بالبَحْرَيْنِ ، يقال إنها تُنْبِتُ عصا الرِّماح ؛ وقال الأصمعىّ : ليستْ بها رِماح ، ولكن سفينة

(١) السلاء : شوك النخل .

يقال : سانَّ الفحلُ الناقة فتنوَّخها ، وذلك إذا ركبها من غير أن توطِّأَ له ، ولكن يعترضها اعتراضاً . وتقول العرب: إن ذلك أكرم النِّتاج ، وذلك لأن الولد يخرج صَليباً مُذكَراً ، ويقال لذلك الحملِ الذى يقع من التَّنوُّخ والاعتراض : يَعارَةٌ وعِراضٌ ، يقال: حَمَلَتْهُ عِراضا ، وحملته يَعارةً يافتى .

قال الراعى :

قَلاَئِصَ لاَ يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعَارَةً عِرَاضاً ، وَلاَ يُشْرَيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا

وقال الطِّرِمَّاح :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا(١) ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ

نَضَّجَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةً فِى عِرَاضِ

قوله: «سَبَنْداة» فهى الجَريئةُ الصَّدْرِ ، يقال للجرىء الصدرِ : سَبَنْدى وسبنْتى ، وأصل ذلك فى النَّمِرِ . وزعم الأَصْمَعِىُّ أن الكِراضَ حَلَقُ الرَّحِمِ ، قال : ولم أَسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْر .

وقوله : « نَضَّجَتْهُ عشرين يوما » ، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما : نحو الذى عدَّ ، فلا يخرج الولد إلا مُحْكَما ، قال الحُطَيْئَةُ :

لِأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا(٢) عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ : العِزُّ ؛ والمَصادر تقع على « فَعَالةٍ » للمبالغة ، يقال : عَزَّ عِزًّا وعَزازةً ، كما يقال : الشَّراسةُ والصَّرامَةُ ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾(٣) ، وفى موضع آخر : ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ ﴾(٤) .

---

(١) ر ، س : « سبنتاة وسبنداة » ، وكلاهما جائز . (٢) ر : « عشرا »

(٣) الأعراف ٦٧ (٤) الأعراف ٦١

وَلَيْسُوا مِثْلَ عُشْرِهِمُ وَلَـكِنْ   يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ الْعُقُولِ
فَأَيْنَ فَوَارِسُ السَّلَمَاتِ مِنْهُمْ   وَجَعْدَةُوَالْحَرِيش ذَوُوالْفُضُولِ!
وَأَيْنَ عُبَادَةُ الْخَشْنَاء عنهم[(١)]   إِذا مَا ضَاقَ مُطَّلَعُ السَّبِيلِ!

قوله :

* أَلَا لِلّٰهِ دَرُّ الْحَيِّ كعْبٍ *

يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن ابن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلَانَ بن مُضَر .

وقوله :

* أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ *

يعنى نصر بن شَبَثٍ ، أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبيعة .

وقوله :

* يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَنَنَ الْفُحُولِ *

هو مَثَلٌ ضَرَبَهُ : فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُها الفَحْل . ويُوَرِّعُ : يَكُفُّ وَيَمْنَعُ وَيَدْفَعُ . والوَرَعُ فى الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام ، وجاء فى الحديث : « لا تَنْظروا إلى صومِه ، ولا إلى صلاته ، ولكن انظروا إلى وَرَعِهِ إذا أَشْفَى » : ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم . والسَّنَنُ : القَصْد ، ثم أبان ذلك بقوله :

* تَنَوَّخَهمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يوم *

---

(١) ر : « منهم » .

أَوِ الْبُرْجُمِىَّ حِينَ أَهْدَاهُ حَيْنُهُ لِنَارٍ عَلَيْهَا مُوقِدَانِ وَذَابِحُ
وَرَأْىُ أَبِى سَعْدٍ وَإِنْ كَانَ حَازِمًا بَصِيراً وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ المَسَارِحُ
أَعَارَ بِهِ مَلْعُونَ نَبْهَانَ سَيْفَهُ عَلَى قَوْمِهِ ، وَالْقَوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ
وَنَصْرُ الْفَتَى فِى الْحَرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِى الطَّعْمِ فَاضِحُ

قوله : «لاجزرَ لَحمِى كَلْبَ نَبْهَانَ» أى لأكون جزرَةً له ، والجزرَةُ : البَدَنَةُ تُنْحَرُ ، يقال : أجْزرْتُ فلاناً ، وتركتُ فلاناً جزرًا ، قال عنترةُ العَبْسِىُّ :

إِنْ تَشْتِمَا عِرْضِى فَإِنَّ أَبَاكُمَا جَزَرُ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وقوله :

... كالذى دعا القاسطىَّ حَتْفُهُ وهو نازحِ

فهذا رجل من النَّمِرِ بن قاسِطٍ ، خرج يبتغى قَرَظاً من بُعْدٍ ، فَنَهَشَتْه حَيَّة فمات ، فهو أحد القارِظَيْنِ . والقارِظُ الأول من عَنَزَةَ ، كان خرج مع ابن عَمٍّ له فى طلب القَرَظِ ، فقتله ابن عمه ، لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها ، قال أبو خِرَاش[1] الهذلىُّ :

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرَ فِى الْقَتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقوله : «كالذى دعا القاسطى حتفه» الهاء فى حتفه ترجع على الذى : وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطىَّ حَتْفُه .

---

(١) زيادات ر : «الصحيح أن الشعر لأبى ذؤيب ، وهو بهذه النسبة فى ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ ، من قصيدة مطلعها :

أساءلتَ رسْم الدار أم لم تسائل عن السَّكْن أم عن عهده بالأوائل !»

وقوله : « فَأَيْنَ فَوَارِس السَّلَمات» ، يريد بنى سَلَمَةَ الخَيْرِ ، وبنى سَلَمَةَ الشر ابْنَىْ قُشَيْرِ بن كعب ، وجَمَعَ لأنه يريد الحىَّ أجْمَعَ ، كما تقول المَهَالبةُ والمَسَامِعَةُ ، فتجمعهم على اسم الأب : على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ ، وكذلك المناذرةُ ، وقد مرّت الحجّة فى هذا .

وجَعْدَةُ بن كَعْبٍ والحَرِيشُ بن كعب وبنو عُبادة ، من بنى عُقَيْلِ بن كَعْبٍ . وقال : « الخَشْناء » ، يريد القبيلة ، وذكرها بالخشونة على الأَعْداء .

[سؤال معاوية بن أبي سفيان لدغفل بن حنظلة عن قبائل العرب]

ويروى أن معاوية بن أبى سُفْيان رحمه الله تعالى قال لِدَغْفَلِ بن حَنْظَلَةَ النَّسَّابة : ما تقول فى بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ؟ قال : أعناق ظِباءٍ ، وأعجازُ نساءٍ . قال : فما تقول فى بنى تميمٍ ؟ قال : حَجَرٌ أخْشَنُ : إن صَادَمْتَهُ آذاكَ ، وإن تَرَكْتَهُ تركك . قال : فما تقول فى اليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأَنْوَكُ .

[لعمارة بن عقيل حينما أمره أبو سعد التميمى أن يضع يده فى يد أبى نصر الطائى]

قال أبو العباس : وأنشدنى عُمارةُ لنفسه — وسبب هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم ، يُكْنَى أبا سَعْدٍ ، كان منقطعاً إلى أبى نصر ابن حُمَيْدٍ الطائىّ ، ثم أحد بنى نَبْهَانَ ، وكان أبو نصر والياً على العرب ، وكتب أبو سعد إلى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده فى يد أبى نصر ، فقال عُمارة — :

دَعَانِى أبُو سَعْدٍ وَأهْدَى نَصِيحَةً إلَىَّ ، وَمِمَّا أنْ تَغُرَّ النَّصَائِحُ[1]

لِاجْزِرَ لَحْمِى كَلْبَ نَبْهَانَ كالَّذِى دَعَا الْقَاسِطِىَّ حَتْفُهُ وَهْوَ نَازِحُ

---

(١) زيادات ر : « مما بمعنى ربما » .

إليه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! أنا وافد البراجم ، فقال عمرو : « إن الشَّقِيَّ وافدُ البراجِمِ » . ثم أَمَرَ به فقُذِفَ فى النـار ، ففى ذلك يقول جَرير يُعَيِّرُ الفرزدقَ

أَيْنَ الَّذِينَ بِنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا ... أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ !

وقال أيضاً :

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كما قَدْ خَزِيتُمُ ... وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَـــقِيَّ البَرَاجِمِ

وقال الطِّرِمَّاح :

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِائَةً ... فى جاحِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْخُدَدِ[1]

يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا ... عَمْرٌو؛ وَلَوْلَا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ[2]

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام ، يعنى لطمع البُرْجُمِىِّ فى الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخر[3] :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ... فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ ... أَوِ الشَّىْءِ الْمُلَفَّفِ فى الْبِجَادِ[4]

---

(١) الخدد : أصله : « الخد » ففك إدغامه للقافية ؛ وهو كالأخدود ، حفرة فى الأرض مستطيلة .

(٢) المشتوى : مكان الاشتواء .

(٣) زيادات ر : « ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبي المهوش الفقعسى ؛ وذكر دعبل أنه لأبى المهوش الأسدى ؛ وذكر ابن السيد البطليوسى أنه ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى » .

(٤) أراد وطب اللبن ، يلف بكساء مخطط ، اسمه البجاد .

وقوله : « أوالبرْجمِىّ » فهذا رجل من البَرَاجِمِ ؛ وهم بنو مالك بن حَنْظَلَة كان عمرو بن هِنْدٍ لما قَتَلَ بنى دارِمٍ بأُوارة ، وكان سببّ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنْذِرِ — وكان مُسْتَرْضَعًا فى بنى دارِمٍ ، فى حِجْرِ حاجب بن زُرارة ابن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارِمٍ — انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِهِ وبه نَبِيذٌ ، فَعَبِثَ كما يَعْبَثُ الملوك ، فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله[1] . فى ذلك يقول القائل ؛ وهو عمرو بن مِلْقَطٍ الطائىّ لعمرو بن هند :

فَاقْتُلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى ... فى الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَارَهْ

فَغَزاهم عمرو بن هند ؛ فقتلهم يوم الْقُصَيْبَةِ[2] ويوم أُوارَةَ ، فى ذلك ويقول الأَعْشَى :

وَتَكُونُ فى الشَّرَفِ المُوا ... زِى مِنْقَرًا وَبَنِى زُرَارَهْ

أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا ... يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالأُوَارَهْ

ثم أقْسَمَ عمرو بن هند لَيُحَرِّقَنَّ منهم مائة ، فبذلك سُمِّىَ مُحَرِّقًا ، فأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَقَذَفَهُمْ فى النار ، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتَكْمُلَ بها العِدَّة ، فلما أَمَرَ بها قالت العجوز : أَلا فَتًى يَفْدِى هذه العجوز بنفسه[3] ! ثم قالت : « هيهات صارت الْفِتْيَانُ حُمَماً » ! وَمَرَّ وافدُ البَرَاجِمِ — وهو الذى ذَكَرْنا — فاشْتَمَّ رائحة اللحم ، فظنّ أن المَلِكَ يتّخذ طعاماً ، فَعَرَّجَ إليه فأُتِىَ به

---

(١) زيادات ر : « رمى ناقة بسهم فقتلها ، والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد ابن عبد الله بن دارم » .

(٢) يوم القصيبة لعمرو بن هند على بنى تميم ؛ وهو يوم أوارة . (وانظر معجم البلدان ١ : ٣٦٤ ، ٧ : ١١٤) .

(٣) زيادات ر : « على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة » .

أروحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وأغْتَدِى وحَسْبُكَ بالتَّسْلِيمِ مِنِّى تَقَاضِيَا

كَفَى بِطِلَابِ المَرْءِ مَا لَا يَنالُهُ عَنَاءً، وباليَأْسِ المُصَرِّحِ نَاهِيا!

* * *

[[1] قال أبو الحسن: وربما قال أبو العباس: «مُصَرِّحٌ» بكسر الراء[1]]

* * *

ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

وقال رُؤْبَةُ[2]:

* إنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضِّغَاطا[1] *

وقال آخر:

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور:

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عَلَامَاتٌ مِنَ الْبَذْلِ

جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ الْبَا بِ نُبْلاً كَثْرَةُ الْأَهْلِ

وقوله:

* تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ وَالرءوس *

(١—١) ر: «وربما قال أبو العباس: «مصرح» بكسر الراء، قال أبو الحسن: والكسر أجود».

(٢) زيادات ر: «ليس لرؤبة، وهو لابن أبي نخيلة»، وقال المرصفى: الصواب لأبي نخيلة — وهو اسمه لا كنيته — ابن عدنان بن زائدة؛ إحدى بنى سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر راجز، من مخضرمى الدولتين.

(٣) الضغاط: التزاحم.

تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطْحَاءَ حَوْلًا ... لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بنِ عَادِ

وقوله : « لِلْمَرْءِ ذى الطَّعْمِ » يعنى الراجع إلى عقل ، يقال : ليس فلان بذى طَعْمٍ ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ ، أى ليس بذى عقل ولا معرفة ، وإنما يقال : هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ ، ومَنْ قال « نُزُل » فى هذا المعنى فقد أخطأ .

[لأعرابى يهجو قوما من طيء]

وقال أعرابىّ يَهْجُو قوماً من طَيِّءٍ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ ... جُلُوساً لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ

يَئِسْتُ مِنَ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْغِي ... لَدَيْهِمْ إِنَّنِي رَجُلٌ يَئُوسُ

إِذَا مَا قُلْتُ : أَيُّهُمُ لِأَيٍّ ؟ ... تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرُءُوسُ

قوله : « جلوساً ليس بينهم جليس » ، يقول : هؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفَهم فليس فيهم غيرهم . وهذا من أقبح الهجاء .

ومن أمثال العرب : « سَمْنُهُمْ فى أَدِيمِهِمْ » ، ومعناه فى مَادُومِهِم ، وقيل : أديم ومأدوم مثل قَتِيلٍ ومَقْتولٍ ، وتقول الحكماء : من كثُر خَيرُه كثر زائره

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه : يا بَنِيَّ ، إذا غَدَا عليكم الرجل وراحَ مُسَلِّماً ، فكَفَى بذلك تقاضيا .

وقال آخر :

بابٌ

[أقوال فى المجالس والجلساء]

قال أبو العباس : قال أبو إدريس الخَوْلانِىُّ[1] : المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الْكِرَامِ .

وقيل للأحْنف بن قَيْسٍ أحد بنى مُرَّةَ بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْدٍ : أىُّ المجالس أطْيَبُ ؟ فقال : ما سافر فيه البصر ، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ .

اتَّدَعَ : افتعل من التَّوْدِيعِ ، والأصل «اوْتَدَعَ» : فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون : ايتَزَنَ ياتَزِنُ ، وهو رجل موتَزِنٌ[2] ، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب « افْتَعَلَ » تاءً وتُدْغِمَهَا فى التاء من « افْتَعَلَ » ، فتقول : اتَّدَعَ يَتَّدِعُ ، وهو مُتَّدِعٌ ، ومُتَّزِنٌ[3] ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ ، ومُتَّئِسٌ من اليأس ، تكون الياء كالواو ؛ لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبتْ على حركة ما قبلها فصارت كالواو ، وتكونان واوين عند الضمة : نحو مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ، ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ ، وياءين للكسرة ، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاء ولا تاءَ بعدها ؛ نحو تُرَاثٍ من ورث ، وتُجَاهِ

---

(١) هو عائذ الله بن عبد بن عمرو أبو إدريس الخولانى ؛ قاضى أهل الشام وعالمهم وقاضيهم ؛ روى عن أبى هريرة وأبى ذر وغيرهم . مات سنة ٨٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٥ : ٨٥) .

(٢) ر ، س : « ايتزر ، ياتزر ، وهو رجل موتزر » .

(٣) ر ، س « متزر » .

إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال : أى ليسَ فيهم مُفَضَّلٌ .

ويقال إن الأضْبَطَ بن قُرَيْعِ بنِ عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيم، آذَتْهُ عشيرتُه من بنى سَعْدٍ ، فخرج عنهم ، فجَعَلَ لا يُجاوِر قومًا إلاّ آذَوْهُ فقال : « أَيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا » ، أى أَفِرُّ من الأذَى إلى مثله .

وقال ٱبن عباس رحمه الله : لِجَلِيسِى علىَّ ثلاثٌ : أن أَرْمِيَهُ بِطَرْفِى إذا أقبل ، وأُوَسِّعَ له إذا جلس ، وأُصْغِىَ إليه إذا حَدَّثَ .

وكان القَعْقَاعُ بن شَوْرٍ ، أحد بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَة ٱبن عُكَابَةَ بن صَعْب بن على بن بَكرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفه بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيباً فى ماله . وأعانَهُ على عَدُوِّه ، وَشَفَعَ له فى حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له ، حتى شُهِرَ بذلك . وفيه يقول القائل :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ ... وَلاَ يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وحدثنى التَّوَّزِىُّ أن رجلا جالَسَ قوما من بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ ٱبن كَعْب بن لؤَىِّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالِكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ ، فأساءوا عِشْرَتَهُ ، وَسَعَوْا به إلى معاوية ، فقال :

شَقِيتُ بِكُمْ وَكُنْتُ لَكُمْ جَلِيساً ... فَلَسْتُ جَليسَ قَعْقاعِ بْنِ شَوْرِ
وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ ... غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ [2]

نَسَبَه إلى التَّوْضيع [3] ؛ كقول عُتْبَةَ بن رَبيعةَ بن عَبْدِ شمس بن عبدمَناف لحكيم بن حِزام لما بلغه قَول أبى جَهْل بنِ هشام : ٱنْتَفَخَ وٱللهِ سَحْرُهُ [4]

---

(١) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٤٥٤ وقال : « من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية » . وفى القاموس إنه من التابعين .

(٢) المجمرة : إحدى المجامر التى يوضع فيها الطيب ليتبخر به . والتور : إناء يبل فيه نحو العود والمسك .

(٣) التوضيع : التخنيث .

(٤) يراد بالسحر هنا الرئة .

من الوَجْهِ ، وتُكَأَةٍ . وَإنما ذلك كَرَاهيَة الضمة فى الواو ، وأقرب حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاء فقلبَتْ إليها ، وقد تُقلَبُ للبدل فى غير ضم ، نحو : هذا أتْبَق من هذا ، وضربته حتى أتْكَأْتُه(١) : فلما كانت بعدها تاء افتَعَلَ كان الوجهُ القلب ليقع الإدغام . وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب « المُقْتَضَب » .

وقيل للمُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَة : ما خَيْرُ المجالس ؟ فقال : ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس .

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ؛ إذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارْمِهِمْ بِسَهْمِ الإسلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا فى ذكر الله ؛ فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم ، وإن أفاضوا فى غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ .

قوله : « فارمهم بسهم الإسلام » يعنى السَّلام . وقوله : « فَأَجِلْ سهمك مع سهامهم » ، يعنى أَدْخِلْ معهم فى أمرهم ، فَضَرَبَهُ مَثَلاً ، من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسِرِ .

وقال وهْبُ بن عبد منافِ بن زُهْرَةَ جَدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأُمّهِ :

وَإذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فى مَجْلِسٍ ... فَاخْتَرْ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَقْعُدِ
وَدَعِ الْغُوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ ... وَإِلَى الَّذِينَ يذكّرونك فَاعْمِدِ

---

(١) اتكأته : وجدته على هيئة المتكىء .

على معاوية ، فَحَسَرَ[١] عمامته عن رأسه ، ثم قال : يا معاويه ، أترى لؤمًا !
فقال : **ما أرى إلا كرمًا** . فقال النعمان :

مُعَاوِىَ إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ
لِحَى الْأَزْدِ مَسْدُولاً عَلَيْهَا الْعَمَائِمُ

أَيَشْتِمُنَا عَبْـدُ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً
فَمَاذَا الَّذِى تُجْدِى عَلَيْكَ الْأَرَاقِمُ[٢]

فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ
فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا تزال العرب عَرَبًا ما لَبِسَت العمائمَ ، وتَقَلَّدَتِ السيوف ، ولم تَعْدُدِ الحِلْمِ ذُلاًّ ، ولا التَّوَاهُبَ فيما بينها ضَعَةً .

وقالوا فى تأويل قوله : « مَا لَبِست الْعَمَائِم » ، يقول : ما حافظت على زِيِّهَا . وقوله : « وتقلدت السيوف » يريد الامتناع من الضَّيْمِ . وقوله : « ولم تعدد الحلم ذلا » ، يقول : ما عَرَفَتْ موضع الحلم ، وتأويل ذلك : أن الرجل إذا أَغْضَى للسلطان ، أو أَغْضَى عن الجواب وهو مأسورٌ لم يُقَلْ : حَلُمَ ، وإنما يقال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنْتَصِرًا ، ولا يخاف عاقبة يَـكْرَهُهَا : فهذا الحلم المَحْضُ ، فإذا لم يفعل ذلك ؛ ورأى أن تَرْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ . وقوله : « ولم تر التواهب بينها ضَعَةً » نحوٌ من هذا ،

---

(١) روى أن النعمان قال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤماً ؟ قال : لا ، بل أرى كرماً وخيرا ، فماذا ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار ، قال : أو فعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : لك لسانه .

(٢) الأراقم : هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب ، وهم قوم الأخطل.

وَنَحْرُهُ ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ آسْتِهِ مَنِ آنتَفَخَ سَحْرُهُ اليومَ !

[يزيد بن معاوية والأنصار]

وقال رجل من بنى مَخزوم للأحوص بن محمد بن عبد آلله بن عاصم ابن ثابت بن أبى الأَفْلَحِ الأنصارىّ لِيُؤْذِيَه : أتعرِفُ الذى يقول :

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنْصَارِ [1]

فقال الأَحْوَصُ : [لا أدرى [2]] ، ولكِنِّى أَعْرِفُ الذى يقول :

النَّاسُ كَنَوْهُ أَبَا حَكَمٍ وَآللهُ كَنَّاهُ أَبَا جَهْلِ

أَبْقَتْ رِيَاسَتُهُ لأُسْرَتِهِ لُؤْمَ الفُرُوعِ وَدِقَّةَ الأَصْلِ

وهذا الشعر لحِسان بن ثابت ؛ والبيت الذى أنشده المخزومىّ للأخطَل .

وكان يَزِيدُ بن معاوية عَتَبَ على قوم من الأنصار ، فأَمَرَ كَعْبَ بن جُعَيْلٍ التَّغْلَبىّ بهجائهم ، فقال له كَعْبٌ : أَأَهْجُو الأنصار ! أرَادِّى أنتَ إلى الكُفْرِ بعدالإسلام ! ولكنى أَدُلُّكَ على غلام من الحىّ نَصْرَانِىٍّ : كأنّ لسانَهُ لسانُ ثَوْرٍ — يعنى الأخطَل .

قال : فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمَانُ بن بَشِيرِ بن سَعْدٍ الأنصارىُّ [3]

---

(١) قبله :

لعنَ الإله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصرار

قوم إذا هدر العصيرُ رأيتَهمْ حمرا عيونهمُ من المسطارِ

خلوا المكارمَ لستمُ من أهلِها وخذوا مساحيكم بنى النجار

— صليل وصرار : موضعان . والمسطار : الخمرة المتخذة من أبكار العنب . المساحى : جمع مسحاة ، وهى مجرفة من حديد .

(٢) تكملة من ر ، س

(٣) من كبار الخزرج .

باب

[لبعض الشعراء يمدح أسيلم بن الأحنف]

قال أبو العباس : قال عبد المَلِكِ [بن مَرْوان[١]] لأُسَيْلِمَ بن الأحْنف الأسَدِيِّ : ما أَحْسنُ ما مُدِحْتَ به ؟ فاستعفاه ، فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره ، فلما أبى إلا أن يُخْبِرَهُ ، قال قولُ القائل :

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ
بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّام تَخُبَوْا وَتَرْجِعُوا[٢]

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا[٣]

إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ نَمْنَمُوا
لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا

جَلا الْمِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالْبِيضُ كَالدُّمَى
وَفَرْقُ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ[٤]

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأَوْسِ أحسنُ مما قيل لك — [قال أبو الحسن: هو أبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ] :

---

(١) من س

(٢) المخبون : الذين تخب بهم دوابهم ، من الخبب وهو سرعة العدو.

(٣) من القعقعة ، وهى الصوت ، والمراد أنهم لايتهيبون لقاء الناس .

(٤) المدارى : جمع المدرى ، وهو المشط . وأنزع ، من النزوع ، وهو انحسار الشعر من أعلى الجبين .

وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه .

وكان يقال : أَحْيُوا المعروف بإماتته ؛ وتأويل ذلك أن الرجل إذا اعتدّ بمعروفه كَدَّرَهُ ، وقيل : المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعة .

وكان يقال : كتمان المعروف من المُنْعَمِ عليه كفرٌ ، وذكره من المُنْعِمِ تكدير له .

وقال قَيْسُ بن عاصم : يا بنى تميم ، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه ، وينسى أيادِيَهُ إليكم .

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يرحلَ الرَّكْب
وَقُلْ إنْ تَمَلِّينا فَمَا مَلَّكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْب :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَاحَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ أوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدِى

فلم تَجِدِ الرُّوَاةُ ولا مَنْ يفهم جَواهِرَ الكلام له مَذْهَباً ، وقد ذكر عبد الملك لِجُلَسَائِهِ ذلك فكلٌّ عابَهُ ؛ فقال عبد الملك : فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين ؟ فقال رجل منهم : كنت أقول :

أهِيمُ بِدَعْدٍ مَاحَيِيتُ وَإِنْ أَمُت فَوَاحَزَنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى!

فقال عبد الملك : مَا قلتَ والله أسوأُ مما قاله ، فقيل له : فكيف كنتَ قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال كنتُ أقول :

أهِيمُ بِدَعْدٍ مَاحَيِيتُ فَإِنْ أمُتْ فَلَا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِى خُلَّةٍ بَعْدِى

فقالوا : أنت والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين .

[الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك]

وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ فى مَوْقِفِهِ عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حَضَرَا ، فقال سليمانُ للفرزدق : أنْشِدْنى — وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحاً له — فأنشده :

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ[1]

---

(١) الترة : الثأر .

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِى فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ [1]

[لـكثير فى المدح]

وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا كان يقول : لوَدِدْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأسْوَد — أو العبدَ الأسودَ — إلى هذين البيتين — يعنى نُصَيْباً فى قوله :

مِنَ النَّفرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا ٱنْتَجَوْا
أَقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لُؤَىُّ بْنُ غَالِبِ

يُحَيَّوْنَ بَسَّامِينَ طَوْرًا ، وَتَارَةً
يُحَيَّوْنَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الْحَوَاجِبِ [2]

٭ ٭ ٭

والمختار من الشِّعْر الأولُ قوله :

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا ٱعْتَزَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم ، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ . وقد قال جرير للتَّيْم خلافَ هذا ، وهو قوله :

قَوْمٌ إِذَا ٱحْتَضَرَ الْمُلوكَ وُفُودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

[نقد الشعر نصيب]

وحُدِّثْتُ أن جريراً كان يقول : وَدِدْتُ أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتاً من شعرى — يعنى قول نُصَيْب :

---

(١) حصت : أذهبت شعره . والبيضة ، هنا : لباس الرأس فى الحرب . والتهجاع : النوم الخفيف.
(٢) من الشوس ، وهو النظر بمؤخر العين .

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجالاً   وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبِيدُ

☆ ☆ ☆

ثم نرجع إلى تفسير الشعر .

قوله : يَمُرُّونَ بالدَّهْنا خِفَافاً عِيَابُهُمْ ☆

يعنى قوماً تِجَاراً ، وقد قالوا إنما ذَكَرَ لُصُوصاً ، والأول أَثْبَتُ ، وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب .

وقوله : « بُجْر الحَقَائِبِ » يقول : عِظام ، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُه فنَتَأَتْ متقدمة : رجل أَبْجَرُ ، ويقال لها : البُجْرَةُ والبَجَرَةُ . وفُعْلَةٌ وفَعَلَةٌ تقعان فى الشىء ، يقال : قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ ، وصُلْعَة وصَلَعَةٌ ، ومثل هذا كثير .

وقوله : « على حينَ ألهى الناس » إن شئتَ خفضتَ « حين » وإن شئت نصبت ، أما الخفض فلأنه مخفوض ، وهو اسم منصرف ، وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْرَب ؛ فبنيته على الفتح ، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ، ولو كان الذى أضفته إليه معربا لم يكن إلا مخفوضاً ، وما كان سوى ذلك فهو لحن ، تقول : «جئتك على حينِ زيد» ، و« جِئْتُكَ فى حينِ إِمْرَةِ عبدِ المِلكِ » ، وكذا قولُ النابغة :

عَلَى حِينِ عَاتبْتُ المَشِيبَ على الصِّبَا   وقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ!

إن شئت فتحت ، وإن شئت خفضت ، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن . وكذلك قولهم : « يَوْمَئِذٍ » ، تقول : عجبت من يومِ عبد ٱللهِ ،

سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وهىَ تَلُفُّهُمْ
إلَى شُعَبِ الأكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِبِ[١]

إذَا آنَسُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا — وقَدْ خَصِرَتْ أيدِيهِمُ نارُ غَالِبِ[٢]

فأعرض عن سليمان كالمُغْضَبِ ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا أنْشِدُكَ فى رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها ! فقال : هات ، فأنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لقِيتُهُمْ — قَفَاذَاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَارِبُ[٣]

قِفُوا خَبِّرُونِى عَنْ سُلَيْمَانَ إنَّنِى — لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ[٤]

فعاجُوا فأَثنَوْا بالَّذِى أنْتَ أهْلُهُ — ولَوْ سَكَتُوا أثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوزٌ ومُبْتَدَعٌ لم يُسْبَقْ إليه . على أن الشاعر — وهو أخو هَمْدَانَ — قد قال فى عَصْرِهِ فى غير المدح :

يَمُرُّونَ بالدَّهْنَا خِفَافاً عِيَابُهُمْ — ويَخْرُجْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الحقائبِ

عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ — فَنَدْلاً زُرَيْقُ المَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

وليس شِعْرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر ، وإنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا .

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب : كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل جِلْدته ، فقام الفرزدق وهو يقول :

---

(١) الأكوار : الرحال ، مفردها كور .
(٢) خصرت : بردت .
(٣) قفاذات أوشال : خلف بقعة ذات مياه . مولاك : يريد نفسه . قارب : طالب الماء .
(٤) ودان : قرية قريبة من الجحفة .

القائل قال : فاضْربوا ، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضاً فى قوله : ﴿حتى إذا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ﴾ : ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ فى غير القرآن لَنَصَبَ « الرقاب » ، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلَى .

وقوله : « ندل الثعالب » يريد سرعةَ الثعالب ، يقال فى المَثَلِ : « أكسب من ثَعْلَب » . .

وأما قول نُصَيْب :

ولَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقائِبُ

فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءةً حقائبهم من رِفْدِهِ ، فقد أَثْنَتْ عليه الحقائب من قبل أن يقولوا . وأما قول الأعْشَى :

وإنَّ عِتَاقَ العيسِ سَوْفَ تَزُورُكُمْ ثَناء عَلى أَعْجازِهِنَّ مُعَلَّقُ[1]

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به ، والحادى من ورائها ، كما أن الهادى أمامها .

وأما قول أبى وَجْزَةَ السعدىّ :

رَاحَتْ بِسِتِّينَ وَسْقاً فى حَقِيبَتِها ما حُمِّلَتْ حَمْلَها الأدْنَى ولا السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقاً ، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقاً .

[حديث أبى وجزة وأبى زيد الأسلمى]

وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُّلَمِيَّ ، المعروف بالسَّعْدِيِّ لنزوله فيهم ، ومحالفته إياهم ، كان شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ ، وشَخَصَ

(١) عتاق العيس : نجائب الإبل البيض فى شقرة يسيرة .

لا يكون غيره ، فإذا أضفتَهُ إلى « إذٍ » ، فإن شئت فتحت على ما ذكرتُ لك فى « حين » ، وإن شئت خفضتَ ، لِمَا كان يستحقه اليومُ من التّمكّن قبل الإضافة . تقرأ إن شئت : ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾[١] ، وإن شئت : ﴿مِنْ عذابِ يَوْمَئِذٍ﴾ : على ما وصفتُ لك ، ومن خفض بالإضافة قال : سِيرَ بزيدٍ يَومُئِذٍ ، فأعربته فى موضع الرفع ، كما فعلت به فى الخفض ، ومن قال : ﴿مِنْ خِزْىِ يَوْمَئِذٍ﴾ فبناه قال : سِيرَ بزيدٍ يَوْمَئِذٍ ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنىّ ، كما تقول : دُفِعَ إلى زيد خمسة عَشَرَ دِرْهَماً ، وكما قال عز وجل : ﴿عليها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٢]

وأما قوله :

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ المَالَ نَدْلَ الثعالب *

فزُرَيْقٌ قَبيلة . وقوله « نَدْلاً » مصدر ، يقول : اُنْدُلِى نَدْلاً يا زُرَيْق المَالَ ، والنَّدْلُ : أن تجْذِبَهُ جَذْباً ، يقال : نَدَلَ الرجلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يجْذِبُها مملوءة من البئر ، فنصَب « نَدْلاً » بفعل مضمر وهو « اُنْدُلِى » . وهذا فى الأمر ، تقول : ضَرْباً زيداً ، وشَتْماً عبدَ الله ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل ، فكان الفعلُ فيه أقوى ، فلذلك أضمرته ، ودلّ المصدر على الفعل المضمر ، ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمارُ ؛ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره ، والأمر لا يكون إلا بالفعل ، قال الله عز وجل : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[٣] . فكان فى موضع « اَضْرِبوا » ، حتى كأن

---

(١) المعارج ١١ . (٢) المدثر ٣٠ (٣) القتال ٤

ذَاكَ الْقِرَى ، لاَ قِرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ ۞ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلْوِيَّةَ الْجُدُدَا

أما قول أبي زيد لإبراهيم :

مدحتُ عروةً للندى مصت الثرى ۞ حديثاً ...

فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمداً إنما تَطَعَّما بالعيش ، ودخلا فى النِّعمة ، وخرجا من حدّ السُّوق إلى حدّ الملوك حديثاً ، وذلك بهشام بن عبد الملك ؛ لأنهما كَانا خالَيْه ، وإنما وَلاَّهما عن خُئُول .

وقوله : « فلم تهمم بأن تتزعزعا » ، فإنما هذا مَثَلٌ : يقال : فلانٌ يَهْتَزّ للنَّدَى ، ويرتاح لفعل الخير ، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة :

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ۞ إِذَا لَمْ تَجِدْ عندَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرُورٍ لفعل الخير .

[لأبى رباط فى ابنه]

قال أبو العباس : وأنشدنى التَّوَّزِىُّ لأبي رِباطٍ ، يقول لابنه :

رَأَيْتُ رِبَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ ۞ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِى بِرِّهِ عَتْبُ[1]

إِذَا كَانَ أَوْلاَدُ الرِّجالِ مَرَارَةً ۞ فَأَنْتَ الْحَلاَلُ الحلْوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ أَنِيقٌ وَجَانِبٌ ۞ شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرْكَبُهُ صَعْبُ

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ ۞ كَمَا اهْتَزَّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصنُ الرَّطْبُ[2]

---

(١) أى بر خالص لا عتب فيه ولا لوم .

(٢) البارح : الريح .

أبو زيد الأسلمى يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسمٰعيل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عُمَرَ بن مخزوم — وهو والى المدينة — فاصطحبا ، فقال أبو وجزة : هَلُمَّ فلنشترك فيما نصيبه ، فقال أبو زيد الأسلمىّ : كلاَّ ، أنا أمدحُ الملوك ، وأنت تمدح السُّوَق[١] ، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده : * يابْنَ هِشَامٍ يا أَخَا الكِرَامِ *

فقال إبراهيم : وإنما أنا أخوهم ، وكأنّى لستُ منهم ! ثم أمَرَ به فضُربَ بالسياط .

وامْتَدَح أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيرِ ، فكتبوا إليه بستين وَسْقاً من تمر ، وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنةٍ ، فانْصرَفا ، فقال أبو زيد :

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى ... حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَزَعْزَعَا
نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى ... وحَلَبَتِ الأَيَّامَ وَالدَّهْـرَ أَضْرُعَا
سَقَاهَا ذَوُو الأَرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّمَا ... وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا
بِفَضْلِ سِجَالٍ لَوْ سَقَوْا مَنْ مَشَى بِهَـا ... عَلَى الأَرْضِ أَرْوَاهُمْ جَمِيعًا وَأَشْبَعَا
فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْـلِ مَائِهَا ... مِنَ الرِّىِّ لَمَّـا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعَا
وَزَهَّدَهَا أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فِى الْغِنَى ... مُقَاسَاتُهَا مِنْ قَبْـلِهِ الفَقْرَ جُوَّعَا

وقال أبو وجزة :

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلُوصِى وَهْىَ حَامِدَةٌ ... آلَ الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أَحَدَا
رَاحَتْ بِسِتِّينَ وَسْقاً فى حَقِيبَتِهَا ... مَا حَمَلَتْ حَمْلَهَا الأَدْنَى وَلاَ السَّدَدَا
مَا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ ... سِتِّينَ وَسْقاً ولاَ جَابَتْ بِهِ بَلَدَا

(١) السوق : جمع السوقة ، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان .

قومه، أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة، والخَصْلة الكريمة.

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكْرَمَ جرير بن عبدالله البَجَلِيَّ لما وَرَدَ عليه، فبسط له رِداءه، وعَمَّمَهُ بيده، وقال له: «إذا أتاكم كريمة قومٍ فأكْرِمُوه». هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث.

وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل ورُوده عليه: «يَطَّلِعُ عليكم من هذه الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَن، عليه مَسْحَة مَلِكٍ».

[لصخر بن عمرو الشريد]

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد، يعنى معاويةَ أخاه، وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّانِ من غطفان، فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بينى وبينهم أقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْناً لنفسى عن الخَنا لفعلت ثم قال:

وعاذلةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلومُنِى	ألاَ لاَ تلومِينِى كَفَى اللَّوْمَ مَابِيَا
تَقولُ: ألاَ تَهْجُو فَوارِسَ هاشِمٍ	وَمَالِىَ إذَا أهْجُوهُمُ ثُمَّ مَالِيَا!
أبَى الشَّتْمَ أنِّى قَدْ أصابُوا كَرِيمَتِى	وَأنْ لَيْسَ إهْداءُ الخَنا مِنْ شِمَالِيَا[1]

(١) زيادات ر بعد هذا البيت:

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرةً	وحَيَّيتُ رسماً عند لَيَّة ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحيةً	فحياك ربُّ العرش عنى معاويا!
وهوَّن وجدى أنى لم أقلْ له	كذبتَ؛ ولم أبخل عليه بماليا

قال الأخفش: وأنشدنى الأحول:

* ومالىَ أن أهجوهمُ ثم ماليا *

[أعرابى عند عمر بن هبيرة]

قال : وحدثنى علىّ بن عبد الله قال : حدثنى العُتْبِىُّ قال : أشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىُّ من قصره يوماً فإذا هو بأعرابىّ يَرقصُ جَمَلَهُ الآلُ[1] ، فقال لحاجبه : إن أرادنى هذا فأوْصِلْهُ إلىّ ، فلما دنا الأعرابىُّ سأله فقال : قصدتُ الأمير . فأدْخَلَهُ إليه ، فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر : ما خَطْبُكَ ؟ فقال الأعرابىُّ :

أصْلَحَكَ اللهُ ، قَلَّ مَا بِيَدِى فَمَا أُطِيقُ الْعِيَالَ إذْ كَثُرُوا

ألَحَّ دَهْرٌ أنْحَى بِكَلْكَلِهِ فَأَرْسَلُونِى إلَيْكَ وَانْتَظَرُوا

رَجَوْكَ لِلدَّهْرِ أنْ تَكُونَ لَهُمْ غَيْثَ سَحَابٍ إنْ خَانَهُمْ مَطَرُ

قال : فأخذتْ عمرَ الأرْيَحِيّة ، فَجَعَلَ يَهْتَزُّ فى مجلسه ، ثم قال : أرسلوك إلىّ وانتظروا ؟ إذاً والله لا تجلسُ حتى ترجِعَ إليهم غانماً ، فَأَمَرَ له بألف دينار وردّهُ على بعيره .

قال أبو العباس : وحدثنى أبو إسحاق القاضى إسمعيل بن إسحاق أن الخبر لِمَعْنِ بن زائدة ، وصحَّ ذلك عندى .

* * *

وقوله : «نقائذ بؤس[2]» واحدتها نَقِيذَة . وتأويله أنهم أُنْقِذُوا من بُؤْسٍ ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد ، تقول : هذا نَقِيذَةُ بُؤْسٍ ، تقع الهاء للمبالغة : لأن أصله كالمصدر . كقولك : زيد مَكْرُمَةٌ لأهله ، وزيد كريمة

(١) الآل : ما تراه فى الضحى بين السماء والأرض .

(٢) من كلمة أبي زبد الأسلمى ص ١٨٨

قال أبو العباس ، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر :

إنَّ العَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخامِرُهَا فَشَطْرَهَا نظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُور

يريد ناحيتها وقصدها ، والعَسِير: التى تَعْسِرُ بِذَنَبِها إذا حَمَلَتْ ، أى تشيله وترفعه ، ومنه سمى الذَّنَبُ عوْسَرًا ، أى تضرب بذنبها . ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدِهَا وسُوءِ حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسِرَ العينانِ . والحسير : المُعْيِي ، وفى القرآن : ﴿ يَنْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئاً وهو حَسِيرٌ ﴾[1] .

وقوله :

﴿ سَقَاهَا ذَوُو الْأَرْحَامِ سَجْلا عَلَى الظَّمَا ﴾

فالسَّجْلُ فى الأصل الدَّلْوُ ، وإنما ضربه مَثَلًا لِما فاضَ عليها من ندَى أقاربها ، يقال الدلو — وهى مؤنثة : سَجْلٌ وذَنُوبٌ ، وهما مُذَكَّران ، والغَرْبُ مذكر : وهو الدلو العظيمة ، ويقال: فلان يُساجِلُ فلانا ، أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر . وأصل المُساجلة أن يستَقِيَ ساقيان ، فيُخْرِجُ كلُّ واحدٍ منهما فى سَجْله مثل ما يُخْرِج الآخرُ ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلِب ، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة . وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَب فى قوله :

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال : إن الفَرَزْدق مَرَّ بالفَضْل وهو يَسْتَقِي ، ويُنْشِدُ هذا الشعر ، فَسَرا

(١) سورة الملك ٤ .

وتقول العرب للرجل: راوايةٌ ونَسَّابَةٌ: فتزيد الهاء للمبالغة ، وكذلك عَلاّمَة: وقد تلزمُ الهاءُ في الإسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد ، نحو رَبْعَةٍ ويَفَعَةٍ وصَرورةٍ[1]. وهذا كثير لا تُنزَعُ الهاء منه . فأما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائزٌ فيه ، ولا يَبْلُغ في المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء .

* * *

وقوله[2]:

وَحَلَبتِ الْأَيَّامَ وَالدَّهْرَ أَضْرُعَا

فإنه مَثَلٌ : يقال للرجل المجَرِّب للأمور : فلان قد حَلَبَ الدهْرَ أشْطُرَه أى قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخاء ، وتَصَرَّفَ فى الفقر والغِنى ، كما قال القائل :

قَدْ عِشْتُ فى النَّاسِ أطْوارًا عَلَى طُرُقٍ شَتَّى ، وَقَاسَيْتُ فِيها اللِّينَ وَالْفَظَعَا
كُلًّا بَلَوْت : فَلاَ النَّعْماءُ تُبْطِرُنِى وَلَا تَخَشَّعْتُ مِنْ لَأْوائِها جَزَعا
لا يَمْلأُ الْهَوْلُ صَدْرِى قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلاَ أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ومعنى قوله : «أشْطُرَه» فإنما يريد خُلوفَهُ : يقال : حَلَبْتُها شَطْرًا بعد شَطْرٍ: وأصل هذا من التَّنَصُّفِ ، لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه . وللشَّطر وجهان فى كلام العرب : فأحدهما النصف كما ذكرنا ، من ذلك قولهم: شاطَرْتُكَ مالى ، والوجه الآخر القَصْدُ ، يقال : خُذْ شَطْرَ زَيدٍ ، أى قصدَه ، قال الله عز وجل : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ : أى قصده ، ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[3] .

---

(١) رجل ربعة : بين الطول والقصر . ويفعة : شارف الاحتلام . والصرورة : الرجل الذى لم يحج ولم يتزوج ، وأصله من الحبس .

(٢) انظر ص ١٨٨ (٣) سورة البقرة ١٤٤ .

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ : نعم وأَذْنِبَةٌ .

وقوله :

وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تَقَطَّعا *

يقول : سُقِيتْ هذا السَّجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشاً .
وكَرَبَ في معنى المُقاربةِ ، يقال : كاد يفعلُ ذلك ، وجَعَلَ يفعل ذلك ،
وكَرَبَ يفعلُ ذلك ، أي دنا من ذلك . ويقال : جاء زَيد والخَيْلُ كارِبَتُهُ ،
أي قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ . فأما أَخَذَ يفعلُ ، وجَعَلَ يفعلُ ، فمعناهما أنه قد صار
يفعل ، ولا تقع بعد واحدة منهما : «أن» إلا أن يُضْطَرَّ شاعرٌ . قال الله عز وجل :
﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [1] أي لم يَقْرُبْ من رؤيتها ، وإيضاحه :
لم يَرَها ولم يَكَدْ ، وكذلك : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [2] ،
وكذلك : ﴿ كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ [3] بغير « أَنْ » . ومن أمثال
العرب : كادَ النَّعامُ يطير ، وكاد العَرُوس يكون أميرًا ، وكاد المُنْتَعِلُ يكون
راكِباً . وقد اضْطَرَّ الشاعرُ فأَدْخَلَ « أن » بعد « كاد » ، كما أدخلها هذا بعد
« كَرَبَ » فقال :

* وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا *

وقال رُؤْبَة :

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا [4] *

---

(١) سورة النور ٤٠ .
(٢) سورة النور ٤٣ .
(٣) سورة التوبة ١١٧ .
(٤) يمصح : يدرس .

الفرزدقُ ثيابه عنده ، ثم قال : أنا أُساجلُكَ — ثِقَةً منه بنَسَبه — فقيل له : هذا الفَضْلُ بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال : ما يُساجلك إلا مَنْ عَضَّ بأيْرِ أبيه !

يقال : سَرَا ثوبَهُ ونَضَا ثوبه في معنى واحد ، إذا نزعه ، ويقال : سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا ، وأنشد :

* سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى (١)

وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه . والمواضَحَة مثل المُساجلة ، قال العَجّاجْ :

* تُوَاضِحُ التَّقْرِيبَ قِلْوًا مِخْلَجًا *

أى تُخْرِجُ من العَدْوِ مثل ما يُخْرِجُ : قال الله عزوجل على مَخْرَجِ كلامِ العرب وأمثالهم : ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ (٢) وأصل الذَّنوب الدَّلْوُ كما ذكرتُ لك .

وقال عَلْقمةُ بن عَبَدَةَ للحارث بن أبي شِمْر الغَسَّانِيّ : — [قال أبو الحسن : غير أبي العباس يقول شِمْرٌ ، وبعضهم يقول شَمِرٌ] — وكان أخوه أسيرا عنده ، وهو شَأْسُ بن عَبَدَةَ أَسَرَهُ في وقعة عين أُباغ . — [قال أبو الحسن : غيره يقول إباغ ، بالكسر] — في الوقعة التي كانت بينه وبين المُنْذِرِ بن ماءِ السَّماءِ ، في كلمة له مَدَحَه فيها :

---

(١) بقية البيت كما في زيادات ر :

* وغار النجم إلا قيدَ فتر *

وفيها : « البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك بن أنس » .

(٢) سورة الذاريات ٥٩ .

وحروف المقارَبة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها فى الكتاب المُقْتَضَبِ بغاية الاستقصاء .

وقوله : « أن تَضَلَّعَا » ، معناه أن تمتلئ ، وأصله أن الطَّعام والشراب يَبْلُغانِ الأضلاعَ فيَكْظّانِها[1] ، كذلك قال الأصمعىّ فى قولهم : أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ .

وأما قول أبى وَجْزَة : « راحتْ بسِتِّين وَسْقًا » فالوَسْقُ خمسة أقْفِزةٍ بمُلْجَم[2] الْبَصْرةِ ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دونَ خَمْسةِ أَوْسُق صدَقَة » ، فما كان أقل من خمسة وعشرين قَفيزا بالقَفيز الذى وصفنا ، وهو نصف القفيز البَغْدَادىّ فى أرض الصدقة فلاَ صدقة فيه ، وإنما أراد : أنه أَخَذَ الكتابَ بهذه الأوْسُقِ ، فلذلك قال :

مَا إِنْ رَأَيْتُ قَلُوصاً قَبْلَهَا حَملَتْ سِتِّينَ وَسْقًا وَلاَ جَابَتْ بِهِ بَلَدَا

وأما قوله :

* يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلْوِيَّةَ الْجُدُدا *

فإنما أراد السياط ، وجمع جَديدٍ جُدُدٌ ، وكذلك باب « فَعيلٍ » الذى هو اسم ، أو مضارع للاسم ، نحو قَضِيبٍ وقُضُبٍ ، ورَغيفٍ ورُغُفٍ ، وكذلك سَرير وسُرُرٌ وجَديدٌ وجُدُدٌ ، لأنه يَجْرِى مَجْرِى الأسماء ، وجَرِيرٌ وجُرُرٌ . فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحةٌ لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ ، والفتحة أَخَفُّ من الضمة ، فيجوز أن يُمالَ إليها استخفافاً ، فيقال :

---

(١) من الكظة . (٢) مكيال لأهل البصرة .

فكاد بمنزلة كَرَبَ فى الإعمال والمعنى ، قال الشاعر :

أَغِثْنِي غِيَاثًا يا سُلَيْمَانُ إِنَّنِي سَبَقْتُ إِلَيْكَ المَوْتَ وَالمَوْتُ كَارِبِي
خَشِيَّةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلَّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الأَقَارِبِ

وقوله : «لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعَا» . : يقول : لما قارَبَتْ ذلك ، والوَشِيكُ القريب من الشىء والسريع إليه ، يقال : يُوشِكُ فلان أن يفعل كذا وكذا ، والماضى منه أوْشَكَ ، ووقعتْ بأنْ وهو أجود ، وبغير « أنْ » كما كان ذلك فى « لَعَلَّ » ، تقول : لَعَلَّ زيداً يقوم ، فهذه الجيِّدةُ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾[1] ، و ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[2] ، و ﴿ لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[3] . وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ :

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّاتِى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى ، الأجودُ فيها أن تُسْتَعْمَلَ بأنْ ، كقولك : عسى زيد أن يقوم ، كما قال الله عزّ وجل : ﴿ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾[4] : وقال جلَّ ثناؤه ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[5] : ويجوز طَرْحُ « أَنْ » وليس بالوجه الجيد ، قال هُدْبَةُ .

عَسَى الكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وقال آخر[6]

عَسَى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

---

(١) سورة الأحزاب ٦٣ .
(٢) سورة طه ٤٤ .
(٣) سورة الطلاق ١ .
(٤) سورة المائدة ٥٢ .
(٥) سورة التوبة ١٠٢
(٦) هو سماعة بن أشول النعامى .

بَنِى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا   تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَّتِ
وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَىَّ حَبِيبَةً   بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

قوله : « إذا الحرب العوان » ، فهى التى تكون بعد حَرْب قد كانت قبلها ، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت ، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدّ البِكرِ ، وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز . ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾[1] هو تمام الكلام ، ثم استأنف فقال : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ . والفارضُ : هاهنا المسنّة ، والبِكْرُ الصغيرة ، ويقال : لهَاةٌ فارضٌ أى واسعة ، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الْوَتَرِ ، وكل حَزّ فَرْضٌ ، والْفُرْضة مُتَطَرَّق إلى النَّهْرِ : قال الراجز :

* لَهَا زِجاجٌ وَلَهَاةٌ فارِضٌ *

وقوله : « اشْمَعَلَّتْ » ، إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ ، قال الشّماخُ :

رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ   أَرْوَعَ فى السَّفَرِ وَفى الْحَىِّ غَزِلْ
طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ

وقوله :

ولسْتُ وإنْ كانتْ إلىّ حبيبة   بباكٍ على الدنيا . . . .

إنما هو تقديم وتأخير ، أراد : ولست بباكٍ على الدنيا وإن كانت إلىّ حبيبةً ، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمَرَ قبل الذّكرِ ، ومثله :

إِنْ تَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمًا   تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

---

(١) سورة البقرة ٦٨ .

جُدَدٌ وسُرَرٌ ، ولا يجوز هذا فى مثل قَضِيب لأنه ليس بمضاعَفٍ ، وقد قرأ بعضُ القُرّاءِ : ﴿عَلَى سُرَرٍ مَوْضُونةٍ﴾ (١) ، ويقال للسوط : الأَصْبَحِىُّ ، يُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَح الحِمْيَرِىّ ، وكان أوّلَ من اتخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ ، ويقال له : العِرْفاصُ والقَطِيعُ . وقال الشَّمَّاخ :

* تكادُ تَطِيرُ مِنْ رَأْىِ القَطِيعِ *

وقال الصَّلَتانُ العَبْدِىُّ :

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَها وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطِها الأَصْبَحِىُّ

وقال الراعى :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ بِالأَصْبَحِيَّةِ قائِماً مَغْلُولا

وقال الراجز :

* حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ العِرْفاصِ *

وقوله : « وَلاَ جابتْ به بَلَدَا » ، يقول : ولا قَطَعَتْ به ، يقال : جُبْتُ البلاد . وقال الله عزّ وجل : ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ﴾ (٢) . ويقال: رجل جوّابٌ جوّالٌ . وأَنْشَدَنى علىُّ بن عبدالله ، قال: أنشدنى القَحْذَمِىُّ :

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ خَمْسُونَ بالمَعْذُورِ بِالجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ تَرَكَ الصِّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلِ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مُحْكانَ السَّعْدِىِّ ، فقال مُرَّةُ فى ذلك :

---

(١) سورة الواقعة ١٥ . (٢) سورة الفجر ٩ .

وخَصيبٌ، والأصل فى النعت خَصيبٌ ومُخصِبٌ، وجَديبٌ ومُجْدِبٌ، والخِصْبُ والجَدْبُ إنما هما ما حلَّ فيه، وقيل: خَصيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ، وجَدِيبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ، كقولك: عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ، قال ذو الرمة

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ

ويقال: رجل سَميع، أى مُسْمِعٌ، قال عَمْرُو بن مَعْد يكرب:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِى وأَصْحَابِى هُجُوعُ

وأما قوله: «المُمَيَّدُ» فهو موضع التمييد: وكل مَصْدَر زيدتِ الميمُ فى أوله إذا جاوَزَتْ الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفْعول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم المكان، تقول: أَدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريماً، وسَرَّحْتُه مُسَرَّحا حَسَناً، واستخرجتُ الشىء مُسْتَخْرَجا، قال جرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِىَ القَوَافِى فَلاَ عِيًّا بِهِنَّ وَلاَ آجْتِلاَبَا

أى تَسْرِيحِى، وقال عزوجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ [1]، ويقال: قمتُ مَقامًا، وأقمتُ مُقاماً، وقال عزوجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاما﴾ [2]، أى موضع إقامة، وقال الشاعر [3]:

وَمَا هِىَ إلاَّ فى إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مُغَارَ آبْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَىِّ خَثْعَمَا

---

(١) سورة المؤمنون ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان ٦٦ .

(٣) فى زيادات ر قبل هذا البيت :

تطول القصار والطوال يَطُلْنَها فمن يرها لا ينسها ما تكلّما

وفيها نسبة البيتين إلى حميد بن ثور، وقد حقق العلامة المرصفى نسبتهما إلى الطماح بن عامر. (وانظر رغبة الآمل).

وكذلك قول حسّان بن ثابت :

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدَهُ   أَوْ كَانَ مُنْتَسِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ

يقول : من كنتُ واحده قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ ، وكذلك قوله :

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا   رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحِدْجٍ جَمَلاَ

يقول : ركبت هند بِحِدْجٍ جَمَلاً فى شَرِّ يَوْمَيْهَا .

* * *

وقال رجل من مُزَيْنَةَ :

خَلِيلَيَّ بِالْبَوْبَاةِ عُوجَا فَلاَ أَرَى   بِهَا مَنْزِلاً إِلاَّ جَدِيبَ المُقَيَّدِ

نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا   تِهَامَـــةُ فى حَمَّامِهَا المُتَوَقِّدِ

قوله : «بالبوباة» ، فهى المُتَّسَعُ من الأرض ؛ وبعضهم يقول : هى المَوْمَاةُ بعينها ؛ قلبت الميم باء لأنهما من الشَّفَةِ ، ومثلُ ذلك كثير ؛ يقولون : ما آسْمُكَ وبَا آسْمُكَ ؟ ويقولون : ضَرْبَةُ لازِمٍ ولازِبٍ ، ويقولون : هذا ظَأْمِى وظَأْبِى : يَعْنون السِّلْفَ — [قال أبو الحسن : الجيّدُ سِلْفٌ ، وما قال ليس بممتنع] — ويقولون : زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ : أى وَلَدُ سَوْءٍ ، ويقولون : عَجْمُ الذَّنَبِ وعَجْبُ آلذَّنَبِ ، ويقولون : رجل أَخْرَمُ وأَخْرَبُ : وهذا كثير . وقال عُمَرُ بن أبى ربيعة :

عُوجَا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلاَ   وَالرَّبْعَ مِنْ أَسْمَاءَ وَالمَنْزِلاَ

بِجَانِبِ الْبَوْبَاةِ لَمْ يَعْدُهُ   تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلاَ

وقوله : « إلا جَدِيبَ المُقَيَّدِ » ، يقال : بلد جَدْبٌ وجَدِيبٌ ، وخَصْبٌ

وهذا معنى كثير حسن جميل .

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائىُّ :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ ٱفْتِرَاقٍ أَجَدَّ فكَانَ دَاعِيَةَ ٱجْتِمَاعِ

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل — وٱعْتَلَّ فى غُرْبَةٍ فتذَكَّرَ أهله :

لَوْ أَنَّ سَلْمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِى وَدِقَّةً فى عَظْمِ سَاقِى وَيَدِى

وَبُعْدَ أَهْلِى وَجَفَاءَ عُوَّدِى عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

قوله : « أبصرت تخدُّدى » ، يريد ما حَدَث فى جسمه من النُّحول ، وأَصل الخَدِّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض ، قال الشَّمَّاخُ :

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ بِطَامِسَةِ الْأَعْلَامِ خَفَّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ : قد تَخَدَّدَ ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ ، وقال آلله عزَّ وجل : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [1] ، وقيل فى التفسير : هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض ، وأشعلوا فيها نِيرانًا فحرَّقوا بها المؤمنين .

وقوله :

* عضَّتْ من الوَجْدِ بأطراف اليد *

فإن الحزين ، والمَغيظ ، والنادِمَ ، والمُتَأَسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جزَعًا ، قال آلله عز وجل : ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [2]

---

(١) سورة البروج ٤ .
(٢) سورة آل عمران ١١٩ .

يريد زمنَ إغارةِ ابن همّامٍ

وأما قوله : « نذقْ بردَ نجدٍ » ، فذاك لأن نجدًا مرتفعة وتهامة غورٌ منخفض ، فنجدٌ باردة .

ويروى عن الأصمعيّ أنه قال : هجم عليَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة . فخرجتُ إلى الطائف لأصومَ بها هربًا من حرّ مكة فلقيني أعرابيّ فقلت له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه ، أما تخاف الحرّ ؟ فقال : من الحرّ أفِرُّ .

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبيع بن خُثَيْمٍ ، فإن رجلا قال له — وقد صلى ليلةً حتى أصبح — أتعبْتَ نفسك ، فقال : راحتَها أطلبُ : إنَّ أفرَهَ العَبيد أكْيَسُهُمْ .

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهلّبِ — ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور فى الشمس — فقال : قد طال وُقوفك فى الشمس ! فقال رَوْحٌ : لِيَطول وقوفى فى الظل .

ومثله من الشعر قوله : [قال أبو الحسن : هو عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ] :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا   وَلَمْ تَدْرِ أَنّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ
لعَلَّ الَّذِى خَوَّفْتِنَا مِنْ وَرَائِنَا   سَيُدْرِكُهُ مِنْ بَعْدِنَا المتخَلِّفُ

ويروى : « لسَرّنا » .

وقال آخر :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لتَقْرُبُوا   وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

باب

[من أمثال العرب]

قال أبو العباس : من أمثال العرب : لم يَذْهَبْ من مالك ما وعَظَك . يقول : إذا ذهب من مالك شيء : فحذرَك أن يَحُلَّ بك مِثْلُه ، فتأديبه إياك عِوَضٌ من ذهابه .

ومن أمثالهم : رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثا . وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به ، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف ، والرَّيْثُ الإبْطاءُ ، وراثَ عليه أَمْرُهُ إذا تأخر .

ومن أمثال العرب : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ . وأصل ذلك أن يَمُرَّ صاحبُ الإبل بالأرض المُكلِئَةِ فيقول : أَدَعُ أَنْ أُعَشِّيَ إبلي منها حتى أَرِدَ على أخرى ، ولا يَدْرِي ما الذي يَرِدُ عليه .

وقريب منه قولهم : « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أَكْيَسُ » . وتأويله أن يَمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِل منه اتِّكالًا على ماءٍ آخر يصير إليه ، فيقال له : أن تَحْمِلَ معك ماءً أَحْزَمُ لك ، فإن أَصبتَ ماء آخر لم يضرك ، فإن لم تَحْمِلْ فخفقتَ من الماء عَطِبْتَ .

ومن أمثالهم : « قد أَحْزِمُ لو أَعْزِمُ » ، يقول: أَعْرِفُ وجه الحَزْمِ فإن عَزَمْتُ فأَمضيتُ الرأي فأنا حازِمٌ ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعني حَزْمي ، ومثله قول النابغة الجَعْدي :

وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ، يقول القائل[1] :

يَا مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ   أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمٍ أَلْوَانَا[2]

سَوْدَاءَ حَالِكَةً وَسَحْقَ مُفَوَّفٍ   وَأَجَدَّ لَوْناً بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا

صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى آخْتِلَافِ فُنُونِهِ   فَأَرَاهُ مِنْـــهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا

قَصَرَ اللَّيَالِى خَطْوَهُ فَتَدَانَى   وَحَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِهِ فَتَحَانَى

وَالمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ   وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِـــوَانَا

قوله :

* أفنى ثلاثَ عمائم ألوانا *

يعنى أن شعره كان أسود، ثم حَدَثَ فيه شيب مع السواد، فذلك قوله: مُفوَّف، والتَّفْويفُ التنقيش، وإنما أخذ من الفُوف، وهى النكتة البيضاء التى تَحْدُثُ فى أظفار الأحْداثِ، وسميت بذلك لشبهها بشجرة يقال لها الفُوفَةُ وجمعها فوفٌ، والسَّحْقُ: الخَلَقُ، يقال عنده: سَحْقُ ثوبٍ، وجَرْدُ ثَوْبٍ، وسَمَلُ ثوبٍ.

وقوله: أَجَدَّ أى اسْتَجَدَّ لونا، والهجان الأبيضُ، وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب .

---

(١) قبله فى زيادات ر :

ذهبَ الشباب فلا شباب جُمانا   وكأن ما قد كان لم يك كانا

وطويت كفّى ياجمانُ على العصا   وكفى جمانَ بطيها حدثانا

(٢) زيادات ر : « ألوانا : صفة لثلاث على المعنى، كأن قال : مختلفات » .

ورِدَاءٍ ؟ فقال : أبالموتِ أخوَّفُ ؟ والله ما أبالى أسَقطتُ على الموت ، أم سَقَطَ الموتُ علىّ .

وقال للحسن ابنِهِ : لَا تَبْدَأ بدعاءٍ إلى مُبارَزَةٍ ،فإن دُعِيتَ إليهافأجِبْ ، فإن طالبها باغ ، والباغى مَصْرُوع .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ فى كِسائِهِ وينام ناحية المسجد ، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ[1] عليه جعلوا يسألون عنه . فيقال : مَرَّ هاهنا آنِفاً ، فَيَصْغُرُ فى قلب المَرْزُبان إذ رآه كبعض السُّوَقِ ، حتى آنتهى إليه وهو نائم فى ناحية المسجد ، فقال المَرْزُبان : هذا والله الْمُلْكُ الهنِىءُ . يقول : لا يحتاج إلى أحْرَاسٍ ولا عُدَدٍ ، فلما جلس عمر امتلأ قلبُ العِلْج منه هَيْبَةً لما رأى عنده من الجِدّ والاجتهاد ، وألْبِسَ من هَيْبَةِ التقوى .

[الكلبى وقد سأله خالد القسرى عن السؤدد]

وقال الكَلْبِىّ : قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْزٍ القَسْرِىُّ : ما تَعُدُّون السُّؤدَد ؟ فقلتُ : أما فى الجاهلية فالرِّياسة ، وأما فى الإسلام فالولاية ، وخَيْرٌ من ذا وذاك التَّقْوَى ، فقال لى : صَدَقْتَ كان أبى يقول : لم يُدْرِكِ الأولُ الشَّرَفَ إلا بالفعل ،ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدركَ بهِ الأولُ . قال : فقلتُ : صدقَ أبوك ، ساد الأَحْنَفُ بحلمه ، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه ، وساد المُهَلَّبُ بجميع هذه الخِلال ،

---

(١) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية « المرزبان » ، والصواب الهرمزان ؟ وكان صاحب تستر » .

أَبَى لِى الْبَلاءُ وَأَنِّى آمْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابى يمدح سَوَّار بن عبد الله :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيَا

فالذى يُحْمَدُ إمضاءُ ما تبين رُشْدُهُ . فأما الإقدام على الغَرَرِ ورُكوب الأمر على الخَطَرِ فليس بمحمود عند ذوى الألباب ، وقد يتحسَّنُ بمثله الفُتَّاكُ ، كما قال[1] :

عَلَيْكُمْ بِدَارِى فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِى رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

فهذا شأن الفُتَّاكِ ، وقال الآخر :

غُلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفَتْكِ لَمْ يُبَلْ[2] أَلَامَتْ قَلِيلًا أَمْ كَثِيرًا عَوَاذِلُهْ

وقال آخر :

وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُشَاوِرَ عَاجِزًا وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ تَهُمَّ فَتَفْعَلَا

فأما قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : مَنْ أَكْثَرَ الفِكْرَةَ فى العَواقِب لم يَشْجُعْ ، فتأويله أنه من فكَّرَ فى ظَفَرِ قِرْنِهِ به ، وعُلُوِّهِ عليه لم يُقْدِمْ ، وإنما كان الحَزْمُ عند علىّ رضى الله عنه أن يَخْطُرَ أمر الدين ثم لا يُفَكِّرَ فى الموت . وقد قيل له : أتقتلُ أهل الشام بالغداة ، وتَظْهَرَ بالعَشِىّ فى إزار

---

(١) زيادات ر : « هو سعد بن ناشب المازنى ، عن الرياشى وغيره » .

(٢) أصله « يبالى » ؛ حذفت الياء للجازم .

العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشَّيبة قبل الكِبَر ، ومن الحياة إلى المماتِ ، فو الذى نفسُ محمد بيَدِه ؛ ما بعد الموت من مُسْتَعتَب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنةُ أو النار».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرنى ربى بتسع : الإخلاصُ فى السِّرِّ والعَلانيةِ ، والعَدْلُ فى الغَضب والرِّضا ، والقَصْدُ فى الفقر والغنى ، وأن أعْفُوَ عمّن ظلمنى ، وأَصِلَ من قَطَعَنِى ، وأُعْطِىَ مَنْ حَرَمَنى ، وأن يكونَ نُطْقِى ذكراً ، وصَمْتِى فِكْراً ، ونَظَرِى عِبْرَةً ».

وحُدِّثْتُ أنه التَقَى حَكِيمانِ ، فقال أحدهما للآخر : إنى لأحِبُّكَ فى الله ، فقال له الآخر : لو علمتَ منى ما أعْلَمُهُ من نفسى لأَبْغَضْتَنِى فى الله . فقال له صاحبُه : لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نَفْسِك ، لكان لى فيما أعْلَمُه من نفسى شغل .

وكان مالِكُ بن دِينار يقول : جاهدوا أَهْوَاءَكُمْ كما تُجاهدون أعداءكم . وكان يقول : ما أَشَدَّ فطامَ الكبير !

وقيل لعمر بن عبد العزيز : أىُّ الجهادِ أفضل ؟ فقال : جِهادُكَ هَواكَ .

وكان الحسن يقول : حادِثوا هذه القلوبَ ، فإنها سريعة الدُّثُور ، واقْدَعُوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلَعَةٌ ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شرِّ غاية .

قوله : «حادثوا» ، مَثَل ، ومعناه : اجْلُوا واشْحَذُوا ، تقول العرب : حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشحَذَه ، وقال زيدُ الخيل :

وَقَدْ عَلِمتْ سَلامَةُ أنْ سَيْفِى كَرِيهٌ كلَّما دُعِيَتْ نزَالِ

فقال لى : صدقتَ ، كان أبى يقول : خيرُ الناسِ للناس خيرهم لنفسه . وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقَى على نفسه من السَّرَق لئلا يُقطَعَ ، ومن القَتل لئلا يُقادَ ، ومن الزنا لئلا يُحدّ . فسَلِم الناس منه باتقائه على نفسه .

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس : وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرِّجال ، قال له عبدالملك يومًا : ما مالكَ ؟ فقال : شيئان لا عَيْلَةَ علىَّ معهما ، الرضا من الله . والغِنى عن الناس . فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له : هلاَّ خبَّرْته بمقدار مالكَ ؟ فقال : لم يَعْدُ أن يكون قليلا فيَحْقِرَنى ، أو كثيراً فيَحْسُدَنى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزَّ الناسِ فليَتَّقِ الله ، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فليَكُنْ بما فى يد الله أوْثَقَ منه بما فى يده . ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على الله » .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « مَنْ سَرَّهُ الغِنى بلا مال . والعِزُّ بلا سلْطان . والكثرة بلا عَشيرة ، فلْيَخْرُجْ من ذُلّ معصية الله إلى عز طاعته ، فإنه واجد ذلك كله » .

وخَطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم فحَمِدَ الله بما هو أهْلُهُ ثم أقْبَلَ على الناس ، فقال : « أيها الناس إن لكم مَعالِم فانتهوا إلى مَعالِمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . فإن العبد بين مَخافتَين : أجَلٌ قد مضى لا يَدْرى ما الله فاعِل فيه . وأجَلٌ باقٍ لا يَدْرِى ما الله قاضٍ فيه . فليأخذ

باب

[لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم]

قال أبو العباس : أُنْشِدْتُ لرجل من الأَعْراب يَرْثى رجلا منهم :

فلوْ كانَ شيْخًا قدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ ... ولَـكِنَّهُ لمْ يعدُ أنْ طَرَّ شارِبُهْ[1]

وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنّ ابْنَ عَمِّهِ ... يُرَى مُقْتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَانِبُهْ

[لحسان يوصى امرأته]

وقال آخر لامرأته[2] :

فإمَّا هَلَكْتُ فلاَ تنْكِحِى ... ظَلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَّادَهَا

يَرَى مَجْدَهُ ثَلْبَ أَعْرَاضِهَا ... لَدَيْهِ ، وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

[لصخر بن حبناء يعاتب أخاه]

وقال آخر : — [قال أبو الحسن : هو ليزيدَ بن حَبْناءَ أو لصَخْرِ بن حَبْناء ، يقول لأخيه] :

لَحَا اللهُ أَكْبَانَا زِنَادًا وَشَرَّنَا ... وَأَيْسَرَنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبَّا

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَالاً وَمَسَّنَا ... زَمَانٌ تَرَى فى حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبَا

جَعَلْتَ لَنَا ذَنْبَاً لِتَمْنَعَ نَائِلاً ... فَأَمْسِكْ، وَلاَ تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

قوله : « أكبانا زناداً » ، الزِّنادُ التى تَقْدَحُ بها النار ، ويقال : أَوْرَى القادِحُ إذا خرجتْ له النارُ ، وأَكْبَى إذا أَخْفَقَ منها : هذا أصله يُضْرَب

---

(١) طر شاربه : طلع ونبت .

(٢) زيادات ر : « حسان بن ثابت » ، والبيتان فى ديوانه ١٣٩ .

أُحادِثُهُ بِصَقْلٍ كُلَّ يَوْمٍ وَأَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قوله: «أَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ»: أى أعضُّه. يقال: عَجَمَهُ إذا عضَّه. والدثور: الدُّروس، يقال: دَثَرَ الرَّبْعُ إذا عَفَا[1]. ومعناه: تعهّدُوهَا بالفكر والذِّكر. وقوله: «فإنها طُلَعَةٌ»، يقول: كثيرة التَّشَوُّفِ والتَّنَزِّى إلى ماليس لها، وأنشد الأصْمعىُّ:

وَلاَ تَمَلَّيتِ[2] مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمُرٍ إلاَّ بِمَا سَرَّ[3] نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَهْ

قال: ويقال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجهها لِتُرِىَ حُسْنَها ثم تُخْفِيه لِتُوهِمَ الحياءَ: خُبَأَةٌ طُلَعَةٌ.

وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول: أيها الناس إنما خُلِقْتُمْ للأَبَدِ؛ ولكنكم تُنْقَلُون من دارٍ إلى دارٍ. ويروى عن المَسِيحِ صلواتُ الله عليه وسلامه أنه كان يقول: إن احتجتم إلى النّاس فكلُوا قَصْدًا وامْشوا جانباً.

ولَمَّا احْتُضِرَ قَيْسُ بن عاصِمٍ قال لبنيه: يا بَنِيَّ، احفظوا عنى ثلاثاً. فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى: إذا أنا مِتُّ فَسَوِّدوا كِبارَكم، ولا تُسَوِّدوا صِغارَكم فيحقِرَ الناسُ كبارَكم، وتَهونوا عليهم. وعَلَيْكُمْ بحِفْظِ المالِ فإنه مَنْبَهَةُ الكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإياكم والمَسْأَلة فإنها أَخِرُ[4] كَسْبِ الرجل.

---

(١) عفت الدار: عفت ودرست، وفى س: «انمحى».

(٢) كذا فى الأصل، بكسر التاء. وفى ر: بفتح التاء؛ وفى الزيادات: «الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير؛ لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها».

(٣) ر، س: «ساء».

(٤) ر: «آخر» بفتح الهمزة وكسر الخاء. وفى الزيادات: بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمد فقد أخطأ، ومعنى آخر أدنى.

قوله : « كان شيئاً ملفغاً » ؛ يقول : كان أمراً مُغَطًّى ، والتمحيص : الاختبار ، يقال : أدخلتُ الذَّهَبَ فى النار فَمَحَّصْتُهُ : أى خرج عنه مالم يكن منه ، وخَلَصَ الذهبُ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] ؛ ويقال : مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه .

وقوله :

أَأَنْتَ أَخِى مَالَمْ تَكُنْ لِى حَاجَةٌ *

تقرير وليس باستفهام ، ولكنَّ معناه : أنى قد بَلَوْتُكَ تُظْهِرُ الإخاءَ فإذا بدت الحاجة لم أَرَ من إخائك شيئاً ؛ وقال الله عزّ وجل : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[2] ؛ إنما هو توبيخ وليس باستفهام ، وهو جل وعزّ العالِمُ بأنَّ عيسى لم يَقُلْهُ . وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب « المُقتَضَب » مُسْتَقْصًى ، ونذكر منه جملةً فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

[لعلى بن أبى طالب فى الشجاع]

وقال علىّ بن أبى طالب رحمه الله : ثلاثةٌ لا يُعْرَفونَ إلا فى ثلاثٍ ، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا فى الحَرْبِ ، ولا الحَليمُ إلا عند الغضَبِ ، ولا الصَّديقُ إلا عند الحاجة .

---

(١) سورة آل عمران ١٤١ .

(٢) سورة الأنعام ١١٦

للرجل الذى يَنبَعِثُ الخيرُ عن[1] يديه ، ويُضرَبُ الإكباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه ، قال الأعشى :

وَزِندُكَ خَيرُ زِنادِ الملو ... كِ صادَفَ مِنهُنَّ مَرخٌ عفارا

وَلَوْ بِتَّ تَقدَحُ فى ظُلمَةٍ ... صَفاةً بِنَبعٍ لَأَورَيتَ نارا[2]

والمَرْخُ والعَفار : شجر تُسرِعُ فيه النار ، ومن أمثالهم : « فى كلِّ شَجرٍ نار ، واستَمجَدَ المَرخُ والعَفار » ؛ واستَمجَدَ : استَكثَرَ ، يقال : أَمجَدْتُه سبًّا وأَمجَدْتُه ذمًّا ، إذا أكثرتَ من ذلك ، ومن أمثالهم : « أَرْخِ يديك واسْتَرْخِ ، إنَّ الزِّنادَ مِنْ مَرْخٍ . »

ويقال : رجل ذو شَغْبٍ إذا كان يَشْغَبُ على خصمه ، ضربه مثلاً للزمان الذى يَهِرُّ على أربابه ، أى يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْبِ .

[لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

رَأَيتُ فُضَيلاً كانَ شَيئاً مُلَفَّفاً ... فَكَشَّفَهُ التَّمحِيصُ حَتَّى بَدا لِيا

أَأَنتَ أَخِى مالَمْ تَكُن لِى حاجَةٌ ... فَإِنْ عَرَضَتْ أَيقَنتُ أَنْ لا أَخا لِيا!

فَلا زادَ ما بَينِى وَبَينَكَ بَعدَما ... بَلَوتُكَ فى الحاجاتِ إِلاَّ تَمادِيا

فَلَستُ بِراءٍ عَيبَ ذِى الوُدِّ كُلَّهُ ... وَلا بَعضَ ما فِيهِ إِذا كُنتُ راضِيا

فَعَينُ الرِّضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلٰكِنَّ عَينَ السُّخطِ تُبدِى المَساوِيا

كِلانا غَنِىٌّ عَنْ أَخِيهِ حَياتَهُ ... وَنَحنُ إِذا مِتنا أَشَدُّ تَغانِيا

---

(١) ر ، س : « على يديه » .

(٢) الصفاة : الصخرة الملساء . والنبع : شجر لا نار له ؛ يريد أنه موفق فى كل أمر .

فَتًى لاَ يَعُــدُّ المَالَ رَبًّا وَلاَ تُرَى
بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَالًا وَلاَ كِبْرُ

فَتًى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِى الرَّوْعِ حَقَّهُ
إِذَا ثَوَّبَ ٱلدَّاعِي ، وتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ

وَهَوَّنَ وَجْدِى أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِى
عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمْرُ

* * *

[قال أبو الحسن : بعضهم يقول هو للأَبَيْرِد الرِّياحِيّ ، وبعد البيت الثالث :

فَلاَ يُبْعِدَنْكَ ٱللهُ : إِمَّا تَرَكْتَنَا حَمِيدًا وَأَوْدَى بَعْدَكَ المَجْدُ وَالْفَخْرُ]

[كلمة على بن أبى طالب فى طلحة حينما رآه مقتولا]

قال أبو العباس : وحدثنى التَّوَّزِىّ قال : حدثنى محمد بن عَبَّاد بن حَبيب ابن المُهَلَّب — أحسبُه عن أبيه — قال : لما انقضى يوم الجَمَل خرج علىٌّ بن أبى طالبٍ رحمه الله فى ليلة ذلك اليوم : ومعه قَنْبَرٌ ، وبيده[1] مَشْعَلَةٌ من نار يَتَصَفَّحُ القَتْلَى حتى وقف على رجلٍ — قال التَّوَّزِىُّ فقلتُ : أهو طَلْحَةُ[2] ؟ قال نعم — فلما وقف عليه قال : أَعْزِزْ عَلَىَّ أبا محمدٍ أَنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت

---

(١) و : « وفى يده » .

(٢) أبو محمد كنية طلحة بن عبيد الله التيمى ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ؛ وأحد الستة أصحاب الشورى رمى يوم الجمل بسهم فى ركبته ؛ فما زال الدم يسيح حتى مات وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٦ ؛ (الإصابة ٣ : ٢٩٠) .

[لعبد الله بن معاوية يمدح]

وقال عبدآلله بن معاوية[1] أيضاً :

أَنَّى يَكُونُ أَخَا أَوْ ذَا مُحافَظَةٍ مَنْ كُنْتَ فى غَيْبِهِ مُسْتَشْعِراً وَجلاَ

إِذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ سُوءاً وَتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

[لعبد الله بن الزبير الأسدىّ يمدح عمرو بن عثمان بن عفان]

وقال آخر[2] :

سَأَشْكُرُ عَمْراً ما تراخَتْ مَنِيَّتِى أَيادِىَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِىَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِى مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكانُها فَكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

[ما تمثل به على بن أبي طالب من الشعر حينما رأى طلحة فى القتلى]

وتمثل علىّ بن أبى طالب رضى آلله عنه فى طَلْحَة بن عُبَيْد الله رحمه آلله :

فَتًى كانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ

إِذَا مَا هُوَ آسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ[3]

---

(١) زيادات ر : «ذكر دعبل فى أخبار الشعراء أن هذا الشعر لعبدالله بن الزبير الأسدى» .

(٢) نسب هذه الأبيات أبو الفرج الأصفهانى إلى عبد الله بن الزبير الأسدى يقولها فى عمرو بن عثمان بن عفان حينما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا ، فدعا وكيله وقال : اقترض لنا مالا ، فقال : هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال : فأربحهم ما شاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانياً عشرة آلاف ، ووجه بها إليه مع تخت ثياب ؛ فقال فيه الأبيات . (الأغانى ١٣ : ٣٣) .

(٣) من أبيات لسلمة بن يزيد الجعفى ؛ أحد الصحابة ، يقولها فى رثاء أخيه قيس ابن يزيد ؛ وقبله :

ألم تعلمى أن لست ما عشت لاقيا أخى إذ أتى من دون أوصاله القبر

وهوّن وجدى أنى سوف أغتدى على إثره يوماً وإن نفس الأمر

(وانظر الإصابة ٣ : ١٢٠) .

فَرَغْتُمْ لِتَمْرِينِ السِّيَاطِ وَأَنْتُمُ ... يُشَنُّ عَلَيْكُمْ بِالْفِنَا كلُّ مَرْبَعِ [1]

فقصر «الفِنَاءَ»، وهو ممدود. وقال الطِّرِمَّاح:

وَأَخْرَجَ أُمُّـهُ لِسَوَاسِ سَلْمَى ... لِمَعْفُورِ الضَّرَا ضَرِمِ الجنين

قوله: «وأَخْرَجَ»، يعنى رَماداً، والأَخْرَجُ الذى فى لونه سواد وبياض، يقال: نَعامةٌ خَرْجاءُ.

وقوله: «لسواس سلمى»، فإنَّ أَجَأَ وسَلْمَى جبَلا طيّء، وسَوَاسُ سَلْمَى: الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى، يقال: هذا من سُوس فُلانٍ ومن تُوس فلانٍ: أى من طَبْعِه. وأُمُّهُ: يعنى الشجرةَ التى هى أصله.

وقوله: «لمعفور الضَّرَا»: فالضَّرَاءُ: ماوارك من شجرٍ خاصَّةً، والخَمَرُ: ما واراك من شىء. والمعفور: يعنى ما سقط من النار من الزَّنْدِ.

وقوله «ضَرِمِ الجنين» يقول مُشْتَعِلٌ، والجنين: ما لم يَظْهَرْ بَعْدُ، يقال لِلْقَبْرِ جَنَنٌ، والجَنِينُ: الذى فى بطن أمه، والمِجَنُّ: التُّرْس لأنه يَسْتُرُ، والمجنون: المُغَطَّى العقل، وسُمِّى الجِنُّ جِنًّا لاختفائهم، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ الجُنَنَ لأنها تستر من كان فيها. وقَصَرَ «الضَّرَاءَ» وهو ممدود، ومثل هذا كثير فى الشعر جدًّا.

وقوله: «ينوء إذا رام القيام»، يقول: يَنْهَضُ فى تَثَاقُلٍ، قال الله عزّ وجل: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [2]، والمعنى لَن العُصْبَةَ تنوء بالمفاتح، ولشرح هذا موضع آخر.

---

(١) قال المرصفى: «يهجو بنى أسد، وتمرين السياط: دلكها وتليينها بالدهان؛ يرميهم بأنهم أذلاء لا يعتقلون السيوف ولا يشحذون الأسنة ولا يبرون النبال. وكل مربع: يريد فى كل موضع أقمتم فيه زمن الربيع».

(٢) سورة القصص ٧٦.

نجوم السماء وفى بطون الأودية ! شَفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى ! إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرِى !

قوله : «مُعفَرًا» ، أى مُلصَقَ الوجهِ بالتراب . ويقال للتراب : العَفَر والعَفْر . يقال : ما مَشى عَلَى عَفْرِ التراب مِثلُ فلان .

وقوله : «إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرِى» : يقول : ما أُسِرُّ من أمرى . قال الأصمعىّ : هو[2] قولٌ سائرٌ . فى أمثال العرب : «لَقِىَ فلانٌ فلاناً فأَبَثَّه عُجَرَهُ وَبُجَرَه» .

[مما قيل فى الشباب والهرم]

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ[1] :

تَدَارَكَ ماقَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ ... حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ
يَسُرُّ الْفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ!
يَوَدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر «البقاء» ضرورة ، وللشاعر إذا آضطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود ، وليس له أن يَمُدَّ المقصور ، وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فإذا احتاج حَذَفَها لأنها ألف زائدة ، فإذا حَذَفها رَدَّ الشىءَ إلى أصله ، ولو مَدَّ المقصور لكان زائداً فى الشىءِ ما ليس منه ، قال الشاعر — وهو يَزيدُ بن عمرو ابن الصَّعِق :

---

(٢) ر ، س : «وعو» .

(١) زيادات ر : «كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم إلا النمر بن تولب . عن ابن دريد، قال أبو حاتم : يقال : النّمر ، بفتح النون وتسكين الميم ؛ ولا يقال : النمر ، بفتح النون وكسر النون» .

* أَكَلَ ٱلدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ[1] *

والعرب تقول : نَهَارُكَ صائِم ، وليلكَ قائِم ، أى أنت قائم فى هذا وصائم فى ذاك ، كما قال الله عزّ وجل : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ﴾[2] : والمعنى والله أعلم : بل مَكْرُكمْ فى الليل والنهار ، وقالَ جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يا أُمَّ غَيْلانَ فى السُّرَى   وَنِمْتِ ، وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

(للفرزدق يرثى ابنى مسمع)

وقال الفَرَزْدَق :

تُبَكِّى عَلَى المَنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَتَنْهَى عَنِ ٱبْنَى مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُما[3] !
غُلَامَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وَأَدْرَكَا
كِرَامَ المَسَاعِى قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا

وابنا مِسْمَع كَانَ قتَلَهما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّبِ مع عَدِىِّ بن أَرْطاةَ[4] لما أتاه خبر قتل أبيه ، وكان ابنا مسمع ممّن خالف على يزيد بن المهلّب ،

---

(١) صدره كما فى زيادات ر :

* كم رأينا من أناس هلكوا *

(٢) سورة سبأ ٣٣ .

(٣) تبكى : تحمل الناس على البكاء .

(٤) عدى بن أرطاة الفزارى ، والى البصرة ليزيد بن عبد الملك ؛ وكان يزيد أمره أن يتحرز من يزيد بن المهلب ويحبس أهله . وبلغ ابن المهلب ذلك ، فلحق بالبصرة ، وتغلب عليها ، ودعا إلى نفسه ، وبلغ يزيد بن عبد الملك ، وقد أخرج أهله من السجن ، وأسر اثنين وثلاثين رجلا ؛ منهم عدى بن أرطاة وابنه محمد وابنا مسمع وربيع بن زياد الأزدى ، ومال بهم إلى واسط ؛ فوجه إليه يزيد أخاه مسلمة بجيش كثيف ؛ فخرج له ابن المهلب ، واستخلف ابنه معاوية على الخزائن والأسرى . فلما بلغه قتل أبيه ضرب أعناق الأسرى جميعا غير ربيع بن زياد ؛ وكان ذلك سنة ١٣٢ ؛ (وانظر رغبة الآمل) .

وقال آخر [1] :

* أَنُوءُ ثَلاَثاً بَعْدَهُنَّ قِيَامِى *

ويُرْوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كفى بالسَّلامةِ داءً» .

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالِىُّ :

أَرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ   وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَلاَ يَلْبَثُ العَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ   إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى :

أَلاَ حَىِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا   لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

إِذَا مَا تَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ   تَقَاضَاهُ شَىْءٌ لاَ يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية [2]

كَانَتْ قَنَاتِى لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ   فَأَلاَنَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ

وَدَعَوْتُ رَبِّى فِى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا   لِيُصِحَّنِى : فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّادٍ :

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الحَرْبِ رُكْنِى   وَلٰكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِى

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : «لقد أَكَلَ الدَّهْرُ عليه وشَرِبَ» ، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً . قال الجَعْدِىُّ :

---

(١) زيادات ر : « لعمرو بن قميئة » . وقبله :

* على الراحتين مرة وعلى العصا *

(٢) البيتان فى زهر الآداب ٢٢٣ ؛ ونسبهما إلى عمرو بن قميئة ؛ وهما فى العقد الفريد ٣ : ٥٨ ؛ وعيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ ، من غير عزو . ونسبهما المرصفى إلى عبد الرحمن ابن سويد المرى .

فإنما جعل البكاء كالحُزْن ، وقد قال حسّانٌ ، فَقَصَرَ وَمَدّ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ !

فقصر ومدّ .

(لجرير يرثى ابنه سوادة)

وقال جرير :

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فقلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ الْعَزاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبالِي ! [1]

هٰــذَا سَوادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي

فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي ... وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي

قوله : « يجلو مقلتى لَحِم » ، شَبَّهَ مُقْلَتَيْهِ بِمُقْلَتَي البازى ، ويقال : « طائر لَحِم » من هذا . وقوله : « يُصرصر » يعنى يصوّت ، يقال : صرصر البازى والصَّقْرُ ، وما كان مِنْ سِباع الطير ، ويقال : صَرْصَرَ العُصْفورُ ؛ وأَحْسِبُهُ مستعارًا ، لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير ، قال جرير :

* بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْبِ قَطًا جُونَا [2] *

وقال آخر :

* كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فِى الرُّطَبِ الثَّعْدِ [3] *

وأنشدنى عُمارةُ : « باز يُصَعْصِعُ » وهو أصح — [قال أبو الحسن :

(١) زيادات ر : « نصيبك » بالنصب لا غير ؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احفظ نصيبك ، أو احرز نصيبك » .

(٢) يصف الإبل وهى تسير فى الفلوات ؛ والسهى : موضع فى بنى تميم . وقبله :

* كأنّ حاديَها لمّا أضرّ بها *

(٣) الثعد : وواحدته ثعدة ، وهو مالان من البُسْر وأرطب .

والمُنْتُوف كان مَوْلًى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة . وابنا مِسْمَع من بنى قَيْسِ بن ثعلبة ، وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب ، وفى ذلك يقول جرير :

وَالأَزْدُ قد جعلوا المَنْتُوفَ قائِدَهُمْ فقَتَلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق :

وَلَوْ قُتِلاَ منْ جِذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيدًا بُكَاهُمَا[1]

وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا[2]

السَّنا : ضوء النار ، وهو مقصور . قال الله عز وجل : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[3] .والسّناء من الشرف،ممدود ، قال حسَّانُ بن ثابت :

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءْ

والبكاء يمد ويُقصَرُ ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصواتِ ، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدودا ، لأنه يكون على «فُعالٍ» وَقَلَّمَا يكون المصدر على «فُعَلٍ» ، وقد جاءَ فى حروف : نحو : الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه ، وهو يسير . فأما الممدود فنحو : العُوَاءِ . والدُّعاءِ ، والرُّغاءِ ، والثُّغاءِ . فكذلك البُكاءُ . ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ . ومن قَصَرَ

---

(١) الجذم : الأصل ، قال المرصفى : « هذه رواية منكرة ؛ لأنها تنفى نسبهما عن بكر بن وائل ؛ ورواية ديوانه :

ولو أصْبَحا من غير بكر بن وائل لكان على الجانى ثقيل دماهما

(٢) مالك أبو مسمع وابن مالك هو مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب البكرى .

(٣) سورة النور ٤٣ .

[لسليمان بن قتة يرثى الحسين بن على]

وقال سليمان بن قَتَّة يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام :

مَرَرْتُ على أَبْيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا كَعَهْـدِهَا يومَ حُلَّتِ

فلاَ يُبْعِدِ ٱللهُ ٱلدّيَارَ وأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وكَانُوا رَجَاءً ثمّ صَارُوا رَزِيّةً فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وجَلَّتِ [1]

وَإِنّ قَتِيلَ الطَّفّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ المُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ [2]

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ [3]

إِذَا ٱفْتَقَرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَقِيرَهَا وَتَقْتُلُنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّة [4] رجل من بنى تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وكان منقطعاً إلى بنى هاشم .

[للفرزدق يرثى ابنيه]

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ٱبْنَيْه :

بِفِى الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِى رَزِيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّرَاغِمِ [5]

وَمَا أَحَدٌ كَانَ المَنَايَا وَرَاءَهُ — وَلَوْ عَاشَ أَيَّامًا طِوَالاً — بِسَالِمِ

أَرَى كُلَّ حَىٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعَـةً عَلَيْـهِ المَنَـايَا مِنْ ثَنَايَا المَخَارِمِ

يُذَكِّرُنِى ابْنَىَّ السِّمَاكَانِ مَوْهِنًا إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ العَوَاتِمِ [6]

---

(١) جاء هذا البيت فى ر ، س بعد البيت الذى يليه .

(٢) الطف : موضع قريب من الكوفة ؛ قتل فيه الحسين عليه السلام .

(٣) غنى : قبيلة فى قيس .

(٤) هو سليمان بن قتة المحارى التابعى . وقتة أمه .

(٥) المخدر فى الأصل : الأسد الذى يلزم خدره ؛ وهو هنا كناية عن نفسه .

(٦) السماكان : كوكبان ؛ أحدهما الرامح ، والثانى الأعزل . والموهن : نصف الليل .

« يُصَعْصِعُ » وهو الصواب ، ولكن هكذا وقع فى كتابه . ويُصَرْصِر لا يَتَعَدَّى] —

قال أبو العباس : وقوله: « كعظم الرِّمَّةِ » فهى البالية الذاهبة ، والرَّمِيمُ : مشتق من الرِّمَّةِ ، وإنما هو فَعِيلٌ وفِعْلَةٌ ، وليس بجمع له واحد .

ومما كَفَّرَتْ به الفقهاءُ الحجَّاجَ بن يوسف قولُه ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنْبَرِهِ — وإن شئت قلت : « يُطيفون » ، قال أبو زيد : تقول العرب : طُفْتُ وأَطَفْتُ به ، ودُرْتُ وأَدَرْتُ به ، ويقال : حَدَق وأَحْدَقَ : قال الأَخْطَلُ :

الْمُنعِمون بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ بِىَ الْمَنِيَّةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِى —

إنما يَطوفون بأعوادٍ ورِمَّةٍ .

ومن أمثال العرب : « لولاَ أن تُضَيِّعَ الفِتْيانُ الذِّمَّة ، لَخَبَّرْتُها بما تَجِدُ الإبلُ فى الرِّمَّةِ » : يقول : لولا أن تَدَعَ الأَحْداثُ التَّمَسُّكَ بالوفاء، والرِّعاية للحُرْمةِ لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى، وهو أقلّ الأشياءِ فتجدُ له لذة .

ومثل بيت جَريرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ابنه شَغْباً :

قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوَ انَّ اللهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تُزَادُ بِهِ فى عِـــزِّهَا مُضَرُ
لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجَرُ
فَارَقْتُ شَغْباً وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ بِئْسَ الْحَلِيفَانِ: طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ

قوله : « قوست » يقول : انحَنَيْتُ كالقوس ، قال امْرُؤُ القَيْسِ :

أَرَاهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ ،وَقَوَّسَا

اللازمُ ، يقال : أَقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتّخذَ أصل مالٍ ، وقيل فى قول الله عزوجل : ﴿ وأَنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى ﴾[1] : أى جَعَلَ لهم أصل مال ، وأنشد أبو عبيدة[2] :

لَوْ كَانَ لِلدَّهرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ بِه   لَكانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مالَ قُنْيَانِ[3]

والكَرائم : جمع كَرِيمة ، والاسم من «فعيلة» والنعتُ يجمعان على «فَعائِل» ، فالاسم نحو : صَحِيفةٍ وصحائف ، وسَفينة وسَفائِن ، والنعت نحو : عَقيلة وعَقائل ، ، وكَرِيمةٍ وكَرائم .

وقوله : « ومات أبى» يريد التأسىَ بالأشراف . وأبوه غالِبُ بن صَعْصَعَة ابن ناجية بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشع ، وكان أبوه شريفاً ، وأجداده إلى حيث انتَهَوْا ، ولكل واحدمنهم قصة يطول الكتاب بذكرها . والمُنْذران : المنذر بن المُنْذِرُ بن ماء السَّماء اللَّخمىُّ ، يريد الابن والأب ، وعمرو بن كلثوم التَّغْلَبىُّ ، قاتل عمرو بن هند، وكان أحدَ أشراف العرب وفُتَّاكِهِمْ وشعرائهم والأراقِمُ : قبيلة من بنى تَغْلِبَ ، ابنة وائل ، من بنى جُشَمَ بن بَكْرٍ . وزعم أهل أهل العلم أنهم إنما سُمُّوا الأراقم لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحَيَّاتِ ، والأراقم: واحدها أَرْقَم ، فكانوا معروفين بهذا . قال الفرزدق يَرُدُّ على جرير فى هجائه له وللأخطَل :

إنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنالَ قَدِيمَهَا   كَلْبٌ عَوَى مُتَهَمِّمُ الْأَسْنانِ

(١) سورة النجم ٤٨ .

(٢) زيادات ر : « الشعر لأبي المثلم الهذلى يرثي صخرا » .

(٣) رواية ديوان الهذليين ٢ : ٢٣٨ :

○ لو كان للدهر مالٌ عند متلده ○

وَقَدْ رُزِئَ الْأَقْوامُ قَبْلِي بَنِيهِمُ وَإِخْوانَهُمْ، فاقْنَىْ حَيـاءَ الْـكَرائِمِ
وَمَاتَ أَبِى وَالْمُنْـذِرَانِ كِلاَهُمَا وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ شِهَابُ الْأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبٌ وَعَمْرُو أَبُو عَمْرٍو، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَمَاتَ أَبُو غَسّـانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِـكَاهُمُ عَشِيَّةَ بَانَا رَهْطَ كَعْبٍ وَحَاتِمِ
فَمَا ابْنَاكِ إلاَّ مِنْ بَنِي النَّاسِ فاصْبِرِى فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَآتِمِ

قال: وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد: « خَنِينُ المآتم » بالخاء معجمة[1].

قوله: « ما تزال طليعة » يريد طالِعةً، والثَّنايا جمع ثَنِيَّةٍ، وهى الطَّرِيقُ فى الجبل، من ذلك[2]:

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِى

والمَخارِمُ: جمع مَخْرِمٍ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل.

وقوله: « فوق النجوم العَوَاتِمِ »، يعنى المتأخرة، يقال: فلان يأتينا ولا يُعَتِّمُ: أى لا يتأخر، وعَتَمَةٌ اسم للوقت، فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقتِ، وكل صلاة مضافة إلى وقتها، تقول: صلاة الغَداةِ، وصلاةُ الظهرِ، وصلاةُ العصرِ. وأما قولك: الصلاةُ الأولى، فالأولى نعت لها إذ كانت أَوَّلَ ماصُلِّىَ، وقيل أَوَّل ما أُظْهِرَ.

وقوله: « فاقْنَىْ حياءَ الكرائم »: يقول: فالْزَمِى، وأصل القِنْيَةِ المالُ

---

(١) زيادات ر: « الخنين، بالخاء صوت من الخيشوم ».
(٢) زيادات ر: « الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى ».

فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تقُلْ شيئاً ، ثم قصَّتْ ذلك على زوجها فقال : إن عاد لك الثالثة فقولى : ثلاثة كعشرة — وزَوْجُها زياد بن عبد الله بن ناشِب العَبْسىّ — ، فلما عاد لها قالت : ثلاثة كعشرة ، فولدتهم كلّهم غايةً ، وَلَدَتْ رَبيعَ الْحُفَّاظِ ، وعُمارةَ الوَهَّاب ، وأنَسَ الفوارِس ، وهى إحدى المُنْجِباتِ من العرب —

وَأَسَرُوا حاجِباً ؛ فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويُعْلِمُه فخر قَيْسٍ عليه :

تُحَضِّضُ يا بْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا ليجْعَلوا لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحاجِباً وَعَمْرَوبْنَ عَمْرٍو إذْ دَعَوْا: يالَ دارِمِ !

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَاالصَّفَا وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

الجَوْنَانِ : معاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَوْنِ الكِنْدِيَّانِ ، أُسِرا فى ذلك اليوم ، فَقُتِلَ حسان ، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره . والشِّعْبُ : شِعْبُ جَبَلَة .

وقوله :

* وشدّات قيس يوم دَيْرِ الجماجِم *

هذا فى الإسلام ، يعنى وَقْعَةَ الحجَّاجِ بن يوسف بن الحَكَمِ بن أبى عَقيلٍ الثَّقَفىِّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعث بن قيس بن مَعْد يكَرِبَ الكِنْدِىّ بدَيْرِ الجماجِمِ .

وقوله[1] :

* وقد مات بِسْطام بن قيس بن خالد *

---

(١) رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص ٢٢٤

وجعله شِهاباً لهم لنوره وبهائه وضِيائه ، تقول العرب : إنما فلان نجمُ أهلِهِ ؛ وكذلك قالت الخَنْساء :

* كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رأسِهِ نار *

والأقْرعان : الأقْرَعُ بن حابِس ، وابنه الأقْرَعُ من بنى مجاشع بن دارِم وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سَيِّدَ خِنْدِفَ[١] ، وكان مَحَلُّهُ فيها محلَّ عُيَيْنَةَ ابن حِصْنٍ فى قَيْسٍ . وحاجِبُ بن زُرارَةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ .

وعمرو أبو عمرو ، يريد عمرو بن عُدَسَ ، وكان شريفا ، وكان ابنه عمرو شريفاً ، قتل يوم جَبَلَةَ[٢] ، قتلته بنو عامر بن صَعْصَعَة ، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارَةَ — وكان الذى وَلِىَ قتله عمارة الوَهَّاب العَبْسىّ ، وينسب إلى بنى عامر ، لأن بنى عَبْسٍ كانوا فيهم مع قَيْسِ بن زُهَيْرٍ ، وعُمارةُ هذا كان يقال له : « دالِقٌ »[٣] ، وقتله شِرْحافٌ الضَّبِّىُّ ، ولذلك يقول الفرزدق :

وَهُنَّ بِشِرْحافٍ تَدارَكْنَ دالِقاً عُمارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ ما جَنَحَ العَصْرُ

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخُرْشُبِ الأنْمارِيَّة أُرِيَتْ فى منامها قائلا يقول : أعشرة هدَرةٌ أحبُّ إليكِ أم ثلاثة كعشرة —[هدرة بالدال غير معجمة ، قال أبو الحسن : هم السُّقَّاط من الناس] — فلم تقل شيئاً ،

---

(١) خندف : قبيلة سميت باسم ليلى بنت حلوان ؛ وكانت زوجاً لإلياس بن مضر .

(٢) جبلة : موضع فى نجد ؛ ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها ؛ لعامر وحلفائهم من عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد .

(٣) سمى بذلك لكثرة غاراته ؛ من دلق الغارة على عدوه إذا شنها عليه .

إلى شجرة فاعْرَوْراها — أى ركبها عُرْياً — ثم أقبل بها الريحَ ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لحقتْهُ ، فجعل يطْعُنُ الإبل فى أعجازها ، فصاحت به بنو ضَبَّةَ : يابسطام ، ماهذا السَّفَهُ ! دَعْها ، إمَّا لنا وإمَّا لك ، وانْحطَّ عليه عاصمٌ ، فطعَنَهُ فرمى به على الألاءةِ — وهى شجرة ليست بعظيمة ، وكان بسطام نصرانيًّا ، وكان مَقْتَلُهُ بعد مَبْعَثِ النبى صلى الله عليه وسلم — فأراد أخوه الرجوع إلى القوم ، فصاح به بسطامٌ : أنا حَنيفٌ إن رجَعْتَ ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضَّبِّىُّ — وكان فى بنى شيبان :

فَخَرَّ علَى الْألَاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ   كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بَكْرِ بن وائلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ (أى هُدِمَ) .

وقوله :

* ومات أبو غسَّان شيخ اللهازم *

يعنى مالك بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شِهاب ، أحَدَ بنى قيْسِ بن ثَعْلَبَةَ ، وإليه تُنْسَبُ المسامِعة وكان سيد بَكْرِ بن وائلٍ فى الإسلام ، وهو الذى قال لعُبَيْدِ الله بن زياد بن ظَبْيان ، أحد بنى تيْم اللَّاتِ بن ثَعْلَبَةَ — وكان حين حَدَث أمْرُ مسعود بن عمرو المَعْنِىُّ من الأزْدِ فلم يُعْلِمْهُ به ، فقال له عبيدالله — وهو أحد فُتَّاكِ العرب ، وهو قاتل مُصْعَبِ ابن الزبير — : أيكونُ مثل هذا الحَدَثِ ولا تُعْلِمُنى به ! لهَمَمْتُ أن أُضرِم دارك عليك ناراً — فقال له مالك : اسكتْ أبا مَطَر ، فوالله إنَّ فى كِنانتى سَهْمٌ أنا أَوْثَقُ به منى بك ، فقال له عبيد الله : أوَ أنا فى كِنانَتِكَ ؟ فوالله لو قمت فيها لطُلْتُها ، ولو قعدت فيها

يعنى الشَّيْبانِىّ ، وهو فارس بَكْر بن وائل وابن سيدها ، وقتِل بالحسنِ[١] — وهو جَبَلٌ — قتله عاصم بن خَليفة الضَّبّىّ ، وكان عاصِمُ بن خليفة أسلم فى أيام عثمان رحمه الله ، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه ، فيقول عاصم بن خليفة الضبىّ : قاتِلُ بِسْطامِ بن قَيْسٍ بالباب — [قال أبو الحسن : الوجه عندى فى « بِسطام » ألاّ ينصرف لأنه أعجمى] — وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ ، وكان معه حزٍ يحزو له — [قال أبو الحسن : « حاز » بالزاى أى زاجرٌ] — ، فقال له بِسْطامٌ : إنى سمعت قائلا يقول :

* ٱلدَّلْوُ تأْتِى الْغَرَبَ المزَلَّهْ[٢] *

فقال الحازى : فهلاَّ قلْتَ :

* ثمَّ تَعُودُ بادِناً مُبْتَلَّهْ[٣] *

قال : ماقلت ؛ فاكْتَسَحَ إبِلَهُمْ، فتنادَوْا واتَّبَعوهُ ، ونظرت أمّ عاصم إليه ، وهو يَقَعُ حديدةً له — أى يَحُدُّها ، والمِيقَعةُ : المِطْرَقةُ — فقالت له : ماتَصْنَعُ بهذه ؟ — وكان عاصم مضعوفاً[٤] — ، فقال [لها][٥] : أقتل بها بِسْطامَ بن قيسٍ ، فَنَهرَتْهُ ، وقالت : اسْتُ أُمِّكَ أَضْيَقُ من ذلك ! فنظرإلى فَرَسٍ لِعَمِّهِ مُوثَقةٍ

---

(١) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية ، بالحسن ؛ وهو جبل بالجيم ، والصواب : حبل ، بالحاء . قال ابن سراج رحمه الله تعالى : الحسن والحسين : حبلا رمل » .
(٢) الغرب هنا : الماء الذى يسيل من الدلو . والمزلة : موضع الزلل .
(٣) البادن فى الأصل : الضخم البدن ؛ يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء
(٤) ر : « منفوسا » .
(٥) تكملة من ر .

ما ذكرنا — فجعل النَّمَرِيُّ يشرب نصيبه ؛ فإذا أخذ كعبٌ نصيبه قال : اسْقِ أخاك النَّمَرِيّ ، فيُؤْثِرُهُ حتى جهد كعبٌ ، ورُفعتْ له أعلام الماء ، فقيل له : رِدْ كَعْبُ ولا وُرودَ به ، فمات عطشاً ، فني ذلك يقول أبو دُؤاد الإيادِيُّ :

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ : رِدْ كَعْبُ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا

فضُرِبَ به المَثَلُ ، فقال جرير فى كَلِمَتِهِ التى مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبدالعزيز :

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَتَفْرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّدَادَا
وَقَدْ أَمَّنْتَ وَحْشَهُمُ بِرِفْقٍ وَيُعْيِي النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا
وَتَبْنِي المَجْــدَ يَاعُمَرُ بْنَ لَيْلَى وَتَكْفِي المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمَادَا
وَتَدْعُــو اللهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى وَتَذْكُرُ فِى رَعِيَّتِكَ المَعَادَا
وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرَ الجَوَادَا
تَعَوَّدْ صَالِحَ الْأَخْــلَاقِ إِنِّى رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ ما اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه .

وأما ابن سُعْدَى ، فهو أَوْسُ بن حارِثَةَ بن لَأْمٍ الطائِيُّ ، وكان سيداً مُقَدَّماً ، فوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبد الله الطائِيُّ على عَمْرِو بن هند ، وأبوه المُنْذِرِ ابن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أَوْساً فقال له : أأنت أفضلُ أم حاتمٌ ؟ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! لو ملكنى حاتم وولدى ولُحْمَتِى لوَهَبَنا فى غَداةٍ واحدةٍ . ثُمَّ دعا حاتماً فقال له : أنت أفضلُ أم أوْسٌ ؟ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ ، ولَأحَدُ وَلَدِهِ أفضلُ منى .

وكَانَ النُّعْمانُ بن المُنْذِرِ دعا بحُلَّة وعنده وُفُودُ العرب من كلِّ حَيّ فقال :

لَخَرَقْتُها ، فقال له مالك — وأعجبه ما سَمِع منه — : أَكْثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثْلَكَ ! قال : لقد سألتَ ربَّكَ شَطَطًا !

وفى مالكِ بن مِسْمَعٍ يقال :

إذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً   دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله : « وقد مات خيراهم » ، تثنية : كقولك : مات أَحْمَرَاهُمْ ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَجَ النعتِ ، ألا تَرَى أنك تقول : هذا أَحْمَرُ القوم إذا أردتَ : هذا الأَحْمَرَ الذى للقوم ، فإذا أردتَ الذى يفْضُلُهُمْ فى باب الحمرة قلتَ : هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً ، ولم تقل : هذا أحمرُهُم ، وكذلك خيراهم ، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ ، أى هذا الخير الذى هو فيهم .

وقوله : « عَشِيَّةَ بانا » ، مردود على قوله : « خيراهم » .

وقوله : رَهْطِ كعب وحاتم » ، إنما خفضتَ « رهطا » لأنه بدل من « هم » التى أَضَفْتَ إليها « الخيرين » ، والتقدير : وقد مات خَيْرَا رهط كعبٍ وحاتمٍ ، فلم يُهلكاهم عشيةَ بانا .

فأما كَعْبٌ ، فهو كعب بن مَامَةَ الإيادىُّ ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثرَ على نفسه ، وكان مسافراً ورفيقُهُ رجل من النَّمِرِ بن قَاسِطٍ فَقَلَّ عليهما الماءُ فَتَصَافناهُ — والتَّصافُنُ : أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ[1] ثم يُصَبُّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا : وكذلك كل شىء وُقِفَ عَلَى كَيْلِهِ أووزْنِهِ ، والأصل

---

(١) زيادات ر : « هذا الحجر الذى يقسم به الماء ؛ يقال له المقلة ، بفتح الميم » .

إداوة[1] في وقتٍ، فرامَهُ الْعَنْبَرِيُّ وسامه أن يُؤْثِرَهُ — وكانَ الفرزدق جَواداً — فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه، فقال الفرزدق :

فَلَمَّا تَصَافَنَّا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشَتْ   إِلَيَّ غُضُونُ الْعَنْبَرِيِّ الْجُرَاضِمِ
فَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلِ رَأْسِهِ   لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِماً   عَلَى جُودِهِ ضَنَّت بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

أمّا قوله : «أَجْهَشَتْ» فهو التَّسَرُّعُ ، وماتراه في فَحْواه من مُقاربة الشيء ، يقال : أَجْهَشَ بالبكاء . والغُضون : التكسّر في الجلد ، والجُراضم : الأحمر الممتلىء .

وقوله :

* ليشرب ماء القوم بين الصرائم *

فهي جمع صَرِيمةٍ ؛ وهي الرملة التي تنقطع من مُعْظَمِ الرمل، وقوله : «صَرِيمةٌ» يريد مصرومة ، والصَّرْمُ : القطع ، وأنشد الأُصْمَعِيُّ :

فَبَاتَ يَقولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَتَّى   تَجَلَّى عَنْ صَرِيمَتِهِ الظَّلَامُ

يعني ثَوْرًا ، وصَرِيمته : رَمْلته التي هو فيها وقال المفسرون في قول الله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[2] قولين ، قال قوم : كالليل المُظْلِمِ ، وقال قوم : كالنهار المضيء ، أي بيضاء لا شيء فيها ، فهو من الأضداد . ويقال :

---

(١) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ؛ وجمعه أداوى .

(٢) سورة القلم ٢٠

احْضُروا فى غَد ؛ فإنى مُلْبِسٌ هذه الْحُلَّةَ أَكْرَمَكُمْ ، فحضر القوم جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لم تتخلف ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأَجْمَلُ الأشياء ألاَ أكون حاضراً ، وإن كنت أنا المراد فسأُطْلَبُ ويُعْرَفُ مكانى . فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احْضُرْ آمِناً مما خِفْتَ ، فحضر فأَلْبِسَ الْحُلةَ ، فحسده قوم من أهله ، فقالوا للحُطَيْئة : اَهْجه ولك ثلثمائة ناقة ، فقال الحطيئة : كيفَ أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ! ثم قال :

كَيْفَ الهِجاءُ وَمَا تَنفَكُّ صالِحَةٌ ... مِنْ آلِ لأْمٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِى

فقال لهم بِشْرُ بن أبى خازِم ، أحدُ بنى أسَد بن خُزَيْمة : أنا أهجوه لكم ، فأخذ الإبل وفعل ، فأغار أوس على الإبل فاكْتَسَحَها ، فجعل لا يستجير حَيًّا إلا قال : قد أجَرْتُكَ إلا من أوس . وكان فى هجائه إياه قد ذكر أُمَهُ ، فأُتِىَ به ، فدَخَل أَوْسٌ على أُمِّهِ فقال : قد أُتينا بِبِشْرِ الهاجى لك ولى ، فما تَرَيْنَ فيه ؟ فقالت له : أوَ تُطيعُنى فيه ؟ قال : نعم ، قالت : أرى أن تَرُدَّ عليه مالَه ، وتَعْفُوَ عنه وتَحْبُوَهُ ، وأفعلُ مثل ذلك ، فإنه لا يَغسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ . فخرج إليه فقال : إن أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجوها قد أمرتْ فيك بكذا وكذا ، فقال : لاجَرَمَ والله ! لامَدَحْتُ أحداً حتى أموتَ غَيْرَكَ . ففيه يقول :

إلَى أَوْسِ بْنَ حَارِثَةَ بْنَ لأْمٍ ... لِيَقْضِىَ حَاجَتِى فِيمَنْ قَضَاهَا

وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سُعْدَى ... وَلا لَبِسَ النِّعَالَ وَلاَ احْتَذَاهَا

وأما حاتِمٌ الذى ذكره الفَرَزْدَقُ ، فهو حاتم بن عبد الله الطائىُّ ، جَوادُ العرب ، وقد كان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبَرَ بن عمرو بن تميم

بابٌ

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس : كان يقال : إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنب المحارمَ .

وكان يقال : أَنْعَمُ الناس عيشاً مَنْ عاش غيره فى عيشه .

وقيل فى المثل السائر : من كان فى وَطَن فَلْيُوَطِّنْ غيرَه وطنه ، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته .

قال : وانتبه معاوية من رَقْدةٍ له ، فأَنْبَه عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : ما بقى من لَذَّتِكَ[1] ؟ قال : عَينٌ خَرَّارَةٌ فى أرض خَوَّارة[2] ، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمةٍ ؛ فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله ؟ قال : أن أَبيتَ مُعْرِساً بعَقيلة من عقائل العرب . ثم نَبَّها وَرْدانَ[3] ، فقال له معاوية : مابقى من لذتك ؟ فقال : الإفضالُ على الإخوان ، فقال له معاوية اسكتْ ، أنا[4] أحقُّ بهامنك ، قال[5] : قد أمكنَكَ فافعَلْ .

ويروى أن عمرًا لما سُئل قال : أنْ أستَتِمَّ بناء مَدينتى بمصر ، وأنَّ وَرْدانَ لما سُئِلَ قال : أن أَلْقَى كريماً قادرًا فى عَقِبِ إحسانٍ كان منى إليه .

---

(١) كذا فى الأصل « س » . وفى ر : « ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين » .

(٢) عين خرارة : جارية . خوارة : سهلة لينة .

(٣) وردان : مولى عمرو بن العاص .

(٤) ر : « فأنا »

(٥) ر : « فقال له »

لَكَ سَوادُ الأرض وبياضُها ، أى عامرها وغامرُها ، فهذا ما يُحتَجُّ به لأصحاب القول الأخير ، ويحتج لأصحاب القول الأول فى السواد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [٣] ، وإنما سُمِّىَ السواد سوادًا لعمارتِهِ ، وكل خُضْرةٍ عند العرب سَوادٌ ، ويروى :

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فى الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمُ

جَعل «حاتما» تبييناً للهاء فى جوده ، وهو الذى يسميه البصريون البدل ، أراد : على جود حاتم .

---

(٣) سورة الأعلى .

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلَى بنى مَخْزُومٍ ، — وقالوا : بل زِيادٌ — وكان عمر أراد شراءه وعتقه ، فأعتقه مَوَاليه . وكان عمر يسميه : أخى فى الله ، فكان إذا دخل وعُمَرُ فى صدر مجلسه تَنَحَّى عن الصَّدْر ، فيقال له فى ذلك فيقول : إذا دَخَلَ عليك مَنْ لا تَرَى لك عليه فَضْلاً فلا تأخُذْ عليه شَرَفَ المجلس .

وهَمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يَخْمُدَ ، فوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيْوَة ليُصلحه ؛ فأقسم عليه عمرُ فجَلَس ، ثم قام عمر فأصلحه . فقال له رَجاءٌ : أتقوم يا أمير المؤمنين ! قال : قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز ، ورجعتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لا تَرْفَعونى فَوْق قَدْرى ، فتقولوا فِيَّ ما قالت النصارى فى المسيح ، فإن الله اتّخذنى عبداً قبل أن يَتَّخذنى رسولاً» .

ودخل مَسْلَمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَتِهِ التى مات فيها ، فقال : ألاَ تُوصى يا أمير المؤمنين؟ قال فِيمَ : أُوصِى ؟ فوالله إنْ لى من مالٍ ، فقال : هذه مائة ألف فمُرْ فيها بما أحْبَبْتَ ، فقال : أوَ تَقْبَلُ ؟ قال : نعم ، قال : تُرَدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلماً . فبكى مَسْلَمَةُ ثم قال : يرحمك الله ! لقد ألَنْتَ منا قلوباً قاسية ، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذِكْراً .

وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال : مُحادَثَة الرجال .

ويروى عن عبد المَلِكِ أنه قال — وقد سئل عن الباقى من لذته فقال : مُحادَثَةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ [١] على الكُثْبانِ العُفْر [٢] .

وقال سليمان بن عبد الملك : قد أكلنا الطيِّبَ ، ولَبِسْنا اللَّيِّنَ ، وركبنا الفارهَ [٣] ، وامْتَطَيْنا العَذْراءَ ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صَديق أطْرَحُ بينى وبينه مَئُونَة التَّحَفظِ .

وقال رجل لرجل من قريش : إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ ، قال : أَيُمَلُّ الْعَتيق [٤] .

وقال المهَلَّبُ بن أبى صُفْرة : العيش كلّه فى الجليس المُمْتِـعِ .

وقال معاوية : الدنيا بحذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ .

وقال يزيد بن المهلَّب : ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمْرَ الدنيا كلّه ، قيل له : ولم أَيُّها الأميرُ ؟ قال : أَكْرَهُ عادةَ العَجزِ .

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : لو أنزل الله كتاباً أنه مُعَذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَهُ ، أو أنه راحِمٌ رجلا واحداً لرَجَوْتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبى [٥] لا مَحالَةَ ما ازْدَدْتُ إلاَّ اجتهاداً لئلا أرْجِعَ على نفسى بلائمةٍ .

---

(١) قمر : جمع قمراء ؛ وهى الليلة التى يغمرها ضوء القمر .

(٢) العفر : جمع أعفر ؛ وهو اللون الأحمر .

(٣) الفاره : النشيط من الدواب .

(٤) ر ، س : « إنما يمل العتيق » ، والعتيق : القديم .

(٥) ر : « ولو علمت أنه معذبى »

ينظر من قَلْتَيْنِ[1] ، وكأنَ تَرْقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالِفةٌ ، وكأنَّ مُشاشَ مَنكِبَيهِ كِرْكِرةُ جَمَل : فَقَأَ اللهُ عَيْنَيَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحسَنَ منه قبله ولا بعده !

قوله : « بوان أو خالفة » فهما عمودانِ من عُمُد البيت ، البوانُ فى مُقدَّمِهِ والخالفة فى مُؤَخَّرِهِ . والكِرْنافةُ : طَرَفُ الكربةِ العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كَتِفٌ .

حدثنى بهذا الحديث العباسُ بن الفرَج الرِّياشىُّ عن الأَصْمَعِىّ ، وحدثنى عمّن حدثه قال : مَرَّ بنا أعرابىٌّ يَنْشُدُ ابنا له ، فقلنا : صِفهُ ، فقال : دُنَيْنِيرٌ ، قلنا لم نَرَهُ ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بِجُعَلٍ على عُنُقِهِ ، فقلنا : لو سألتَ عن هذا لأرْشَدْناكَ ، ما زال مُنْذُ اليوم بين أيدينا .

وأنشد مُنْشِدٌ ، وأنشدنى الرِّياشىُّ أحد البيتين :

نعم ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْـــلُ سُحَيْرًا وَقَرْقَفَ الصَّرِدُ[2]
زَيَّنَهَا اللهُ فى الفُؤادِ كما زُيِّنَ فى عَيْنِ والِدٍ وَلَدُ

[لأم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها]

وقالت أُمُّ ثَوابٍ الهِزَّانِيَّةُ ، من عنزَةَ بن أَسَدِ بن رَبيعةَ بن نِزارٍ ، تعنى ابنها :

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبًا[3]

---

(١) مثنى قلت ؛ وهو نقرة مستديرة فى أرض صلبة .
(٢) قرقف ، من القرقفة ؛ وهى الرعدة . والصرد : الذى آلمه الصرد ؛ وهو البرد .
(٣) الزغب : ما يبدو من ريش الفرخ

[بن على بن الحسين بأمه]

وقيل لعليّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله : إنك مِنْ أَبَرِّ الناسِ بأمّك ولسنا نراك تأكل مع أمّك فى صَحْفةٍ ، فقال : أخاف أن تَسْبِقَ يدى إلى ما قد سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها .

[لعمر بن ذر فى ابنـه]

وقيل لعمر بن ذرّ — حيث نَظَرَ إلى تَعَزِّيهِ عن ابنه ـ كيف كان بِرُّهُ بك ؟ فقال : ما مشيت بنهار قطّ إلا مَشَى خَلْفِى ، ولا بليل إلا مشى أمامى ، ولا رَقِىَ سَطْحاً وأنا تحته

[لأبى المخش فى ولده]

وقال أبو المِخَشّ : كانت لى ابنة تجلسُ معى على المائدة ، فتُبرز كَفّاً كأنها طَلْعَةٌ[1] ، فى ذِراعٍ كأنها جُمَّارةٌ[2] ، فلا تقع عينها على أُكْلةٍ نفيسـة إلا خَصَّتْنى بها ، فزوّجتها ، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فيُبْرِزُ كفا كأنها كِرْنافةٌ ، فى ذِراعٍ كأنها كَرَبَةٌ ، فوالله إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمةٍ طيّبة إلا سَبَقَتْ يده إليها .

وقال الأصمعىّ : قيل لأبى المِخَشّ : أما كان لك ابن ؟ فقال : المِخَشّ ، وما كان المِخَشّ ؟ كان والله أَشْدَقَ خُرْطمانِيًّا إذا تكلم سال لُعابُه ، كأنما

---

(١) الطلعة : واحدة الطلع ؛ وهو نور النخلة .

(٢) الجمارة : شحمة النخلة .

والفحال فُحّال النخل ؛ ولا يقال لشيء من الفحول فحّالٌ غيره .
وأنشدنى المازنىّ :

يُطِفْن بفُحّالٍ كأنّ ضِبابَهُ بطونُ المَوالى يومَ عيدٍ تَغَدَّتِ[1]

وضِبابهُ : طلْعه . وآض : عاد ورجع .

وقولها : « شذَّبه » تقول : قطع عنه الكرَب والعَثاكيل[2] ؛ وكلّ مشذَّب مقطوع ؛ ويقال للرجل الطويل النحيف : مشذّب ؛ يشبّه بالجذع المحذوف عنه الكرَب ؛ وأصل التشذيب القطع ؛ وقال الفرزدق :

عضّتْ سيوفُ تميمٍ حين أغضَبها رأس ابن عِجْلى فأضحى رأسُه شَذَبا

أراد : عضّتْ سيوفُ تميم رأسَ ابن عجلى حين أغضبها .

وابن عِجْلى : عبد الله بن خازم السُّلَمىّ ؛ وأمّه عِجْلى : وكانت سوداء ؛ وهو أحد غربان العرب فى الإسلام .

[المهلب وقد سئل : من أشجع الناس ؟]

وسئل المهلب : مَنْ أشجع الناس ؟ فقال : عبادبن حصيْن ، وعمربنُ عبيدالله ابن مَعمَر ، والمغيرة بن المهلب ؛ فقيل : فأين ابن الزبير وابن خازم وعُمَيْر بن الحباب ؟ فقال : إنّما سئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن !

---

(١) البيت فى اللسان (ضبب — فحل) ونسبه للبطين التيمىّ .
(٢) العثاكيل : الشماريخ ، واحده عثكول .

حَتَّى إِذَا آضَ كَالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الْكَرَبَا
أَنْشَا يُخَرِّقُ أَثْوَابِي وَيَضْرِبُنِي ... أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدَبَا!
إِنِّي لَأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ ... وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي وَجْهِهِ عَجَبَا[1]
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِي: ... رِفْقًا فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا
وَلَوْ رَأَتْنِي فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ... مِنَ الْجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

قوله: «أباره»: فهو الذى يُصْلِحُهُ، يقال: أَبَّرْتُ النخل وأَبَرْتُهُ (خفيفة). إذا لَقَّحْتَهُ.

[خبر مالك بن العجلان مع أبي جبيلة]

ويروى أن مالك بن العَجْلانِ — أوغيرَه من الأنصار — كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلَةَ الملِكَ حيث نزل بهم بتَمْرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ، فغاب يوما، فقال أبو جُبَيْلَةَ: إن مالكاً كان يُقَوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فجُدُّوها، فجاء مالك — وقد جُدَّتْ — فقال: مَنْ سَعَى على عَذْقِ[2] المَلِكِ فجَدَّهُ؟ فأعلموه أن المَلِكَ أَمَرَ بذلك، فجاء حتى وقف عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِي ظَالِمًا ... وكان الثِّمارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرْ

فلما دخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ أَطْرَفُوه بهذا الحديث، فقال صلى الله عليه وسلم: «الثمر لمن أَبَرَ، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى»

---

(١) الترجيل: التسريح. واللمة: شعر الرأس الذى يلم بالمنكب.
(٢) العذق، بالفتح: اسم النخل عند أهل الحجاز.

أرى طيبَ الحلال علىّ خُبْثاً ... وطيب النفس فى خُبْثِ الحرامِ

[من كلام مطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحرشى]

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخّير الحَرشىّ : يا مطرّف ، عظ أصحابَك ؛ فقال مطرّف : إنى أخاف أن أقول مالا أفعل .

فقال الحسن : يرحمك الله ! وأيّنا يفعل ما يقول ! لَوَدّ الشيطان أنه ظفر بهذه منكم : فلم يأمر أحدٌ بمعروف ، ولم يَنهَ عن منكر .

وقال مطرّف بن عبد الله لابنه : يا عبدَ الله ، العلم أفضلُ من العمل ، والحسنة بين السيئتين ؛ وشرّ السيْر الحَقحَقة .

قوله : « الحسنة بين السيئتين » ؛ يقول : الحقّ بين فعل المقصّر والغالى . ومن كلامهم : خير الأمور أوساطها .

وقوله : « وشرّ السير الحقحقة » : وهو أن يستفرغ المسافر جُهْدَ ظَهره فيقطعَه ، فيُهلِك ظهره ، ولا يبلغ حاجته . يقال : حقحق السيرَ إذا فعل ذلك . وقال الراجز :

* وانبتّ فعلَ[1] السائر المُحَقْحِقِ *

وحُدثت أن الحسن نبى سابقَ الحاجّ وقد أسرع ، فجعل يومِئ إليه بإصبعه فِعلَ الغازلة : وهو يقول : « خرقاء وجدتْ صوفا » .

وهذا مَثَل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالا كثيراً فيعيث فيه ؛ وشبيه بهذا المثل قوله : « عبدٌ وخلًى[2] فى يديه » .

---

(١) زيادات ر : « فعل » بالنصب الرواية الصحيحة ، لأنه مصدر معنى » .
(٢) الخلى : الرطب من الحشيش .

بابٌ

[من كلام عائشة]

رَوَى شعبة عن واقد بن محمد ، عن أبى مُلَيكة ، عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضى الله عنها : مَنْ أرضى اللهَ بإسخاط الناس كفاه الله مابينه وبين الناس : ومَنْ أرْضَى الناس بإسخاطِ الله وكَلَه الله إلى الناس ؛ ومَنْ أصلح سريرتَه أصلح الله علانيتَه .

[بين الحسن بن زيد والى المدينة وابن هَرْمة]

ويروى أن الحسَن بن زيد[1] لمّا ولى المدينة قال لابن هَرْمة[2] : إنى لستُ كمَنْ باع لك دينَه رجاءَ مَدْحِك أو خوفَ ذمّك ؛ قد أفادنى الله بولادة نبيّه الممادح ، وجنّبنى المقابح ؛ وإنّ من حقّه علىّ ألاّ أغضىَ على تقصير فى حقّه ؛ وأنا أقسم بالله ، لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنّك حدّيْن : حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ؛ ولأزيدنّ ، لموضع حرمتك بى . فليكن تركُها لله تُعَنْ عليه ؛ ولا تدعْها للنّاس فتوكَل إليهم . فنهض ابن هَرْمة وهو يقول :

نهانى ابنُ الرسول عن المدامِ ... وأدّبنى بآداب الكرامِ
وقال لِىَ اصطبر عنها ودعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ
وكيف تصبّرى عنها وحُبّى ... لها حبٌّ تمكّن من عظامى !

---

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولى المدينة لأبى جعفر المنصور سنة ١٥٠

(٢) هو إبراهيم بن هرمة ؛ من متقدمى الشعراء ؛ وممن أدرك الدولتين: الهاشمية والأموية (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء ٧٢٩ — ٧٣١) .

واستقلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها ، وإذا فَرِحْتَ بها عُدتَ إليها .

ويروى عن أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ أنه قال : إنَّ حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلمٍ درهماً .

[يزيد بن هبيرة ينصح المنصور]

ودخل يَزِيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ على أمير المؤمنين المَنْصور فقال : يا أمير المؤمنين ، توسّعْ توَسُّعاً قُرَشِيّا ، ولا تَضِقْ ضيقاً حِجازيّا .

ويروى أنه دَخل عليه يوماً فقال له المنصورُ : حَدِّثْنا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ ، وإمارَتَكُمْ جَديدةٌ ، فأذيقوا الناسَ حَلاوةَ عَدْلها ، وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها . فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النصيحة .

ثم نَهَضَ فنَهَض معه سبعمائةٌ من قَيْسٍ ، فأَتْأَرَهُ المنصور بصَرَهُ ، ثم قال : لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا .

قوله : « مَحَضْتُ لك النصيحة » يقول : أخلصت لك ، وأصل هذا من اللبَن ، والمَحْضُ منه : الخالص الذى لا يَشوبُهُ شىء ، وأنشد الأصْمَعِىُّ :

امْتَحَضَا وسَقَّيانِى ضَيْحَا وقَدْ كَفَيْتُ صاحِبِىَّ المَيْحَا[1]

---

(١) رواية اللسان عن شمر : (محض) « إني كفيت » وفى زادت ر : « الميح : طلب الشىء هاهنا وهاهنا » .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا الدين متين فأَوْغِلْ فيه برفق ، ولا تبغِّضْ إلى نفسِك عبادَةَ ربّك : فإن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهرًا أبقى » .

قوله : « متين » ، المتين الشديد ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (١)

وقوله : « فأوغل فيه برفق » ، يقول : أُدخُل فيه ، هذا أصل الوُغول ، ويقال مشتقاً من هذا للرجل الذى يأتى شَرَابَ القومِ من غيرأن يُدْعَى إليه : واغِلٌ ، ومعناهُ أنه وَغَلَ فى القوم وليس منهم ، قال امْرُؤُ الْقَيْسِ :

حَلَتْ لِىَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ آمْرَأً ... عَنْ شُرْبِهَا فِى شُغُلٍ شَاغِلِ

فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ (٢) ... إِثْماً مِنَ ٱللهِ وَلاَ وَاغِلِ

والمُنْبَتُّ : مثل المُحقْحِقِ ، واشتقاقه من الانقطاع ، يقال : انْبَتَّ فلانٌ من فلان أى انقطع منه ، وبَتَّ الله مابينهم ، أى قَطَعَ ، قال محمد بن نُمَيْر :

تَواعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا ... وَقَالُوا الراعِى الذَّوْدِ: مَوْعِدُكَ السَّبْتُ

وَفِى النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ ... وَمَوْعِدُهَا فِى السَّبْتِ لَوْ قَدْدَنا الْوَقْتُ (٣)

ويروى :

« أَلاَ قَرُبَ الْحَىُّ الْجِمالَ لِيَنْبَتُّوا »

وحُدِّثْتُ أن ابْنَ السَّمّاك كان يقول : إذا فعلْتَ الحسنةَ فافْرَحْ بها

---

(١) سورة الأعراف ١٨٣ . (٢) المستحقب : الذى يحمل الشىء فى الحقيبة.

(٣) روى الأخفش البيت الأخير .

بكسر أوله — وقَصَرْتَ. قال خُفافُ بن نَدْبَةَ يمدح أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه:

لَيْسَ لِشَىْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ وَكُلُّ شَىْءٍ عُمْرُهُ لِلْفَنَاءْ

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إِذْ لَمْ تَشْمَلِ الْأَرْضَ سَحَابٌ بِمَاءْ

تَاللهِ لَا يُدْرِكُ أَيَّامَـهُ ذُو طُرَّةٍ حَافٍ وَلَا ذُو حِذَاءْ

مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

وهذا من طريف الشعر لأنه ممدود؛ فهو بالمد الذى فيه من عروض السّريع الأولى، وبيته فى العروض:

أَزْمَانَ سَلْمَى لَا يَرَى مِثْلَهَا الرَّا ءُونَ فِى شَامٍ وَلَا فِى عِرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأحنف.

قوله: «حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ عرقاً»، فهو مثل الرّشح.

وحدثنى أبو عثمان المازنىّ فى إسناد له ذَكَرَهُ قال: قال رُؤْبة ابن العَجّاج: خرجتُ مع أبى يزيد سليمانَ بن عبد الملك، فلما صِرْنا فى الطريق أُهْدِىَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كرافِئُ الشحم، وخَرِيطةٌ من كَمْأَة، ووَطْبٌ من لبن، فطبخنا هذا بهذا، فما زالتْ ذِفْرَيَاىَ[1] تَنْتَحَانِ منه إلى أن رجعتُ.

وقوله: «الحَمِيت»، فالحميتُ والزِّقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوباً فهو الوَطْب، وإذا لم يكن مربوباً ولا مُزَفَّتاً فهو سِقاءٌ ونِحْىٌ،

(١) الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

ويقال : حَسَبٌ مَحْضٌ .

وقوله : «أتأره بصره» يقول : أتبعه بصره ، وحَدَّدَ إليه النَّظَر ، وأنشد الأصمعيّ :

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى ٱسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتْآرِي[1]

[لأسماء بن خارجة فى كرم الخلق]

ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال: لا أُشاتِمُ رجلا ، ولا أَرُدُّ سائلا ، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَه ، أو لئيم أشترى عِرْضى منه .

[للأحنف بن قيس]

ويروى عن الأحْنف بن قَيْسٍ أنه قال : ما شاتَمْتُ رجلا مذ كنتُ رجلا ، ولازَحمتْ رُكْبَتَاىَ رُكْبَتَيْهِ ، وإذا لم أَصِلْ مُجْتَدِىَّ حتى يَنْتَسِحَ جَبِينُهُ عَرقاً كما يَنْتَسِحُ الحَمِيتُ ، فوالله ما وصَلْتُهُ .

قوله : «مُجْتَدِىَّ» يريد الذى يأتيه يطلب فضله ، يقال : اجتداه يَجْتَدِيه ، واعْتفاه يَعْتَفِيهِ ، واعتراه يَعْتَرِيه ، واعْتَرَّهُ يَعْتَرُّهُ ، وعراه يَعْرُوه : إذا قصده يَتَعَرَّضُ لنائله . وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَا ، مقصور ، وهو المطر العامُّ النافع ، يقال : أصابَتْنا مَطْرَةٌ كانت جَدًا على الأرض ، فهذا الاسم . فإذا أردتَ المصدر قلتَ : فلان كثير الجَداء ، ممدود ، كما تقول: كثير الغناء عنك ، ممدود ، هذا المصدر ، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت : الغِنَى —

---

(١) زيادات ر . « وهو للكميت بن زيد » . والبيت فى اللسان (تأر) غير منسوب . واسمدر : لم يكد يبصر .

باب

[لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمى]

قال أبو العباس : قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ[1] بن عِياض التَّيْمِىَّ ، من تَيْمِ بن مُرّة بن كَعْبِ بن لُؤَىٍّ ، رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله :

لَوْ كنتَ مِنْ هاشمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَدٍ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَوَ اَصْحابِ اللِّوا الصِّيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّلِبٍ ... لِلّهِ دَرُّكَ ! لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِى

أَوْ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكْسًا ثَانِىَ الجِيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الأَخْيَارِ قَدْ عَلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُمَحَ الْبِيضِ الْمَنَاجِيدِ

أَوْ فِى السَّرَارَةِ مِنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ ... أَوْ مِنْ بَنِى خَلَفِ الْخُضْرِ الْجَلَاعِيدِ

يَا آلَ تَيْمٍ أَلَا يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... قَبْلَ الْقِذَافِ بِقَوْلٍ كَالْجَلَامِيدِ

لَوْلَا الرَّسُولُ فَإِنِّى لَسْتُ عَاصِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِى فِى الرَّمْسِ مَلْحُودِى

وَصَاحِبُ الْغَارِ إِنِّى سَوْفَ أَحْفَظُهُ ... وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ذو الْجُودِ

لَقَدْ رَمَيْتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاضِحَةً ... يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كَالْمُودِى

قوله : « لو كنتَ من هاشم » يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَىّ ابن كِلاب بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْرِ

---

(١) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٦ : ٨٦) ، وقال : « لا أعرف له صحبة ولا أعرف له رواية » .

والوَطْبُ يكون للبن والسمن، والسِّقاء يكون للبن والماء. قالت هِنْدُ بنت عُتْبَةَ لأبي سُفْيان بن حَرْبٍ لما رجع مُسْلِمًا من عند النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة في ليلة الفتح. فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، أَلَا إِنِّي قد أَسْلَمْتُ فأسلموا، فإنَّ محمداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذتْ هند برأسه، وقالت: بئس طَليعةُ القومِ أنتَ! والله ما خُدِشْتَ خَدْشًا، يا أهل مكة، عليكم الحَمِيتَ الدَّسِمَ فاقتلوه.

وأما قول رُؤْبَةَ: «كَرَافِئُ الشحم» يريد طبَقات الشحم. وأصل ذلك في السحاب إذا رَكِب بعضُه بعضًا، يقال له: كِرْفِئٌ، والجميع كرافِئُ.

* * *

[قال أبو الحسن الأخفش: واحد الكَرَافِئِ كِرْفِئَةٌ، وهاء التأنيث إذا جُمِعَتْ جمع التكسير حُذِفَتْ لأنها زائدة؛ بمنزلة اسم ضُمَّ إلى اسم، وأَحْسِبُ أن أبا العباس لم يَسْمَع الواحدَ من هذا فقاسه، والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث إذا احتاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْتُعْمِلَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قولهم: ما في السماءِ كِرْفِئَةٌ، وما في السماء قَذَعْمِلَةٌ وَقَذَعْمِيلَةٌ، وما في السماءِ طُحْرُبَةٌ وطِحربةٌ، وما في السماءِ قِرْطَعْبَةٌ، وما في السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه].

* * *

وقوله : « أو من بنى زُهْرَةَ » ، فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرَّةَ . ويُرْوَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خُلِقتْ من خيرِ حَيَّيْنِ : مِن هاشِمٍ وزُهْرَةَ » . وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعْب بن لؤَيّ .

وقوله : « المناجيد » مَفاعيل ، من النَّجْدة ، والواحد مِنْجادٌ ، وإنما يقال ذلك فى تكثير الفعل ، كما تقول : رجلٌ مِطْعانٌ بالرُّمْحِ ، ومِطْعامٌ للطعام .

وقوله :

* أو فى السرَارة من تَيْمٍ رضيت بهمْ *

يقول : فى الصَّميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِيّ ، وأصل ذلك فى التُّرْبَةِ ، تقول العرب : إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى ، ويقال : فلانٌ فى سِرِّ قومه ، والسُّرَّةُ مثل ذلك ، قال القُرَشِيُّ :

هَلاَّ سَأَلْت عَنِ الّذِينَ تَبَطَّحُوا كَرَمَ الْبِطَاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وَادِ[1]
وعَنِ الّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يَسْتَكْرَهُوا أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ[2]
يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ بُيُوتَنَا مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الْأَوْتَادِ

وقوله : « أو من بنى خَلَفِ الخُضْرِ » ، فإنه حَذَفَ التنوين لالتقاء الساكنين . وليس بالوَجْه ، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء الساكنين حروفُ المدّ واللين ، وهى الألف ، والياء المكسور ماقبلها ، والواو المضموم

(١) تبطحوا : سكنوا بطاح مكة . (٢) والولجات : جمع ولجة ، وهى الكهف . وأجياد : موضع بمكة مما يلى الصفا

ابن كنانة ، والنَّضْرُ أبو قُرَيْشٍ ، ومَنْ كان من بنى كنانةَ لم يَلِدْهُ النَّضْرُ فليس بقُرَشِيٍّ . وبنو أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىٍّ . وعبد شمس [هو عبد شمس[1]] ابن عبد مَناف بن قُصَىٍّ . وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قُصَىٍّ . واللواء ممدود إذا أردتَ به لواءَ الأمير ، ولكنه احتاج إليه فقصَرَهُ . وقد بيّنّا جواز ذلك ، فأما اللِّوَى من الرمل فمقصور ، قال آمْرُؤُ القَيْس :

« بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ ٱلدَّخُولِ وحَوْمَلِ »

كذا يرويه الأصمعىّ ، وهذه أصح الروايات[2] .

وقوله : « أو من بنى نوفل » فهو نَوْفَلُ بن عبد مَنافٍ بن قُصَىٍّ . والمطّلِبُ الذى ذكره هو آبن عبد مَناف بن قُصَىٍّ .

وقوله : « لم تُصْبِحِ اليوم نِكْساً » ، فالنِّكْسُ ٱلدَّنِىءُ المُقَصِّرُ . ويقول بعضهم : إن أصلَ ذلك فى السِّهام ، وذلك أن السَّهْمَ إذا ارْتَدَعَ[3] أو نالته آفة نُكِسَ فى الكِنانة لِيُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْئَةُ :

قَدْ نَاضَلُوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ   مَجْداً تَلِيداً وَنَبْلاً غَيْرَ أَنْكَاسِ

قوله : « مجداً تليداً » ، قالوا : نواصى الفرسان[4] الذين كان يُمَنُّ عليهم .

وقوله « ثانِىَ الجِيدِ » قد مرَّ تفسيره فى قول الله عز وجل : ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[5] .

---

(١) مابين العلامتين ساقط من ر .

(٢) أى رواية « وحومل » بالواو . ورواية المفضل : « فحومل » .

(٣) السهم المرتدع : هو ما أصاب الهدف وانكسر عوده .

(٤) نواصى الفرسان : يريد شعور النواصى ، وقد كانت العرب إذا أسروا أسيراً خيروه بين جزء الناصية والأسر ؛ فإن اختار الجز جزوها وخلوا سبيله . (٥) سورة الحج ٩

ابن عَقيلٍ يَقْرأُ : ﴿ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارَ ، وَكُلٌ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [١] ، فقلتُ : ماتريد ؟ فقال : «سابقٌ النهارَ» . وقوله : «أو أصحاب اللواء ، فإنّما [٢] خفَّفَ الهمزةَ ، وتُخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتحْذَفُ ، كقولك : مَنَ ابوكَ ؟ وقوله عز وجل : ﴿ الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السَّمٰواتِ وَالأرض ﴾ [٣] .

وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَىّ .

وقوله : «الخُضْرِ الجَلاَعيد» ، يقال فيه قولان : أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم [٤] ؛ كما قال الفَضْل بن العَبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَبٍ :

وَأَنَا الْأَخْضَر مَن يَعْرِفُنِى ... أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فى بَيْتِ الْعَرَبْ

فهذا هو القول الأول . وقال آخرون : شبههم فى جُودهم بالبُحور . وقوله : «الجلاعيد» ، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ ؛ واحدهم جَلْعَدٌ ، وزاد الياء للحاجة ، وهذا جَمْعٌ يجىء كثيراً ، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة ، فَتُشْبَعُ فتصير ياءً ، يقال فى خاتَم : خَواتِيمُ ، وفى دانِقٍ دَوانيقُ ، وفى طَابَقٍ طَوابيقُ قال الْفَرَزْدَقُ فى مثل هذا الجمع :

تَنْفِى يَدَاهَا الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ ... نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ [٥]

---

(١) سورة يس ٤٠

(٢) كلمة : « فإنما » ساقطه من ر

(٣) سورة النمل ٢٥

(٤) قال المرصفى : « وذلك أن العرب تسمى الأسود أخضر ، والأخضر أسود ؛ لما أن الخضرة إذا اشتدت تقارب السواد ؛ والمراد من سواد الجلود لون السمرة لا السواد الحالك »

(٥) تنقاد الصياريف : أى تميز الصياريف للدراهم ؛ لتخرج الزائف منها .

ماقبلها، نحو قولك : هذا قفَا الرجلِ ، وقاضى الرجل ، ويَغزو القومُ ، فأما التنوين فجاز فيه هذا . لأنه نون فى اللفظ ، والنون تُدْغَمُ فى الياء والواو ، وتزاد كما تزاد حروفُ المدّ واللينِ ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض، فتقول : رأيتُ زَيْدًا فَتُبْدِلُ الألف من التنوين ، وتقول فى النسب إلى صَنعَاءَ وبَهْرَاءَ [١] صَنعانِىٌّ وبَهْرانِىٌّ ، فَتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث ، وهذه جُمْلَةٌ وتفسيرها كثير ، فلذلك حُذِفَ ، ومثل هذا من الشعر :

عَمْرُو الّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجالُ مَكّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقال آخر [٢] :

حُمَيْــــدُ الّذِى أَمَجٌ دارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ [٣]

وقرأ بعض القُرّاءِ : ﴿قلْ هُوَ اللّهُ أَحَدُ . اللّهُ الصَّمَدُ﴾ . وسمعتُ عُمارةَ

---

(١) صنعاء : عاصمة اليمن ؛ وبهراء : قبيلة بها
(٢) نسبه الشريف المرتضى (٢ : ٢٦٩) إلى ابن الزبعرى ؛ وروايته :

* عمرو العلا هشم الثريد لقومه *

وبعده

وهو الذى سنَّ الرحيل لقومه رِحَلَ الشتاء ورحلة الأصياف

(٣) هو حميد الأمجى ؛ منسوب إلى أمج : بلد من أعراض المدينة ؛ من أبيات ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (أمج) ؛ وهى :

شربتُ المدامَ فـــلم أُقْلِـع وعوتبتُ فيها فلم أسمَعِ
حميـــدُ الذى أَمَجٌ داره أخو الخمرِ ذو الشيبة الأصلِع
علاه المشيبُ . على حُبِّها وكان كريما فـــلم ينزَعِ

قال : وصَمتَ عليها أبو محمد ، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف دِرْهَمٍ ، فتصدّق بِثَمنها .

وقوله :

* يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كالمُودِى *

فالمودى فى هذا الموضع الهالك ، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىّ الجادّ ؛ حدَّثنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الأضداد ، وأنشدنى[1] .

* مُودُونَ يَحْمُونَ السَّبِيلَ السَّابِلاَ[2] *

[لرجل من العرب يرثى]

وقال رجل من العرب :

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فِيكمَا عَلَى قَبْرِ أُهْبَانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إِذَا نَازَعَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيِيًّا وَلاَ عِبْئاً عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

قوله : « على قَبْرِ أُهْبَانٍ » فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو ، واشتقاقه من

---

(١) البيت لرؤبة ؛ وروايته فى ديوانه ١٢٢ :

* مودينَ يحمُون السبيل السابلا *

وبعده :

* تعدو العرضْنَى خيلُهم عراجلا *

(٢) زيادات ر : « المؤدى » بالهمز : التام الأداة والسلاح ؛ وبغير الهمز : الهالك .

وقوله : « قبل القذاف » يريد المُقاذَفَة ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما : نحو المُقاتَلة والمُشاتَمة ، فباب « فاعَلْتُ » إنما هو للاثنين فصاعداً ، نحو قاتلتُ وضارَبْتُ ، وقد تكون الألف زائدة فى فاعَلْتُ فتُبْنَى للواحد ، كما زيدت الهمزةُ أوّلاً فى « أفعلْتُ » ، فتكون للواحد : نحو عاقَبْتُ اللّصَّ ، وعافاه الله ، وطارَقْتُ نَعْلى .

وقوله : « وصاحب الغار » ، يعنى أبا بَكْرٍ رحمه الله ، لمصاحبته النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وهذا مشهور لا يُحتاج إلى تفسيره .

وطلحة بن عبيد الله نسبه إلى الجود لأنه كان من أجْوَدِ قُرَيْشٍ . وحدَّثنى التَّوَّزىُّ قال : كان يقال لطلحة بن عبيد الله : طَلْحَة الطَّلَحاتِ ، وطَلْحَةُ الخَيْرِ ، وطَلْحَةُ الجود . وذكر التَّوَّزىُّ عن الأصْمعِىّ أنه باع ضَيْعَةً له بخمسةَ عشر ألف درهم ، فقَسَمها فى الأطْباق[1] . وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لُفِّقَ له بين ثوبين[2] .

وحدثنى العُتْبِىُّ فى إسنادٍ ذَكَرَهُ قال : دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم ، فأبْطَأَ عنه الغُلامُ بشىء أراده ، فقال طلحة : يا غلامُ ، فقال الغلامُ : لَبَّيْكَ ! فقال طلحة : لا لبَّيْكَ ! فقال أبوبكر : ما يَسُرُّنى أنّى قُلْتُها وأنَّ لى الدنيا وما فيها . وقال عمر : ما يَسُرُّنى أنى قلْتُها ولى نصف الدنيا . وقال عثمان : مايسرنى أنى قلتها وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَمِ .

---

(١) الأطباق : جمع طبق ، وهو الجماعة من الناس .

(٢) التلفيق : ضم أحد الثوبين إلى الآخر ؛ قال المرصفى : « وكأنه كره الحضور بهما إلى المسجد خوف الشهرة » .

وقوله : « ولاعِبْئاً عَلَى من يقاعِدُ » ، فالعِبْء: الثِّقْل : يقال حَمَل عِبْئاً ثقيلاً ، ووَكّدَهُ بقوله : « ثقيلاً » ، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه .

(لرجل يذكر ابنه)

وقال آخر يذكر ابنه :

ألاَ يا سُمَيّةُ شُبّى الوَقُودَا | لَعَلّ اللّيالِى تُؤَدّى يَزِيدَا
فَنَفْسِى فِدَاؤُكَ مِنْ غائِبٍ | إذَا ما المَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِى الّذِى كُنْتُ أَسْعَى لَهُ | فَصَارَ أَباً لِى وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله : « شُبّى » ، يقال : شَبَبْتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما ؛ يقال : شَبّ يَشُبُّ شَبّاً ، قال الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِهَا | وبَاتَ عَلَى النّارِ النّدَى والمُحَلّقُ

وقوله :

* إذا ما المَسارح كانت جليداً *

فالمَسارحُ الطُّرُقُ التى يَسْرَحون فيها ، واحدها مَسْرَحٌ ، والجَلِيدُ يقع من السماء ، وهو نَدًى فيه جُمُودٌ ، فتَبْيَضُّ له الأرض ، وهو دون الثّلْجِ ، يقال له : الجليد ، والضّرِيب ، والسقيط ، والصّقيع .

وقالوا فى قوله :

* رِجْلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ *

أى يصيبها الضّرِيبُ .

وقوله : « وصرت[1] الوليد » ، الوليد[2] : الصغير ، وجمعه وِلْدان ، وهو فى

---

(١) ر ، س : « وكنت » . (٢) س : « فالوليد » .

وَهَبَ يَهَبُ ، وهَمَزَ الواوَ لانضمامها ؛ كقوله عز وجل : ﴿ وإذا الرُّسلُ أُقِّتَتْ ﴾[١] . فهو « فُعِّلَتْ » ، من الوَقْتِ . وقد مضى تفسير همز الواو إذا انْضَمَّتْ . وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة ، وكل شىء لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز : لأن أصله كان الصَّرْف ؛ فلما احتيج إليه رُدَّ إلى أصله ، فهذا قولُ البصريين . وزعم قوم أن كلَّ شىء لا ينصرف فصَرْفُهُ فى الشعر جائز : إلا « أفْعَلَ » الذى معه « منكَ » ؛ نحو : أفْضَل منك ، وأكرم منكَ . وزعم الخليل — وعليه أصحابه — أن هذا إذا كانت معه «منك» بمنزلة «أحْمَرَ» لأنه إنما كَمَلَ أَنْ يكون نَعْتاً بـ« منك » ، وأحْمَرُ لا يحتاجُ إليها ، فهو مع «منْكَ» بمنزلة « أحْمَرَ » وحْدَهُ ، قال : والدليل على أن« منك » ليست بما نعتَهِ من الصرف أنه إذا زال عن بناء « أفْعَلَ » انْصَرَفَ ؛ نحو قولك : مررتُ بخَيْرٍ منك ، وشَرٍّ منك ؛ فلو كانت «منك» هى المانعةَ لمَنَعَتْ هنا ؛ فهذا قولٌ بَيِّنٌ جدًّا .

وقوله : « المُزَجَّى » ، فهو الضعيف : يقال : زَجَّى فلان حاجتى : أى خَفَّ عليه تَعْجِيلُها ، والمُزْجاةُ من البضائع : اليَسيرةُ الخفيفة المَحْمِلِ . والنَّفْنَفُ وجمعه النَّفانِفُ : كلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفضٍ ، قال ذو الرُّمَّة :

« فى نَفْنَفٍ يَتَطَوَّحُ[٢] » .

---

(١) سورة المرسلات ١١

(٢) البيت بتمامه :

ترى قُرْطَهَا فى واضِحِ الليتِ مُشْرِفًا ... على هَلَكٍ فى نفنفٍ يتطوّحُ

وانظر ديوانه ٨٢

ولوْ أَنِّى أَنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ   خِلاَفَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فِى الثَّرَى مَعَا

[لإبراهيم بن عبد الله بن حسن يرثى أخاه]

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمداً :

أَبَا المَنَازِلِ يَا عُبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ   يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ فِى الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا

اللهُ يَعلَمُ أَنِّى لَوْ خَشِيتُهُمُ   أَوآنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمْ أَخِى لَهُمُ   حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله : « يا عُبْرَ الفوارس » ، يصفه بالقوة منهم وعليهم ، كما يقال : ناقة عُبْرُ الهَوَاجِرِ وعُبْرُ السُّرَى [١] .

وقوله :

* أَوْ آنس القلب من خوف لهم فزعا *

يقول : أَحَسَّ ، وأصل الإيناس فى العين ، يقال : آنَسْتُ شخصاً ، أى أَبْصَرْتَه من بُعْدٍ ، وفى كتاب الله جلّ وعزّ : ﴿ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّور نَاراً ﴾ [٢] .

[لمتمم بن نويرة يرثى أخاه]

وقال مُتَمِّم بنُ نُوَيْرَةَ [٣] :

---

(١) عبر الفوارس ؛ من قولهم : ناقة عبر أسفار ؛ إذا كانت قوية .

(٢) سورة القصص ٢٩

(٣) زيادات ر : « يرثى أخاه » ، وفى س قبل هذا البيت :

ومستضحكٍ إذ لم يُصَبْ كمصيبتى   وليسَ أخو الشَّجْوِ الحزين بضاحكِ

القرآن[١]. ونظير وَلِيدٍ وِولْدانٍ ظليمٌ وظِلْمان ، وقضيب وقِضْبانٌ ، وباب « فعالٍ فِعْلانٌ » ، نحو عِقْبانٍ وذِبَّانٍ وغِرْبانٍ . وقولهم : « أمرٌ لا يُنادَى وَلِيدُهُ » ، يقال فيه قولان يتقاربان[٢] ، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغار ، والوجه الآخر لأصحاب المعانى ؛ يقولون : ليس فيه وَلِيدٌ فيُدْعَى ، ونظير ذلك قول النابغةِ الجَعْدِيِّ :

سَبَقْتُ صِياحَ فَرَارِيجِها وضربَ[٣] نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

أى ليست ثَمَّ ، ولكنَّ هذا من أوقاتها . وقالت أخت طَرَفَةَ بن العَبْدِ :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعِشْرِينَ حِجَّةً فلمَّا توفَّاها آسْتَوَى سَيِّداً ضَخْمَا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إيابَهُ عَلَى خَيْرِ حالٍ لاَ وَلِيداً ولاَ قَحْمَا

الوليد: ماذكرنا ، والقَحْمُ : الرجل المتناهى سِنًّا ، ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وقَحْرٌ وَمُقْلَحِمٌ ، ويقال للبعير خاصَّةً : قُحارية ، فى وزن[٤] قُراسِيَة ، وأنشد الأصمعيّ :

رَأَيْنَ قَحْماً شَابَ وَاقْلَحَمَّا طالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ : الضامر .

[لرجل آخر يرثى ابنه]

وقال آخر لابنه يرثيه :

وَمِنْ عَجَبٍ أنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثرى وَبِتُّ بِمَا زَوَّدْتَنِى متمتِّعا

---

(١) زيادات ر : « قوله عز وجل : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾ » . « الواقعة ١٧ »

(٢) ر : « متقاربان » .

(٣) ر : « وصوت » .

(٤) ر : « بوزن » .

وإلا فالحَرْبُ بيننا » . فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله ، وقبِلَ منه ما أراد ، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك .

وقوله : « بنو اللكيعة » ؛ فهى اللئيمة ، ويقال فى النداء للّئيم : يا لَكَعِ ، وللأنثى : يالَكاعِ ، لأنه موضع معرفة ، كما يقال : يا فُسَقُ ويا خُبَث ، فإن لم تُرِدْ أن تَعْدِلَهُ عن جهته قلتَ للرجل : يا أَلْكَعُ ، وللأنثى يا لَكْعاءُ ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَة ، وقد جاء فى الحديث - والأصل ماذكرتُ لك - : « لا تقوم الساعةُ حتى يَلِىَ أمر(١) الناس لَكَع ابن لُكَع » ؛ فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم ، وهذا بمنزلة « عمر » ينصرف فى النكرة ، ولا ينصرف فى المعرفة . ولَكاعِ يُبْنَى على الكسر ، وسنشرح باب «فَعالِ» للمؤنث على وُجوهه الأربعة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله . وقد اضْطُرَّ الحُطَيْئَةُ فذَكَرَ « لَكاعِ » فى غير النِّداء ، فقال يَهْجو امرأته :

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِى   إلَى بَيْتٍ قَعِيـدَتُهُ لَكاعِ

قعيدةالبيتِ : رَبّةُ البيت ، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا ، وهو الذى يَرْتبطه صاحبه فلايُفارقه ، قال الجُعْفِىُّ :

لَكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنَا مَجْفُوَّةٌ   بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا ، وَلَهَا غِنَى

الجناجِنُ : ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر ؛ واحدها جِنْجِنٌ .

---

(١) ر ، س : « أمور الناس »

وَقالوا: أتبْكِي كُلَّ قَــبْرٍ رَأَيْتَهُ لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكادِكِ !
فَقلْتُ لَهُمْ: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ البُكا(١) ذَرُونِي فَهٰذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ(٢)

الأَسَى : الحُزْنُ ، وقد مرّ تفسيره .

[لعلى بن عبد الله بن العباس يفخر]

وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِبِ رحمة الله ورضوانه عليـــه :

أَبِي الْعَبَّاسُ قَرْمُ بَنِى قُصَىٍّ وَأَخْوَالِي الْمُلوكُ بَنُو وَلِيعَهْ
هُمُ مَنَعُوا ذِمَارِى يَوْمَ جاءَتْ كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنُو اللَّكِيعَهْ
أَرادَ بِيَ الَّتِي لا عِزَّ فِيهـــا فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ مَنِيعَهْ

قوله : «بنو وليعة» ، فهم أخواله من كِنْدَةَ ، وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الـكِنْدِيَّةُ ، ثم إحدى بنى وَلِيعةَ .

وقوله : « كتائبُ مُسْرِفٍ » يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّىّ صاحبَ الحَرَّةِ ، وأهلُ الحجاز يسمونه مسرفاً ، وكان أراد أهْلَ المدينة جميعاً على أن يبايعوا يَزِيدَ بن معاوية على أن كلَّ واحد منهم عَبْدٌ قِنٌّ له إلا علىَّ بن الحُسَيْنِ ، فقال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدَةَ : « ولا يُبايِعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبد الله إلاَّ على ما يُبايِعُ عليه علىُّ بن الحسين ، على أنه ابن عم أمير المؤمنين ،

---

(١) ر : « الأسى » . (٢) فى س بعد هذا البيت :

ألمْ ترهُ فينـــا يقسِّم ماله ويأوى إليه مرملات الضرائكِ

[لجرير فى مرضه حين عادته قيس]

وحدّثنى عُمارة قال : مرض جَرِيرٌ مَرْضَةً شديدةً ، فعادتْه قيسٌ ، فقال:

نَفسِى الفِداءُ لِقَومٍ زَيَّنُوا حَسَبِى ... وَإِنْ مَرِضتُ فَهُمْ أَهْلِى وَعُوَّادِى
لَوْ خِفتُ لَيْثاً أَبا شِبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ ... ما أَسْلَمُونِى لِلَيْثِ الغابَةِ العَادِى
إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ ... أَوْ بِالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زادِى

[لعبد الرحمن بن ثابت يهاجى عبد الرحمن بن الحكم]

وقال عبدالرحمن بن حَسَّان بن ثابتِ بن المُنْذِرِ بن حَرَامٍ ، وهو يهاجِى عبدَ الرحمن بن الحكمِ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْسٍ :

فَأَمَّا قَوْلُكَ : الْخُلَفَاءُ مِنَّا ... فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِداجِى
وَلَوْلاهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوَى فى مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ دَاجِ
وكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ واجِى (١)

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهما وكانا تقاذَفا ، فضَرَبَ عبدَالرحمن ابن حسّان ثمانين ، وضَرَبَ أخاه عشرين ، فقيل لعبد الرحمن بن حسّان : قد أمْكنَكَ فى مَرْوانَ ما تريد ، فَأَشِدْ بذكره ، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية ، فقال : إذاً والله لا أَفعلُ ، وقد حدَّنى كما تُحَدّ الرجالُ الأحرارُ ، وجعل أخاه كنصف عبد . فأوْجَعه بهذا القول .

* * *

ويروى أن عبد الرحمن بن حَسَّان لسَعَهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكى ، فقال له :

---

(١) الفهر : الحجر الذى يملأ الكف .

[لهشام أخى ذى الرمة]

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّةِ :

تَعَزَّيتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلاَنَ بَعْدَهُ عَزَاءً، وَجَفْنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مُتْرَعُ

وَلَمْ تُنْسِنِى أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَـكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

غَيْلانُ : هو ذو الرُّمَّةِ ، وكان هِشامٌ من عُقَلاءِ الرجال . حدثنى العباس ابن الفَرَجِ فى إسناده له[1] يَعزوه إلى رجل أراد سَفرًا ، فقال : قال لى هِشامُ ابن عُقْبَةَ : إنَّ لكل رُفْقةٍ كلباً يَشْرَكُهُمْ فى فَضْلة الزادِ ، ويَهِرُّ دونهم ، فإن قَدَرْتَ ألا تكونَ كَلْبَ الرُّفْقة فافْعَلْ ، وإيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاةِ عن وقتها ، فإنك مُصَلِّيها لا مَحالَةَ ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك .

[لحسان بن ثابت الأنصارى فى لهوه]

وقال حَسَّانُ بن ثابت الانصارىُّ :

تَقُولُ شَعْثاءُ[2] لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الْـ ـكَأْسِ لأَصْبَحْتَ مُثْرِىَ الْعَدَدِ

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فى فَلَقِ الصُّـ ـبْحِ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرِدِ

لاَ أَخْدِشُ الْخَدْشَ بِالْجَلِيسِ وَلاَ يَخْشَى نَدِيمى إذا انْتَشَيْتُ يَدِى

يَأْبَى لِىَ السَّيْفُ وَاللِّسَانُ وَقَوْ مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةِ الأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد : ما يَتَطارَقُ مِنْ شَعرهِ بين كَتِفَيْهِ ، ويقال : أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وَذو لِبَدٍ .

---

(١) ر ، س : « فى إسناد ذكره »

(٢) زيادات ر : « هى امرأته ، وهو اسمها » .

بابٌ

[نبذ من كلام الحكماء]

قال أبو العباس : قال عمر بن الخطاب رحمه الله [1] : عَلِّمُوا أولادكم العَوْمَ والرِّمايَةَ ، ومُروهُمْ فَلْيَثِبُوا على الخيل وثباً ، ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشعْر .

وفى حديث آخر : وَخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ .

ويروى عن الشَّعْبِيِّ أنه قال : قال عبدالله بن العباس قال لى أبى : يا بُنَيَّ ، إنى أرى أمير المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَنْ ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحْفَظْ عنى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَذِباً ، ولا تَغْتَبْ عنده مسلماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً ، قال : فقلتُ له : يا أَبَهْ ، كُلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من ألف ، فقال : كلٌّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف .

وحدثنى العباس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال : نُظِرَ إلى عمرو ابن العاص على بَغْلةٍ قد شَمِطَ [2] وَجْهُها هَرَماً ، فقيل له : أَتَرْكَبُ هذه وأنت على أَكْرَمِ ناخِرةٍ بمصر ؟ فقال : لا مَلَلَ عندى لدابتى ما حَمَلَتْ رِجْلِيّ ، ولا لامرأتى ما أَحْسَنَتْ عِشْرتى ، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى ، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأخْلاق .

قوله : « على أكرم ناخرة » يريد الخيل ، يقال للواحد ناخرٌ ، وقيل :

---

(١) ر ، س « رضى الله عنه » .
(٢) شمط وجهها : ابيضّ .

مالك ؟ فقال : لسعى طائرٍ كأنه مُلْتفٌّ فِي بُرْدَىْ حِبَرَةٍ . قال : قلتَ الله الشعرَ .

ويروى أن معلمه عاقب صِبيانا[1] على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة ، فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ مُنْتَبِذاً ‌ ‌ ‌ ‌ فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيبَا

وأعْرَقُ قومٍ كانوا فى الشعر آلُ حَسَّان ؛ فإنهم كانوا يَعتدُّون ستةً فى نَسَق كلُّهم شاعرٌ ، وهم سَعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن الْمُنْذِر ابن حرام ، وبعد هؤلاء فى الوقت آلُ أبى حَفْصة ، فإنهم أهل بيت كلُّهم شاعر ، يتوارثونه كابراً عن كابرٍ .

ويروى أن ابنة لابن الرِّقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت : ما تريدون ؟ فقالوا : جئنا لنُهاجِيَه ، فقالتْ وهى صَبِيَّةٌ :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوِجْهَةٍ ‌ ‌ ‌ ‌ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ

فهذه بلغتْ بطبعها على صِغَرِها مَبْلَغَ الأعْشَى فى قَلْب هذا المعنى ، حيث يقول لِهَوْذَةَ بن علىّ :

يَرَى جَمْعَ مَادُونَ الثَّلاَثِين قُصْرَةً ‌ ‌ ‌ ‌ وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلاَثِينَ وَاحِدَا

---

(١) ر : « الصبيان » .

[من كلام عمرو بن العاص لعائشة]

وقال عمرو لعائشة رحمة الله عليهما[١] : لوَدِدْتُ أنَّكِ كنتِ قُتِلتِ يوم الجَمَلِ ! فقالت : ولِمَ لا أبالكَ ؟ فقال : كُنْتِ تموتِينَ بأَجَلِكِ ، وتدْخُلينَ الجنةَ ، ونجْعَلُكِ أكبر التشنيع على عليّ .

[ما قاله عمرو بن العاص حين احتُضِر]

وحدثني العباس بن الفرج الرِّياشِيُّ في إسنادٍ ذكره ، آخره « ابن عُباس » قال : دخلت على عمرو بن العاص وقد احْتُضِرَ ، فدخل عليه عبدالله بن عمرو فقال له : يا عبد الله ، خُذْ ذلك الصُّنْدوقَ ، فقال : لا حاجة لي فيه[٢] ، قال إنه مملوء مالاً ، قال : لا حاجة لي به ، فقال عمرو : ليته مملوء بَعَرًا ! قال : فقلت : يا أبا عبد الله ، إنك كنتَ تقول : أشتهي أن أرَى عاقِلاً يموت حتى أسأَلَهُ كيف يَجِدُ ؟ فكيف تَجِدُكَ ؟ قال : أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض وأنا بينهما ، وأراني كأنما أتنَفّسُ من خَرْتِ إبْرَةٍ ، ثم قال : اللهم خُذْ مني حتى تَرضَى . ثم رفع يديه فقال : اللهم أَمَرْتَ فَعَصَيْنا ، ونَهيْتَ فرَكِبْنَا ، فلا برىءٌ فأعْتَذِر ، ولا قويٌّ فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله ثلاثاً ، ثم فاظ .

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّياشِيِّ بأتمّ[٣] من هذا ، ولكن[٤] اقتصرنا على هذا لثقَةِ إسناده .

---

(١) ر : « رحمها الله » .
(٢) س : « به » .
(٣) س : « أتم » .
(٤) س : « ولكنا » .

ناخِرة ؛ يراد جماعة ، كما تقول : رجل بَغَّالٌ وحَمَّارٌ ، والجماعة البَغَّالةُ والحَمَّارةُ ؛ وكذلك تقول : أتتنى عُصْبَةٌ نبيلةٌ ، وقبيلة شَرِيفة ، والواحد نبيلٌ وشريف .

[فى مشاورة معاوية عمرو بن العاص فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة]

وشاوَرَ مُعاوية عَمْرًا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عُتْبَة بن مالك بن أبى وَقَّاص — وكان هاشم بن عُتْبَة أحَدَ فُرْسان[1] على رحمه الله — فأُتِىَ بابنه مُعاويةُ ، فشاور عَمْرًا فيه ، فقال : أرى أن تقتله ، فقال له معاوية : إنى لم أرَ فى العَفْو إلا خيْرًا ، فمضى عمرٌو مُغْضَبًا ، وكتب إليه :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِى ... وكانَ مِنَ التَّوْفيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمِ
أَلَيْسَ أَبُوهُ يا مُعَاوِيَةُ الَّذِى ... أَعَانَ عليًّا[2] يَوْمَ حَزِّ الْغَلَاصِمِ[3]
فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا ... بِصِفِّينَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
وهٰذَا ابْنُهُ ، والمَرْءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ[4] ... ويُوشِكُ أَنْ تُلْفَى[5] بِهِ جِدَّ نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم ، فكتب إليه عبد الله بن هاشم :

مُعَاوِىَ إنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ... ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّهَا غَيْرُ نَائِمِ
يَرَى لَكَ قَتْلِى يَابْنَ هِنْدٍ وإنَّمَا ... يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأعَاجِمِ
عَلَى أَنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ ... إِذَا كَانَ مِنْهُ بَيْعَةُ المُسَالِمِ
فَإِنْ تَعْفُ عَنِّى تَعْفُ عَنْ ذِى قَرَابَةٍ ... وإِنْ تَرَ قَتْلِى تَسْتَحِلَّ مَحَارِمِى

فصَفَحَ عنه .

---

(١) زيادات ر : « وهو المرقال » (٢) كذا فى الأصل ، س . وفى ر : « علينا »
(٣) الغلاصم : الحلاقيم . (٤) العيص : الأصل . (٥) ر : « تلق » بالقاف .

وسمع زيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال : لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، إن الزمان هو السلطان .

وفى عَهْدِ أردَشِير : وقد[1] قال الأولون مِنَّا : عَدْلُ السلطان أنفعُ للرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان .

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ لِبَنِيه : إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحسِنِ،واشتدّوا على المريب ، فإن الناس للسُّلطان أَهْيَبُ منهم للقرآن .

وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه : إن الله لَيَزَعُ بالسلطان مالا يَزَعُ بالقرآن .

قوله : « يَزَعُ » أى يَكُفُّ، يقال : وَزَعَ يَزَعُ إذا كف ، وكان أصله « يَزِعُ » مثل يَعِدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ؛ وأتْبِعتْ حروفُ المضارعة الياءَ لئلا يختلف الباب ، وهى الهمزة ، والنون ، والتاء ، والياء ؛ نحو أَعِدُ ، ونَعِدُ ، وتَعِدُ ، ويَعِدُ ، ولكن انفتحت فى « يَزَعُ » من أجل العين ؛ لأن حروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامِهِ فُتِحْنَ فى الفعل الذى ماضيه « فَعَلَ » ، وإن وقعت الواو بما هى فيه فاءٌ فى « يَفْعَلُ » المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفِعْل ، نحو : وَجِلَ يَوْجَلُ ، وَوَجِلَ يَوْجَلُ ، ويجوز فى هذه المفتوحة ياجَلُ وياجَلُ وَيِيْجَلُ وَيِيْجَلُ ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء ، تقول : وزَعْتُهُ : كففته ، وأوزعته : حملته على ركوب الشيء وهيَّأته له ، وهو من الله عزّ وجل توفيق ، ويقال : أَوْزَعَكَ الله شكره ، أى وفقك له .

(١) س : « قد » بحذف الواو .

قوله : « من خَرْتِ إبرة » ، يعنى من ثَقْب إبرة ، يقال للدليل : خِرِّيت . وزعم الأصمعىّ أنه أريد به أنه يَهْتدى لمثل خُرْتِ الإبرة .

وقوله : « فاظ » ، أى مات ، يقال : فاظ ، وفاد ، وفَطَسَ ، وفازَ ، وفَوَّزَ ؛ كل ذلك فى معنى الموت ، ولا يقال : بالضاد إلا للإناء ، قال رؤبة[1] :

* لا يَدْفِنُونَ مِنْهم مَنْ فاظا *

وقال ابن جُرَيْج : « أمَا رَأَيْتَ الْمَيْتَ حِينَ فَوْظِهِ » !

ومَنْ قال ذلك للنفْس قال : فاضَتْ نَفْسُهُ ، يشبّهها بالإناء .

وحدّثنى أبو عثمان المازنىُّ — أحْسِبُهُ عن أبى زيد — قال : كلُّ العرب يقولون : فاضَتْ نفسه إلا بَنِى ضَبَّةَ فإنهم يقولون : فاظَتْ نفسه ، وإنما الكلام الصحيح : فاظ — بالظاء — إذا مات .

وفى الحديث أن امرأة سَلاَّمْ بن أبى الْحُقَيْقِ قالت : فاظ ، وإله يَهودَ .

[نبذ من أقوال الحكماء]

وحدثنى مسعود بن بِشْر قال : قال زِيادٌ : الإمْرةُ تُذْهِبُ الحفيظةَ ، وقد كانت من قوم إلىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى ، ودَبْرَ أُذُنى ، فلو بلغنى أن أحدَكم قد أخذه السُّلُّ من بُغْضِى ما هَتَكْتُ له سِتْرًا ولا كشَفْتُ له قِناعاً حتى يُبْدِىَ لى عن صَفْحتِهِ ، فإذا فعل لم أناظِرْهُ .

---

(١) قبله :

* والأزد أمسى شلوهم لفاظا *

وانظر اللسان (فيظ) .

يَضْرِبُ ذلك مَثلاً ليَرْبوع بن حَنْظَلةَ لأنه سُمِّىَ باليربوع :

تُسَدُّ القاصِعاءُ عليك حَتَّى　　تُنَفَّقَ أو تموتَ بها هُزالا[1]

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبّ إلا وفى جُحْرِهِ عقرب ، فهو لا يأكل ولد العقرب ، وهى لا تضربه فهى مُسالِمةٌ له ، وهو مُسالِمٌ لها ، وأنشد[2] :

وأَخْدَعَ من ضَبّ إذا خاف حارشًا[3]　　أَعَدَّ له عنْـــدَ الذُّنابة عَقْربا

وقوله : « بنو اللكيعة » يريد اللئيمة ، وقد مَرَّ تفسير هذا فى موضعه ، قال ٱبن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر قتل مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ[4] :

إن الرَّزِيَّةَ يَوْمَ مَسْـ　　كِنَ والمُصيبةَ والفَجيعَهْ

بابن الحَوَارِيِّ الذى　　لَمْ يَعْدُهُ أَهْلُ الوَقيعَهْ[5]

غَدَرَتْ به مُضَرُ العِـــرا　　قِ ، وأمْكَنَتْ مِنْهُ رَبيعَهْ

---

(١) تنفق : تخرج من نافقائه .

(٢) زيادات ر : « كلها بالمد ، ويقال بالقصر ، ويقال أيضا فيها على وزن فعلة [بضم الفاء وفتح العين] نفقة ورهطة ودمة وقصعة

وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء ، والنفقاء كالنافقاء ، والقصعاء كالقاصعاء .

وحكى أيضا زيادة فقال : العانقاء ، جحر الأرنب واليربوع ، والتابياء أيضا من جحرة اليربوع .

وأما قول أبي العباس فى السابياء فهو مما قد رد عليه فيه ، وقد تبعه ابن ولاد ، وكلاهما غير مصيب ؛ وإنما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الغرقىء ، وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت : —

وقَتًّا فيها الغيثُ مِنْ سابيائه　　دَوالحَ وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وإنما الجلدة التى يكون فيها الولد [illegible] . وقد تبع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحر اليربوع ، وذلك غلط .

(٣) الحارش : صائد الضباب .

(٤) قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ ، قتله عبد الملك بن مروان بموضع يقال له مسكن على نهر جيل . والأبيات فى معجم البلدان . (٨ : ٥٤)

(٥) الحوارىّ فى الأصل : الناصر ؛ ويريد به الزبير بن العوام .

وقال الحسن مرّةً : ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشّرَطِ ؟ فلما وَلِى القضاء كَثُرَ عليه الناس ، فقال : لا بُدَّ للسلطان[١] من وَزَعَةٍ .

[خطبة الحجّاج فى أهل العراق]

وخَطَبَ الحجّاجُ بن يوسف ذات يومٍ ، يوم جمعة ، فلما توَسّطَ كلامَهُ سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق ، فقطع خطبته التى كان فيها ، ثم قال : يا أهلَ العراق ، ويا أهل الشّقاق ، ويا أهل النفاق ، وسَيِّئ الأخْلاق . يا بنى اللَّكِيعة ، وعَبيدَ العَصَا ، وأولادَ الإماءِ ، إنى لأسْمَعُ تكبيراً ما يُرَادُ الله به ، إنما يُراد به الشيطانُ ، وإن مَثَلى ومَثَلَكُمْ قولُ ابن بَرّاقَةَ الهَمْدانىّ :

وَكُنْتُ إذَا قَوْمٌ رَمَوْنِى رَمَيْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ !
مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِىَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًا تَجْتَنِبْكَ الْمَظَالِمُ

[ثم نزل فصلّى بهم][٢]

قوله : « يا أهل الشقاق » ، فالمشاقَةُ المعاداة ، وأصله أن يَرْكَبَ ما يَشُقّ عليه ، ويُرْكَبَ منه مثل ذلك . والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدِى ، هذا أصله . وإنما أُخِذَ من النافِقاء ، وهو أحد أبواب جُحْر اليَرْبوع . وذلك أنه أخفاها فإنما يَظْهَرُ من غيره ، ولجُحْرِهِ أربعةُ أبوابٍ : النافِقاءُ والراهِطاءُ والدامّاءُ والسابِياءُ ، وكلّها ممدودة . ويقال للسابياء : القاصِعاءُ ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يُنْفِذُه فيُبْقِى بينه وبين إنفاذه هَنَةً من الأرض رقيقةً ، وأُخِذَ من سابياءِ الولد ، وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه . قال الأخْطَلُ

---

(١) ر ، س : « الناس » .
(٢) تكملة من ر .

عبد المَلِكِ بن مَرْوان مع عِرَار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الْأَسَدِىّ — وكانَ أسود دَميما — فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شىء من أمر الوقعة[1] إلاّ أنْبَأَهُ به عِرارٌ، فى أصح لفظ ، وأشْبَعِ قولٍ ، وَأَجْزَإِ اختصارٍ ، فشفاه من الخبر ، ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا — وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقْتَحَمَتْهُ عينه حيث رآه — فقال متمثّلاً :

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِى عِرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ[2]

وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فَإِنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ : أَتَعْرِفُنِى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فأنا والله عِرارٌ ، فزاده فى سُروره ، وأَضْعَفَ له الجائزة .

[كتاب صاحب اليمن إلى عبد الملك فى وقت محاربته ابن الأشعث]

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك وقت محاربته ابنَ الأشْعَث : إنى قد وَجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لَمْ يُرَ مِثْلُها قطُّ ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهًا جميلاً ، وخُلُقًا نَبيلاً ، فألْقَى إليها قضيبا كان فى يده ، فَنَكَسَتْ لتأخذه ، فرأى منها جِسْمًا بَهَرَهُ ، فلما هَمَّ بها أَعْلَمَهُ الآذِنُ أنّ رسول الحجّاج بالباب ، فأَذِنَ له ، ونَحَّى الجاريةَ ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن ، فيه سطور أربعة :

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ : هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ ؟[3]

---

(١) ر : « الوقيعة » .

(٢) البيتان لعمرو بن شأس ، وانظر ديوان الحماسة لأبى تمام — بشرح التبريزى ١ : ٢٢٢

(٣) نسب أبو الفرج هذه الأبيات إلى وعلة الجرمى ، وانظر الأغانى ١٩ : ١٤٠ .

فَأَصَبْتِ وِتْرَكِ يا رَبِيــعَ وكُنْتِ سامعةً مُطيعَهْ
يا لهْفَ لو كانَتْ له بالطَّفِّ يَوْمَ الطَّفِّ شِيعَهْ!
أو لم يَخُونوا عَهْــدَهُ أهلُ العِراقِ بَنُو اللَّكِيعَهْ
لَوَجَدْتُموهُ حِــينَ يَغْ ضَبُ لا يعرِّجُ بالمضيعَهْ[١]

وقوله: «عبيد العصا»، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال[٢]، كما قال ٱبن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ:

أَلْعَبْــدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تكفيه المَلَامَهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ:

ألَا إنَّمـا تَيْمٌ لعَمْرٍو ومالكٍ عَبيدُ العَصا لم يَرْجُ عِتْقاً قَطِينُها

[من كلام ابن الأشعث حين ظهور الحجاج عليه]

وخَطَبَ النَّاسَ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بالمِرْبَدِ عند ظهور أمر الحَجَّاج عليه فقال: أيها الناس، إنه لم يبق من عَدُوِّكُمْ إلا كما يَبْقَى من ذَنَبِ الوَزَغَةِ؛ تَضْرِبُ به يمينا وشمالا فلا تَلْبَثُ أن تموت. فسمعهُ رجل من بنى قُشَيْرِ بن كَعْبِ بن ربيعةَ بن عامرِ بن صَعْصَعَةَ فقال: قَبَحَ الله هذا: يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويَعِدُهُم الغُرُورَ!

[كلام عرار بن شأس لعبد الملك حينما حمل إليه رأس ابن الأشعث]

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجَّاجَ لما أخَذَ رأسَ ٱبن الأشعث وَجَّهَ به إلى

---

(١) روايته فى معجم البلدان

لوجدتموه حين يَغْ دو لا يعرِّسُ بالصنيعهْ

(٢) ر: «بريد أنهم لا يقادون إلا بالإذلال».

وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببَهائِهِ ، ومن ثَمَّ قيل : القمرُ[1] الباهِرُ ، أنشدنى المازِنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كَعْبٍ :

وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ السَّمَاءَ لَقَدْ زُرْنَا هِلَالاً بِجَحْفَلٍ لَجِبِ

تَسْمَعُ زَجْرَ الْكُمَاةِ بَيْنَهُمُ : قَدِّمْ،وَأَخِّرْ، وَأَرْحِبِى،وَهَبِى[2]

مِنْ كُلِّ هُدَّاءَةٍ كعالية الرُّ مْحِ أَمُونٍ وَشَيْظَمٍ سَلِبِ[3]

وقال طُفَيْلٌ الْغَنَوِىُّ يصِفُ كيف تُزجَرُ الخيلُ ، فَجَمَعَهُ فى بيت واحد :

وقِيل اقْدِمِى وَاقْدِمْ وَأَخِّ وَأَخِّرِى وَهَا، وهَلاَّ واضْرَحْ[4] وَقَادِعْهَا هِبِى

[قال أبو الحسن : وأَجِّ] .

ومن زَجْرِ الخيل أيضاً : « هِقَبْ وهِقَطْ » ، وأنشدنى المازنىّ :

لَمَّا سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هقَطْ عَلِمْتُ أَنَّ فَارِسًا مُنْحَطُّ[5]

وقوله : « بين الجمِّ والفُرُط » هما موضعان بأعيانهما .

وقوله :

* فى ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ *

يقال فيه قولان متقاربان : أحدهما أنهنّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجَعَلْنَ

---

(١) ر : « للقمر » .

(٢) أرحبي ، من أرحب الشيء إذا وسعه : وهبي من قولهم : هاب بكسر الباء ؛ وكلاهما زجر للخيل .

(٣) الهداءة : الفرس الضامر . والأمون : الوثيقة الخلق . والشيظم : الشديدة . والسلب : الطويل .

(٤) ر : « واضبر » .

(٥) زيادات ر : قال الفراء : هقط ، بالكسر والفتح ؛ ويروى : « مختط يدل منحط »

وهلْ سَمَوْتَ بجرّارٍ لهُ لَجَبٌ ... جَمِّ الصَّواهِلِ بَيْنَ الجَمِّ وَالْفُرُطِ !
وهَلْ تَرَكْتُ نِساءَ الْحَىِّ ضَاحِيَةً ... فِى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْغُبُطِ !

وتحتها[1] :

قَتَلَ الملوكَ وسَارَ تَحْتَ لِوائِهِ ... شَجَرُ الْعُرَى وعَراعِرُ الأقْوامِ

قال: فكتب إليه عبد الملك كتابا، وجعل فى طَيِّهِ جَوابا لابن الأشعث:

مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظًا، وَيَنْوِى مِن سَفَاهَتِهِ كَسْرِى![2]
أَظُنُّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بينى وبَيْنَهُمْ ... سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ
وَإِنِّى وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ الْقَطَا ... وَلَوْ لم تُنَبَّهْ بَاتَتِ الطَّيْرُ لا تَسْرِى
أَنَاةً وَحِلْماً وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا ... فَمَا أَنا بِالْوَانِى وَلاَ الضَّرَعِ الْغُمْرِ

وينشد: «بالفانى». ثم بات يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول: ما أَفَدْتُ فائدةً أحبَّ إلىّ منكِ، فتقول: فما بالكَ يا أمير المؤمنين؟ وما يمنعك؟ فقال: [يمنعنى][3] ما قال الأخْطَلُ؛ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَبِ:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ ... دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

فما إليكِ سَبِيلٌ أو يَحْكُمَ الله بينى وبين عدوّ الرحمن، ابن الأشعثِ. فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن.

قوله: «فرأى منها جسما بَهَرَهُ»، يقال: بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأُفُقَ بظلمته،

---

(١) زيادات ر: «بيت آخر على غير الروىّ من الأبيات الأول، وهو». والبيت لمهلهل ابن ربيعة، وانظر اللآلى ٣٤١.
(٢) الأبيات للحارث بن وعلة الجرمى، وانظر اللآلى ٧٥٠.
(٣) تكملة من ر

وقوله : « ولو باتتْ بأطهار » ، فـ « لو » أصلها فى الكلام أن تَدُلَّ على وقوع الشئ لوقوع غيره ، تقول: لو جئتنى لأعْطيْتُكَ ، ولو كان زيدٌ هناك لضربْتُهُ ، ثم يُتَّسعُ فتصير فى معنى « إنْ » الواقعة لِلجزاء ؛ تقول : أنتَ لا تُكرِمُنِى ولو أكرمْتُكَ ، تريد « وإنْ » ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[1] ، فأما قوله عز وجلّ: ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ ﴾[2] فإن تأويله عند أهل اللغة : لا يُقبَل أن يَتَبَرَّأ به وهو مقيم على الكفر ، ولا يُقبَلُ إن افْتَدَى به ، فـ « لو » فى معنى « إنْ » وإنما مَنَعَ « لوْ » أن تكون من حروف المُجازاة فَتَجْزِمَ كما تَجزِمُ « إنْ » ، أنَّ حروفَ المجازاة إنما تقع لمـا لم يَقَعْ ، ويصير المـاضى معها فى معنى المستقبل ، تقول : إن جئتَنى أعْطَيْتُكَ ، وإن قعدْتَ عنى زُرْتُك ، فهذا لم يقع ؛ وإن كان لفظ المـاضى لِمَـا أحْدَثَتْهُ فيه « إنْ » وكذلك مَتَى أتيتنى أتيتك؛ و«لو» تقع فى معنى المـاضى، تقول: لو جئتنى أمْسِ لصادفْتَنى ، ولو رَكِبْتَ إلىّ أمْسِ لألْفَيْتَنى ، فلذلك خَرَجَتْ من حروف الجزاء ، فإذا أدخلتَ معها « لا » صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره ، فهذا خلافُ ذلك المعنى ، ولا تقع إلا على الأسماء ، ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه ، فاسْتُغْنِيَ عن ذكرهْ ، لذلكَ تقول: لَوْلاَ عَبْدُالله لضربْتُكَ ، والمعنى فى هذا المكان : من قَرابتك ، أو صَداقتك ، أو نحو ذلك ، فهذا معناها فى هذا الموضع ، ولها موضع آخر تكون فيه على

---

(١) سورة يوسف ١٠٧ .   (٢) سورة آل عمران ٩١ .

مَرَاكِبَهُنَّ حَطَبًا ، هذا قول الأصمعىّ . وقال غيره : بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب ، والغَبِيطُ من مَرَاكب النساء ، وكذلك الحِدْج ؛ قال امْرُؤُ القَيْسِ :

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا : عَقَرْتَ بَعِيرِى يا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

فأعلمك أن الغبيط لها ، والمحامل إنما أوّل من اتخذها الحجّاج ، ففى ذلك يقول الراجز :

أوّلُ عبدٍ عمِل المَحاملا أخزاه ربّى عاجلا وآجلا

وقوله : « شجر العُرا » فالعُرا : نبت بعينه إن ضُمّ العَيْنُ ، والعَراءُ ممدودا وَجْهُ الأرضِ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾[1] . وقال الهُذَلِىُّ[2] :

رَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِى

وهذا التفسير والإنشاد عن أبى عبيدة

وقوله :

* دون النساء ولو باتَتْ بأطهار *

معناه أنه يجتنبها فى طُهرها ، وهو الوقت الذى يستقيم له غِشْيانُها فيه ، وأهل الحجاز يَرَوْنَ « الأقْراء » الطُّهْرَ ، وأهلُ العراق يَرَوْنه الحيضَ ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدّةَ النساءِ الأطهارَ ، ويَحْتَجُّونَ بقول الأعْشَى :

وَفى كُلِّ عَامٍ أنتَ جاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأقْصاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالاً ، وَفى الحَىِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

---

(١) سورة القلم ٤٩ .

(٢) هو أبو خراش ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٦٨ .

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي   جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مِيسَمَا

وكذلك قول جَرِير :

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزُّبَيْرُ بِحَبْلِهِ   أَدَّى الْجِوَارَ إِلَى بَنِي الْعَوَّامِ

فَنَصَبَ بفعل مضمر يُفَسِّرُهُ ما بعده ؛ لأنها للفعل ، وهو فى التمثيل : لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُمْ ، وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو : الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، وحروفِ الفعل نحو : «إذْ وسَوْفَ»[1] وهذا مشروح فى الكتاب «المُقْتَضَبِ» على حقيقة الشرح .

وأما قوله : «وعَرَاعِرُ الأقوام» فمعناه رءوس الأقوام : الواحد عُرْعُرَةٌ ، وعُرْعُرَةُ كلِّ شَيْءٍ أعلاه ، من ذلك كتاب يَزيد بن المهلَّبِ إلى الحجّاج ابن يوسف : «وإن العدو نزلوا[2] بعُرْعُرَةِ الجبل ، ونَزَلْنَا بالحَضيض» ، فقال الحجاج: ليس هذا من كلام يَزيد ، فَمَنْ هناكَ ؟ قيل : يَحْيى بن يَعمَر ، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشْخِصَهُ إليه .

[الحجّاج ويحيى بن يعمر]

وزعم التَّوَّزِيُّ قال : قال الحجاج ليَحْيَى بن يَعْمر: أتَسْمَعُنِي أَلْحَنُ؟ قال : الأمير أفصحُ من ذلك ! قال : فأعاد عليه القول وأقسمَ . فقال : نعم : تجعل «أنَّ» مكان «إنَّ» ، فقال له : ارْحَلْ عنّى ولا تجاورنى .

قال أبو العباس : هذا على أنّ يزيد لم تُؤْخَذ عليه زَلَّةٌ فى لفظ إلا

(١) زيادات ر . «كذا وقع هنا «إذ» و «سوف» ولم يذكر سيبويه مع «سوف» إلا «قد» وهو الصحيح .

(٢) ر : «نزل»

غير هذا المعنى ، وهى «لَوْلَا» التى تقع فى معنى «هلاَّ» للتَّحضيض، ومن ذلك قوله : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[١] ، أى هَلاَّ ، وقال الله عز وجلّ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ﴾[٢] ؛ فهذه لا يليها إلا الفعل ؛ لأنها للأمر والتحضيض ؛ مُظهَرًا أو مُضمَرًا : كما قال[٣] :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ   بَنِى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِىَّ الْمُقَنَّعَا

أى هَلا تَعُدُّونَ الكَمِىَّ المقنعا ، «ولَوْلَا» الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرتُ لك؛ ولا بُدَّ فى جوابها من اللام أو معنى اللام ؛ تقول: لولا زَيْدٌ فعلت ، والمعنى لَفَعَلْتُ ، وزعم سيبويه أن « زيداً » من حَديث «لولا» ، واللامُ والفعلُ حديثٌ مُعَلَّقٌ بحديث « لولا » ، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ، و « لَوْ » لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهراً : لأنها تُشاركُ حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجَوابِهِ ، تقول : لو جِئْتَنِى لأَعْطَيْتُكَ : فهذا ظهور الفعل، وإضماره [قوله عزّ وجل][٤] : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى ﴾[٥] ؛ والمعنى والله أعلم : لو تملكون أنتم ؛ فهذا الذى رَفَعَ « أنتم » ولما أُضْمِرَ ظهر بعده ما يُفَسِّرُهُ ، ومثلُ ذلك : « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِى » أراد لَوْ لَطَمَتْنِى ذاتُ سِوارٍ ، ومثله[٦] :

---

(١) سورة النور ١٢ .   (٢) سورة المائدة ٦٣ .

(٣) زيادات ر : « نسب لجرير ، وقيل للأشهب بن رميلة » . والصحيح أن البيت لجرير من قصيد، يهجو فيها الفرزدق ، (وانظر ديوانه ٢٣٣ — ٢٤٠) .

(٤) تكملة من ر .   (٥) سورة الإسراء ١٠٠ .

(٦) زيادات ر : « قول المتلمس » والبيت فى الأصمعيات ٢٨٧ .

بابٌ

[للراعي في النسيب]

قال أبو العباس : قال الراعي :

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ   وَحاجةٍ غَيْرِ مُزْجاةٍ مِنَ الحاجِ
طاوَعْتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنا   وَظَنَّ أَنِّي عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعاجِ
مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَاباً وَيُغْلِقُهَا   دُونِي ، وَأَفْتَحُ بَاباً بَعْدَ إِرْتاجِ
حتَّى أضاءَ سِراجٌ دونه بَقَرٌ   حمرُ الأناملِ عِينٌ طَرفُها ساجِ
يَا نُعْمَها لَيْلَةً حَتَّى تَخَوَّنَهَا   دَاعٍ دَعَا في فُرُوعِ الصُّبْحِ شَحَّاجِ !
لمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الأُولَى فَأَسْمَعَنِي   أَخَذْتُ بُرْدَيَّ وَاسْتَمَرَرْتُ أَدْرَاجِي

قوله :

* وحاجة غير مزجاة من الحاج *

المزْجاةُ : اليَسيرةُ الخفيفة المَحمِلِ ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ [1] ، والحاج : جمع حاجةٍ ، وتقديره فَعْلَةٌ وفَعْل ، كما تقول : هامَةٌ وهام ، وساعةٌ وساع ، قال القَطَامِيُّ :

وَكُنَّا كَالحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً   فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَشُبُّ سَاعَا

فإذا أردتَ أدْنَى العَدَد قلتَ : ساعات ، فأما قولهم : في جمع حاجةٍ حَوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولَّدين ، ولا قياسَ له ،

---

(1) سورة يوسف ٨٨ .

واحدةٌ ، فإنه قال على المِنْبَرِ — وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْدِ ابن الخطَّاب — فقال: «هذه الضَّبُعَةُ العَرجاء» ، فاعتُدَتْ عليه لَحناً ، لأن الأنثى إنما يقال لها الضَّبُع ، ويقال للذكر الضِّبْعان ؛ فإذا جُمِعَ قيل ضِبُعان ، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير ، والباب على خلاف ذلك ، لأن التأنيث لا زيادة فيه ، وفى التذكير زيادة الألف والنون ، فثُنِّيَ على الأصل ، وأصل التأنيث أن يكون زائداً على بناء التذكير ؛ لأنه منه يَخْرُجُ ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة ، فمن حيث قُلْتَ للأنثى والذكر فى التثنية كريمانِ على حذف الزيادة قلت: ضَبُعان ، وتقول : له ابنان إذا أردتَ : له ابن وابْنَة ، ولا تقول : فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً ، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ ؛ فقد جاء ذلك ، قال الشاعر :

كلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطًا غَيْرَ جِيرَانِ بَنِى جَبَـلَهْ
خَرَّقُوا جَيْبَ فَتـاتِهِمُ لَمْ يُبَالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجملِ جَملانِ ، ولا الثَّوْرَانِ للثور والبقرة[1] ، لاختلاف الاسمين ، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا فى قول من قال للأنثى : ثَوْرَةٌ ، قال الشاعر[2] :

جَزَى اللهُ فيها الأَعْوَرَيْنِ مَلامَةً[3] وَعَبْدَةَ[4] ثَفرَ الثَّوْرَةِ المُتَضاجِمِ[5]

[قال أبو الحسن : المتضاجم : المتسع][6]

(١) ر : « ولا يقال للبقرة والنور نوران » .
(٢) هو الأخطل ؛ والبيت فى ديوانه ٢٧٧ .
(٣) الديوان : «مذمة» .
(٤) فى الديوان « وفردة » .
(٥) ثفر الثورة : فرجها .
(٦) من ر .

يعنى نساء ، والعربُ تَكْنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ هٰذَا أخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾[١] ، وقال الأعْشى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

وقوله : « عِينٌ » ، إنما هو جمع عَيْناء ، وهى الواسعة العَيْنِ ، وتقديره « فُعْل » ، ولكن كُسِرَت العين لتَصِحَّ الياء ، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبيض ، وتقديره حَمْراء وحُمْر ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب ، لأنه لا إخلال فيه ، تقول : سَوْداءُ وسُود ، وعَوْراءُ وعور .

وقوله : « طرفها ساج » ولم يقل : « أطرافها» لأن تقديرها تقدير المصدر ، من طَرَفْتُ طَرْفاً ، قال الله عزّ وجل : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾[٢] لأن السَّمْعَ فى الأصل مصدر ، قال جَرير :

إنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتلننا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

وقوله : « ساج » أى ساكن ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَالضُّحٰى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا ﴾[٣] ، وقال جرير :

وَلَقَدْ رَمَيْنَكَ يَوْمَ رُحْنَ بِأَعْيُنٍ يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِ

وقال الراجز :

يَا حَبَّذَا القَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُـــلاءِ النَّسَاجْ

---

(١) سورة ص ٢٣ . (٢) سورة البقرة ٧ .

(٣) سورة الضحى ١ ، ٢ .

ويقال : فى قلبى منك حَوْجاء ، أى حاجة ، ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَوَاجٍ يا فتى ، وأصله حَوَاجِىُّ يا فتى ، ولكنْ مثلُ هذا يُخَفف ، كما تقول فى صحراء : صحَارٍ يا فتى ، وأصله صَحارىُّ .

وقوله :

* طاوعته بعد ما طال النَّجِىُّ بنا *

يريد المناجاة ، فأخرجه على لفظ « فَعيل » ؛ ونظيره من المصادر الصَّهيل ، والنَّهيق ، والشَّحيج ، ويقال : شَبَّ الفرسُ شَبيباً ، ولذلك كان « النَّجِىُّ » يقع على الواحد والجماعة نَعْتاً ، كما تقول : امرأة عَدلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ ؛ لأنه مصدر ، قال الله عز وجل : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[1] : أى مُناجياً ، وقال للجماعة : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[2] أى مُتَنَاجين .

وقوله « مُنْعاج » : أى منعطف ، يقال[3] : عُجْتُ عليه أى عَرَّجْتُ عليه ، وعِجْتُ إليْهِ أعِيج ، أى عَوَّلْتُ عليه .

وقوله « بعد إرْتاج » : أى بعد إغْلاق ، يقال : أرْتَجْتُ البابَ إرْتاجا ، أى أغْلَقْتُهُ إغلاقاً ، ويقال : لِغَلَق الباب الرِّتاج ، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه .

وقوله :

* حتى أضاءَ سِراجٌ دونَه بَقَرٌ *

---

(١) سورة مريم ٥٢ .　　　(٢) سورة يوسف ٨٠ .

(٣) ر : « تقول »

[لأعرابي يشكو حبيبه]

وقال أعرابيٌّ :

شَكَوْتُ فَقَالَتْ: كُلُّ هٰذَا تَبَرُّمًا بِحُبِّي ! أَرَاحَ اللهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي

فَلَمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قَالَتْ : لَشَدَّمَا صَبَرْتَ، وَمَا هٰذَا بِفِعْلِ شَجِي الْقَلْبِ

وَأَدْنُو فَتُقْصِينِي فَأَبْعُدُ طَالِبًا رِضَاهَا ، فَتَعْتَدُّ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبِي

فَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا وَصَبْرِي يَسُوءُهَا وَتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِي، وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي

فَيَا قَوْمِ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا ؟

أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

قوله : «كلَّ هذا تبرُّمًا»، مردود على كلامه ؛ كأنها تقول له : أتشكوني كلَّ هذا تبرُّمًا ! ولو رفعَ رافع «كلًّا» لكان جيِّدًا؛ يكون «كلُّ هذا» ابتداء[1] وتبرُّم خبره .

« وشجِي » مخفف الياء ، ومن شدَّدها فقد أخطأ ، والمَثَل : « وَيْلٌ للشَّجِي من الخليِّ » ، الياء فى « الشَّجي » مخففة ، وفى « الخليّ » مثقلة ، وقياسه أنك إذا قلت : فعِلَ يَفعَلُ فَعَلاً ، فالاسم منه على فَعِل ؛ نحو : فَرِقَ يَفرَقُ فَرَقًا فهو فَرِق ، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا فهو بَطِرٌ ؛ فعلى هذا شَجِيَ يَشْجَى شَجًى فهو شَجٍ يا فتى ، كما تقول : هَوِيَ يَهْوَى هوًى فهو هَوٍ يا فتى .

---

(١) ر ، س : « مبتدأ » .

وقوله: « حتى تخوّنها » : يريد تَنقّصها، يقال : تخوّنني السَّفَر : اى تَنَقّصني ، والداعي : المؤَذِّن .

وقوله : « شَحّاج » ، إنما هو استعارة فى شدة الصوت : وأصله للبغل ، والعرب تستعير من بَعْضٍ لبَعْضٍ ، قال العَجّاج يَنْعَتُ حِماراً :

كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَا شَحَجَا   عُودًا دُوَينَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا

وقال جَرير :

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهْت لَمولَعٌ   بِنَوَى الْأَحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحاجِ

وقوله : « واسْتَمرَرْتُ أدْراجى » : أى فَرَجَعْتُ من حيث جئتُ ، تقول العرب : رجع فلان أدْراجَه ، ورَجَعَ فى حافِرَتِهِ ، ورَجَعَ عَوْدَه على بَدْئِهِ ، وإن شئتَ رفعتَ فقلت : رَجَعَ عَوْدُهُ على بَدْئِهِ ، أما الرفع فعلى قولك : رجع وعَوْدُه على بدئه ، أى وهذه حالهُ ، والنصب على وجهين : أحدهما أن يكون مفعولا كقولك : رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه ؛ والوجه الآخر أن يكون حالاً فى قول سيبويه ، لأن معناه رجع ناقصاً مجيئَهُ ، ووُضِعَ هذا فى موضعه : كما تقول : كلَّمتُهُ فاهُ إلى فِيّ ، أى مُشافهةً ، وبايعته يَدًا بيدٍ ، أى نَقْدًا ، ويجوز أن تقول : فُوهُ إلى فِيّ : أى وهذه حالهُ ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه فى هذه الحال .

قال أبو العباس : فأما « بايعته يَدًا بيدٍ » فلا يكون فيه إلا النصب ، لأنك لَسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كما كنتَ تريد فى الأول ، وإنما تريد النَّقدَ ، ولا تُبالى : أقَريباً كان أم بَعيدًا .

قوله « خُلَةٍ » يريد ذاتِ خلة ، ويكون سَمَّاها بالمصدر ؛ كما قالت الخنساءُ :

« فإنما هىَ إقبالٌ وإدْبارُ[1] »

يجوز أن تكون نَعَتَتْها بالمصدر لكثرته منها ، ويجوز أن تكون أرادتْ ذات إقْبال وإدْبارٍ ، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مُقامه ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾[2] فجائز أن يكون المعنى بِرّ مَنْ آمَنَ بالله ، وجائز أن يكون لكنّ ذا البِرّ من آمن بالله ، والمعنى يؤول إلى شىء واحد .

وفى هذا الشعر عيب : وهو الذى يسميه النحويون العَطفَ على عامِلَيْن ، وذلك أنه عطف « خُلَّةً » على اللام الخافضة لزوجة ، وعطف « ثمانيا » على « سبع » ، ويلزم مَنْ قال هذا أن يقول : مَرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرٌو وخالدٍ ، ففيه هذا القُبْحُ ، وقد قرأ بعضُ القُرَّاءِ وليس بجائز عندنا : ﴿ وَٱخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ ﴾[3] ، فجَعَلَ « آياتٍ » فى موضع نصب وخَفَضَها لتاء الجميع فحَمَلَها على « إنّ » وعَطَفَها بالواو ، وعطَفَ « اخْتلافًا » على « فى » ، ولا أرى ذا فى القرآن جائزًا لأنه ليس بموضع ضرورة ، وأنشد سيبويه لعَدِىّ بن زيد العبادى[4] :

أَكُلَّ ٱمْرِئٍ تَحْسَبِينَ ٱمْرَأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

---

(١) صدره :

« ترتَعُ مارتعتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ »

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

(٢) سورة الجاثية ٥ .

(٣) زيادات ر : « الصحيح أنه لأبى دؤاد الإيادى » .

وقوله :

« فيا قوم هل من حيلة تعرفونها »

موضع « تَعرفونها » خَفْضٌ : لأنه نعت للحيلة وليس بجواب ، ولو كانْ هاهنا شرط يوجِبُ جوابًا لا نجزمَ ، تقول : ائتنى بدابّة أرْكَبُها ، أى بدابّة مَرْكوبة ، فإذا أردتَ معنى : فإنك إن أتيتنى بدابّة رَكِبْتُها قلتَ : «أرْكَبْها» ، لأنه جواب الأمر ، كما أن الأول جواب الاستفهام. وفى القرآن : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾[1] . أى مُطَهِّرَةً لهم ، وكذلك : ﴿ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾[2] أى كائنةً لنا عِيدًا ، وفى الجواب : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾[3] ، أى إنْ تركوا خاضُوا ولَعِبوا ، وأما قوله عزّ وجل : ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[4] فإنما هو فَذَرْهُمْ فى هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعبون ، وكذلك : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾[5] ، إنما هو [لا تمنن[6]] مُسْتَكْثِراً فمعنى ذا : هل من حيلة معروفة عندكم ؟

[لأعرابى فى الملح]

وقال أعرابىّ — أنشَدَنِيه أبو العالِيَة :

ألا تسألُ المكّىَّ ذا العِلْمِ : ما الّذِى يَحِلُّ مِنَ التَّقْبِيلِ فِى رَمَضَانِ ؟

فقالَ لِىَ المكّىُّ : أمّا لِزَوْجَةٍ فَسَبْعٌ ؛ وأمّا خُلّةٍ فَثَمانِ

---

(١) سورة التوبة ١٠٣ .
(٢) سورة المائدة ١١٤ .
(٣) سورة الزخرف ٨٣ .
(٤) سورة الأنعام ٩١ .
(٥) سورة المدثر ٦ .
(٦) من ر ، س .

وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها « ما » فإن اضطرَّ شاعر فحذف « ما » جاز له ذلك لأنه الأصل ، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك[1] :

لَقَدْ كذَبَتْك نَفسُكَ فاكْذِبَنها فَإنْ جزَعًا وإنْ إجْمالَ صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تَقَع « إمّا » مكسورةً ، ولكن « ما » لا تكون لازمة ، ولكن تكون زائدة فى « إنْ » التى هى للجزاء : كما تزاد فى سائر الكلام نحو : أينَ تكنْ أكُنْ ، وأيْنَما تكُنْ أكُنْ ، وكذلك مَتى تأْتِنى آتِك ، ومَتَى ما تأْتِنى آتِك ، فتقول : إنْ تأْتِنى آتِكَ ، وإمّا تأْتِنى آتِكَ ، تُدْغِمُ النون فى الميم لاجتماعهما فى الغُنَّةِ ، وسنذكر الإدغام فى موضع نُفْرِدُه به إن شاءَ الله ، كما قال امرؤ القيس[2] :

فإمّا تَرَيْنِى لا أُغَمِّضُ ساعــةً مِنَ اللّيْلِ إلاّ أنْ أُكِبَّ فأنْعَسَا
فَيارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتّى تَنفَّسَا

وفى القرآن ﴿ فإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَإِمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾[4] ، فأنت فى زيادة « ما » بالخيار فى جميع حروف الجزاء ، إلا فى حرفين ، فإنْ « ما » لا بُدَّ منها لِعلة نذكرها

---

(١) زيادات ر : « هو دريد بن الصمة الجشمى » .
(٢) كذا فى ر ، وفى س : « كما قال الشاعر » .
(٣) سورة مريم ٢٦ .
(٤) سورة الإسراء ٢٨ .

فَعَطَفَ على « آمْرِئٍ » وعلى المنصوب الأول .

٭ ٭ ٭

[قال أبو الحسن : وفيه عيب آخر أنّ « أمّا » ليستْ من العطف في شيء ، وقد أجْرَى « خُلّةً » بعدها مُجْراها بعد حروف العطف حَمْلاً على المعنى ؛ فكأنه قال : لزوجةٍ كذا وخُلّة كذا] .

٭ ٭ ٭

وقوله : « أمّا الزوجة » فهذه مفتوحة ، وهي التي تحتاج إلى خبر ، ومعناها : إذا قُلْتَ: أمّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهْمَا يَكُنْ من شيء فزيد مُنْطَلِقٌ . وكذلك ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ﴾[1] : إنما هي : مَهْما يَكُنْ من شيء فلا تَقْهرِ اليتيم ، وتُكْسَرُ إذا كانت في معنى « أو » ويلزمها التكرير ، تقول : ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عَمْرًا ، فمعناه ضربت زيداً أو عمراً ، وكذلك : ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2] ،وكذلك ﴿ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾[3] ، و ﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾[4] ، وإنما كَرَّرْتَها لأنكَ إذا قلتَ : ضربت زيداً أو عمراً ، أو قلت : آضْرِبْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول ، وليس عند السامع أنك تُرِيدُ غير الأول ، ثم جئتَ بالشك ، أو بالتخيير ، وإذا قلتَ : ضربتُ إمّا زيداً وإما عمرًا ، فقد وضَعْتَ كلامَك بالابتداء على التخيير أو على الشك ، وإذا قلت : ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً ، فالأولى وقَعَتْ لِبِنْيةِ الكلام عليها ، والثانية للعطف ؛ لأنك تَعْدِل بين الثاني والأول ، فإنما تُكْسَرُ في هذا الموضع .

---

(١) سورة الضحى ٩ . (٢) سورة الدهر ٣ .
(٣) سورة مريم ٧٥ . (٤) سورة الكهف ٨٦ .

وأنشدنى غيره :

وَما هَجَرْتُكِ النَّفسَ يا مَىّ أَنَّها قَلَتْكِ، وَلاَ أَنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

وَلـكِنَّهُمْ يا أَمْلَحَ النَّاسِ أُولِعُوا بِقَوْلٍ إِذَا ما جِئْتُ : هَذا حَبِيبُهَا

« أنها » فى موضع نصب ، وكان التقدير « لأنها » ، فلما حذفت اللام وصل الفِعْلُ فَعَمِل ، تقول : جئتُك أَنّكَ تُحِبُّ الخير ، فمعناه لأنك ، وكذلك أتيتك أن تأْمُرَ لى بشىء ، أى لأن ، وتقديره فى النصب أنَّ : «أنْ» الخفيفة والفعل مصدر : نحو : أريد أن تقوم يافتى ، أى قيامك ، و«أنَّ» الثقيلة واسمها وخبرها مصدر ، تقول : بلغنى أنك منطلق ، أى انطلاقك ، فإذا قلت : جئتك أنك تريد الخير ، فمعناه إرادتك الخير : أى مجيئ لأنك تريد الخير إرادةً يافتى ، كما قال الشاعر[1] :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادّخارَه وَأُعْرِضُ عَنْ شتمِ اللئيمِ تَكَرُّما

قوله :

* وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادّخارَهُ *

أى أدَخِرُه ادّخاراً ، وأضافه إليه ، كما تقول : ادّخاراً له ، وكذلك قوله : « تكرما » إنما أراد للتكرم ، فأخرجه مُخرَجَ أتكَرَّمُ تَكَرُّما .

* * *

قال أبو العباس : وأنشدنى أبو العاليه[2] :

ما زِلْتُ أَبغى الْحَىَّ أَتْبَعُ ظِلَّهمْ حتى دفعتُ إلى رَبيبةِ هَوْدَجِ

قَالَتْ : وعَيْشِ أبى وَأَكبرِ إخوتى لأُنَبِّهنَّ الْحَىَّ إنْ لمْ تَخرُجِ

---

(١) زيادات ر : هو حاتم الطائى . والبيت فى ديوانه ...

(٢) زيادات ر : « قيل إن الشعر لعروة بن أذينة » وفى حواشى الأصل إنه لجميل بن عبد الله بن معمر.

إذا أفردنا باباً للجزاء إن شاء الله ، والحرفان : حَيْثُما تَكُنْ أَكُنْ ، كما قال الشاعر :

حَيْثُما تَسْتَقِمْ يُقَــدِّرْ لك اللـ ـهُ نَجاحاً فى غابِرِ الأزمانِ

والحرف الثانى « إذْ ما » ، كما قال العَبّاس بن مِرْداس :

إذ مَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُول فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إذَا ٱطْمَأَنَّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء فى «حيث» و«إذ» إلاّ بـ«ما».

* * *

قال أبو العباس : وأنشدنى أبو العالية :

سلِ المُفْتِيَ المَكِّىَّ هَلْ فى تَزَاوُرٍ وَنَظْرَةِ مُشْتَــاقِ الفُؤادِ جُنَاحُ

فقال : مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ يُذْهِبَ التُّقَى تَــلاَصُقُ أَكْبادٍ بِهِنَّ جِراحُ

* * *

[وأنشد لبعض المحدثين :

تلاَصَقْنَا وَلَيْسَ بِنَــا فُسُوقٌ وَلَمْ يَرِدِ ٱلحَرَامَ بنا ٱللُّصُوقُ

وَلٰكِنَّ التَّبَاعُدَ طَالَ حَتّى تَوَقَّدَ فى الضُّلُوعِ بنا حَرِيقُ

فَلَمَّا أَنْ أُتِيحَ لَنَا التَّــلاَقِى تَعانقْنَا كما ٱعْتَنَقَ الصَّدِيقُ

وَهَلْ حرَجاً تَرَاهُ أَوْ حَرَاماً مَشُوقٌ ضَمَّهُ كلِفٌ مَشُوقُ[1] !]

* * *

---

(١) الأبيات الواقعة بين العلامتين لم ترد فى نسخة الأصل ووردت فى س وفى ر بين علامتى الزيادة .

[لقيس بن معاذ فى النسيب]

وقال قَيْسُ بن مَعاذٍ أحد بنى عُقَيلِ بن كَعْب بن رَبيعةَ بن عامر ابن صَعْصَعَةَ — وهو المجنون — وحدثنى عبد الصَمَدِ بن المُعَذَل قال : سمعت الأَصْمَعِيَ يُثْبِتُه ويقول : لم يكن مجنونا ، إنما كانت به لُوثَة كلوثة أبى حَيَّة[1] :

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِى جِمَارَ المُحَصَّبِ

وَيُبْدِى الحَصَا مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ ... مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَنَاظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

أَلاَ إِنَّمَا غَادَرْتِ يا أُمَّ مالِكٍ ... صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة .

ومما يُسْتَطْرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة :

وَأَتْ رَجُلاً أَمّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأَمّا بِالعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

قَلِيلاً عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل[2]

فَأَصْبَحْتُ فى أَقْصَى البُيُوتِ يَعُدْنَنِى ... بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْنَ نَصْلاً يَمَانِيَا

---

(١) زيادات س ، ر بعد هذه الكلمة : « النميرى ، وهو من أشعر الناس ، ومن شعره » .

(٢) زيادات ر : « هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لابن الأبرش » .

فخرجتُ خيفةَ قولِها، فتبسَّمتْ فعلِمتُ أنَّ يمينَها لم تَحْرَج

فلثِمتُ فاها آخِذاً بقرونِها شُرْبَ النَّزيفِ ببَرْدِ ماءِ الحَشْرَج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بَحْر :

وتناولتْ رأسِي لِتعْرفَ مسَّهُ بمُخضَّبِ الأطرافِ غيْرِ مُشنَّجِ[1]

تقول العرب : هودَجٌ ، وبنو سعد بن زيد مَناةَ ومَنْ وَلِيَهمْ يقولون فَوْدَجٌ .

وقوله :

* فعلمت أن يمينها لم تَحْرَج *

يقول : لم تضِقْ عليها ، يقال : حَرِجَ يَحْرَج إذا دخل فى مَضيق والحَرَجة. الشجر الملتفّ المُتضايِقُ ما بينه ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ فلا يكنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ[2] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرِجاً[3] ﴾ ، وقرِى «حَرَجا» ، فمَن قال «حَرِجا» أراد التوكيد للضِّيقِ ، كأنه قال : ضَيِّقٌ شديدُ الضيق. ومن قال : « حَرَجاً » جعله مصدرا ، مثل قولك : ضَيِقَ ضِيقاً .

وقوله : « ببرد ماء الحَشْرج » فهو الماء الجارى علَى الحجارة

---

(١) من التشنج وهو التقبض. (٢) سورة الأعراف ٢ .
(٣) سورة الأنعام ١٢٥ .

وفى هذا الشعر :

أَشَوْقاً وَلَمَّا تَمْضِ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الهَوَى حَتَّى تَغِبَّ لَيَالِيهْ

هذا من أحسن الكلام وأوضحه معنى .

ويُسْتَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى

أُحِبُّ المَكَانَ القَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي بِهِ أَتَغَنَّى بِٱسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمِ

[لبعض القرشيين]

وأنشد[1] ابن عائشة لبعض القُرَشِيِّينَ[2] :

وَقَفُوا ثَلَاثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمُ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ مَاهُمُ

مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ تَفَرُّقٌ لَمْ يَنْدَمُوا[3]

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالرُّكْنُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ

لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِناً حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ صَدَرْنَ لَوَاغِباً بَيْضٌ بِأَفْنِيَةِ المَقَامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبُ المُعْيِي ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾[4] والمرَكَّمُ : الذى بعضه على بعض ، والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرّة ، قال الله عزّ وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[5] والمكنون :

---

(١) ر : « وأنشدني » .

(٢) حاشية الأصل : الشعر لابن أذينة » ، وانظر الأغاني ٢١ : ١١٠ .

(٣) زيادات ر : « يعنى طواف الوداع . وقوله : « ثلاث منى » أراد أيام النفر ، وأخرجه على الليالى » وقوله : « لم يندموا » لأنهم يرجعون إلى أوطانهم » .

(٤) سورة ق ٣٨ .

(٥) سورة الصافات ٤٩ .

[بقية بدل من الياء فى يَعُدْنَنى بدل الاشتمال

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ، ثَلاثٌ وَأَرْبَعٌ وَوَاحِدَةٌ حَتّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا[1]]
يَعُدْنَ مَرِيضاً هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ أَلاَ إِنَّمَا بَعْضُ العَوَائِدِ دَائِيَا

وفى هذا الباب أشياء كثيرة تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى ، ومن الإفْراطِ فيه قولهُ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّى مُعَلَّقٌ بِعودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عودُهَا

الثمام : نبت ضعيف ، واحدته ثمامة ، وهذا متجاوز كقول القائل :

« وَيَمْنَعُهَا منْ أَنْ تَطِيرَ زِمامها »

وَأَحْسَنُ الشِّعْرِ ما قارَب فيه القائل إذا شَبَّه ، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة ، ونَبَّهَ فيه بِفِطنته عَلَى ما يخفى عن غيره ، وساقه برصْفٍ قوىّ واختصار قريب .

***

وقال قيس بن معاذ :

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الجلوسِ لَعَلَّنِى أُحدِثُ عَنْكِ النَّفْسَ فى السِّرِّ خالِيَا
وَإِنِّى لَأَسْتَغْشِى وما بِىَ نَعْسَةٌ لَعلَّ خَيالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا

(١) مابين العلامتين لم ترد فى الأصل ؛ وهى فى س وزيادات ر .

إليها نُعيتْ له ، فهذا ما رُوِىَ من هذا الوجه . والذى كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان ، وهو فى بنت معاوية[1] :

صَاحِ حَيَّا الْإِلهُ أَهْلاً وَدَاراً عِنْدَ أَصْلِ الْقَنَاةِ مِنْ جَيْرُونِ

عَن يَسَارِى إذا دَخَلتُ مِنَ الْبا بِ وَإِنْ كُنْتُ خارِجاً فَيَمِينِى

فَبِتِــلْكَ ارْتُهِنْتُ بِالشَّأْم حَتَّى ظَنَّ أَهْلِى مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

وَهْىَ زَهْــرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤةِ الْغَوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

وَإِذا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِــدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمكَارِمِ دُونِ

ثُمَّ خَاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْ رَاءِ تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَلَنْجُوجَ وَالنَّــدَّ صِلاءً لَهَا عَلَى الْــكَانُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبَتْهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَــاءِ فى قَيْطُونِ

المسنون : المصبوب على استواء . والمَرَاجِلُ : ثياب مِنْ ثياب اليَمن ، قال العَجَّاجُ :

* بشِيَةٍ كَشِيَةِ المُمَرْجِلِ *

والقيطون : البيت فى جوف بيت .

وقال آخر :

وَأَبْصَرْتُ سُعْدَى بَيْنَ ثَوْبَىْ مَرَاجِلٍ وَأَثوابِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ اليَمَنِ

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية : أما سَمِعْتَ قول عبد الرحمن ابن حسان فى ابنتك ؟ قال : وما الذى قال ؟ قال : قال :

(١) زيادات ر : « ابن أبى سفيان »

المصون ، والمَكنّ : المستور ، يقال : أكْنَنْتُ السرّ ، قال الله عزّ وجل : ﴿ أَو أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) . وقال أبو دَهْبَل ، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسّان (٢) :

وَهِىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

وقال ابن الرُّقيات :

واضِحٌ لَوْنُهَا كَبَيْضَةِ أُدْحِىٍّ لَهَا فى النِّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمُ

العميم : التام ، والأُدْحِىّ : موضع بيض النعامة خاصة ، وشِعْرُ عبدالرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه .

[لعبد الرحمن بن الأشعث فى بنت معاوية]

وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَلٍ الجمحىّ كان تَقِيًّا وكان جميلاً ، فقفَل من الغَزْوِ ذاتَ مَرَّةٍ ، فمرّ بدِمَشْقَ ، فدَعَتْهُ امْرَأَةٌ إلى أن يَقرأَ لها كتاباً ، وقالت : إنَّ صاحِبَتَهُ فى هذا القصر ، وهى تُحِبُّ أن تَسْمَعَ ما فيه ، فلما دخلتْ به بَرَزَتْ له امْرَأَةٌ جميلةٌ ، وقالتْ له : إنما احْتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدخَلْتُكَ . فقال لها : أما الحرامُ فلا سبيل إليه ، فقالت : فلَسْتَ تُرادُ حَراماً ، فتزَوَّجَتْه ، وأقام عندها دَهْراً حتى نُعِىَ بالمدينة ، ففى ذلك يقول وقد استأذنها لِيُلِمَّ بأَهْلِهِ ثم يعود ، فجاء وقد اقْتُسِمَ ميراثه ، فلما همَّ بالعود

(١) سورة البقرة ٢٣٥ .
(٢) زيادات ر . « بن ثابت الأنصارى » .

باب

[عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب عند رسول الله]

قال أبو العباس : حدثنى مسعود بن بِشر ، قال : حدثنى محمد بن حَرْبٍ ، قال : أتى عبدُ ٱلله بن الزُّبَيْرِ بن عبد المطَّلِبِ رسولَ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم فكساه حُلَةً وأَقْعدَهُ إلى جانبه ، ثم قال : «إنه ٱبْنُ أُمّى ، وكان أبوه يَرْحَمُنى»[1].

[لرجل من بنى ضبة يخاطب بنى تميم]

قال : وأنشدنى مسعود قال : أنشدنى طاهرُ بن علىّ بن سُلَيْمانَ قال : أنشدنى منصور بن المَهْدِىّ لرجل من بنى ضَبَّةَ بن أُدٍّ ، يقوله لبنى تميم بن مُرّ ابن أُدّ :

أَبَنِى تميمٍ إننى أنا عَمُّكُمْ ... لا تَحْرِمُنَّ نَصيحةَ الاعمام

إِنى أَرَى سَبَبَ الفَناءِ وإنَّما ... سَبَبُ الفَناءِ قَطيعةُ الأَرْحامِ

فَتَدارَكوا بأَبى وأُمّى أَنْتُمُ ... أحسابكم[2] برَواجِحِ الأَحْلامِ

[خطبة عبد الله بن الزبير حين ورد عليه خبر قتل أخيه مصعب]

ويُرْوَى أنه لما أتى عَبْدَ ٱلله بن الزُّبَيْرِ [خبر][3] قَتْلِ مُصْعَبِ بن الزبير خَطَبَ الناسَ ، فَحَمِدَ ٱلله وأَثْنَى عليه ، ثم قال : إنه أتانا خبر قتل المصعب فسُرِرْنا [به][3] ، واكْتَأَبنا [له][3] . فأما السرورُ فلما قُدّرَ له من الشَّهادةِ ،

---

(١) زيادات ر : « الزبير أخو عبدالله بن عبد المطلب شقيقه » .

(٢) ر،س : «أرحامكم» وفى زيادات ر : « كذا أنشد : أرحامكم ، ويروى : أحسابكم » .

(٣) زيادة من ر

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال معاوية : صدق ، فقال يزيد : وقال :

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِى سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

قال :[1] صدق ، فقال[1] إنه قال :

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ تَمْشِى فِى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قال معاوية : كذب .

(١ — ١) ر ، س : « قال معاوية . صدق فقال يزيد » .

[بلاغة جعفر بن يحيى]

وَكُتِبَ إلى جعفر بن يحيى : إن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال . فوَقَّعَ جعفر : هذا رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذُؤْبانِ العَرَبِ بحيثُ العَدَدَ والعُدَّةُ ، والقُلوبُ القاسية ، والأنوف الحَمِيَّة ، فليُمْدد من المال بما يَسْتَصْلِحُ به مَنْ مَعَهُ لِيَدْفَعَ به عَدُوَّهُ ، فإن نفقاتِ الحروب يُسْتَظْهرُ لها . ولا يُسْتَظْهَرُ عليها .

ورفع قوم إليه (١) شَكِيَّةَ عاملهم ، فوَقَّعَ فى قِصَّتهم (٢) : يا هذا ، قد كَثُرَ شاكوك ، [وقَلَّ حامدوك] (٣) ، فإمَّا عَدَلْتَ ، وإما اعْتَزَلْت

وزعم الجاحظ قال : قال ثمامة (٤) بن أشْرَس النُّمَيْرِى : ما رأيتُ رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون .

وقال مُوَيْسُ بن عِمران : ما رأيتُ رجلا أَبْلَغَ من يَحْيى بن خالد ، وأيوب بن جَعْفَر .

وقال جعفرُ بن يحيى لِكُتَّابِهِ : إنْ قَدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كُلُّها تَوْقيعاتٍ فافعلوا

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو تكاشَفْتُم ما تَدَافَنْتُم» ،

(١) ر ، س : «وأكثر الناس شكية عامل»
(٢) كلمة «قصتهم» لم ترد فى س .
(٣) تكملة من ر
(٤) س : «ثمامة الأشرس»

وحيزَ له من الثواب ، وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميمُ عند فراقِ حميمه ، وإنا والله ما نموتُ حبَجًا كميتة آلِ أبى العاصى ، إنما نموتُ قتلًا بالرِّماح ، وقعْصًا تحت ظِلالِ السُّيوف ، فإن يهلِكِ المُصعَبُ فإن فى آل الزبير منه خلفًا .

قوله : « حبَجًا » ، يقال : حبِجَ بطْنُهُ ، إذا انتفخ . وكذلك حبِطَ بطنه . المقْعصُ : المقتول . واللَّوْعة : الحُرْقة ، يقال : لاعَ يلاعُ لوْعةً يافتى فهو لائع ، ويقال : لاعٍ يا فتى ، على القلبِ ، وأنشد أبو زيد :

ولا فرِحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ولا جزِعٍ من الحدَثانِ لاعِ

[من كلام زياد]

قال : وحدثنى مسعود فى إسنادٍ ذكره قال : قال زياد لحاجبه : يا عجْلانُ ، إنى ولَّيتُكَ هذا الباب ، وعزَلْتُكَ عن أربعة . عزلتك عن هذا المنادِى إذا دعا للصلاة فلا سبيلَ لك عليه ، وعن طارقِ اللَّيلِ فشرٌّ ما جاء به ، ولو جاء بخير ما كنتُ من حاجته ، وعن رسول صاحب الثَّغر فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة ، وعن هذا الطبَّاخِ إذا فرَغ من طعامه .

قال : وحدثنى مسعود قال : قال زياد : يُعجبُنى من الرجل إذا سِيمَ خُطَّةَ الضَّيْمِ أن يقول : « لا » بملْءِ فيهِ ، وإذا أتى نادِىَ قومٍ علِمَ أينَ ينبغى لمثله أن يجْلِسَ فجلس ، وإذا ركب دابة حملها على ما تحِب ولم يبعثْها إلى ما تكْرَه .

وقال ابن أحمد — يعنى الخليل : آجْعَلْ ما فى كُتُبِكَ رأسَ مال ، وما فى صَدْرِكَ للنفقة .

وقيل لِنَصْر بن سَيَّار : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزَّمانةُ الخَفِيَّة .

وقال نصر بن سيار : لولا أن عمر بن هُبَيْرَةَ كان بَدَوِيًّا ما ضَبَطَ أعمال العراق وهو لا يكتب .

وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم منْ رأى فِداءَهُ من أسْرَى بَدْر ، فمنْ لم يكن له فداءٌ أمَرَه أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابة ، فَفَشَت الكتابة بالمدينة

ومن أمثال العرب : خير العلم ما حُوضِرَ به ، يعنى[1] : ما حفظ وكان[2] للمذاكرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزالُ أُمَّتِى صالحاً أمْرُها ما لم تَرَ الفَيْءَ مَغْنماً ، والصدقة مَغْرَماً » .

وقال علىُّ بن أبى طالب عليه السلام : يأتى على الناس زمانٌ لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحِلُ[3] ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجرُ ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المُنْصِفُ ، يتخذون الفَيْءَ مَغْنَماً ، والصدقة مَغْرَمًا ، وصِلة الرحم منًّا ، والعبادة استطالةً على الناس ، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء ، ومُشاوَرَةُ الإماءِ . وإمارةُ الصبيان » .

---

(١) ر : « يعنى » . (٢) ر : « فكان »

(٣) زيادات ر : « الماحل : الواشى ، يقال : محل فلان بفلان إذا وشى به ومكر » .

يقول: لو عَلِمَ بعضُكم سَريرةَ بعضٍ لا ستثقل تَشْييعَهُ وَدَفْنَه.

وقال عليه السلام: «اجْتَنِبوا القعود على الطُرُقات، إلاَّ أن تَضْمَنوا أربعا: رَدَّ السَّلام، وَغَضَّ الأبْصار، وإرْشادَ الضالّ، وَعَوْنَ الضعيف».

وقالت هِنْدُ بنت عُتْبَةَ: إنما النساء أغلالٌ. فليختر الرجلُ غُلاًّ لِيَدِهِ.

وذَكرتْ هند بنت المُهلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ النساءَ فقالت: ما زُيِّنَ بشيء كأدَب بارعٍ، تحته لُبٌّ ظاهر.

وقالت هند بنت المُهلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ [أيضاً][1]: إذا رأيتم النِّعَم مُسْتَدِرَّةً فبادروا بالشُّكر قبل حُلول الزَّوال.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افصِلوا بين حَديثكم بالاستغفار».

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: قيِّدوا النِّعَمَ بالشكر، وقيِّدوا العِلْمَ بالكتاب.

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه[2]: العَجَبُ لِمَنْ يَهْلِكُ والنَّجاة معه. فقيل: ماهي يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخليل بن أحمد: كُنْ على مُدارسة ما في قلبك أحْرَصَ منكَ على حفظ ما في كُتُبك.

---

(١) تكملة من ر (٢) ر: «رضوان الله عليه»

ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج ، فأمرنى بالمسير إليه ، فألفيته جالسًا على فُرُشِهِ والسيفُ منْتَضًى فى يده ، فقال لى : ٱدْنُ ، فَدَنَوْتُ شيئاً ، ثم قال : ٱدْنُ ، فَدَنَوْتُ شيئاً . ثم صاح الثالثة : ٱدْنُ لا أبالك ! فقلت : ما بى إلى الدُنُوّ من حاجة ، وفى يد الأمير ما أرى . فأضْحَكَ ٱللهُ سِنَّه ، وَأَغْمَدَ سيفَهُ عنى ، فقال لى : ٱجْلِسْ ، ما كان من حديث الخبيث ؟ فقلتُ له : أيها الأمير ، وٱللهِ مَاغَشَشْتُكَ مُنْذُ استنصحتنى ، ولا كَذَبْتُكَ منذ اسْتَخْبَرْتَنى ، ولا خُنْتُكْ منذ ائتمنتنى . ثم حدثتهُ الحديث ، فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل ٱلذى المالُ عنده أَعْرَضَ عنى بوجهِهِ ، وأومأ إلىّ بيده ، وقال : لا تُسَمِّهِ ، ثم قال : إن للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديثَ

ويقال : كان الحجاج إذا اسْتغْرَبَ[1] ضَحِكاً[2] وَالَى بين الاستغفار ، وكان إذا صَعِدَ المِنْبَرَ تَلَفَّعَ بِمِطْرَفِهِ[3] ثم تكلم رُوَيْدًا فلا يكاد يُسْمَعُ ، ثم يتزَيَّد فى الكلام ، حتى يُخْرِجَ يده من مِطْرَفِهِ ويَزْجُرُ الزَّجْرَةَ فيُفْزِع بها أقْصَى مَنْ فى المسجد . وكان يُطْعِمُ فى كل يوم ألف مائدة ، على كل مائدة ثَرِيدٌ وجَنْبٌ من شواءٍ وسمكة طَرِيَّةٌ ، ويُطافُ به فى مِحَفَّةٍ على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يأهل الشأم ، اكْسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم . وكان له ساقيان ، أحدهما يسقى الماء والعسلَ ، والآخر يسقى اللبن .

---

(١) استغرب ضحكا : بالغ فى الضحك .
(٢) ومن هنا وقع خرم فى نسخة الأصل ؛ والنص الذى أثبتناه هو نص «ر» إلى آخر الخرم .
(٣) المطرف : رداء من خز .

[نبذ من أخبار الحجاج]

ويروى عن محمد بن المُنْتَشِر بن الأجْدَع الهَمدانيّ ، قال : دَفَعَ إلى الحجاج أزاد مَرْد بن الهِربد ، وأمرنى أن أستخرج منه وأُغَلِّظَ عليه ، فلما انطلقتُ به قال لى : يا محمد ، إن لك شَرَفاً ودِيناً ، وإنى لا أُعْطى على القَسْر شيئاً ، فَاسْتَأْدِنى[1] وارفُقْ بى ، قال : ففعلتُ ، فَأَدّى إلىّ فى أسبوع خمسمائة ألف ، قال : فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه ، وانتزعه من يَدَىّ ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العَذابَ ؛ فَدَقّ يديه ورجليه ، ولم يُعْطِهِمْ شيئًا

قال محمد بن المنتشر : فإنى لأَمُرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ : يا محمد ، فالتفت فإذا به مُعَرَّضاً على حِمار ، مَدْقوقَ اليدين والرجلين ، فَخِفتُ الحجاج إنْ أتيته ، وتذَمَّمْتُ منه ، فَمِلتُ إليــــه ، فقال لى : إنك وَلِيتَ منى ما وَلِىَ هؤلاء فأَحْسَنْتَ ، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعْطهم شيئاً ، وهاهنا خمسمائة ألف عند فلان ، فخذها فهى لك ، قال : فقلت : ما كنت لآخذ منك على معروفى أجراً ، ولا لأَرْزَأكَ على هذه الحال شيئا ، قال : فأما إذْ أَبَيْتَ فاسمع أُحَدِّثْكَ : حدثنى بعضُ أهل دينك عن نبيك — صلى الله عليه وسلم — كثيراً ، قال : إذا رضى الله عن قوم أمْطَرهم المطر فى وقته ، وجَعَلَ المالَ فى سُمَحائهم ، واسْتَعْمَلَ عليهم خِيارَهم ، وإذا سَخِطَ عليهم استعمل عليهم شِرارهم ، وجعل المالَ عند بُخَلائِهم ، وأمطرهم المطر فى غير حِينِه . قال : فانصرفت فما وضعت

(١) استأدنى : اطلب منى الأداء .

والجـــد الثلثين لأنه كان لا يُفَضِّلُ أمًّا على جد، قال : فما قال فيها زيد ابن ثابت ؟ قال : قلتُ أعْطَى الأم الثلث ، وجعل ما بقى بين الأخت والجد؛ للذكر مثل حظ الأنثيين ، لأنه كان يجعل الجدّ كأحد الإخوة إلى الثلاثة ، قال : فَزَمَّ بأنفه ثم قال : فما قال فيها أبو تُرابٍ ؟ قال : قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس ، قال : فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : فإنه المَرْءُ يُرْغَبُ عن قوله[١].

وجلس[٢] الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة : منهم محمد بن عُمَيْرِ ابن عُطارِدِ بن حاجِبِ بن زُرارَةَ ، وحَجَّارُ بن أَبْجَرَ بن بُجَيْرٍ العِجْلِىُّ ، فأقبل فى وسَطٍ من الطعام على محمد بن عُمَيْر بن عطارِدٍ فقال : يا محمد ، أيدعوك قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ إلى نُصْرتى يوم رُسْتُقْباذَ[٣] فتقول : هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا ! ياحَرَسِىُّ ، خُذْ بيده وَجَرِّدْ سيفك فاضرب عُنُقَهُ ، فنظر إلىّ حَجَّارُ بن أَبْجَرَ وهو يتبسم ، فدخلته العَصَبِيّةُ ، وكان مكانُ حَجَّارٍ من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَر ، وأَتَى الخَبّازُ بِفُرْنِيَّةٍ[٤] فقال : اجْعَلْها مما يلى محمداً فإن اللبن يعجبه ، ياحَرَسِىُّ ، شِمْ سيفك وَانْصَرِفْ .

وكان محمدٌ شريفاً ، وله يقول الشاعر :

---

(١) قال المرصفى : « إنما حمله على ذلك بغضه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه » .
(٢) س : « وجعل »
(٣) ارستقباذ : موضع بفارس .
(٤) الفرنية : الخبزة المستديرة ، منسوبة إلى الفرن .

ويروى أن لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ قدمت عليه فأنْشَدَته :

إذا وردَ الحَجَّاج أرْضًا مَرِيضةً تَتَبَّعَ أقصَى دائها فشَفَاها
شَفَاها من الدَّاء العُقامِ الذى بها غُلامٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ ثَنَاها[1]

فقال لها : لا تقولى : غلام ، قولى : هُمامٌ ، ثم قال لها : أىُّ نسائى أحَبُّ إليك أن أُنْزِلَكِ عندها الليلةَ ؟ قالت : ومَنْ نِسَاؤُكَ أيها الأمير ؟ قال أمُّ الجلاسِ بنت سعيد بن العاصى الأمَوِيَّةُ ، وهِنْدٌ بنت أسماء بن خارجة الفَزارِيَّةُ ، وهند بنت المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ العَتَكِيَّةُ ، فقالت : القَيْسِيَّةُ أحبُّ إلىّ . فلما كان الغَـــدُ دخلت عليه فقال : يا غلامُ أعْطِها خمسمائة ، فقالت : أيها الأمير ، اجعلها أُدْمًا ، فقال قائل : إنمـا أمر لكِ بشاء ، قالت : الأمير أكْرَمُ من ذلك ، فجعلها إبلا إناثا استحياء ، وإنمـا كان أمَرَ لها بشاء أولا . والأُدْمُ[2] : البيض من الإبل وهى أكرمها .

ويروى عن بعض الفقهاء[3] قال : دعانى الحجاج فسألنى عن الفَرِيضةِ المُخَمَّسَةِ وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت ، فقال لى : ما قال فيها الصِّدِّيق رحمه الله ؟ قلتُ : أعْطَى الأمَّ الثلث والجدَّ مابقى لأنه كان يراه أبا ، قال : فما قال فيها أمير المؤمنين ؟ — يعنى عثمان رحمه الله — قلت : جعل المـال بينهم أثلاثا ، قال : فما قال فيها ابن مسعود ؟ قال : قلتُ أعْطَى الأختَ النصف ، والأم ثلث مابقى

(١) زيادات ر : « العقام ، بالفتح والضم ، والضم أفصح » . وفى س : « العضال » .
(٢) س : « الأدم » بدون الواو .
(٣) زيادات ر : « هو الشعبى »

ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة بُبوران، فقال الحسن : ونحن إذ ذاك نُجْرى[1] على نيفٍ وسبعين ألف مَلاّحٍ ، وكان الحسن بن سهل يَسْهَرُ مع المأمون ، وكان المأمون يَتَصَبّحُ فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه ، فلما وَرَدَ عَلِيّ قلت : قد تَرَى شُغْلَ الأمير ، قال : إذن لا أضيعَ معك . قلتُ : أجَلْ . فدخلتُ على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه ، فقال : ألا تَرَى ما نحن فيه؟ قلتُ : لَسْتَ بمشغول عن الأمر له ، فقال : يُعْطَى عشرةَ آلاف درهمٍ إلى أن نتفرّغ له ، فأعلمت ذلك عليَّ بن جَبَلة ، فقال فى كلمة له :

أعْطَيْتَنى ياوليّ الحق مُبْتَدِئاً ... عطيّةً كافأتْ مَدْحى ولم تَرَنى

ما شِمتُ بَرْقكَ حتى نلتُ رَيِّقَهُ ... كأنما كُنتَ بالجَدْوَى تُبادِرُنى

---

(١) نجرى : نعطى .

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغيرِها ... أنَّ الجوادَ محمدُ بن عُطارِدِ

وذُكِرتْ بنو دارِمٍ يوما بحضرة عبد المَلِك ، فقالوا : قوم لهم حظٌ ، فقال عبد الملك : أتقولون ذلك وقد مَضَى منهم لَقيطُ بن زُرارة ولا عَقِبَ له ، ومَضَى القَعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ ابن عُطارِدٍ ولا عَقِبَ له ، والله لا تَنْسَى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً .

قوله : « شِمْ سيفك » ، يقول : اغْمِدْهُ ، ويقال : شِمْتُ السيفَ : إذا سَلَلْتَهُ ، وهو من الأضداد ، ويقال : شِمْتُ البرقَ إذا نظرت من أى ناحية يأتى .

قال الأعشى :

فقلتُ للشَّرْبِ فى دُرْنَى [(١)] وقد ثَمِلوا : ... شيمُوا ، وكيفَ يَشيمُ الشارِبُ الثَّمِلُ !

وقال الفَرَزْدَق :

بأيدى رِجالٍ لم يَشيموا سُيوفَهُمْ ... ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بها حين سُلَّت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى ، وتأويل لم يشيموا : لم يَغْمِدُوا ولم تكثر القتلى ، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى [بها] [(٢)] حين سُلَّت .

[على بن جبلة والحسن بن سهل]

وحدثنى الحسن بن رجاء قال : قَدِمَ علينا علىُّ بن جَبَلَة إلى عسكر الحسن

(١) درنى : بلد باليمامة .

(٢) تكملة من س .

وقوله : « الحرون » فإن حبيب بن المُهَلَّب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه ، فكان يُلَقَّبُ الحرونَ[1] .

وقوله :

« وما هى إلا رقدة تورث العلا »

فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب ، وذلك أنه قال فى يوم العقر - وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه : قاتَلَ اللهُ ابن الأشْعَثِ ! ما كان عليه لو غَمَّضَ عينيه ساعة للموت ، ولم يكن قَتَلَ نَفْسه وذلك أن ابن الأشعث قام فى الليل وهو فى سطح ، للبول ، فزعموا أنه رَدَّى نفسه . وغير أهل هذا القول يقولون : بل سقط منه بِسِنَةِ النوم .

وقوله : « تورث العلا لرهطك » فالمعنى تورث العلا رهطَكَ ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، تقول : هذا ضاربٌ زيدا ، وهذا ضاربٌ لزيدٍ ؛ لأنها لا تُغَيِّرُ معنى الإضافة إذا قلت : هذا ضاربُ زيدٍ وضارب له . وفى القرآن : ﴿ وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أول المسْلِمِينَ ﴾[2] . وكذلك : ﴿ إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون ﴾[3] ويقول النحويون فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ عَسَى أنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[4] إنما هو « رَدِفَكُمْ » .

---

(١) س : « بالحرون » .
(٢) سورة الزمر ١٢
(٣) سورة يوسف ٤٣
(٤) سورة النحل ٧٢

بابٌ

(للمفضل بن المهلب بن أبي صفرة فى الشجاعة والنجدة)

قال أبو العباس : قال المُفَضَّلُ بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ[1] :

هل الجودُ إلاَّ أن تجودَ بأنْفُسٍ   على كلِّ ماضى الشَّفْرَتَينِ قَضِيبِ

وما خَيْرُ عَيْشٍ بعد قتل محمدٍ   وبَعْدَ يَزِيدَ والحَرُونِ حبيب

ومَنْ هرَّ أطراف القَنَا خَشْيَةَ الرَّدَى   فليس لِمَجْدٍ صالحٍ بكسوبِ

وما هِىَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العلا   لِرَهْطِكَ ما حَنَّتْ رَوَائمُ نيب

قوله :

* ومن هرَّ أطراف القناخشية الردى *

يقول : مَنْ كَرِهَ ، قال عَنْتَرَةُ بن شدَّاد :

حَلَفتْ لهم والخيلُ تَرْدَى بنا مَعًا   نفارِقُهُمْ حــتى يَهِرُّوا العَواليا

عَــوالىَ زُرْقاً من رماحِ رُدَيْنَةٍ   هَرِيرَ الــكلاب يَتَّقِينَ الأفاعِيا

والردى : الهلاك ، وأكثر ما يستعمل فى الموت ، يقــال : رَدِىَ يَرْدَى رَدًى ، قال الله عز وجل : ﴿ وما يُغْنِى عنه مالُهُ إذا تَرَدَّى ﴾[2] ، وهو « تَفَعَّلَ » مِنَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين ، وقيل : إذا تردى فى النار ، أى إذا سقط فيها .

---

(1) زيادات ر : « يصف الشجاعة والنجدة » .

(2) سورة الليل ١١

قال : ثم استغاثت بالنساء . وطلب الرجالَ فإذا هم خلوفٌ[1] ، فاجتمع النساء عليه فَضَرَبْنَهُ .

قوله : « قد لَحِبَ الجنبان » ، يقول : قَلَّ لحمهما ، يقال : بعير ملحوبٌ وقد لَحِبَ مثل عرِق .

وقوله :

« تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها »

يريد السويق والدقيقَ وما أشبه ذلك ، وكل عَرْضٍ فالعرب تقول له : سِلْعة ، أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ شعرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزْيدٍ الشيبانى ويَذُمُّ تميم آبن خزيمةَ بن حازمٍ النَهْشَلِىَّ :

أَأَتْرُكُ إنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خالدٍ ... زِيارَتَهُ ؟ إنِّى إذاً لَلَئِيمُ !

وقدْ يُسْلِعُ المرْءُ[2] اللَّئيمَ آصْطِنَاعَهُ ... وَيَعْتَلُّ نَقْدُ المَرْءِ وَهْوَ كَرِيمُ

فتًى وَاسِطٌ فى آبْنَىْ نِزَارٍ ، مُحَبَّبٌ ... إلى آبْنَىْ نِزَارٍ ، فى الخُطُوبِ عَمِيمُ

فَلَيْت بِبُرْدَيْه لَنا كانَ خالدٌ ... وَكَانَ لِبَكْرٍ فى الثَّرَاءِ تَمِيمُ

فَيُصْبِحَ فِينَا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ ... أَغَرُّ ، وَفى بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ

قوله :

« وقد يُسْلِعُ المرْءُ اللئيمَ اصطناعه »

أى يُكثِرِ سِلْعَته لاصطناعه .

---

(١) خلوف : غائبون .

(٢) زيادات ر : « من رفع « المرء » نصب اصطناعه » وأما على تفسير أبى العباس فينصب « اصطناعه » لا غير » .

(٣) فتى واسط فى قومه : شريف فيهم .

والنِّيبُ: جمع نابٍ، وهى المُسِنَّةُ من الإبل، وتقديرها «فُعْلٌ» ساكِنَة، وأبدلتْ من الضمة كسرة لِتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ فى أبْيَض: بِيضٌ، وإنما هو مثل أحمر وحُمْر، وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير نابٍ ونيبٍ إذا جاء على «فَعَلٍ» و«فُعْلٍ» تقدير أسَدٍ وأُسْدٍ، ووَثَن ووُثْن، ونابٌ تقديرها «فَعَلٌ»، وإنما انقلبت الياء ألفاً فسكنت، وإنما تنقلب إذا كانت فى موضع حركة. والرَّوائم قد مضى تفسيرها.

[شيخ من الأعراب وامرأته]

وأنشدنى الزِّيادِيُّ قال: أنشدنى أبو زيد، قال: نَظَرَ شَيْخٌ من الأعْرَابِ إلى امرأته تتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال:

عجوزٌ تُرَجِّى أن تكون فَتِيَّةً وقد لَحِبَ الجَنْبانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تَدُسُّ إلى العطار سلعةَ بيتِها وهَلْ يُصْلِحُ العطّارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابىّ.

وما غَرّنى إلاّ خِضــابٌ بِكَفِّها وكُحْلٌ بِعَيْنَيْها وأثْوَابُها الصُّفْرُ
وجاءوا بها قبــل المحاق بليلة فكان مُحَاقاً كلَّه ذلك الشَّهْرُ]

* * *

قال: فقالت له امرأته[1]:

ألَم تَرَ أنّ الناب تُحْلَبُ عُلْبَةً ويُتْرَكُ ثِلْب، لا ضِرابٌ ولا ظَهْرُ!

(١) س: «فقالت المرأة».

وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى امْرِئٍ   إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ

وقال آخر :

لَعَمْرِى ، لَقَوْمُ الْمَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ   عَلَيْهِ ، وإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ

مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وإِنْ كَانَ ذَا غِنًى   جَزِيلٍ ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ

[وإِنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ   عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِى الرِّجَالِ فَكَذِّبِ]

إِذَا كُنْتَ فِى قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ   فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

العِدَا : الغرباء فى هذا الموضع ، ويقال للأعداءِ عِدًا ، والعُداة الأَعْداء لا غير .

وقال أعرابى من باهلة :

سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِى   غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا   عَلَى الْمَرْءِ ذِى الْعَلْيَاءِ مَسُّ هَوَانِ

مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ مَقَالِهِ   وإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ

كَأَنَّ الْغِنَى فِى أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى   بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ

[من أخبار حارثة بن بدر الغدانى]

ونظير هذا الشعر ما حُدِّثْنا به فى أمر حارِثَةَ بن بَدرٍ الغُدَانِىِّ ، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر ، وكان رَجُلَ بَنِى تَمِيمٍ فى وقته ، وكان قد غَلَبَ على زِيادٍ ، وكان الشراب قد غَلَبَ عليه ، فقيل لزيادٍ : إن هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[1] بالشراب ، فقال زياد : كيف لى باطِّراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنذُ دخلتُ العِراق ، لم يَصُكَّكْ رِكابِىَ رِكابُهُ ، ولا تَقَدَّمَنى فنظرتُ إلى قفاه ،

(١) مستهتر بالشراب . مولع به .

وقوله : « أغم بهيم » ، فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا ، قال هُدْبة بن خَشْرم العُذرِىُّ :

فَلاَ تَنْكِحِى إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تَكْرَهُ الْغَمَمَ . والبهيمُ : الذى لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أىِّ لون كَان .

وقولها :

« ألم تر أن الناب تحلب علبة »

تقول فيها منفعة على حال ، والعُلْبَة : إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه ، من ذلك قوله :

لَمْ تَتَلفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ ، وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بِالْعُلَبِ

ومن أمثال العرب : « قد تَحْلُبُ الضَّجُور الْعُلْبَةَ » ، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشىء القليل ، والضجور : الناقة السيئة الْخُلقِ ، إنما تُحْلَبُ حين تَطْلُعُ عليها الشمس فتطيب نفسها ، والثَّلْبُ : الذى قد انتهى فى السنِّ من الإبل .

[من أقوالهم فى الفقر والغنى]

وقال آخر :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَالِ أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ

وَلَمْ أَرَ عِزًّا لاِمْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ وَلَمْ أَرَ ذُلاًّ مِثْلَ نَأْىٍ عَنِ الْأَصْلِ

صَلَّى الْإِلٰهُ عَلَى قَبْرٍ وَطَهَّرَهُ ... عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْفِى فَوْقَهُ الْمُورُ

زَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِهَا ... فَثَمَّ كُلُّ التُّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ

أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالدُّنْيَا مُفَجِّعَةٌ ... وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ

قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ ... وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِيرُ

وَكُنْتَ تُغْشَى وَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ ... إِنْ كَانَ بَيْتُكَ أَضْحَى وَهْوَ مَهْجُورُ

النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمُ ... كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

ونظير هذا قول مُهَلْهِلٍ يرثى أخاه كُلَيْبًا ، وكان كُلَيْبٌ إذا جلس لم يُرْفَعْ بحضرته صوت ، ولم يَسْتَبَّ بفنائِهِ اثنان :

ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ ... وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ

وَتَقَاوَلُوا فِى أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ... لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا

قول حارثة : « الثَّوِيَّة » ، فهى بناحية الكوفة ، ومن قال الثُّوَيَّة : فهو تصغير الثَّوِيَّةِ ، وكل ياء اتَّصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلَّةً طَرَفاً فى التصغير فو لِيَتْها ياء التصغير فهى محذوفة ، وذلك قولك فى عَطاءٍ : عُطَيٌّ ، وكان الأصل عُطَيِّيٌ ، كما تقول فى سحاب : سُحَيِّب ، ولكنها تحذف لاعتلالها ، واجتماع ياءين معها ، وتقول فى تصغير أَحْوَى : أُحَيٌّ ، فى قول من قال فى أَسْوَدَ : أُسَيِّد ، وهو الوجه الجيد ، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبتْها ياء ، كقولك : أيام ، والأصل « أيْوام » ، وكذلك سيِّد ، والأصل سَيْوِدٌ ، ومن قال فى تصغير أسود : أُسَيْوِدَ ، فهو جائز ، وليس كالأول ، قال

ولا تأخَّرَ عنى فَلوْبْتُ عُنُقَ إليه ، ولا أَخَذَ عليَّ الشمسَ فى شتاء قطُّ ،
ولا الرَّوْحَ فى صيفٍ قَطُّ ، ولا سألته عن علم إلا ظننتُ أنه لم يُحسن غيره .
فلما مات زِيادٌ جفاه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ما هذا الجفاء
مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة[1] ! فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة كان
قد بَرَع بُرُوعا لا يلحقه معه عيب ، وأنا حَدَث ، وإنما أُنسَبُ إلى مَنْ يَغْلِبُ
عليّ ، وأنت رجل يديم الشراب ، فمتى قرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منك
لم آمَنْ أنْ يُظَنَّ بى ، فَدَعِ النَّبيذَ وكُنْ أوّلَ داخل عليَّ وآخر خارج عنى ،
فقال له حارثة : أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَرّى ونَفْعِى ، أفأَدعه للحال عندك ؟
قال: فاخْتَرْ من عملى ماشئتَ . قال: تُوَلِّينى رامهرمز[2] ، فإنها أرض عَذاةٌ[3] ،
وسُرَّقَ[4] فإن بها شراباً وُصِفَ لى . فوَلَّاهُ إياهما ، فلما خرج شَيَّعَهُ الناس ،
فقال أنَسُ بن أبى أُنيْسٍ :

أحارِبْنَ بَدْرٍ قدْ وَلِيتَ إمارَةً فَكُنْ جُرَذًا فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
ولا تَحْقِرَنْ ياحار شَيْئًا وجَدْتَهُ فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِراقَيْنِ سُرَّقُ
وباهِ تَمِيماً بالغِنَى إنَّ لِلْغِنَى لِسَاناً بهِ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ[5]
فإنّ جَمِيعَ النَّاسِ، إمَّا مُكَذَّبٌ يَقولُ بمَا يَهْوَى وإمَّا مُصَدَّقُ
يَقولونَ أقْوَالاً ولا يَعْلَمونَهَا ولَوْ قِيلَ: هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

ورَثَى حارثةُ بن بدرٍ زِياداً ـ وكان زياد مات بالكوفة ، ودفن
بالثَّوِيَّةِ ـ فقال :

---

(١) كنية زياد .
(٢) رامهرمز: مدينة فى بلاد الفرس .
(٣) أرض عذاة : طيبة .
(٤) سرق : إحدى كور الأهواز .
(٥) الهيوبة : الجبان .

وقوله : «نَعْشَ سيدها» يريد موضعه من النَّسَبِ ، لأنه نَسَبَهُ إلى أبي سُفْيان . وكان رئيس قريش قبل مَبْعَثِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلّ الصَّيْدِ في بَطْنِ الفَرأ» . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَفْرُشُ فِرَاشا في بيته في وقت خلافته فلا يَجْلِسُ عليه إلا العَبَّاسُ بن عبد المطَّلِبِ وأبو سفيان بن حَرْبٍ ، ويقول : هذا عَمُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شيخ قريش . وكان حَرْبُ بن أُمَيَّةَ رئيسَ قريش يوم الفِجار ، فكان آلُ حَرْبٍ إذا ركبوا في قومهم من بني أُمَيَّةَ قُدِّمُوا في المَواكِبِ ، وأُخْلِيَتْ لهم صُدور المجالس ، إلاّ رَهْط عثمان رضي الله عنه ، فإن التقديم لهم في الإسلام بعثمان . وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ ، وصاحبَ الجيش يوم أُحُدٍ وفي يوم الخَنْدَقِ ، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش في يوم فتح مكة ، وجَعَلَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مَنْ دَخَلَ في داره فهو آمِنٌ في حديث مشهور .

وقوله :

* كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير *

هذا مَثَلٌ ، وإنما يراد خفّة الحلوم . والإعْصارُ — فيما ذكر أبو عبيدة : ريح تَهُبُّ بشدّة فيما بين السماء والأرض . ومن أمثال العرب : «إن كُنْتَ رِيحاً فقد لاقيتَ إعصاراً» ، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصادِفُ مَنْ هو أجلَدُ منه ، قال الله عزّ وجل : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ٢٦٦

فى تصغير أُحْوَى أُحَيْوٍ يافتى ، فتثبت الياء ، لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات ، ومن قال أُسَيْوِد ، فإنما أظهر الواو ، لأنها كانت فى التكبير متحركة ، ولا تقول فى عَجوز إلا عَجَيِّز لأنها ساكنة ، وإنما يجوز هذا على بُعْدٍ إذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل ، أوملحقة بالعين ، نحو واو جَدْوَل ، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع ، لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ، ألا تراهم يقولون فى الجمع : أَساود وَجَدَاول . فهذا على التشبيه بهذا . فإن كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال ، تَقُولُ فى غَزْوةٍ : غُزَيَّة ، وفى عُرْوةٍ : عُرَيَّة ، فهذا شرح صالح فى هذا الموضوع ، وهو مُستَقصًى فى الكتاب المقتضب .

وقوله : « يسفى فوقه المور » ، فمعناه أن الريح تَسْفيه ، وجعل الفعل للمُور وهو التراب ، وتقول : سَقَاكَ الله الغَيْثَ ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث ، فتقول : سَقاكَ الغيثُ يافتى ، وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدة :

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍّ وَعَارِضٌ تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنُوبُ

وقوله :

« زفّت إليه قريش نعشَ سيّدها »

يقال : زَفَفْتُ السَّريرَ ، وزَفَفْتُ العَروسَ . وحدثنى أبو عثمان المازنىّ قال : حدثنى الزِّيادىّ قال : سمعت قومامن العرب يقولون : أزففْتُ العروس ، وهى لغة .

قوله :

* فإنى وقيارا بها لغريب *

أراد : فإنى لغريب بها وقياراً ، ولو رفع لكان جيداً ، تقول : إن زيداً منطلقٌ وعمراً وعمرٌو ، فمن قال : «عمراً» فإنما رَدَّهُ على زيد ، ومن قال : «عمرو» فله وجهان من الإعراب : أحدهما جيد ، والآخر جائز ، فأما الجيد فأن تَحمِلَ عمراً على الموضع ، لأنك إذا قلت : إن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فَرَدَدْتَهُ على الموضع ، ومثل هذا لَسْتُ بقائم ولا قاعداً ، والباء زائدةٌ ، لأن المعنى لستُ قائماً ولا قاعدا ، ويقرأ على وجهين : ﴿ إنَّ اللهَ برىءٌ مِنَ الْمُشرِكِينَ ورَسُولُه ﴾ [1] ، ﴿ ورَسُولَهُ ﴾ ، والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر فى الخبر ، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لأن المضمر المرفوع إنما يَحْسُنُ العطف عليه إذا أكَّدْتَهُ ، كما قال الله تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ ورَبُّكَ فقاتِلا ﴾ [2] و ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ [3] وإنما قَبُحَ العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكِنًّا فى الفعل بغير علامة ، أو فى الاسم الذى يَجْرى مَجْرَى الفعل ، نحو إن زيدا ذَهَبَ وإن زَيدا ذاهِبٌ فلا علامة له ، أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ ، سَكَّنْتَ الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكُّ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشىء الواحد ، ولكنَّ المنصوبَ يجوزُ العطفُ عليه ، ويَحْسُن بلا تأكيد ،

---

(١) سورة التوبة ٣ (٢) سورة المائدة ٢٤

(٣) سورة البقرة ٣٥

وقول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : «كلُّ الصَّيْدِ فى بطْنِ الفَرا» يعنى الحمارَ الوحشىَّ . وذلك أن أجلَّ شىء يصيده الصائدُ الحمارُ الوحشىُّ ، فإذا ظَفِرَ به ، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد ، والعرب تختلف فيه ، فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول : هذا فَرَأٌ ، كما ترى ؛ وهو الأكثر ، وبعضهم لا يهمزه ، ومن أمثالهم ، «أنكحْنا الفرَا ، فسنَرى» ، أى زوَّجْنا مَنْ لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبةُ ، وجَمْعُهُ فى القولين جميعاً «فِراءٌ» كما ترى ، ونظيره : جَمَلٌ وجِمالٌ ، وجَبَلٌ وجِبالٌ ، قال الشاعر[1] :

بضَرْبٍ كَآذَانِ الْفِرَاءِ فُضُولُهُ وطَعْنٍ كَإيزَاغِ الْمَخَاضِ تَبُورُها

الإيزاغُ : دَفْع الناقة ببولها ، يقال : أوْزَغَتْ به إيزاغا ، وأزْغَلَتْ به إزْغالاً ، وذلك حين تَلْقَحُ ، فعند ذلك يقال لها : خَلِفَةٌ ، وللجميع المخاضُ ، وقد مرّ هذا . والبَوْرُ : أن تُعْرَضَ على الفحل لِيُعْلَمَ : أهى حامل أم حائل ؟

[لضابىء البرجمى وهو فى السجن]

وقال ضابِئ بن الحارث البُرْجُمِىُّ[2] :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدِينَةِ رَحْلُهُ فإنِّى وقَيَّارًا بهــا لَغَرِيبُ
وَمَا عَاجِلَاتُ الطيْرِ تُدْنِى مِنَ الْفَتَى نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ولِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلى نائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

---

(١) هو مالك بن زغبه الباهلى.　　(٢) زيادات ر : «من السجن».

يقول: إذا لم تعجّل له طَيْرٌ سانحةٌ فليس ذلك بمُبْعِدٍ خيراً عنه، ولا إذا أبطأت خاب، فعاجلها لا يأتيه بخير، وآجلها لا يَدْفعُهُ عنه، إنما له ماقُدِّرَ له، والعرب تَزْجُرُ على السّانِحِ وتتبرّكُ به، وتكْرهُ البارحَ وتتشاءم به، والسانحُ: ما أراك مَيامِرَهُ فأمْكنَ الصائدَ، والبارحُ: ما أراك مَيامِنَهُ فلم يمكِنِ الصائدَ، إلا أن يَنْحَرِفَ له، وقد قال الشاعر:

لا يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ   إلاَّ كَوَاذِبَ مِمَّا يُخْبِرُ الْفَالُ
والفَالُ والزَّجْرُ والْكُهَّانُ كلُّهُمُ   مُضَلَّلُونَ، ودُونَ الغَيْبِ أقْفَالُ

وقوله:

ورُبَّ أُمورٍ لاَ تَضِيرُكَ ضَيْرَةً   ولِلْقلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ[1]

فإن العرب تقول: ضارَهُ يَضِيرُهُ ضَيْرَةً، ولا ضَيْرَ عليه، وضَرَّهُ يَضُرُّهُ، ولا ضَرَرَ عليه [ولا ضُرّ عليه][2]، ويقال: أصابه ضُرٌّ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضَّرُّ مصدر، والضُّرُّ اسم، وقد يكون الضُّرُّ من المرض، والضَّرُّ عامًّا، وهذا معنى حَسَن، وقد قال أحد المُحْدَثِينَ، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العَتاهِيَة:

وَقَدْ يهلِكُ الإنسانُ مِنْ بَابِ أمْنِهِ   وَيَنْجُو بِإذْنِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

وقال الله عزّ وجل: ﴿ فعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيرًا ﴾[3].

---

(١) المخشاة: الخشية. والوجيب: خفقان القلب واضطرابه.
(٢) الزيادة من س   (٣) سورة النساء: ١٩

لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه ، نحو ضَرَبْتُكَ وزيداً . فأما قول الله عزوجل : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾[1] ، فإنما يَحْسُنُ بغير توكيد لأن « لا » صارت عوضاً ، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يَحْسُنُ فى الكلام ، قال عمر ابن أبى ربيعة :

قُلْتُ إذْ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهَادَى   كَنِعَاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ

وقال جرير :

وَرَجا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ   مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لهُ لِيَنَالاَ

فهذا كثير . فأما النعت إذا قلتَ إنَّ زيداً يقومُ العاقلُ فأنت مخيَّرٌ إن شئت قلتَ العاقلَ فجعلته نعتاً لزيد ، أو نصبته على المَدْحِ وهو بإضمار أعنى ، وإن شئتَ رفعتَ على أن تُبْدِلَهُ من المضمر فى الفعل ، وإن شئتَ كان على قَطْعٍ وابتداء ، كأنك قلتَ إنَّ زيدا قام ، فقيل مَنْ هو ؟ فقلتَ : العاقلُ ، كما قال الله عزّ وجل : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾[2] ، أى هو النارُ . والآية تُقرأُ على وجهين على ما فسَّرْنا : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[3] وعَلاَّمَ ﴿الغيوبِ﴾ .

وقوله :

وَمَا عَاجِلاَتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الفَتَى   نَجَاحاً . . . .

---

(١) سورة الأنعام ١٤٨   (٢) سورة الحج ٧٢
(٣) سورة سبأ ٤٨

بابٌ

[جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية]

قال أبو العباس: وجَّهَ عليٌّ بن أبي طالب رضى الله عنه جريرَ بن عبد الله البجَليَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبَيْعةِ له، فقال له: إنَّ حَوْلى مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، ولكنِّى آخْتَرْتُكَ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكَ: «خَيْرُ ذى يَمَنٍ»، إيتِ مُعاويةَ فَخُذْهُ بالبَيْعَةِ، فقال جَرِيرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرَتى شيئاً، وما أَطْمَعُ لك فى مُعاوية، فقال علىٌّ رضى الله عنه: إنما قَصْدى حُجَّةٌ أُقيمُها عليه، فلما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ مُعاويةُ، فقال له جَرِيرٌ: إنَّ المُنافِقَ لا يُصَلِّى حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدّاً، ولا أحْسَبُكَ تُبايعُ حتى لا تَجِدَ من البَيْعةِ بُدًّا! فقال له معاوية: إنها ليست بِخُدْعَةِ الصَّبىِّ عن اللَّبَنِ إنه أمْر له ما بعده، فأَبْلِعْنِى ريقى. فناظَرَ عَمْرًا، فطالت المناظرة بينهما، وألَحَّ عليه جرير، فقال له معاوية: ألقاكَ بالفَصْلِ فى أول مَجْلِسٍ إن شاء الله تعالى.

ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً، وكَتَبَ عليه: «ولا يَنْقُضُ شَرْطٌ طاعةً»، فقال عمرو: يا غلامُ اكْتُبْ: ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطاً، فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عقيرَتَهُ[1] يُنْشِدُ لِيُسْمِعَ جَرِيراً:

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَآعْتَرَتْنى وَسَاوِسِى ... لِآتٍ أَتَى بالتُّرَّهَاتِ البَسَابِسِ[2]

---

(١) العقيرة: الصوت.

(٢) البسابس فى الأصل: القفر الواسع، يريد الأباطيل.

وقال رجل لمعاوية : واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كارِه . فقال معاوية : قد جَعَلَ اللهُ فى الْكُرْهِ خيرًا كثيرًا .

وقوله :

وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ آلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

نظيره قول كثير :

أَقُولُ لَهَا ، يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكان عبد الملك بن مَرْوانَ يقول : لو كان قال هذا البَيْتَ فى صِفَةِ الْحَرْبِ لكان أشْعَرَ النَّاس .

وحكى عن بعض الصالحين أنْ ابْناً له مات فلم يُرَ بِهِ جَزَعٌ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا أمر كنّا نَتَوَقَّعُهُ ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ

أَرَى الشَّأْمَ تَكْرَهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا

وَكُلاًّ لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمُ وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا

فَقَالُوا : عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا فَقُلْنَا : رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا

وقَالُوا : نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ فَقُلْنَا : أَلاَ لاَ نَرَى أَنْ نَدِينَا

وَمِنْ دُونِ ذٰلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ يُقِرُّ الْعُيُونَا

وأحسن الروايتين : « يَفُضُّ الشئُونَا » ، وفى آخر هذا الشعر ذَمٌّ لعلىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه أمْسَكْنا عن ذكره .

قوله : « ولكنَّكَ أَغْرَيْت بعثمان المهاجرين » فهو من الإِغْراء وهو التحضيض عليه ، يقال أغْرَيْتُهُ به ، وآسَدْتُهُ عليه ، وآسَدْتُ الكلب على الصيد أُوسِدُهُ إيساداً ، ومن قال : أشْلَيْتُ الكلب فى معنى أغْرَيْتُ فقد أخطأ ، إنما أشْلَيْتُهُ دعوتُهُ إلىَّ ، وآسَدْتُه أغْرَيْتُهُ .

وقول ابن جُعَيْل :

« وأهلَ العراق لهم كارهينا »

محمول على « أرى » ، ومن قال :

« وأهلُ العراق لهم كارهونا »

فالرفع من وجهين : أحدهما قطعٌ وابتداءٌ ، ثم عَطَفَ جملة علَى جملة بالواو ، ولم يحمله على أرى ، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً ، وعمرٌو منطلقٌ الساعةَ ، خَبَّرْتَ بخبر بعد خبر ، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا ،

أَتَانِى جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... بِتِلْكَ الَّتِى فِيهَا اجْتِدَاعُ الْمَعَاطِسِ
أُكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّنِىِّ بِلَابِسِ
إِنِ الشَّأْمُ أَعْطَتْ طَاعَةً يَمَنِيَّةً ... تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِى الْمَجَالِسِ
فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمْ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ[1] ... تَفُتُّ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ
وَإِنِّى لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ ... وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِيَائِسِ

[كتاب معاوية إلى على]

وكتب إلى علىٍّ رضى الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن مُعاوية بن صَخْرٍ إلى علىّ بن أبى طالب :

أما بعد : فلَعَمْرِى لَوْ بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت بَرِىءٌ من دم عثمان كنتَ كأبى بَكْرٍ وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ، ولكنك أغْرَيْتَ بعثمان المهاجرين ، وخذَّلْتَ عنه الأنصارَ ، فأطاعك الجاهلُ ، وقَوِىَ بك الضعيفُ . وقد أبَى أهلُ الشام إلاّ قِتالَكَ حتى تدفَعَ إليهم قَتَلَةَ عثمان ، فإن فعلتَ كانت شُورَى بين المسلمين . ولَعَمْرِى ما حُجَّتُكَ عَلَىَّ كَحُجَّتِكَ على طَلْحَة والزُّبَيْر : لأنهما بايَعاكَ ولم أُبايِعْكَ . وما حُجَّتُكَ على أهل الشام كَحُجَّتِكَ على أهل البصرة ؛لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يُطِعْكَ أهلُ الشام . وأما شَرَفُكَ فى الإسلام ، وقَرابَتُكَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ . ثم كتَبَ إليه فى آخر الكتاب بشِعر كَعْبِ بن جُعَيْل ، وهو :

---

(١) زيادات ر : « الجبهة : جماعة الخيل » .

فهذا يريد: فى طاعة عمرو بن هند، والدِّينُ: العادَةُ، يقال: ما زال هذا دِينى ودَأْبى وعادتى ودَيْدَنِى وإجْرِيَّاى، قال المُثَقِّب العَبْدِى:

تَقولُ إذَا دَرَأْتُ لهَا وَضِينِى   أَهٰــذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِى!
أَكُلَّ ٱلدَّهْرِ حَلٌّ وَٱرْتِحَالٌ   أَمَا تُبْقِى عَلَىَّ وَمَا تَقِينِى!

وقال الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ:

عَلَى ذَاكَ إجْرِيَّاىَ وَهْىَ ضَرِيبَتِى   وَإنْ أَجْلَبُوا طرًّا عَلَىَّ وَأَحْلَبُوا[1]

وقوله:

* فقلنا رضينا آبنَ هند رضينا *

يعنى معاوية بن أبى سُفْيانَ، وأُمُّهُ هِند بنت عُتْبَةَ بن رَبيعة بن عَبْدِ شَمْس ابن عبد مَناف.

وقوله: «أن تَدينوا له»، أى أن تطيعوه وتَدْخلوا فى دينه: أى فى طاعته:
وقوله:

* ومن دون ذلك خَرْط القتاد *

فهذا مَثلٌ من أمثال العرب، والقَتادُ: شُجَيْرَةٌ شاكة غليظة أصولِ الشَّوْكِ، فلذلك يُضْرَبُ خَرْطُهُ مَثَلاً فى الأمر الشديد، لأنه غاية الجَهْدِ. ومن قال: «يفُضُّ الشؤونا»، فيَفُضُّ يُفرِّقَ، تقول: فَضَضْتُ عليه المالَ. والشؤونُ، واحدها شأْنٌ، وهى مَوَاصِلُ قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قَبائل، أى قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها إلى بعض، فوضع شُعَبِها يقال له: الشؤون، واحدها شأْنٌ،

(١) اجرياى: عادتى. وأجلبوا: صاحوا. وأحلبوا: تألبوا.

فيكون معناها «إذْ» ، كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق. تريد إذ: عمرو منطلق . وهذه الآية تُحمَلُ على هذا المعنى ، وهو قول الله عزّ وجل : ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾[١] . والمعنى ـ والله أعلم : إذ طائفة فى هذه الحال ـ وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَافِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[٢] ، أى والبحرُ هذه حاله ، ومن قرأ ﴿ والبَحْرَ ﴾ فعلى «أنَّ» .

وقوله :

* ودِنَّاهُم مثل ما يقرضونا *

يقول جزيناهم . وقال المفسرون فى قوله عز وجل : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٣] . قالُوا : يومَ الجزاء والحساب ، ومن أمثال العرب : «كما تَدين تُدانُ» ، وأنشد أبو عبيدة[٤] :

وَٱعْلَمْ وَأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وللدِّين مواضع : منها ما ذكرنا ، ومنها الطاعة ودِينُ الإسلام . من ذلك يقال : فلان فى دِينِ فلانٍ ، أى فى طاعته ، ويقال : كانت مكة بلدًا لَقاحا ؛ أى لم يكونوا فى دين مَلِكٍ ، وقال زُهَيْرٌ :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنِى أَسَدٍ ... فى دِينِ عَمْرٍو وحالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤

(٢) سورة لقمان ٢٧ (٣) سورة الفاتحة ٤

(٤) زيادات : «الشعر ليزيد من الصعق الكلابي وله خبر» . وقد أورد هذا الخبر المرصفى فى رغبة الآمل : ٣ : ٢١٤ — ٢١٥

وأهل البَصْرةِ . فلعمرى ما الأمرُ فيما هناكَ إلا سَواءٌ ، لأنها بَيعةٌ شاملة ، لا يُستَثْنى فيها الخيارُ ، ولا يُستأنَفُ فيها النَّظرُ . وأما شرفى فى الإسلام ، وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من قرَيْشٍ ، فلعمرى لو استَطَعْتَ دَفْعَهُ لدفعتَهُ » .

ثم دعا النَّجاشِيَّ أحد بنى الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جُعَيْلٍ شاعرُ أهل الشأم ، وأنت شاعِرُ أهل العراق ، فأجِبِ الرجلَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أسْمِعْنِى قوله ، قال : إذاً أُسْمِعَكَ شِعْرَ شاعرٍ ، فقال النجاشى يجيبه :

دَعًا يا مُعَاوِىَ مَا لَنْ يَكُونَا ... فَقَدْ حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذَرُونَا

أَتَاكُمْ عَلِىٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ ... وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا !

وبعد هذا ما نُمْسِك عنه .

قوله : « ليس له بَصَرٌ يهديه » ، فمعناه يقوده ، والهادى : هو الذى يتقدمُ فيَدُلُّ ، والحادى : الذى يتأخر فيسوق ، والعُنُقُ يُسَمَّى الهادِىَ لتقدمه ، قال الأعشى :

إِذَا كانَ هَادِى الْفَتَى فى الْبلا ... دِ صَدْرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا

يصف أنه قد عمى فإنما تَهْديه عصًا ، ألا تراه يقول :

وهَابَ الْعِثَارَ إِذَا مَا مَشَى ... وخَالَ السُّهُولَةَ وعْثًا وعُورَا

وقال القُطامى :

إِنِّى وإِنْ كانَ قَوْمِى لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وبَيْنَ قَوْمِكَ إلا ضَرْبَةُ الْهَادِى

وزعم الأصمعيّ قال : يقال إن مَجارى الدموع منها ، فلذلك يقال : استَهَلت شُؤونه ، وأنشد قول أوْسِ بن حَجَرٍ :

لا تَحْزُنيني بالْفِراقِ فإنَّني   لا تَسْتَهِلُّ مِنَ الْفِراقِ شُؤُونِي

وَمَنْ قال «يُقِرُّ العيونا» ، ففيه قولان : أحدهما للأصمعيّ ، وكان يقول : لا يجوز غيره ، يقال : قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ ، وقال : إنما هو بَرَدَتْ مِنَ القُرِّ ، وهو خلاف قولهم : سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول : قَرَّتْ هَدَأَتْ ، وأقَرَّها الله أهْدَأها اللهُ ، وهذا قول حسن جميل ، والأول أغرب وأطْرَفُ .

[لمعاوية جواب على بن أبي طالب]

فكتب إليه أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم . من على بن أبى طالب إلى مُعاوية بن صَخْرٍ ، أما بعد : فإنه أتانى منك كتابُ امْرِئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه ، ولا قائِدٌ يُرْشِدُهُ ، دعا الهوى فأجابه ، وقادَهُ فاتّبعه ، زَعَمْتَ أنك إنما أفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان . ولَعَمْرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا ، وأصْدَرْتُ كما أصْدروا . وما كان الله لِيَجْمَعَهُمْ على ضلال ، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى !.

وبعد ، فما أنت وعثمانَ ! إنما أنتَ رجل من بنى أُمَيّة ، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه ، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك ، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون ، ثم حاكِمِ القومَ إلىَّ . وأما تمييزك بينك وبين طَلْحَة والزُّبَيْرِ وأهل الشأم

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز يُنْشدُ: «على ما فى إعانِكَ»،
ويقال: وسادَةٌ وإسادَةٌ ووِشاحٌ وإشاحٌ

وأما قوله: «فما أنتَ وعثمانُ» فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما
ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مُجْرَاه، وليس ههنا فِعْلٌ، فَيُحْمَلَ
على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمانُ، هذا تقديره فى العربية،
ومعناه لَسْتَ منه فى شئ، قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً
حسناً وجَعَلَهُ مفعولا معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده:
ما كنتَ وفلاناً. وهذا الشعر كما أصِفُ لكَ يُنْشَدُ:

وأنْتَ امْرُؤٌ من أهل نَجْدٍ وأهْلُنا ... تهامٍ وما النَّجْدِىُّ والْمُتَغَوِّرُ!

وكذلك قوله[1]:

تُكَلِّفُنِى سَوِيقَ الْكَرْمِ جَرْمٌ ... ومَا جَرْمٌ وماذاكَ السَّوِيقُ!

فإن كان الأول مضمراً متصلا كان النصب، لِئَلاَّ يُحْمَلَ ظاهر على
مضمر. تقول: مالَكَ وزيداً، وذلك أنه أُضْمِرَ الفِعْلَ، فكأنه قال فى التقدير:
ومُلاَبَسَتَكَ زيداً، وفى النحو تقديره: مع زيد. وإنما صَلَحَ الإضمار لأن
المعنى عليه إذا قلتَ: مالَكَ وزيداً! فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز «وزيدٍ»
وأَضْمَرْتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان
على غير إضمار، نحو قولك: ما زلْتُ وعَبْدَ ٱللّه حتى فَعَلَ، لأنه ليس يريد:
ما زِلْتُ وما زال عبدُ ٱللّه، ولكنه أراد: وما زلتُ بعبد ٱللّه. فكان المفعول

(١) زيادات ر: «هو الأعجم»

وقال أيضاً :

قَرْنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بُزْلٍ مُخَيَّسَةٍ ومِنْ عِرَابٍ بَعِيداتٍ مِنَ الحادِي

وقوله : « ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ » قد أبان به الأوّلَ .

وقوله : « دعاه الهَوى » فالهوى من « هَوِيتُ » مقصور ، وتقديره « فَعَلٌ » ، فانقلبت الياء ألفاً ، فلذلك كان مقصوراً ، وإنما كان كذلك لأنك تقول : هَوِيَ يَهْوَى ، كما تقول : فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ ، كما تقول : هُوَ فَرِقٌ ، كما ترى ، وكان المصدر على « فَعَلٍ » بمنزلة الفَرَقِ والحَذرِ والبَطَرِ . لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل . فأما الهَواءُ ، من الجوّ فممدود ، يَدُلُّك على ذلك جمعه إذا قلت : أَهْوِيَةٌ ، لأن أَفْعِلَةَ إنما تكون جمع فَعالٍ وفِعالٍ وفَعولٍ وفَعيلٍ ، كما تقول قَذَالٌ وأَقْذِلَةٌ وحمار وأَحْمِرةٌ ، فَهوَاءٌ كذلك ، والمقصور جمعه أهواء فاعلم ، لأنه على فَعَلٍ ، وجمعُ فَعَل أفعالٌ ، كما تقول : جَمَل وأَجْمال وقَتَب وأقتاب ، قال الله عز وجل : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[1] . وقوله هذا هَواءٌ يا فتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ ، يقول : لا قَلْبَ له ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[2] أى خالية ، وقال زُهَيْرٌ :

كأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَواءِ الجوّ ، قال الهُذَلِىُّ[3] :

هَوَاءٌ مِثْلُ بَعْلِكِ مُسْتَمِيتٌ على مَا فى وِعَائِكِ كالخَيالِ

---

(١) سورة محمد ١٤ (٢) سورة إبراهيم ٤٣

(٣) هو خُنَيْب الأعلم ، وأنظر ديوان الهذليين ٢ : ٨٣

[خالد بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان]

ويروى أنّ عبد الله بن يَزيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالداً ، فقال : يا أخي ، لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتُكَ بالوليد بن عبد المَلِكِ . فقال له خالد : بئس والله ما هَمَمْتَ به في ابن أمير المؤمنين ، ووَلِيّ عَهْدِ المسلمين ! فقال : إن خيلي مَرَّتْ به فَعَبِثَ بها وأصْغَرَني ، فقال له خالد : أنا أكفيك ، فدخل خالد على عبد الملك والوَليدُ عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الوَليدُ ابن أمير المؤمنين ، ووَلِيُّ عَهْدِ المسلمين ، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعَبِثَ بها ، وأصغره . وعبدُ المَلِكِ مُطرِقٌ ، فرفع رأسه ، فقال : ﴿ إنّ المُلوكَ إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1] ، فقال خالد : ﴿ وَإذَا أرَدْنَا أنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[2] ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله تُكَلِّمني ؟ والله لقد دَخَلَ عليّ فما أقام لِسَانَهُ لَحناً ! فقال له خالد : أفعلَى الوَليد تُعَوِّلُ ؟ فقال عبد الملك : إن كانَ الوَليدُ يَلْحَنُ فإنّ أخاه سُلَيْمانُ ، فقال له خالد : وإن كانَ عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ، فقال له الوليد : اسْكُتْ يا خالد ، فوالله ما تُعَدُّ في العِير ولا في النَّفِير ، فقال خالد : اسْمَعْ يا أمير المؤمنين ، ثم أقْبَلَ عليه وقال : وَيْحَكَ فَمَن العِيرُ والنَّفيرُ غَيْري ؟ جَدّي أبو سُفْيَانُ صاحبُ العِير ، وجَدّي عُتْبَةُ بن رَبيعةَ صاحبُ النَّفِير ، ولكن لو قلتَ : غُنَيماتٌ ، وحُبَيْلاتٌ ، والطائفُ ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا : صدقتَ !

(١) سورة النمل : ٣٤ (٢) سورة الإسراء : ١٦

مخفوضا بالباء ، فلما زال ما يَخفِضُه وَصَلَ الفعلُ إليه فنصبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا ﴾ [1] ، فالواو فى معنى مع ، وليست خافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ [2] :

فمالَكَ والتلدُّدَ حولَ نَجْدٍ وقد غَصَّت تِهامة بالرجال [3]

ولو قلتَ : ماشأنك وزيداً ! لاختير النصب ، لأن زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأن المعطوف على الشيء أبداً فى مِثلِ حاله . ولو قلت : ماشأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ ، لأن الشأن يعطف على الشأن ، وهذه الآيةُ تُفَسَّرُ على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا ، وهو الأجود فيها ، وهو قوله عزوجل : ﴿ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [4] فالمعنى والله أعلم : معَ شركائكم ، لأنك تقول : جَمَعْتُ قومى ، وأَجْمَعْتُ أمرى . ويجوز أن يكون لَمَّا أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حَمَله على مِثْلِ لفظه . لأن المعنى يَرْجِعُ إلى شيء واحد ، فيكون كقوله [5] :

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحا

وقال آخر :

* شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ *

وهذا بَيِّنٌ .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٥ (٢) زيادات ر : « هو مسكين الدارمى »
(٣) التلدد : التلفت يميناً وشمالا (٤) سورة يونس : ٧١
(٥) زيادات ر : « هو عبد الله بن الزبعرى »

لجأ إلى الطائف ، فكان يَرْعَى غَنَيْماتٍ ، ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ – وهى الكَرْمة .

وقوله : « رحم الله عثمان » : أى لِرَدِّهِ إيّاهُ .

وقولنا «أطرده» : أى جعله طَريداً ، وطَرَدَهُ : نَحّاه ، كما تقول حَمِدْته : أى شَكرته ، وأَحْمَدْته : أى صادفته محموداً . وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَدِّهِ متى أفضَى الأمرُ إليه ، رَوَى ذلك الفقهاء .

أما قوله : « فى العِير » فهى عيرُ قُرَيْشٍ التى أقبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فنَهَدَ إليْهَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ونَدَبَ إليها المسلمين ، وقال : « لعَلَ اللهَ يُنَفِّلُكموها » ، فكانت وَقْعَتُ بَدْرٍ ، وساحَلَ أبو سُفيانَ بالعِير ، فكانت الغنيمة ببدر ، كما قال الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [1] . أى غَيْرَ الحَرْبِ ، فلما ظَفِرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأهل بدر ، قال المسلمون : انْهَدْ [2] بنا يا رسول الله إلى العير ، فقال العباس رحمه الله : إنما وعَدَكُمُ اللهُ إحْدَى الطائفتين .

وأما النفير فمَنْ نَفَرَ من قريشٍ لِيَدفَعَ عن العير ، فجاءوا فكانت وقعة بَدْرٍ ، وكان شيخُ القوم عُتْبَةُ بن رَبيعة بن عبد شَمْسٍ ، وهو جَدُّ خالد من قِبَلِ جَدَّتِهِ هِنْد أمّ معاوية بنت عُتْبَةَ ، ومن أمثال العرب :

لَسْتَ فى العِيرِ يَوْمَ يَحْدُونَ بِالعِيرِ ولا فى النَّفيرِ يَوْمَ النَّفيرِ

ثم اتسَعَ هذا المَثَلَ حتى صار يقال لِمَنْ لا يَصْلُحُ لخير ولا لشرّ ولا يُحفَلُ به : لا فى العِير ، ولا فى النفير » .

وقوله : « غنيمات ، وحبيلات » يعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أَطْرَدَ الحَكَمَ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ ، وهو جَدُّ عبد المَلِكِ بن مَرْوَانَ

---

(١) سورة الأنفال : ٧

(٢) نهد ونهض كلاهما بمعنى واحد

والاسم العُلالَةُ ، وكلُّ شيء كان على « فَعَلت » من المدغم . فمضارعه إذا كان متعديا إلى مفعول يكون على يَفعُلُ . نحْوَ رَدَّهُ يَرُدُّه ، وشَجَّهُ يَشُجُّهُ ، وفَرَّهُ يَفُرُّهُ ، فإذا قلت : فَرَّ يَفِرُّ ، فإنما ذلك لأنه غير مُتَعَدٍّ إلى مفعول ، ولكن تقول : فَرَرْتُ الدابةَ أَفُرُّه . وجاء « فَعَلَ يَفْعِلُ » من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال : عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّهُ ، وَهَرَّهُ يَهُرُّه وَيَهِرُّهُ : إذا كرهه ، ويقال : أَحَبَّهُ يُحِبُّه ، وجاء حَبَّهُ يَحِبُّهُ ، ولا يكون فيه « يَفْعُلُ » ، قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إنَّنى وطِلابَ مصرٍ لَكَالْمُزْدادِ مما حَبَّ بُعْدَا

وقال آخر :

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ وكَانَ عِياضٌ منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطَارِدِي:(فَاتَّبِعُونى يَحِبَّكُمُ اللّه)[1] . ففَعَلَ فى هذا شيئين: أحدهما أنه جاء به من «حَبَبْتُ» ، والآخر أنه أدْغَمَ فى موضع الجزم ، وهو مذهب تميمٍ وقَيس وَأَسَدٍ . وَجَمَاعَةٌ من العرب يقولون: رُدُّ يافتى : يُدْغِمونَ ، ويُحرِّكونَ الدالَ الثانية لالتقاء الساكنين.فيُتْبِعُونَ الضَّمَّةَ الضمةَ ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول : رُدَّ يا فتى ، لأن الفتح أخف الحركَات ، ومنهم من يقول : رُدِّ يا فتى فَيَكْسِرُ : لأن حق التقاء الساكنين الكسر . فإذا كَان الفعل مكسوراً ففيه وجهان : تقول : فِرِّ يا فتى للإتباع وللأصل فى التقاء الساكنين، وتَفتَحُ ، لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحا فالفتح للإتباع ، ولأنه أخفُّ الحركاتِ ، والكسرُ على أصل التقاء الساكنين ،

(١) سورة آل عمران ٣١.

بـاب

[لرجل من بنى أسد يمدح يحيى بن حيان]

قال أبو العباس : قال رجلٌ من بنى أسدِ بن خُزَيْمَةَ يمدح يحيى بن حيّان أخا النَّخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْدِ بن مَذْحِجٍ ، وهو مالكٌ :

أَلاَ جَعَلَ ٱللهُ اليمانينَ كُلَّهُمْ فِدًى لِفَتَى الْفِتْيَانِ يَحيَى بن حَيَّانِ

ولَوْلاَ عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ لَقُلْتُ وألفاً من مَعَدِّ بن عدْنانِ

ولكنَّ نَفْسِى لم تَطِبْ بعشيرتى وطابَتْ له نَفْسِى بأبناءِ قَحْطانِ

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرِطِ .

وحدثنى شيخ من الأَزْدِ ثِقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت ، وهو يدعو لأبيه ، فقيل له : ألا تدعو لأمك ؟ فقال : إنها تميميَّةٌ .

وسَمِعَ رجلٌ يطوف بالبيت ، وهو يدعو لِأُمِّهِ ولا يذكر أباه ، فعوتِبَ ، فقال : هذه ضعيفةٌ ، وأبى رجل يحتال لنفسه .

وحدثنى المازنى عمن حدثه قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت ، وأُمُّهُ على عُنقه ، وهو يقول :

أَحْمِلُ أُمّى وهِيَ الحَمَّالَهْ تُرْضِعُنِى الدِرَّةَ والعُلالَهْ

* ولا يُجازَى وَالدٌ فَعالَهْ *

قوله : « الدرة » ، فهو اسم ما يَدُرُّ من ثَدْيَيْها ، ابتداءً كان ذلك أو غير ذلك . والعُلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ ، يقال : عَلَّهُ يَعُلُّهُ وَيَعِلُّه عَلاًّ ،

[لعبيد بن أيوب العنبرى]

وقال آخر أَحْسَبُهُ من لُصوص بنى سَعْد

* * *

[قال أبو الحسن : هو عُبَيْدُ بن أَيُّوب العَنْبَرِى، وأنشدهذا الشعر ثعلب]:

* * *

وصَبْرِىَ عَمَّنْ كُنتُ ما إنْ أُزَايِلُه	لقد قادَنى وتَرْكى الإنسَ من بعد حُبِّهِمْ
قديرًا ومَشْوِيًّا عَبيطاً خَرادِلُه	كالصَّقرِ جَلَّى بعد ما صادَقِنيَةً
عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابِلُه	أهابوا به فازدادَ بُعْدا وصَدَّهُ
لها رَبَذِيٌّ لَمْ تُفَلَّلْ معابِلُه	أَلَمْ تَرَنى صاحَبْتُ صَفْرَاءَ نَبْعَةً
يُلاَطُ بكَشْحِى جَفْنُهُ وحَمَائِلُه	وطال احْتضانى السيفَ حتى كأنما
عن الإنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائِلُه	أخو فَلَواتٍ صاحَبَ الجِنَّ وانتَحى
وللجِنِّ منه شَكْلُهُ وشمائِلُه	له نَسَبُ الإنْسِىِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ

قوله :

* وصَبْرِىَ عَمَّنْ كُنتُ مَا إنْ أزايله *

إن : زائدة ، وهى تُزَاد مُغَيِّرَةً للإعراب، وتزاد توكيداً ، وهذا موضع ذلك ، فالموضع الذى تُغيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد « ما » الحجازية ، تقول : ما زيدٌ أخاك ، وما هذا بَشَرًا ، فإذا أَدْخَلْتَ إنْ هذه بطل النصب بدخولها؛ فقلت : ما إنْ زيدٌ منطلق ، قال الشاعر[1] :

وما إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن مَنايانا ودَوْلَة آخرينا

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ « ما » العَمَلَ كما منعت « ما » إنَّ الثقيلة أن

---

(١) زيادات ر : « هو فروة بن مسيك »

نحو . عضُّ، يا فتى ، وعضِّ يا فتى ، فإذا لقيتْهُ ألف ولام فالأجود الكسر ، من أجل ما بعده ، وهى لام المعرفة ، نحو :

فَغُضَّ الطرْفَ إنكَ من نُميْرٍ   [فلا كَعباً بَلغْتَ ولا كِلابا]

ومنهم مَنْ يُجْريه مُجْرى الأوّل ، فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأوّل فيقول[1] :

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلَةِ اللِّوَى   وَالْعَيْشَ بَعْدَ أولئك الأيامِ

ومن كان من شأنه أن يُتْبِعَ أو يَكْسرَ فعلى ذلك ، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قولهُ عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فإنّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] .

وأما أهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصلى، فيقولون : ارْدُدْ واغْضُضْ، ويقولون : افْرِرْ من زيد واعْضَضْ . لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان ، وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطّرِدٌ بَيِّنٌ ، وقد شرحناه فى الكتاب المقتضَبِ على حقيقة الشرح .

[لرجل فى الصبر]

وقال الآخر :

إذَا ضَيَّقْتَ أمْرًا ضَاقَ جدًّا   وَإنْ هَوَّنْتَ ما قد عَزَّ هانا

فلاَ تَهْلِكْ لِشَىْءٍ فاتَ يَأْسًا   فَكَمْ أَمْرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

سأصْبِرُ عَنْ رَفيقٍ إنْ جَفانى   على كُلِّ الأذَى إلا الهَوانا

فإنّ المرْءَ يَجْزَعُ فى خَلاءٍ   وَإنْ حَضَرَ الجماعة أنْ يُهانا

---

(١) زيادات ر : « هو جرير » .   (٢) سورة الحشر ٥

وقوله : «كالصَّقْرِ جلَى» ، تأويل التَّجلِّى أن يكون يحسُّ شيئاً فيتشوَّفُ إليه ، فهذا معنى «جلَّى» ، قال العجاج :

* تَجَلِّىَ البازِى إذا البازى كَسَرْ *

أى نَظَرَ ، ويقال : تَجَلَّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّيًا ، واجتلاها اجتلاءً ، أى نظر إليها وتأملها ، والأصل واحد

وقوله : «قَدِيرًا» ، هو ما يُطْبَخ فى القِدْرِ ، يقال: قَدِير ومَقْدور: كقولك : قَتيلٌ ومَقْتولٌ .

وقوله : «عبيطاً خَرادِلهُ» ، فالعَبيط الطَّرِيُّ ، يقال : لحم عَبيط إذا كان طَرِيًّا ، وكذلك دَمٌ عبيطٌ ، ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بَكْرَتَه إذا نحرَها شابَّةً من غير عِلَّةٍ ، وكذلك اعْتُبِطَ فلان إذا مات شابا ؛ قال أُمَيَّةُ [١] :

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا ... لِلمَوْتِ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها

وحدثنى الزِّيادى إبراهيم بن سُفيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن ابن زِيادٍ ، قال : تحدَّثَ رجل من الأعرابِ ، قال : نزلتُ برجل من طَيِّئٍ ، فنَحَرَ لى ناقةً فأكلتُ منها ، فلما كان الغد نحر أخرى ، فقلتُ : إنَّ عندك من اللحم ما يُغْنِي ويَكْفِى ، فقال : إنى والله لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبيطاً ، قال : وفَعلَ ذلك فى اليوم الثالث — وفى كل ذلك آكل شيئاً ، ويأكل الطائى أَكْلَ جماعةٍ — ثم نُؤْتَى باللبن فأَشْرَبُ شيئاً ، ويشْرَبُ عامَّةَ الوَطْبِ [٢] ،

---

(١) زيادات ر : «ابن أبى الصلت ، والصحيح أنه لرجل من الخوارج ، عن الأصمعى» .
(٢) الوطب : سقاء اللبن .

تنصب ، تقول : إن زيداً منطلق ، فإذا أدخلت « ما » صارت من حروف الابتداء ، ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال ، نحو : إنما زيد أخوك ، و﴿ وإنما يخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾[١] ولولا «ما» لم يقع الفعل بعد «إنّ» لأن «إنّ» بمنزلة الفعل ، ولا يلي فعلٌ فعلاً لأنه لا يَعمَلُ فيه ، فأما كان يقوم زيدٌ ، وكادَ تزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ففي كان وكاد فاعلان مَكْنيّان .

و «ما» تُزاد على ضربين ، فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كالغائها ، نحو ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم ﴾[٢] أي فبرحمة ، وكذلك : ﴿ مِمّا خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾[٣] ، وكذلك : ﴿ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً ﴾[٤] . وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ ، فتُوجِبُ في الشيء ما لولا هي لم يقع ، نحو رُبّما يَنْطَلِقُ زيد ، و﴿ رُبَما يَوَدُّ الذينَ كَفَرُوا ﴾[٥] ، ولولا «ما» لم تقع رُبَّ على الأفعال ، لأنها من عوامل الأسماء ، وكذلك جئتُ بعد ما قام زيد ، كما قال المرّار[٦] :

أعلاقةً أمَّ الوُلَيدِ بَعْدَ ما أفْنانُ رأسِكَ كالثَّغامِ المُخْلِسِ[٧]

فلولا «ما» لم يقع بعدها إلا اسم واحد ، وكان مخفوضاً بإضافة «بعد» إليه ، تقول : جئتك بَعْدَ زيدٍ .

---

(١) سورة فاطر ٢٨ . (٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٣) سورة نوح ٢٥ . (٤) سورة البقرة ٢٦ .
(٥) سورة الحجر ٢ . (٦) زيادات ر : « هو المرار الفقعسي » .
(٧) العلاقة : الحب . والوليد : تصغير الوليد ؛ والأفنان في الأصل : الغصون ؛ وأراد بها هاهنا خصل الشعر .

أَهَابَ بِأَحْزَانِ الفُؤَادِ مُهِيبُ ومَاتَتْ نُفُوسٌ للهَوَى وقلوب

وقوله : « ضَوْءُ بَرْقٍ ووابله » ، أراد صَدَّهُ عنهم ضَوْءُ بَرقٍ ووابِلُهُ ، فأضاف الوابل من المطر إلى البرق : وإنما الإضافة إلى الشىء على جهة التضمين ، ولا يضاف الشىء إلى الشىء إلا وهو غيره أو بعضه ، فالذى هو غيره : غلامُ زيدٍ ، ودارُ عمرٍو ، والذى هو بعضه : ثَوْبُ خَزٍّ ، وخاتَمُ حَدِيدٍ ، وإنما أضافَ الوابل إلى البرق ، وليس هُوَ لَه ، كما قلت : دار زيد، على جهة المجاورة ، وأنهما راجعان إلى السحابة ، وقد يضاف ما كان كذا على السَّعَة ، كما قال الشاعر :

حتى أَنَخْتُ قَلُوصى فى دِيارِكُمُ بخير مَنْ يَحْتَذِى نَعْلاً وحافيها

فأضاف الحافى إلى النعل ، والتقدير : حافٍ منها .

وقوله :

* ألم ترنى صاحبت صفراء نَبْعَةً *

فالنَّبْعُ خير الشجر للقِسِىِّ ، ويقال : إن النَّبْعَ والشَّوْحَطَ والشَّرْيانَ شجرةٌ واحدة ، ولكنها تختلف أسماؤها وتَكرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها ، فما كان فى قُلَّةِ الجبل منها فهو النَّبْعُ ، وما كان فى سَفْحِهِ فهو الشَّوْحَطُ ، وما كان فى الحضيض فهو الشَّرْيان .

وقوله : « لها رَبَذِىٌّ » ، يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم ، يقال : رجل رَبِذُ اليد إذا كان يكثر التحريك ليديه والعَبَثَ بهما ، ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه ، وكان الأصل رَبِذًا لأنه «رَبِذ» ، ولكن ما كان

فلما كان فى اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ ، فلما امتلأ نوماً اسْتَقْتُ قطيعاً من إبلِهِ فأَقْبَلْتُهُ الْفجَّ[١] ، فانتبه واخْتَصَرَ علَى الطريقَ حتى وقف لى فى مَضيقٍ منه، فَأَلقَمَ وتَرَهُ فُوقَ[٢] سَهْمِهِ، ثم نادى بى : لِتَطِبْ نَفْسكَ عنها ! قلت أرنى آيةً ، فقال : انظر إلى ذلك الضَّبِّ ، فإنى واضِعٌ سَهْمِى فى مَغْرِزِ ذَنَبِهِ ، فرماه فَأَنْدَرَ ذَنَبَه[٣] ، فقلتُ : زِدْنى، فقال : انظر إلى أعلى فقَارِهِ ، فرماه فأَثْبتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى : الثالثةُ والله فى كَبِدِكَ ! فقلت : شأنَكَ بإبلِكَ ! فقال : كلا حتى تسوقَهَا إلى حَيْثُ كانَتْ . قال : فلما انتهيت بها قال : فَكَّرْتُ فيكَ فلم أجد لى عندك تِرَةً تُطالبنى بها ، وما أحْسِبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجةَ . قال : قلتُ هو والله ذاكَ . قال : فاعْمِدْ إلى عشرين من خِيارها فخُذْها ، فقلت: إذاً والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ : واللهِ ما رأيتُ رجلا أكْرَمَ ضِيافةً ، ولا أهْدَى لسبيلٍ ، ولا أرْمَى كَفًّا ، ولا أوْسَعَ صَدْرًا ، ولا أرْغَبَ[٤] جوْفًا ، ولا أكْرَمَ عفْوًا منك . قال : فاستحيا فصَرَفَ وجهه عنى ، ثم قال : انْصرِفْ بالقَطيع مُبارَكاً لك فيه .

وقوله : « خرادله » يعنى قِطَعهُ ، يقال : ضَربه ضربا خَرْدَلَ ، وتأويله قطَعَهُ : كما قال :

* والضَرْبُ يَمْضِى بيننا خَرادِلاً *

وقوله : « أهابوا به » ، يقول : دَعَوْه ، يقال : أَيَّهَ بِهِ ، وأَهَابَ بِهِ : أى ناداه . قال القُرَشِىُّ :

---

(١) الفج : الطريق الواسع . (٢) الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣) أندر ذنبه : قطعها (٤) من الرغب ؛ وهو سعة البطن وكثرة الأكل .

بابٌ

[لبعض الشعراء يحرض على خالد بن يزيد]

قال أبو العباس : تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هن شَرَفُ مَنْ هُنَّ منه ، منهن أمُّ كُلْثُومٍ بنت عبد الله بن جَعْفَرٍ بن أبي طالب ، وآمِنةُ بنت سعيد بن العاصي بن أُمَيَّةَ ، ورَمْلَةُ بيتُ الزُّبَيْرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلِدِ بن أسَد ابن عبدَ العُزَّى بن قُصَيّ ، ففي ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبد الملِكِ :

عَلَيْــــكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ   ففى خالدٍ عما تُحِبُّ صُدودُ
إذا ما نَظَرْنا فى مَناكِح خالدٍ   عَرَفْنا الذى يَنْوى، وأين يُرِيدُ؟

فَطَلَق آمنة بنت سعيد ، فتزوجها الوليد بن عبد الملك ، فى ذلك يقول خالد :

فَتاةٌ أبوها ذو العِصابة، وابْنُهُ،   وعثمانُ؛ ما أكفاؤها بكثِير
فإن تفتلتها والخلافةَ تنقلب   بأكْرَمِ عِلْقَىْ مِنْبَرٍ وسَرِير

قوله : « أبوها ذو العصابة » يعنى سعيد بن العاصى بن أُمَيَّةَ ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمّ قُرَشِيٌّ إعظامًا له ، ويُنْشِدون :

من «فَعِلٍ» فَنُسِبَ إليه فتح موضع العين منه استثقالاً لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام، لأن ياءى النسب تَكْسِران ما تَلِيانِهِ، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَيْنَ مكسورة، تقول فى النسب إلى النَمِرِ بن قاسِطٍ: نَمَرِىّ، وإلى الحَبِطاتِ: حَبَطِىّ، وإلى شَقِرة — وهو الحرث بن تميم بن مُرّ —: شَقَرِىّ، وفى النسب إلى عَمٍ: عَمَوِىّ يافتى.

وقوله: «لم تُفَلَّلْ مَعابِلُه»، يريد لم ينكسر حَدُّها، من الفلول.

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ سأل عبد الملك أن يَرُدَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فأخرجه إليه فى سيوف مُنْتضاةٍ، فأخذه عروة من بينها، فقال له عبد الملك: بِمَ عَرَفْتَهُ؟ فقال: بما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم ... بِهِنّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

والمِعْبَلة: واحدة المعابل، وهى سهم خفيف. قال عَنْتَرَةُ:

وآخَرَ منهم أَجْرَرْتُ رُمْحِى ... وفى البَجْلِىّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ[1]

بإسكان الجيم لا غير

* *

[قال أبو الحسن: بَجيلة: قبيلة من بنى الهُجَيْمِ، من اليَمَن].

---

(١) الوقيع، من وقع المدية ونحوها يقعها وقعا: أحدّها. والبجلى: منسوب إلى بجلة، لقب مالك بن ثعلبة.

وزِيدَ فيها :

فَإنْ تُسْلِمِى أُسْلِمْ وإن تَتَنَصَّرِى يُعلِّقْ رجالٌ بين أعينهمْ صُلبا

فيروى أن عبدالملك ذُكِرَ له هذا البيتُ ، فقال له : يا خالد ، أَتَرْوِى هذا البيتَ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، على قائله لعنة ٱلله !

[زواج الحجاج بن يوسف بابنة عبد الله بن جعفر ثم طلاقه لها]

وذكر العُتْبِىُّ أن الحَجَّاجَ بن يوسف بن الحَكَمِ الثقفِىَّ لما أكْرَهَ عبدَ ٱلله بن جعفر على أنْ زوَّجَهُ ابنته استأجله فى نقلها سنة ، فَفكَّرَ عبدُ ٱلله ٱبن جعفرٍ فى الانفكاكِ منه ، فَأُلْقِىَ فى رُوعِهِ خالد بن يَزِيدَ ، فَكَتَبَ إليه يُعْلِمُهُ ذلك ، وكان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل له : أفى هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمْرٌ لا يُؤَخَّرُ ، فَأُعْلِمَ عبدُ الملك بذلك ، فَأَذِنَ له ، فلما دخل عليه ، قال له عبد الملك : فِيمَ السُّرَى يا أبا هاشم ؟ قال : أمْرٌ جَليلٌ لم آمَنْ أن أؤخره ، فَتَحْدُثَ علىَّ حادِثَةٌ فلا أكونَ قَضيْتُ حق بَيْعَتِكَ ، قال : وما هو ؟ قال : أَتَعْلَمُ أنه ما كان بين حَيَّيْنِ من العداوة والبَغْضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سُفْيان ؟ قال لا : فإنَّ تزويجى إلى آل الزُّبير حَلَّلَ ما كان لهم فى قلبى ، فما أهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم ، قال : فإن ذلك لَيكونُ ، قالَ : فكيف أذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم ، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ويقال فيهم ، والحَجّاجُ من سلطانك بحيث علِمْتَ ! قال : فَجَزاهُ خَيْرًا ، وكتب إلى الحجاج بِعَزْمَةٍ أن يطلقها فطلقها ، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها ،

أبو أحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمّ عِمّتَهُ   يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ

ويزعم الزُّبَيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع .

وقوله : « فإن تفتلتها » : يقول : تأخذها فجاءةً ، ومن ذلك قول الشاعر :

مَنْ يأمَنِ الأيامَ بَعْدَ صُبَيْرَةَ الْقُرَشِيِّ ماتا[1]

سَبَقَت مَنِيتَه المَشِيبَ وكان مِيتَتُهُ افْتِلاتا

وفى الحديث أن رجلاً قال : يارسول الله ؛ إن أُمِّى افْتُلِتَتْ ، أى ماتت فجاءةً .

[الخالد بن يزيد فى رملة بنت الزبير]

ويرى أن آمِنَةَ لَبِثَتْ عند الوَليد . فلما هَلَكَ عبدُ المَلِك سَعَى بها ساعٍ إلى الوليد . قال أبو العباس : وبلغنى أنها سَعَتْ بها إحدى ضَرّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبكِ على عبد الملك كما بكَى نظائرها ، فقال لها الوليد فى ذلك ، فقالت : صَدَقَ القائلُ ، أكُنْتُ قائلةً ؟ ماذا أقول ! يالَيْتَهُ كان بَقِيَ حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد !

وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد :

تَجولُ خلاخيل النساء ولا أرَى   لِرَمْلَةَ خَلْخالاً يَجُولُ ولا قُلْبا[2]

فلا تُكْثِرُوا فيها المَلامَ فإنَّنِي   تَخَيَّرْتُها منهم زُبَيْرِيَّةً قَلْبا[3]

أُحِبُّ بنى الْعَوّامِ طُرًّا لِحُبِّها   ومن أجلها أحْبَبْتُ أخْوالَها كَلْبا

---

(١) زيادات ر : « صبيرة » بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة ؛ وبالضاد معجمة ؛ رواية عاصم ، على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين » ورواية ابن سراج برفع « يأمنُ » ، على الاستفهام »

(٢) القلب هنا : السوار .

(٣) إمرأة قلب ، بفتح القاف : خالصة النسب .

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال رجل لإبراهيم بن أدْهَمْ : عِظْنِي ، فقال : اتّخِذ ٱلله صاحِبًا وذر الناس جانباً .

قال سعيد بن المُسَيِّب : كنت بين القبر والمِنْبَرِ مُفَكِّرًا ، فسمعت قائلا يقول ولم أره : اللّهُمَّ إنى أسألك عملا بارًّا . ورزقا دارًّا . وعيشا قارًّا[1] قال سعيد : فلزمْتُهُنّ فلم أر إلا خيرا .

وقال الأَصْمَعِيُّ : كان من دعاء أبى المُجِيب : اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أجَلى .

قال : وكان يقول فى دعائه : اللهم لا تَكِلْنَا إلى أنفسنا فنَعْجِزَ ، ولا إلى الناس فنَضِيعَ

[أعرابى فى حلقة يونس]

قال وحدثنى أبو عثمان المازنيُّ قال : حدثنى أبو زيد قال : وقف علينا أعرابىٌّ فى حَلْقة يونس النحوىّ فقال : الحمد لله كما هو أهْلُهُ ، وأعوذ بالله أن أُذَكِّرَ به وأنساه ، خرجنا من المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين رجلا ممن أخْرَجَتْهُ الحاجة ، وحُمِلَ على المكروه ، لا يُمَرِّضُونَ مَرِيضَهُم ، ولا يَدْفِنون مَيِّتهم ، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل وإن كرهوه . والله يا قَوْم لقد جُعْتُ حتى أكَلْتُ النَّوَى المُحْرَقَ ، ولقد مَشَيْتُ حتى انْتَعَلْتُ ، وحتى خَرَجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير . أفَلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ ، وَفَلَّ طَرِيقٍ ، ونِضْوَ سفرٍ ! فإنه لا قليلَ من

---

(١) قارا : مستقرا

فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، فأوقع الحجاجُ بخالد ، فقال : كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتُزِعَ منه . فقال له عمرو ابن عتبة : لا تَقُلْ ذا أيها الأمير ، فإنَّ لخالد قديما سَبَقَ إليه ، وحديثاً لم يُغلَبْ عليه ، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بِجَدٍّ وجِدٍّ ، ولكنه عَلِمَ عِلْمًا ، فسَلَّمَ العلمَ إلى أهله ، فقال الحجاج : يا آل أبى سفيان ، أنتم تحبون أن تَحْلُموا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب ، فنحن نُغضِبُكمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضاتِكم فى الآجِلِ ، ثم قال الحجاج : والله لأتزوَّجَنَّ مَنْ هو أمَسُّ به رَحِمًا ، ثم لا يُمْكِنُه فيه شىء ، فتزوج أم الجُلاسِ بنت عبد الله بن خالد بن أسِيدٍ .

أما قوله : « ألقِى فى رُوعه » ، فإن العرب تقول أُلْقِىَ فى رُوعى ، وفى قلبى وفى جخيفى وفى تامورى كذا كذا ، ومعناه كله واحد ، إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إنَّ روحَ القدُسِ نَفَثَ فى رُوعى » ؛ فالروع والجخيفُ غير مختلفين ، والعرب تقول : أذهَبَ الله قَلْبَهُ ، ولا قلب له . ولا تقول : لا رُوعَ له ؛ فكأنَّ الرُّوعَ هو متصل بالقلب ، وعنه يكون الفهم خاصة ، ويقال : رأيت قَلْبَ الطائرِ . ولا يقال : رأيت رُوعَ الطائر ، والتامورُ عند العرب : بقية النَّفْسِ عند الموت ، وبعضهم يُفصِحُ عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان ما بقِىَ ، يقال : ضَعْهُ فى تامورِكَ وفى قَلْبك وفى رُوعِكَ وفى جَخِيفِكَ . والذَّماءُ ، ممدود : مِثْلُ التامورِ سَواءً ، تقول العرب : ليس فى الحيوان أطولُ ذَماءً من الضَّبِّ ، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطْرَحُ فى النار بعد أن ظنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار .

[خبر الحجاج بن علاط السلمى مع قريش]

وفى حديث الحجاج بن عِلاطٍ السُّلَمِيِّ . وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وكانت له هناك أموال متفرقة ، وهو غريب بينهم – إنما هو أَحَدُ بنى سُلَيْمِ بن منصور ، ثم أحد بنى بَهْزٍ – فأَذِنَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله، إنى أحتاج أن أقول، قال : «فَقُلْ»

قال أبو العباس : وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومعنًى حَسَنٌ ، يقول : أقول – على جهة الاحتيال – غيرَ الحق ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة ، وليس هو من باب الفساد ، وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تَقَوَّلَ ، كما قال المولى عز وجل : ﴿أَم يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾[1] ، فصار إلى مكة فقالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر . قال : فقولوا ، فقالوا : بلغنا أن القاطع[2] قد خرج إلى أهل خيبر ، فقال الحجاج : نَعَمْ ، فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسْمَعْ بمثله ، وأخذوه أسيرًا ، وقالوا : نَرَى أن نُكارِمَ به قريشاً ، فَنَدْفَعَهُ إليهم ، فلا تزال لنا هذه اليد فى رِقَابِهِمْ . وإنما بَادَرْتُ لجمع مالى لَعَلِّى أُصيبُ به من فلِّ محمدٍ وأصحابه قبل أن تَسْبِقَنِي إليه التُّجارُ ويتصل بهم الحديثُ . قال : فاجتهدوا فى أَنْ جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْعٍ ، وسُرُّوا أكثر السُّرور ، وقالوا بلا رَغْمٍ[3] ، وأتانى العباس وهو كالمرأة الوالِهِ[4] فقال :

---

(١) سورة الطور ٤٤

(٢) يصفون محمدا بقطع الأرحام ؛ وحاشاه صلى الله عليه وسلم !

(٣) الرغم هنا : الكره .

(٤) الواله : الحزينة .

الأجْرِ ، ولا غِنَى عن ثواب ٱللهِ عزّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموت ، وهو ٱلذى يقول جَلّ ثناؤهُ : ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾[1] ،مَلِيٌّ وَفِيٌّ ماجِدٌ واجِدٌ جوادٌ ، لا يَسْتَقْرِضُ من عَوَزٍ ، ولكنه يَبْلو الأخْيار .

قال : فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً .

قوله : « بَخَصٌ »، يريد اللحم ٱلذى يَرْكَبُ القَدَمَ . هذا قول الأصمعى ، وقال غيره : هو لحم يَخْلِطُهُ بياض من فساد يحلّ فيه ، ويقال : بَخَصْتُ عينَه ، بالصاد ، ولا يجوز إلا ذلك ، ويقال : بَخَسْتُهُ حَقَّهُ ، بالسين: إذا ظلمته ونَقَصْتَهُ ، كما قال ٱلله عزّ وجلّ : ﴿ولاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْيَاءَهُمْ﴾[2] ، وفى المَثَلِ : « تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى باخِسٌ » . وَيَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز :

* * *

[قال أبو الحسن علىُّ بن سليمان الأخفش : الراجز هو أبو شُرَاعَةَ]

* * *

يا قَدَمَىَّ لا أرى لى مَخْلَصا ... مما أرَاهُ أو تَعُودَا بَخَصا[3]

وقوله « فَلّ » ، فالفَلُّ فى أكثر كلامهم : المنهزم الذاهب .

وفى خبر كَعْبِ بن مَعْدَان الأشعرى[4] « إنا آثَرنا الحَدَّ على الفَلِّ » . يعنى مجاهدتهم عَبْدَ رَبّهِ الصَّغير ؛ لأنه كان مُقبلاً على حربهم وتَرْكَهُمْ قَطَرِيّاً لأنه كان منهزما .

( ) سورة البقرة ٢٤٥   (٢) سورة الأعراف ٨٥

(٣) قال المرصفى : « ريد ذواتي بخص »

(٤) زيادات ر : « الأشقرى » بالقاف لاغير » . وخبر كعب هو حديثه مع الحجاج بن يوسف ؛ وكان قد وجهه المهلب بن أبى صفوة الأزدى يبشره بمناهدته الخوارج وفراغه لهم .
وانظر رغبة الأمل ٥ : ٢٨) .

وقوله : « ولكن ليبلو الأخيار » ، يقال : الله يَبْلوهم ويبتليهم ويختبرهم في معنى ، وتأويله : يمتحنهم ، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان ، قال الله جل ثناؤُهُ : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [1]

قال : وحدثني أبو عثمان المازني قال : رأيت أبا فرعون العَدَوِيّ ، ومعه ابناه ، وهو في سكة العَطَّارين بالبصرة يقول :

بُنَيَّتَيَّ صَابِرَا أباكما إنكما بعَيْنِ مَنْ يَرَاكما
اللهُ رَبِّي سيِّدِي مولاكما ولو يشاءُ عنهمُ أغناكما

وكان أبو فرعون ، وهو من بني عَدِيّ بن الرِّباب بن عبد مَناة بن أُدّ ، وقال اليزيدي : هو مولاهم ، وكان فصيحاً ، وقَدِمَ قوم من الأعراب البصرة من أهله ، فقيل له : تَعَرَّضْ لمعروفهم ، فقال :

ولَسْتُ بسائلِ الأعْرابِ شيئاً حَمِدْتُ الله إذْ لمْ يأكلوني

[حديث رجل من الصيارفة افتقر]

وروى الأسدي أنه افتقر رجل من الصَّيارفة بإلحاحِ الناسِ في أخذ أموالهم التي كانت لهم لَدَيْهِ ، وَتَعَذُّرِ أمواله التي كانت له عند الناس ، فسأل جماعةً من الجيران أن يصيروا معه إلى رجل [2] من قريش كان موسِراً من أولاد أجوادهم لِيَسُدَّ من خَلَّتِهِ ، فصاروا إليه ، فجلسوا في الصَّحْنِ ، فخرج إليهم يخطِرُ بقَضيبٍ في يده ، حتى ثَنَى وسادَةً فجلس عليها ، فذكروا

(١) سورة هود ٧

(٢) هو ابن عمران الطلحي .

وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول ! قال : فقلتُ : أكاتِمٌ أنت عليَّ خبَرِي ؟ فقال : إي واللهِ ! قال : فقلتُ : فالْبَثْ عليَّ شيئاً حتى يخِفَّ مَوْضعي . قال : فسرتُ إليه ، فقلت : الخبرُ واللهِ على خلاف ما قلتُ لهم ، خَلَّفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد فَتَحَ خيْبَرَ ، وخَلَّفْتُهُ والله مُعْرِسًا بابنة مَلِكِهِم ، وما جئتُكَ إلا مُسْلِماً ، فاطْوِ الخبر ثلاثاً حتى أُعْجِزَ القوم ، ثم أشِعْهُ ، فإنه واللهِ الحق ، فقال العباس : وَيْحَكَ ، أحقٌّ ما تقولُ ؟ قلتُ : إي واللهِ ! قال : فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ ، وأخذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال : فقالت قريش : يا أبا الفضل ، هذا واللهِ التَّجَلُّدُ لحرِّ المصيبة ! فقال : كلا ، ومَنْ حَلَفْتُمْ به ! لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُعْرِسَ بابنة ملكهم ! فقالوا : مَنْ أتاك بهذا الحديث ؟ فقال : الذى أتاكم بخلافه ، ولقد جاءنا مُسْلِماً ، ثم أتت الأخبارُ من النواحي بذلك ، فقالوا : أَفْلَتَنا الخبيثُ ، أَوْلَى له[1] .

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ[2] إذا كسرتَ حدَّها . والنِضْوُ : البالي المجهود ، ويقال ناقة نِضْوٌ : إذا جَهَدَها السيرُ ، وجمعه أَنْضاءٌ ، وفلان نِضْوٌ من المرض .

وقوله : « لا يستعرض من عَوَزٍ » ، فالعَوَزُ : تعذُّرُ المطلوبِ ، يقال : أَعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد ، والمَعاوِزُ في غير هذا الموضع : الثياب التي تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها .

---

(١) أولى له : كلمة تهديد وتوعد ، فثبت في الدعاء بالشر .

(٢) الحديدة : وصف السكين يقال سكين حديدة ، وحادة .

ثم ذكر ظَلَامتهُ ، فقال له عتبة : إنى أراك أعرابيا جافيا ، واللّه ما أحْسِبُك تدْرِى كم تصلى فى كل يوم وليلة ! فقال : أرأيتَ إنْ أنبأتُكَ ذلك ؛ أتجعل لى عليك مسئلة ؟ قال نعم ، فقال الأعرابىّ :

إنَّ الصَّلَاةَ أربَعٌ وأرْبَعُ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربع

ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيَّعُ

فقال : فاسألْ . فقال : كم فقارُ ظَهْرِكَ ؟ فقال : لا أدرى ، فقال : أفَتَحْكُمُ بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك ! قال : رُدُّوا عليه غَنِيمَتَهُ .

قوله : «فقارُ» ، إنما هو جمع فَقارةٍ ، ويقال فِقْرَةٌ . فمن قال فى الواحد فِقْرَةٌ قال فى الجميع : فِقَرٌ ، كقولك : كِسْرَةٌ وكِسَرٌ ، ومن قال للواحدة : فقارة ، قال للجميع : فَقارٌ ، كقولك دَجاجةٌ ودجاج ، وحَمامةٌ وحَمامٌ .

[أعرابى عند معاوية]

وشهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه ، فقال له معاوية : كَذَبْتَ ! فقال الأعرابىّ : الكاذب واللّه مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك . فقال معاوية — وتبسَّمَ : هذا جزاء مَنْ عَجِلَ .

[حديث السواقط]

قال أبو العباس : قرأت على عبد اللّه بن محمد المعروف بالتَّوَّزِىّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن المُثَنَّى التَّيْمِىّ ، قال : كانت السَّواقطُ تَرِدُ اليَمامةَ فى

حاجتهم وخَلّة صاحبهم ، مع قديم نعمته وقريب جِوارِهِ . فخطر بالقضيب ، ثم قال متمثِّلاً[1] :

إذا المالُ لم يوجِبْ عليك عطاءَهُ صنيعةُ تقوى أو صديقٌ تُوامِقُه[2]

بَخِلتَ وبعضُ البُخلِ حَزْمٌ وقوةٌ فلم يَفتَلِذْكَ المالَ إلا حقائقُهْ

ثم أقبل على القوم ، فقال : إنا والله ما نَجْحُدُ عن الحق ، ولا نتدفق فى الباطل ، وإنَ لنا لَحقوقاً تشْغَلُ فضولَ أموالنا ، وما كل مَنْ أفلس من الصيارفة احتَمَلنا لجبْرِهِ ، قوموا رحمكم الله ! قال : فابتدر القومُ الأبوابَ .

قوله : « فلم يفتلذك المال » ، يقول : لم يَقتَطِعْ منك ، يقال فَلَذَ له من العطاء : أى قَطَعَ له ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان : فى القوم عُتْبَةُ بن رَبيعة ، وشَيْبَة بن رَبيعةَ ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأُمَيَّةُ بن خَلَف وفلان وفلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه مكة قد ألْقَتْ إليكم أفلاذ كَبِدِها » .

وقال أبو قُحافة أعْشَى باهِلَةَ — يعنى المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهلىَّ :

تكفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ ألَمَّ بِهَا من الشِّواء ويكفى شربَهُ الغُمَرُ

[رجل من أزد شنوءة بين يدى عتبة بن أبى سفيان]

قال عبد المَلِكِ بن عُمَيْر : استعمل عُتْبَةَ بن أبى سفيان رجلا من آل على الطائف ، فظلَمَ رجلا من أزْدِ شَنوءةَ ، فأتى الأزدىُّ عُتْبَةَ ، فمثَلَ بين يديه ، فقال :

أمَرْتَ مَنْ كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غريبُ الدارِ مظلومُ

(١) زيادات ر : «الشعر لنصيب ؟ وقيل لكثير . والأول أثبت» .

(٢) توامقه : توده .

فقتله ، وكان عمير غائباً ، فأتى الكِلابيُّ قبرَ سُلْمِيٍّ أبي عمير وقرين ، فاستجار به وقال :

[قال أبو الحسن الأخفش ، قال أبو العباس : قَرِينٌ ، ووجدته بخط دَماذ ، صاحبِ أبي عبيدة قُرَيْنٌ] .

وإذا استَجَرْتَ من اليمامة فاستَجِر   زَيْدَ بن يَرْبوعٍ وآلَ مُجَمِّع

وأتيت سُلْمِيًّا فعُذْت بقبره   وأخو الزمانة عائذٌ بالأَمْنَع [1]

أقرينُ إنكَ لو رأيتَ فوارسِي   بعَمَايتَينِ إلى جَوانب ضَلْفَع [2]

حَدَّثْتَ نفسَكَ بالوفاء ولمْ تكُنْ   لِلْغَدْرِ خائنةً مُغِلَّ الإصْبَعِ

فلَجَأَ قَرِينٌ إلى قَتادةَ بن مَسْلمة بن عُبَيْدِ بن يَرْبوع بن ثَعْلَبَةَ بن الدُّولِ ابن حنيفة ، فحمل قتادة إلى الكلابي دِياتٍ مُضاعَفةً ، وفعلت وُجوهُ بني حَنيفةَ مثل ذلك ، فأبى الكِلابيُّ أن يَقْبَلَ ، فلما قَدِمَ عمير قالت له أُمُّهُ وهي أم قرين : لا تقْتلْ أخاكَ ، وسُق إلى الكلابي جميع ماله ، فأبى الكلابيُّ أن يقبل ، وقد لَجَأَ قَرِينٌ إلى خاله السَّمِينِ بن عبد الله فلم يَمْنَعْ عميراً منه ، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قَطَعَ الوادي فرَبَطَه إلى نخلة ، وقال للكلابي : أما إذ أَبَيْتَ إلا قتله فأمْهِلْ حتى أقطعَ الوادي ، وارْتَحِلْ عن جِواري فلا خير لك فيه ، فقتله الكلابي ، ففي ذلك يقول عمير :

قَتَلْنَا أخانا للوفاء بجارنا   وكان أبونا قد تُجِيرُ مقابِرُه

---

(١) الزمانة : العاهة ؛ يريد بها هنا الضعف . والأمنع : الذى بقوة تمنع من يريده بسوء

(٢) عماية : جبل بنجد ؛ وإنما ثناه بما حوله

ألأشهر الحُرُمِ لطلب التمر . فإن وافقتْ ذلك ، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه ، ثم تخرج منه فى شهرٍ حرامٍ ، فكان الرجل منهم إذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفةَ ، وهم أهل اليمامة ، — أعنى بنى حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بَكر ابن وائل بن قاسِطِ بن هِنْب بن أفصَى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسَدِ بن ربيعة ابن نِزارٍ — فيكتُبُ له على سَهْمٍ أو غيره : «فلان جار فلان» — والسواقط : مَنْ وَرَدَ اليمامة من غير أهلها ، وقد كان النُّعْمان بن المُنْذِرِ أراد أن يُجْلِيَهمْ منها ، فأجارهم مُرارة بن سُلْمِيّ الحنفىّ ثم أحد بنى ثعْلبَةَ بن الدُّول بن حنيفة ، فسَوَّغَهُ المَلِكُ ذلك ، فقال أوسُ بن حَجَرٍ يحضُّ النُّعْمان عليه :

زَعَمَ ابن سُلْمِىّ مُرارةَ أنه ... مولى السَّواقِطِ دون آل المُنْذِر

منعَ اليمامة حزنَها وسهولها ... من كل ذى تاجٍ كريم المَفخَرِ

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة، ومعه أخ له ، فكتَبَ له عُمَيْرُ بن سُلْمِىّ أنه له جار — وكان أخو هذا الكلابى جميلاً — فقال له قرينٌ، أخو عمير : لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا ، فرآه بَعْدُ بين أبياتهم ، فقتله .

قال أبو عبيدة : وأما المَوْلَى⁽¹⁾ فذَكرَ أن قريناً أخا عُمَيرٍ كان يتحدث إلى امرأة أخى الكلابىّ ، فعثَرَ عليه زوجُها فخافه ، قرينٌ عليها

---

(١) السواقط هنا : اللئام .

(٢) هو الذى أجاره عمير .

* ولا خارِجًا من فيَّ زُورُ كلام *

أي وَلاَ يَخْرُجُ خروجا ، وقد مضى تفسير هذا .

وَالْغُلُّ الذى عنده غُلولُ ، وهو ما يُخْتَانُ وَيُحْتَجَنُ ، ويستعمل مستعارا فى غير المال ، يقال : غَلَّ يَغُلُّ كقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1] . ويقال: أَغَلَّ فهو مُغِلٌّ إذا صُودِف يَغُلّ ، أو نُسِبَ إليه ، ومن قرأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾[2] . فتأويله أن يأخذ ويَستأثِرَ ، ومن قرأ ﴿ يُغَلَّ ﴾ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ، ويكون وهو الذى نختار أن يُخَوَّنَ ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير ، وقد قال : ما كَانَ لنبى أن يُغَلَّ فيُغَلَّ لغيره ، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو ؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى : ما ينبغى لنبيٍّ أن يُخَوَّنَ ، كما قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾[3] . ولو قلت : ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو إليه لكان جَيِّدًا ، على تقديرك : ما كان زيدٌ لِيقومَ عمرٌو إليه ، كما قلنا فى الآية .

والإِصْبَعُ ، أفصح ما يقال وقد يقال: أَصْبَعٌ وإِصْبِع ا وَأُصْبُع موضعها هاهنا موضع اليد . يقال: لفلان عليك يَدٌ ، ولفلان عليك إِصْبَعٌ ، وكلٌّ جَيِّدٌ ، وإنما يَعْنِى هاهنا النعمة .

---

(١) سورة آل عمران ١٦١

(٢) قال المرصفى : يريد أنه مأخوذ من غل الثلاثى المبنى للمفعول ، وتأويله : أن يؤخذ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٥

وقالت أم عمير :

تَعدُّ معاذِرًا لا عُذْرَ فيها ... وَمَنْ يَقتُلْ أخاه فقد ألامَا

وقوله :

« ولم تكن للغدر خائنةً » ، ولم يقل خائنا فإنما وَضعَ هذا فى موضع المصدر ، والتقدير : ولم تكن ذا خيانة .

وقوله « للغدر » : أى من أجل الغدر ، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [١] : أى لشديدٌ : من أجل حب الخير ، والخير ههنا : المـال ، من قوله تعالى : ﴿ إن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [٢] .

وقوله « لَشديدٌ » : أى لبخيل ، والتقدير والله أعلم : إنه لبخيل من أجل حبه للمـال ، تقول العرب : فلان شديد ومُتَشَدِّدُ أى بخيل ، قال طَرَفة :

أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكرام وَيَصْطفى
عَقيـــلةَ مال الفاحِش المُتَشَدِّدِ [٣]

وقلما يجىء المصدر على فاعِلٍ ، فمما جاء على وزن «فاعِلٍ» قولهم عُوفِىَ عافِيَةً ، وفلِجَ فالِجًا ، وَقُمْ قائمـا : أى قُمْ قِيامًا ، وكما قال :

---

(١) سورة العاديات ٨

(٢) سورة البقرة ١٨٠

(٣) يعتام : يختار ، وعقيلة المال : أكرمه والفاحش : السيء الخلق .

بابٌ

[مما أنشد أبو محلم السعدى]

قال أبو العباس : أنشدنى السَّعْدِىُّ أبو مُحَلِّمٍ :

إنَّا سَأَلْنا قَوْمَنا فَخِيارُهُمْ ... مَنْ كانَ أفضَلَهُمْ أبوه الأوَّلُ

أعْطَى الذى أعْطَى أبوه قَبْلَهُ ... وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدنى أيضاً :

لِطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسأَلُهُ ... أنْدَى وأكْرَمُ من فِنْدِ بنِ هَطَّالِ

وبيتُ طَلْحَةَ فى عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... وبيتُ فِنْدٍ إلى رِبْقٍ وأَحْمالِ [1]

ألاَ فَتًى من بنى ذُبْيانَ يَحْمِلُنى [2] ... وليس يَحْمِلُنى إلا ابْنُ حَمَّالِ

فقلتُ طَلْحَةُ أوْلَى مَنْ عَمَدْتُ له ... وجئت أمْشى إليه مشْىَ مُخْتالِ

مُسْتَيقِناً أنَّ حَبْلِى سوف يُعْلِقُه ... فى رأس ذَيَّالةٍ أو رأسِ ذَيَّالِ

قوله : « إلى ربق وأحمال » ، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس ، كما تقول فى جميع باب فَعَلٍ : جَمَلٌ وأَجْمالٌ ، وصَنَمٌ وأصنامٌ .

وقوله :

« ألا فتى من بنى ذُبْيان يحملنى »

يعنى ذُبْيانَ بن بَغيضِ بن رَيْث بن غَطَفانَ بن سعد بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ ، وأنشد بعضهم :

---

(١) ربق : حبل فيه عدة عرا تشد به البهم ، وأحمال : جمع حمل بالفتح ، وهو الخروف وفيه أيضاً أجمال جمع جمل .

(٢) يحملنى : من حمله إذا أعطاه ما يحمله من الدواب .

وأما قوله:

« قتلنا أخانا للوفاء بجارنا »

فيكون على ضربين : أحدهما أن يكون فخَّمَ نفسه وعظمها ، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به ، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا ، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عزّ وجل ، لأنه ذو الكِبْرياء : كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[1] . و﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[2] ، وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها ، فما استُعْمِلَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ وإن خالفتْ فى الحكم تحسنٌ جميل ، كقولك : فى فلان عالم ، وفلان قادرٌ ، وفلان رحيم ، فلان وَدُودٌ ، إلا ما وصفنا قبلُ من ذكر التكَبُّرِ ، فإنك إذا قلت : فلان جَبَّار أو متكبر كان عليه عيباً ونقصاً ، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحقَّ ، وبُعْدِهما من الصواب ، لأنهما للمُبْدِئ المُعيدِ الخالقِ البارئ ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعةُ ، وتُطغيه الشَّبْعَةُ ، وتَنْقُصُهُ اللحظةُ ، وهو فى كل أموره مُدَبَّرٌ . وأمَّا القول الآخر فى البيت وهو « قتلنا أخانا » ، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عشيرته .

وأما قولها :

« ومن يقتل أخاه فقد ألاما »

تقول : أتى ما يُلامُ عليه ، يقال : ألامَ الرجلُ إذا تعرضَ لِأنْ يُلامَ .

---

(١) سورة القدر ١

(٢) سورة النساء ١٦٣

وقوله : « فى رأس ذيالة » ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً ، والذيَّالُ : الطويل الذَّنَبِ ، وإنما يُحمَدُ منه طول شعر الذَّنَب ، وقِصَرُ العَسيبِ[1] ، وأما الطَّويلُ العَسيبِ فمذموم ، ويقال ذلك لِلثَّوْرِ أيضاً أعنى ذَيَّالاً ، قال امْرُؤُ القَيْسِ :

فجالَ الصُّوارُ واتَّقَيْنَ بِقَرْهَبٍ طويلِ القرا والرَّوْقِ أخْنَسَ ذَيَّالِ[2]

ويقال أيضاً للرجل : ذَيَّالٌ ، إذا كان يَجُرُّ ذَيلَهُ اختيالا ، ويقال له : فَضْفاضٌ فى ذلك المعنى .

[من كلام عمر بن عبد العزيز لمؤدبه]

ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤَدِّبِهِ : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تُؤَدِّبُنى ؟ فقال : أحْسَنَ طاعهٍ . قال : فَأَطِعْنِى الآن كما كنتُ أُطيعُكَ إذْ ذاكَ . خُذْ من شارِبِك حتى تَبْدُوَ شَفَتاكَ ، ومن ثوبك حتى تَبْدُوَ عَقِبَاكَ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فَضْلُ الإزار فى النار» .

[لرجل يخاطب آخر اسمه دد]

وقال آخر[3] :

ما لِدَدٍ ما لِدَدٍ مالَهُ يَبْكى وقَدْ أَنْعَمْتُ ما بالَهُ

مالى أُراهُ مُطْرِقاً سامِياً ذَا سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوالَهُ

(١) العسيب : مستدق عظم الذنب .

(٢) الصوار : القطيع من بقر الوحش . والقرهب : الثور المسن الضخم . والقرا : الظهر . والروق : القرن .

(٣) نسبه المرصفى إلى سلمة بن ذهل التيمى .

* وليس حامِلِى إلا آبن حَمَّالِ *

وهذا لا يجوز فى الكلام ، لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر ، لأن المضمر لا يقوم بنفسه ، فإنما يقع معاقِباً للتنوين ، تقول : هذا ضاربٌ زيداً غدًا ، وهذا ضاربُكَ غدًا ، ولا يقع التنوين ها هنا ، لأنه لو وقع لانفصل المضمر ، وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿إنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾[1] . وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة ، وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المُفَتِّشِينَ يُجِيزُ مثل هذا فى الضرورة ، لما ذكرتُ من انفصال الكناية ، والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ القَائِلُونَ الخيرَ والآمِرُونَه ... إذا ما خَشُوا يوماً من الأمرِ مُعْظَما

وأنشد :

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرونَهُ ... جَمِيعاً وَأَيْدِى المُعْتَفِينَ رَوَاهِقُه[2]

وَإنما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ إذا وَقَفْتَ فى نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر ، تقول : هما رَجُلانِهْ ، وهم ضاربونهْ ، إذا وَقَفْتَ ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربتُه ، وأنت تريد ضَرَبْتُ ، والهاء لبيان الحركة ، لأن المفعول يقع فى هذا الموضع ، فيكون لَبْسًا ، فأما قولهم : ارْمِه واغْزُه فَتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة ، فإنما جاز ذلك لِما حَذَفْتَ من أصل الفعل ، ولا يكون فى غير المحذوف .

---

(١) سورة العنكبوت ٣٣ .

(٢) يرتفق : يتكىء على يده . المعتفون : طلاب المعروف . ورواهقه : دانية منه

وقوله : « ذا سِنَةٍ » يقول : كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَةٍ . وقوله :

« كالعبد إذ قَيَّد أجماله »

يريد أنه غير مُكْتَرِثٍ لِاكتساب المَجْد والفضل ، وذلك أن العبد الراعى إذا قَيَّدَ أجماله لَفَّ رأسهُ ونام حَجرَةً ، وهذا شبيه بقوله :

« واقْعُدْ فإنَّكَ أنت الطاعِمُ الكاسى »

وقوله :

« فدخنوا المرء وسرباله »

يروى أنه طَعَنَ فارسًا منهم فأَحْدَثَ ، فقال : نَظِّفُوهُ فإنى لا أدْفِن القتيلَ منكم إلا طاهراً ، وقوله :

« والدرع لا أبغى بها نثرة »

فالنَّثْرَةُ : الدرْعُ السابغة ، يقول : دِرْعى هذه تكفيني ، وقوله :

« كل امرئٍ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ »

أى مُسْتَرْهَنٌ بِأَجَلِه ، وهو كقول الأعْشَى :

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أبطالها
وعَلِمْتَ أنّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ما كان خالقُها القَضيلُ قَضى لها

وقوله :

« الرمح لا أملأ كفى به »

يُتأَوَّلُ على وجهين : أحدهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده ، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك . والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به ، إنما أخْتَلِسُ به اختلاساً ، كما قال الشاعر :

وذاكَ منـــه خُلُقٌ عَادَةٌ … أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ ٱلذى قَالَهُ

إنَّ ٱبن بَيْضاءَ وَتَرْكَ النَّدَى … كالعَبْدِ إذ قَيَّدَ أَجْمالَهُ

آلَيْتُ لا أَدْفِنُ قَتْلاَكُمُ … فَدَخِّنُوا المرْءَ وَسِرْبالَهُ

وَٱلدِّرْعُ لاَ أَبْغِى بها نَثْرَةً … كلُّ امْرِىءٍ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ

وَالرُّمْحُ لاَ أُمْلأُ كَفِّى به … وَاللِّبْدُ لاَ أَتْبَعُ تَزْوالَهُ

قوله : « ما الدد » ، يعنى رجلا ، وَدَدٌ فى الأصل . هو اللَّهْوُ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لست من دَدٍ ولا دَدَ منى » ، وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذا من العادة . وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر ، والفتح أصلها ، ولكن كسِرتْ مع الظاهر خوف اللَّبْسِ بلام الخبر ، تقول إنَّ هذا لِزَيْد ، فَيُعْلَمُ أنه شىء فى ملك زيد ، فإن قلتَ : إن هذا لَزَيْدٌ فى الوقف ، عُلِمَ قبل الإدْرَاج أنه زَيْد ، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلَم المِلْكُ من المعنى الآخر فى الوقف ، وأما المضمر فبَيِّنٌ فيه ، لأن علامة المخفوض غير علامة المرفوع ، تقول : إنّ هذا لَكَ ، وإن هذا لأنتَ .

وقوله :

* ... وقد أنعمت ما باله *

فـ « ما » زائدة ، والبالُ هاهنا : الحال ، وللبال موضع آخر ، وحقيقته الفِكْرُ ، تقول : ما خطر هذا على بالى .

وقوله : « مطرقا ساميا » فالسامى الرافع رأسه ، يقال : سَما يَسْمو إذا ارتفع ، والمطْرِقَ : الساكت المفكِّرُ المنَكِّسُ رَأْسَهُ ، فإنما أراد ساميًا بنفسه .

قوله : « يُخفي شخصَه غبارُه » ، يقول : هو في لون الغبار ، فليس يُتبيَّن فيه . وقوله: «عسَّال» ، فإنما نسبه إلى مِشيَتِه ، يقال : مَرَّ الذِّئبُ يَعْسِلُ ، وهو مَشْيٌ خفيف كالهَرْوَلة ، قال الشاعر[1] يَصِفُ رمحا :

لَدْنٌ بِهزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لَبِيدٌ :

عَسَلانَ الذئبِ أمْسَى قَارِباً   بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة : نَسَلَ في معنى عَسَلَ ، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾[2] . وخَفَضَ بهذه الواو لأنها في معنى «رُبَّ» ، وإنما جاز أن يُخفَضَ بها لوقوعها في معنى «رب» ؛ لأنها حرف خفض ، وهي — أعني الواو — تكون بدلا من الباء في القَسَم لأن مخرجها في مَخْرَج الباء من الشفة ، فإذا قلت : واللهِ لأفْعَلَنَّ ، فمعناه : أُقْسِمُ بالله لأفعلنَّ ، فإن حذفتها قلت : اللهَ لأفعلن ، لأن الفعل يقع على الاسم فينصبه ، والمعنى معنى « الباء » كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[3] وَصَلَ الفعل فعَمِلَ ، والمعنى معنى «مِنْ» لأنها للتبعيض ، فقد صارت «الواو» تَعْملُ بلفظها عَمَلَ «الباء» ، وتكون في معناها ، وتعمل عمل «ربّ» لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المَخْرَج .

وقوله : « رفعتُ لنارِي » ، من المقلوب ، إنما أراد رَفَعْتُ له نارِي ،

---

(١) هو ساعدة بن جؤية الهذلي . وانظر ديوان الهذليين جـ ١ ص ١٩٠

(٢) سورة الأنبياء ٩٦

(٣) سورة الأعراف ١٥٥

وَمدجج ٍ سَبَقَتْ يَدَاىَ لَهُ   تحْتَ الغُبارِ بطَعْنَة خَلْس

وقوله :

« واللبد لا أتبع تَزْواله »

يقول : إن انْحَلَ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه ، أى أنا فارس ثَبْتٌ .

[للفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه]

وقال الفَرَزْدَق ، ونزل به ذِئْبٌ فأضافه :

وأطْلَسَ عسَّالٍ وما كان صاحِباً   رَفَعْتُ لنارى مَوْهِناً فأتانى

فَلمّا دنا قلتُ آدْنُ دُونَكَ إنّنى   وَإيَّاكَ فى زادِى لَمُشْتَرِكانِ

فَبتُّ أُقدُّ الزادَ بينى وبينه   على ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً ودُخانِ

وقلتُ له لما تَكَشَّرَ ضاحِكا   وقائمُ سَيْفِى من يدِى بمكانِ

تَعشَّ فَإن عاهَدتَنى لا تخُونُنى   نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئْب يَصْطَحِبَانِ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَاذِئْبُ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا   أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بِلِبانِ

ولو غَيْرَنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرى   رماكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنَانِ

قوله : « وأطلسَ عسالٍ » ، فالأطْلَسُ الأغْبَرُ . وحدثنى مسعود بن بِشر قال أنشدنى طاهر بن على الهاشِمى قال : سمعت عبد ٱلله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة ٱلذئب :

بَهْمُ بنى مُحَارِبٍ مُزْدارُهُ[1]   أَطْلَسُ يُخفى شَخْصَهُ غُبارُهُ

« فى شِدْقِه شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ »

---

(١) البهم : واحدتها بهمة ؛ وهى الصغيرة من أولاد الغنم .

فقال له يونس : ما أَحْسَنَ ماقلتَ ! ولكن الفرزدق أَنْشَدَنيهِ على القَلْبِ ؛ فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب . والذى ذهب إليه الكسائىُّ أحسن فى مَحْضِ العربية ، وإن كَانَ إنشاد الفرزدق جَيِّدًا .

وقوله : « فلما دنا قلتُ أَدْنُ دونك » أمرٌ بعد أمرٍ ، وحَسُنَ ذلك لأن قوله : «أَدْنُ» للتقريب ، وفى قوله : «دونك» ، أمرُه بالأكل ؛ كما قال جرير لعَيَّاش بن الزبرقان :

أَعَيَّاشُ قدذاق القُيونُ مَوَاسِمِى[1] وأَوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونكَ فاصْطَلِ

وقوله :

* على ضوء نارٍ مرَّة ودخانِ *

يكون على وجهين : أحدهما على ضوءِ نارٍ ، وعلى دخانٍ ؛ أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ . وجائز أن يَعْطِفَ الدخان على النار ، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ ، ولكن للاشتراك ؛ كما قال الشاعر :

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

لأن معناهما الحَمْل ، وكما قال :

* شَرَّابُ أَلبَانٍ وَتَمرٍ وَأَقِطْ *

فأَدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوق ، وهذه الآية تُحْمَلَ على هذا : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ ﴾[2] .

---

(١) زيادات ر : «جمع ميسم ؛ وهو حديدة يصنع بها البيطار» .
(٢) سورة الرحمن ٣٥ .

والكلام إذا لم يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار ، قال الله عزَّ وجلَّ :
﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ ﴾[1] .
والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح؛ أى تستقل بها فى ثِقَلٍ، ومن كلام العرب: إن فلانة
لَتنوء بها عَجِيزَتُها ، والمعنى لَتنوءُ بعجيزتها ، وأنشد أبو عبيدة للأخْطَل :

أمَّا كُلَيبُ بن يَرْبُوعٍ فليس لها ... عند التَّفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِى الناسُ أَمْرَهُمُ ... وَهُمْ بِغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ما شَعَرُوا
مِثْلُ الْقَنَافِذِ هَدَّاجُونَ قد بَلَغَتْ ... نَجْرَانُ أو بَلَغتْ سَوآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة .

ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قال لأبى الحسن الكسائىّ : كيف تُنْشِدُ
بيت الفَرَزدَقِ ؟ فأنشده :

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابنِ أَصْرَمَ طَعْنَةً

حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائِفِ وَالخَمْرُ[(1)]

فقال الكسائى لما قال :

« غداة أحلت لابن أصرم طعنة ٭ حصين عبيطات السدائف ... »

تَمَّ الكلام . فَحَمَلَ الخمر على المعنى ، أراد : وحَلَّتْ له الخَمْرُ ،

---

(١) سورة القصص ٧٦ .
(٢) هو حصين بن أصرم ؛ من بنى ضبة ؛ وكان نذر ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يقتل ابن الجون الكندى .
(٣) السدائف : جمع سديف ، وهو السنام . والعبيطات : الطرية .

فهذا كله على اللفظ ، ثم قال : ﴿ وَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على المعنى .

وقوله : « أو شباة سنان » فالشَّبا وَالشباةُ واحد وهو الحدُّ .

[فى وصف الجود والحث على المبادرة به]

ومما يُسْتَحْسَنُ فى وصف الجود والحثّ على المبادرة به ، وتعريف حمد العاقبة فيه ، قولُ النَّمِرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلىّ ، أحد بنى عُكْلِ بن عبد مَنَاةَ بن أدّ ابن طابِخَةَ بن إلْيَاسَ[1] بن مُضَرَ :

أعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بقَفْرَةٍ بَعيداً نآنى صاحِبى وقَريبى
تَرَىْ أنَّ ما أبْقَيْتُ لم أكُ رَبَّهُ وأنَّ الذى أنفقتُ كانَ نصيبى
وذى إبلٍ يَسْعَى ويَحْسِبُها له أخى نَصَبٍ فى رَعْيِها ودُءُوبِ
غَدَت وغَدَا رَبٌّ سِوَاه يَقُودُها وبُدِّلَ أحجاراً وَجالَ قَليبِ

قوله : « إن يصبح صداى بقفرة » فالصَّدَى على ستة أوجه : أحدها ما ذكرنا ، وهو ما يبقى من الميت فى قبره ، والصَّدَى الذَّكَرُ من البُوم ، قال ابن مُفَرِّغ[2] :

وشَرَيْتُ بُرْداً ليتنى من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ[3]
هَتَّافَةً تَدْعو صَدًى بين المُشَقَّرِ وَاليَمَامَهْ

ويقال : فلان هامةُ اليومِ أو غَدٍ ، أى يموت فى يومه أو فى غَدِهِ . ويقال

---

(١) زيادات ر : « قال ابن السراج : من رواه إلياس فقد أخطأ ، إنما هو ابن اليأس ، بوصل الألف وكسر السين ، والألف واللام للتعريف ، والاسم « يأس » مشتق من يئست » .
(٢) زيادات ر : « اسمه ربيعة ، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين لفرغهما » .
(٣) شريت هنا : بعت .

والشُّوَاظ: اللهَبُ لادخانَ له؛ والنُّحَاس: الدخان، وهو معطوف على النار، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكَرْتُ لك، قال النابغة الجَعْدىّ:

تُضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبَا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيــه نُحاساً

وقوله:

« نَــكُنْ مثل مَنْ ياذئب يصطحبان[1] »

فـ«من» تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد، فإن شئت حَمَلتَ خبرها على لفظها فقلتَ: مَنْ فى الدار يُحِبُّكَ، عَنَيْتَ جميعاً أو اثنين أو واحداً أو مؤنثاً. وإن شئت حَمَلْتَهُ على المعنى فقلتُ: يُحِبَّانِكَ، وتُحِبُّكَ — إذا عَنيْتَ امرأة — ويُحِبُّونَكَ — إذا عنيت جميعا — كل ذلك جائز جيّد، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾[2].
﴿ وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلاَ تَفْتِنِّى ﴾[3] وقال — فَحَمَلَ على المعنى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[4]. وقرأ أبو عمرو: ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾[5]؛ فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنى. وفى القرآن: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾.

---

(١) زيادات ر: « من يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان؛ وأن تكون بمعنى الذى، ويصطحبان: صلته »:
(٢) سورة يونس ٤٠.
(٣) سورة التوبة ٤٩.
(٤) سورة يونس ٤٢
(٥) سورة الأحزاب ٣١

سَهِكِينَ مِنَ صدَإِ الحديد كَأَنَّهُمْ   تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّــةُ البَقَّار[1]

وقال الأَعْشَى :

فَأَمَّا إِذَا رَكِبوا فالوُجو   هُ فى الرَّوْعِ مِن صَدَإِ الْبَيْضِ حُمّ[2]

والصَّدَى : مصدر الصَّدِى ، وهو العطشان ، يقال: صَدِىَ يَصْدَى صَدًى ، وهو صَدٍ ، قال طَرَفة :

* سَتَعْلَمُ إنْ مِتْنَا صَدًى أيُّنا الصَّدِى[3] *

وقال القُطامىّ :

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به   مَوَاقِعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصادى

تأويل قوله : «أنآنى» يكون على ضربين، يكون أَبْعَدَنى، وأحسنُ [من][4] ذلك أن يقول : «أنآنى». وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الأخرى، وليست بالحسنة، وإنما جاءت فى حروف : يقال : غاضَ الماءُ وغِضْتُهُ ، ونَزَحَتِ البئرُ ونَزَحْتُها ، وَهَبَطَ الشىءُ وَهَبَطْتُهُ ، وبنو تميم يقولون : أَهْبَطْتُهُ ، وأحْرُفُ سوى هذه يسيرة . والوجه فى «فَعَلَ أَفْعَلْتُهُ» ، نحو دَخَلَ وَأَدْخَلْتُهُ ، ومات وأماتَهُ الله ، فهذا الباب المُطَّرِدُ . ويكون «نآنى» فى موضع «نأى عنى»، كما قال الله

---

(١) سهكين ، من السهك ؛ وهو ريح صدإ الحديد . والسنور هنا : الدروع ، وجنة البقار : موضع رمل عالج .

(٢) حمّ : جمع أحمّ ؛ وهو الأسود من كل شىء .

(٣) زيادات ر : « ويروى : « صدى أينا » بخفض « أينا » على الإضافة : فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء ، والصدى : الخبر » .

(٤) تكملة من س

ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ، والمريضِ إذا طالت عِلّتُه، والمُحْتَقِرِ[1] لِمُدّةِ الآجال.

وفي الحديث أن حِسْلاً[2] — أبا حذيفةَ بن حِسْلِ بن اليمان — قال لشيخ آخر تَخلّفَ معه في غَزْوةِ أُحُدٍ: انْهَضْ بنا نَنْصُرْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فإنما نحن هامةُ اليومِ أو غَدٍ — وكانا قد أسَنّا. والصدى: حُشْوةُ الرأس. يقال لذلك: الهامةُ والصَّدَى؛ وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتِلَ فلم يُدْرَكْ بِهِ الثأرُ أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهي الهامةُ — والذَّكَر: الصَّدَى — فيَصيح على قبره: اسْقُوني اسْقُوني! فإن قُتِلَ قاتلُه كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَعِ[3] العَدْوانيُّ أحَدُ بني عَدْوانَ بن عمرو ابنِ قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر:

يا عَمْرُو إلاّ تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي ... أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامةُ اسْقُوني

والصَّدَى: ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتّسَعٍ من الأرضِ، أو بِقُرْبِ جبل، كما قال:

إنّي على كُلِّ إيسارِي ومَعْسَرَتِي ... أَدْعُو حُنَيْفاً كما تُدْعَى ابنةُ الجَبَلِ

يعني الصَّدَى، وتأويله أنه يجيبني في سرعةِ إجابةِ الصَّدَى. وقال آخر:

كأنّي إذْ دَعَوْتُ بني سُلَيْمٍ ... دَعَوْتُ بدَعْوَتِي لَهُمُ الجِبالا

والصدَأُ، مهموز: صدَأُ الحديد وما أشبهه. قال النابغة الذُّبْيانيّ:

---

(١) زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع «المحتقر» يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف».

(٢) زيادات ر: «حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر؛ وهو اليمان، والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن وقش الأنصاري».

(٣) زيادات ر: «هو حرثان بن محرث، سمي بذي الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته في إصبعه».

[للحارث بن حلزة اليشكرى فى الجود]

وقال الحَرث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى :

قُلْتُ لِعَمْرٍو حين أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ حَبَا من دُوننا عالِجُ

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِها إنَّكَ لاَ تَدْرِى مَنِ النَّاتِجُ

وَٱصْبُبْ لأَضْيافِكَ أَلْبانَها فإنَّ شَرَّ ٱللَّبَنِ الوالِجُ

قوله :

٭ لا تكسع الشَّوْل بأغبارها ٭

فإن العرب كانت تَنْضحُ على ضُروعها الماء البارد ليكون أسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها . والغُبْر : بقية ٱللبن فى الضَّرْعِ ، فيقول : لا تُبْقِ ذلك ٱللبن لِسِمَنِ الأولاد ، فإنك لا تدرى من يَنْتِجُها ، فلعلك تموت ، فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها .

وروى عن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم أنه قال : « يقول ٱبن آدم مالى مالى ، ومالكَ من مالِكَ إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أو أعطيتَ فَأَمْضَيْتَ » .

ويروى عن بعضهم أنه قال : إنى أُحِبُّ البقاء ، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثناء . وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحرٍ الجاحِظ :

فإذا بَلَغتُم أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثوا ومن الحديث مَتالفٌ وخُلودُ

وأنشد :

فأثنُوا عَلَيْنا لا أَبا لأَبِيكُمُ بأفعالنا ، إنَّ الثناء هُوَ الخُلْدُ

٭ ٭ ٭

عز وجلّ : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[1] ؛ أى كالوا لهم أو وزنوا لهم .

وقوله : «ودءوب»، يقول : وَإِلْحاحٍ عليه ، تقول : دَأَبْتُ على الشئ. قال الشاعر[2] :

دَأَبْتُ إلى أَنْ يَنْبُتَ الظِلُّ بَعْدَمَا تَقَاصَرَ حتى كادَ فى الآلِ يَمْصَحُ

وقوله جلّ ثناؤه :﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[3] يقول : كعادتهم وَسنتِهِمْ ، ومثله الدِّينُ والدَيْدَنُ ، وقد مرّ هذا .

وقوله :

* وَبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبِ *

فالجالُ الناحية ، يقال لكل ناحية من البئرِ والقبر وما أشبه ذلك : جالٌ وجُولٌ ، وقال مُهَلْهِلٌ :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ بِئْرٍ بَعِيدٍ بَيْنُ جالَيْهَا جَرُورِ[4]

ويقال : رجل ليس له جُولٌ ، أى ليس له عقل ، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائىّ :

أَماوِىَّ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ من الأرضِ ؛ لاماءٌ لَدَىَّ ولاخَمْرُ
تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لم أَكُ رَبَّهُ وَأَنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْرُ

---

(١) سورة المطففين ٣
(٢) زيادات ر : « هو الراعى » .
(٣) سورة آل عمران ١١
(٤) الأشطان : جمع شطن ؛ وهو الحبل الشديد الفتل . وجرور : نعت لبئر ؛ وهى التى يبلغ عمقها حتى يجر دلوها على شفيرها .

«بسم الله الرحمن الرحيم : من الحجاج بن يوسف إلى قطرىّ بن الفجاءة . سلام عليك ، الموحِّد الله ، والمصلى عليه محمد عليه السلام . أما بعد، فإنك كنت أعرابياً بدويا تستطعم الكسرة ، وتقنع إلى التمرة ، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق ، وأعرضت عن كتاب الله ، ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارجع عما أنت عليه بمازين لك، وادعوني فقد آن لك» .

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطرى قال : ياغلام ، ازبر هذه الصحيفة ، فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء ، فقال : يا غضبان ألفيتني محزوناً ، وأنشأ يقول :

فيا كَبِدَا من غير جوع ولا ظَمَاً ... ويا كَبِدَا من وَجْدِ أُمِّ حكيمِ

فلو شَهِدَتْنِي يَوْمَ دُولابَ أَبْصَرَتْ ... طِعانَ فَتىً فى الحرب غَـيْرِ لَئِيمِ

غَداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وائِلٍ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَمِيمِ

وكَانَ بِعبدِ القَيْسِ أَوّلُ حَـدِّها ... وآبَ عَمِيدُ الأَزْدِ غَـيْرَ ذَمِيمِ

يعنى المهلب . وأم حكيم هذه : امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ، ثم قال : ياغلام ، أكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف . سلام على من اتبع الهدى . ذكرت فى كتابك أنى كنت بدوياً أستطعم الكسرة ، وأبدر إلى التمرة ، وبالله لقد قلت زوراً ؛ بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه ؛ إذ أنت سابح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ، ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع ، واتكأ فاضطجع ! أما والله لئن أبرز الله صفحتك ، وأظهر لى صلعتك ، لتنكرن شيمك ، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ، ليس كتسطير الأمثال» .

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس : كانَ جدُّكَ قيسُ ابن مَعْدِى كَرِبَ أعطى الأعشى ؟ فقال : أعطاه مالاً ، وظَهْرًا ، ورَقيقاً ، وأشياءَ أنسِيتُها ، فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنسَى !

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لابنة هَرِم بن سِنانٍ المُرّىّ : ما وَهَبَ أبوكِ لزُهَيرٍ ؟ فقالت : أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر . فقال عمر : لكن ما أعطاكوه لا يُفنيه الدَّهرُ .

وقال المفسرون فى قول الله عزّ وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه : ﴿ واجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرينَ ﴾[1] أى ثَناءً حسناً ، وفى قوله تعالى : ﴿ وتَرَكْنا عَلَيْهِ فى الآخِرينَ سَلامٌ عَلَى إبْراهِيمَ ﴾[2] أى يقال له هذا فى الآخرين . والعرب تَحذِفُ هذا الفعل من « قال » و« يقول » استغناءً عنه ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَمّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ ﴾[3] أى فيقال لهم . ومثله : ﴿ والّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلَى اللهِ زُلْفَى ﴾[4] أى يقولون ، وكذلك : ﴿ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[5] .

---

(١) سورة الشعراء ٨٤ (٢) سورة الصافات ١٠٨ ، ١٠٩ (٣) سورة آل عمران ١٠٦ .
(٤) سورة الزمر ٣ (٥) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) زيادات و بعد ذلك ما يأتي : « حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال : حدثنا رفيع ابن سلمة المنبز بدماذ قال : حدثنا أبو عبيدة قال : قال الحجاج يوما لعمّار العرب وهم فى مجلسه : ما أحسب هذا المزونى يناصحنا فى حربنا – يعنى المهلب – والرأى مشترك ، فقالوا : الرأى للأمير – أصلحه الله – أن يكتب إلى ابن الفجاءة بإطماعه بعض الأرضين ، فإذا هو نَجَم بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه ، فقال : وفقكم الله ؟ وكتب إلى ابن الفجاءة ، وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيباني . نسخة الكتاب :

ثم قال : يا أهلَ الكوفة ، إنى لأرَى رءوسا قد أيْنَعَتْ وحان قِطَافُها ، وإنّى لصَاحِبُهَا ، وكأنى أنظر إلى الدّماء بين العمائم واللّحَى ، ثم قال[1] :

هذا أوانُ الشّدّ فاشْتَدّى زِيَمْ   قد لَفّها الليلُ بِسَوّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ وَلاَ غَنَمْ   وَلاَ بجَزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال :

قد لَفّها اللّيـــلُ بِعَصْلَبِىّ   أرْوَعَ خَرّاجٍ من الدّوِّىّ

• مُهَاجِرٍ ليس بأعْرَابِىّ •

وقال :

قد شَمّرَتْ عن ساقها فَشُدّوا   وجَدّت الحربُ بكم فجِدّوا

وَالقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ   مثلُ ذِراع البَكْرِ أو أشَدُّ

• لا بُدّ مما ليس منه بُدُّ •

إنى والله يا أهل العراق، مايُقَعْقَعُ لى بالشّنان ، وَلاَ يُغْمَزُ جانبى كتَغْمَازِ التّين . ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء ، وَفُتّشتُ عن تَجْرِبة ، وإن أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — نَثَرَ كِنانَتَهُ بين يديه ، فَعَجَمَ عِيدَانها ، فوجدنى أمَرّها عُودًا . وأصلبَها مَكسرًا ، فرماكم بى . لأنكم طالما أوْضَعْتُم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مَرَاقِدِ الضلال . والله لأحْزِمَنّكم حزمَ السّلَمَةِ ، وَلأضربنكم ضرب غَرَائب الإبل ، فإنكم لَكَأَهْلِ قرية كانت آمِنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان ، فَكَفَرَت بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَها الله لباس الجوع

---

(٢) زيادات ر : « الشعر لرويشد بن رميض العنبرى » .

بابٌ

[من خطبة لعلى بن أبى طالب]

قال أبو العباس : قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خُطْبة له :
أيها الناس، اتقوا الله الذى إن قلتم سَمِعَ ، وإنْ أضمرتم عَلِم . وبادِرُوا الموت الذى إنْ هَرَبتُمْ منه أدركـكم ، وإن أقمتم أَخَذَكم .

[خطبة الحجاج حين قدم أميرا على العراق]

قال : وحدثنى التَّوَّزِى فى إسناد ذكره آخرهُ عبدُ المَلِك بن عُمَيْرٍ اللَّيثىُّ ، قال : بينما نحن فى المسجد الجامِعِ بالكوفة ، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حالٍ حَسَنةٍ ، يَخْرُجُ الرجلُ منهم فى العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليه، إذْ أتى آتٍ فقال : هذا الحجاج قَدِمَ أميراً على العراق . فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بِعِمامة غَطَّى بها أكثر وجهه ، مُتَقَلِّدًا سيفا ، مُتَنَكِّبًا قوساً ، يَؤُمُّ المِنْبَرَ . فقام الناس نحوه ، حتى صَعِدَ المنبر ، فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قَبَّحَ ٱللهُ بنى أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العِراق ! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِىّ : ألاَ أَحْصِبُهُ لكم؟ فقالوا : أَمْهِلْ حتى نَنْظُرَ . فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فِيه ونهض وقال[1] :

أنا ٱبْنُ جلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنايا ... مَتَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُونى

(١) زيادات ر : « هو لسحيم بن وثيل الرياحى » .

من أضلاعِهِ، فقال رُدُّوه! فلما رُدَّ، قال له الحجاج: أيها الشيخ؛ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدَلاً يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لَصَلاحًا للمسلمين؛ ياحَرَسِىُّ، اضرِبَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل، ويأمر وليّه أن يَلْحَقَه بزاده، ففى ذلك يقول عبد الله بن الزَّبِير الأَسَدِىُّ[1]:

تَجَهَّزْ فإمَّا أن تَزُورَ ابنَ ضابِئٍ عُمَيْرًا وإمَّا أنْ تَزُورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ منهما رُكوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشْهَبا[2]
فأَضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه[3] رآها مكانَ السُّوقِ أو هِىَ أَقْرَبا

قوله: «أنا ابن جلا»، إنما يريد المُنْكَشِفَ الأَمْرِ، ولم يصرف «جلا» لأنه أراد الفعل فحكى، والفعل إذا كان فاعله مُضمَرًا أو مُظهَرًا لم يكن إلا حكاية؛ كقولك: تَأَبَّطَ شَرًّا، وكما قال الشاعر:

كَذَبتُمْ وَبَيتِ اللهِ لاَ تأْخُذونَها بَنِى شابَ قَرْناها تَصُرُّ وَتَحْلُبُ

وتقول: قرأت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[4] لأنك حكيت، وكذلك الابتداء والخبر، تقول: قرأت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال الشاعر:

* واللهِ ما زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ[5] *

---

(١) زيادات ر: «الأسدى أسد خزيمة؛ وليس من أسد قريش».
(٢) حوليا: يريد مهراً أتى عليه حول. من الثلج أشهبا: يريد أن لونه أشد شهبة من الثلج.
(٣) زيادات ر: «دونه، عائدة على المهلب. وأقرب: ظرف، وقيل مفعول ثان».
(٤) سورة القمر ١.
(٥) بقيته كما فى زيادات ر:
* وَلاَ مُخالِطِ اللَّيانِ جانبُهْ *

والخوف بما كانوا يَصْنَعون َ. وإني واللهِ ما أقول إلاَّ وَفَّيتُ ، ولا أَهُمّ إلا أَمْضَيْتُ ، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ ، وان أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتِكم ، وأن أُوَجِّهَكُم لمحاربة عدوكم مع المهَلَّبِ بن أبي صُفْرَة . وإني أُقسِمُ بالله لا أَجِدُ رجلاً تَخَلَّفَ بعد أخذ عَطائِهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ ! ياغلام اقْرَأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين . فقرأ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين . سلامٌ عليكم » . فلم يَقُلْ أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج : اكْفُفْ يا غلامُ ، ثم أَقْبَلَ على الناس ، فقال : أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين ، فلم تَرُدُّوا عليه شيئاً ! هذا أَدَبُ ابن نِهْيَةَ ! أَمَا واللهِ لأُؤَدِّبَنَّكم غير هذا الأدب أولتَسْتَقِيمُنَّ . اقْرَأْ ياغلامُ كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : « سلامٌ عليكم » لَمْ يَبْقَ في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام[1] .

ثم نَزَلَ ، فَوَضَعَ للناس أَعْطِياتِهِمْ ، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كِبَرا ، فقال : أيها الأمير ، إني من الضَّعْفِ على ما تَرَى ، ولي ابنٌ هو أَقْوَى على الأسفار مني فتَقَبَّلْهُ بَدَلاً مني . فقال الحجاج : نَفعلُ أيها الشيخ ، فلما وَلَّى قال له قائل[2] : أَتَدْرِي مَنْ هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِيُّ الذي يقول أبوه :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وليتني تَرَكْتُ على عثمان تَبْكِي حلائلُه

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِئَ بطنَهُ ، فكسر ضِلْعَيْنِ

---

(١) زيادات ر : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » .
(٢) قال المرصفي : « هو عنبسة بن سعيد بن العاصي الأموي » .

[قال أبو الحسن : أول هذه الأبيات :

طال ِ هذا الهمُّ فاكتَنَعا وأمَرَّ النـــومُ فامْتَنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ، ويروى «بالماطرونِ]⁽¹⁾.

* * *

قال أبو العباس : وقوله :

« هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَم »

يعنى فرساً أو ناقة ، والشعر للحُطَم القَيْسىّ .

وقوله :

« قد لَفهَا الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ »

فهو الذى لا يُبْقِى من السير شيئاً ، ويقال : رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ، ويقال للنار التى لا تُبْقِى : حُطَمةٌ .

وقوله : « على ظهر وَضَمْ » ، فالوَضَمُ : كل ما قُطِعَ عليه اللحم . قال الشاعر⁽²⁾ :

وفِتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو هِ لاَ يَجِــدُونَ لِشىءٍ ألَمْ

مِنَ ال المُغيرةِ لا يَشهدو نَ عِنْدَ المجازِرِ لَحْمَ الوَضَمْ

. وقوله :

« قد لفَّهَا اللّيلُ بِعَصْلَبىّ »

أى شديد . وأرْوَعَ . أى ذَكِىّ .

وقوله : «خَرّاجٍ من الدَّوِّىّ» ، يقول : خَرّاج من كل غَمَاءَ شديدةٍ⁽³⁾ :

(1) زيادات ر: « الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها » .

(2) زيادات ر : « هو عمر بن أبى ربيعة » .

(3) زيادات ر : « غما » مقصور ؛ رواية عاصم » .

وقوله :

* أَنا ٱبْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا *

لسُحَيْم بن وثيلٍ الرِّيَاحِىّ ، وإنما قاله الحجاج متمثلا .

وقوله : « وطلاعُ الثَّنايا » الثنايا : جمع ثَنِيَّة ، والثَّنية : الطريق فى الجبل. والطريقُ فى الرمل يقال له : الخَلُّ . وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها ، كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبد الله :

كَمِيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ   بَعِيدٌ من السَّوْءاتِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ : ما ارتفع من الأرض ، وقد مَضى تفسير هذا .

وقوله : « إنى لأرى رءوسا قد أينعت » ، يريد أَدْرَكَتْ ، يقال: أَيْنعت الثمرةُ إيناعًا وَيَنعَتْ يَنْعًا وَيُنْعًا ، وَيُقرأ : ﴿ ٱنظُرُوا إلى ثَمره إذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ و﴿ يُنْعِهِ ﴾ ، كلاهما جائز .

قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُختَلَفُ فيه ، فبعضهم ينسبه إلى الأَحْوص وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية . [قال أبو الحسن : الصحيح أنه ليزيد يصف جارية] وهو :

وَلَهَا بالماطِرِين[2] إذا   أَكَلَ النَّملُ الذى جَمَعَا
خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ   سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا[3]
فى قِبابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ   حَوْلَهَا الزَّيتونُ قد يَنَعا

* * *

(١) سورة الأنعام ٩٩

(٢) الماطرون : موضع قرب دمشق . ورواه أبو العباس معربا ؛ ورواية ياقوت : « ولها بالماطرون » .

(٣) الخرفة : ما يجتنى من الفاكهة . وربعت : دخلت فى الربيع . وجلّق : من قرى دمشق .

عَجَمتُ العود : إذا مضغته ، وكذلك فى كل شىء ، قال النابغة :

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا   فى حالِكِ اللونِ صَدْقٍ غير ذى أَوَدِ

والمصدر العَجْمُ ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْمًا : ويقال لنوَى كل شىء : عَجَمٌ ، مفتوح ، ومن أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعشى :

« وَجُذْعَانُهَا كَلَقِيطِ العَجَمْ[1] »

وقوله : «طالما ما أوضعتم فى الفتنة» ، الإيضاعُ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . وقوله :

« فأضحى ولو كانتْ خراسانُ دونه »

يعنى دون السفر رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة .

[خبر ضابئ البرجمى مع عثمان]

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضَابِئَ بن الحارثِ البُرْجُمِىَّ وَجَبَ عليه حبسٌ عند عثمان — رحمه الله — وَأَدَبٌ ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه — وكان فَحّاشًا — فرمى أُمَّهُمْ به ، فقال فى بعض كلامه :

وَأُمَّكُمُ لا تَتْرُكوها وَكَلْبَكم   فإنَّ عُقوقَ الوالداتِ كَبيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فَعَلَ به . فلما دُعِىَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فى ساقه ليقتل بها عثمان ، فَعُثِرَ عليه ، فأَحْسَنَ أَدَبَهُ ، ففى ذلك يقول :

وقائلةٍ إنْ مَاتَ فى السجنِ ضابئٌ   لَنِعْمَ الفتى تَخْلُو به ونُواصِلُهْ

وقائلةٍ لاَ يَبْعَدَنْ ذلك الفتى   وَلاَ تبْعَدَنْ أخلاقه وَشَمائِلُهْ

---

(١) صدره كما فى زيادات ر :

« غزاتُكَ بالخيلِ أرضَ العدوِّ »

ويقال للصَّحْراء دَوِّيَّة ، وهى التى لا تكاد تنقضى ، وهى منسوبة إلى الدَّوّ ، والدَّوّ: صحراء مَلْساء لا عَلَم بها ولا أمارة ، قال الحُطَيْئة[(١)] :

وَأَنَّى اهْتَدَتْ وَالدَّوُّ بينى وبينها وما خِلْتُ سارِى اللَّيْلِ بالدَّوِّ يهتدِى

والداوِيَّة : المتسعة التى تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل ، وإنما ذلك الدَّوِىّ من أخْفاف الإبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها . وتقول جَهَلَةُ الأعْراب : إن ذلك عَزِيفُ الجِنّ .

وقوله :

* والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ *

فهو الشديد . ويقال عُرُنْد فى هذا المعنى .

وقوله : « إنى والله ما يُقَعْقَعُ لى بالشِّنان » ، واحدها شَنّ ، وهو الجِلْدُ اليابس ، فإذا قُعْقِعَ به نَفَرَتِ الإبل منه ، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه ، وقال النابغة الذُّبْيانِىّ :

كأنك من جِمالِ بنى أُقَيْشٍ[(٢)] يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنّ

وقوله : « ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء » ، يعنى تمام السن . والذَّكاءُ على ضربين : أحدهما تمام السِّنّ ، والآخر الحِدَّةُ حِدَّةُ القَلْب فما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ بن زُهَيْرٍ : « جَرْىُ المذَكِّياتِ غِلابٌ »[(٣)] . وقال زُهَيْر :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه تمامُ السِّنِّ منه وَالذَّكاءُ

وقوله : « فعَجَمَ عيدانه » ، يقول : مَضَغها لينظر أيُّها أصْلَبُ ، يقال :

---

(١) زيادات ر : « يصف خيالها ، وأنث على معنى المرأة » .

(٢) زيادات ر : « أقيش : من عكل » .

(٣) زيادات ر : « ويروى : غلاء » .

ثم التفتُّ إليها وَهْيَ حانِيــةٌ مثلَ الرِّتاجِ إذا ما لَزَّهُ الغَلَقُ[١]

أقبلْتُها الخَلَّ من شَوْرانَ مجتهداً إنى لأَزرى عليها وهى تَنْطَلِقُ[٢]

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الرِّدَّةِ فلا يُغْنِي شيئاً ، فجعل يقول :

ها إنَّ رَمْيِي عَنْهُمُ لمَقْبُولْ فلا صَرِيحَ اليومَ إلا المَصْقُولْ

وقوله :

* وكل مختبط يوماً له ورق *

أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى ؛ وهو أن يضرِبها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مَثَلاً لمن يَطْلبُ فَضْلَه ، وقال زهير :

ولَيْس مانعَ ذى قُرْبَى وذى نَسَبٍ يَوْمًا ولا مُعْدِمٍ من خابِطٍ وَرَقَا[٣]

وقوله: «حتى خَذيتُ له» يقول: خَضَعْتُ له ، وأكثر ما تَسْتَعمِلُ العامةُ هذه اللفظةَ بالزيادة؛ تقول : اسْتَخْذَيْتُ له . وزَعم الأصْمَعِيُّ أنه شَكَّ فيها ، وأنه أحبَّ أن يَسْتَثْبتَ : أهِيَ مهموزةٌ أم غير مهموزةٍ ؟ قال : فقلتُ لأعرابىّ : أتقول : اسْتَخْذَيْتُ[٤] أم اسْتَخْذَأْتُ ؟ قال : لا أقولهما ، قلتُ : ولِمَ ؟ فقال : لأن العرب لا تَسْتَخْذِى . وهذا غير مهموز[٥] . واشتقاقه من قولهم : أُذُنٌ خذْواءُ ويَنَمة خَذْواءُ ، أى مُسْتَرْخِيةٌ .

* * *

(١) حانية : لاوية عنقها . والغلق : اسم لما يغلق به والرتاج : الباب الكبير . واللز : الشد والإلصاق .

(٢) الخل : الطريق النافذ بين الرمال . وشوران : جبل مرتفع قرب المدينة .

(٣) زيادات ر : « قوله : ولا معدم بالخفض ؛ عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده :

مَشَائيمُ لَيْسُوا مصلحينَ عشيرةً ولا ناعبٍ إلا ببيْنٍ غُرابُها

على توهم الباء فى « مصلحين » و « من » فى « خابط » زائدة .

(٤) استخذى : خضع (٥) هنا آخر الخرم الموجود فى نسخة الأصل .

وقائلةٍ لاَ يُبعِدَ اللهُ ضابئًا إذِ الكَبْشُ لم يوجد له مَنْ ينازِلُه

وقائلةٍ لا يُبْعِدِ اللهُ ضابئًا إذِ الخصمُ لم يوجد له مَنْ يقاوِلُه

فلا تُتْبعنى إنْ هلكْتُ ملامةً فليس بعارٍ قتلُ مَنْ لا أقاتله

هممْت ولم أفعلْ، وكِدْتُ وليتنى تركْتُ على عثمان تبكى حلائله

وما الفتْكُ ما آمرْتَ فيه ولا الذى تُخبِّرُ مَنْ لاَقيْتَ أنك فاعِله

[حديث أبي شجرة السلمى مع عمر بن الخطاب]

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدِّثنا به عن أبى شَجَرَة السُّلَمِىّ — وكان من فُتَّاكِ العرب[1] — فأتى عُمَرَ بن الخطّاب — رحمه الله — يَسْتَحمِلُه[2]، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمىّ، فقال له عمر: أى عدىَّ نفسِه، ألستَ القائلَ حيث ارتَدَدتَ:

وَرَوَّيْتُ رُمحِى من كَتِيبةِ خالدٍ وَإنِّى لأرْجُو بعدها أنْ أُعَمَّرَا[3]

وعارَضْتُها شَهْباء تَخْطِرُ بالقَنا تَرَى البَيْضَ فى حافاتها والسَّنَوَّرا[4]

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّةِ؛ فسعى إلى ناقته فحلَّ عِقالها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْمٍ بأحثِّ السير هربا من الدِّرَّةِ، وهو يقول:

قد ضَنَّ عنها أبو حَفْصٍ بنائِلِهِ وكُلُّ مُخْتَبِطٍ يومًا له وَرَقُ

ما زال يَضْرِبُنى حتى خذيتُ له وحالَ مِنْ دُونِ بعضِ الرَّغْبةِ الشَّفَقُ[5]

---

(١) زيادات ر: «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى، وأمه الخنساء. وقال الطبرى: اسمه سليم بن عبد العزى».
(٢) يستحمله: يسأله أن يحمله على ركوبة.
(٣) زيادات ر وبروى: «أن أعمرا»، بكسر الميم، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».
(٤) شهباء: من الشهبة: وهو بياض فى خلاله سواد. وتخطر، من الخطران؛ وهو الاهتزاز.
(٥) الشفق: من الإشفاق؛ وهو الخوف.

كلنا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم أنْ قلنا له: ياخليفةَ رسولِ الله، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحْيِ والملائكة يُمِدُّه اللهُ بهم، وقد انقطع ذلك اليومَ، فالْزَمْ بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب.

فقال أبو بكر الصديق: أوَ كُلُّكُمْ رَأْيُهُ على هذا؟ فقلنا: نعم! فقال: والله لأَنْ أَخِرَّ من السماء فتَخَطَّفَنِي الطيرُ أَحَبُّ إليَّ من أن يكون هذا رأيي! ثم صَعِدَ المِنْبَرَ، فحمد الله وَكَبَّرَهُ وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، مَنْ كانَ يَعْبُدُ محمد فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لا يموت. أيها الناس، أأنْ كَثُرَ أعداؤُكم، وقلَّ عَدَدُكُمْ، رَكِبَ الشيطانُ منكم هذا المَرْكَبَ! والله ليُظْهِرَنَّ اللهُ هذا الدينَ على الأديان كُلِّهَا ولو كَرِهَ المشركون. قولُهُ الحَقُّ، ووَعْدُهُ الصِدْقُ، ﴿بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهِقٌ﴾، و﴿كَمْ من فِئَةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين﴾. والله أيُّها الناس، لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهدتُهم في الله حق جهاده حتى أُبْلِيَ بنفسي عُذْراً أو أُقْتَلَ قَتْلاً. والله أيها الناس لو مَنَعُونِي عِقالاً لجاهَدْتُهُمْ عليه، واستَعَنْتُ عليهمُ اللهَ وهو خيرُ مُعِينٍ.

ثم نزل فجاهد في الله حَقَّ جهادِهِ حتى أذْعَنَتِ العربُ بالحق.

قوله: «كم من فئة» فهي الجماعة، وهي مهموزة، وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قَلَبْتَهَا واواً، نحو جُؤَنٍ[1] تقول جُوَنٌ.

---

(١) زيادات ر: «الجؤنة: الحقة يجعل فيها الحلى».

[قال أبو الحسن : اليَنَمة : نبت مسترخ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثُرَ عنه ألبانها] .

* * *

قال الأصمعى : وقلت لأعرابىّ : أتهمِزُ الفارَةَ ؟ قال : تهمزُها الهِرَّةُ .

وقوله : « إنى لأزرِى عليها » ، يقول : أستحِثُّها ، يقال : زَرَى عليه : أى عاب عليه ، وأَزْرَى به أى قصَّرَ به ، فيقول : إنها لمجتهدة ، وإنى لأَزرِى عليها ، أى أعيب عليها لِطَلَبِى النَّجاءَ والسرعة ، وقال الأخطل :

فظَلَّ يُفَدِّيها وظَلَّتْ كأنها عُقابٌ دعاها جُنْحُ ليلٍ إلى وكرِ

وقوله : « ها إنَّ رَمْيِ عنهمُ لَمَعْبول » ، يقول : مَحْبولٌ مردودٌ . والصَّرِيحُ : المَحْضُ الخالص ، يقال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ ماء ، ويقال : عَرَبِىٌّ صَرِيحٌ ومَوْلًى صَرِيحٌ ، أى خالص .

[خطبة لعمر بن الخطاب حين سمع أن قوماً يفضلونه على أبى بكر]

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم الهاشمىّ فى إسناد ذكره قال : بَلَغ عمرَ ابن الخطاب رحمه الله أن قومًا يفضلونه على أبى بكر الصِّدّيق رحمه الله ، فوَثَبَ مُغْضَبًا حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى سأُخبِرُكُمْ عنى وعن أبى بكر ؛ إنه لما تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدَّتِ العرب ، ومَنَعَتْ شاتَها وبعيرها ، فأجمَعَ رأيُنا

أُورِثُها بَكْرًا إذَا ماتَ بَعْدَه ، فَتِلْكَ وَبَيْتِ اللهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ !
فَقُومُوا وَلاَ تُعْطُوا اللِّئامَ مَقَادَةً وَقُومُوا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ
فِدًى لِبَنِي نَصْرٍ طَرِيفِي وَتالِدِي عَشِيَّةَ ذَادُوا بِالرِّماحِ أَبَا بَكْرِ[1]

قوله : « يجثم الهام وقعه » ، إنما هو مَثَلٌ ، يقال : جَثَمَ الطائرُ : كما يقال : بَرَكَ الجَمَل ، ورَبَضَ البعير .

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقاتِ بنى سَعْدٍ ، فقسَمَ مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَرٍ ، وقال :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رِسالَةً إذا ما أتَتْها مُحْكَمَاتُ الوَدائِعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

قوله : « فأجمع رأينا كلِّنا أصحابَ محمد » ، فإنما خَفَضَ « كُلاًّ » على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة ، والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِى به المتكلمُ نفسَهُ ، أو يَعْنِى به المخاطَب لا يجوز أن تقول مررتُ بى زيدٍ ، لأن هذه الياء لا يَشْرَكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين ، وكذلك لا يجوز : ضربتُكَ زيداً ؛ لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف ، فأما الهاء نحو مررت به عبد الله ، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّناً : مَنْ صاحب الهاء ؟ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا يُنْكِرُ نفسه ، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج إلى البيان .

---

(١) زيادات ر : « قوله : « ذادوا بالرماح أبابكر » كذب ؛ إنما خرجوا على الإبل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت » .

وقوله : «لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه» على خلاف ما تأوله العامة ، ولقولِ العامةِ وَجْهٌ قد يجوز ، فأما الصحيح فإن المُصَدِّقَ (١) إذا أخذ من الصدقة مافيها ولم يأخذ ثمنها قيل: أخذ عِقالاً ، وإذا أخذَ الثمن قيل: أخذ نَقْدًا ، قال الشاعر :

أتانا أبو الخطّابِ يَضْرِبُ طَبْلَه (٢) فَرُدَّ ولم يأخذ عِقالاً ولا نَقْدًا

والذى تقوله العامة تأويله : لو منعونى مايساوى عقالاً ، فضلاً عن غيره . وهذا وجه ، والأول هو الصحيح ؛ لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلُبَهُ فيُمْنَعَه ، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا .

ومن كلام العرب : أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ ، أى لو قعد عليها ثلاثة لصَلَح .

[من أبيات للحطيئة حين ارتد بعض العرب]

وكان ارتدادُ من ارْتَدَّ من العرب أن قالوا : نُقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتى الزكاة ، فمن ذلك قول الحُطَيْئَةِ :

ألاَ كلُّ أرْماحٍ قِصارٍ أذِلّةٍ فِداءٌ لِأرْماحٍ نُصِبْنَ على الغَمْرِ (٣)
فباسْتِ بَنى عَبْسٍ وأسْتاه طَيِّئٍ وباسْتِ بَنى دُودَان حاشا بَنى نَصْرِ
أبَوْا غيرَ ضَرْبٍ يَجْثِمُ الهامَ وَقْعُهُ وطَعْنٍ كأفْواهِ المُزَفَّتَةِ الحُمْرِ (٤)
أطَعْنا رسولَ الله إذْ كانَ بيْننا فيا لَهْفَتا ، ما بالُ دِينِ أبى بكْرِ !

---

(١) المصدق : جابى الزكاة .
(٢) زيادات ر : « كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول » .
(٣) الغمر هنا : اسم ماء (٤) زيادات ر : « المزفتة : المطلية بالزفت ؛ وهو القطران» .

فهرس الموضـــوع

وقوله : « أصحابَ محمد » اختصاص ؛ وينتصب بفعل مضمر ؛ وهو «أعنى» ليبين مَنْ هؤلاء الجماعة ؛ كما ينشد :

* نحن بنى ضبةَ أصحابَ الجمل *

أراد : نحن أصحاب الجمل ؛ ثم بين مَنْ هم ؛ لأن هذا قد كان يقع على مَنْ دون بنى ضبة معه ، أو على من فوقها إلى مضر ونزار ومعدّ ومَن بعدهم . وكذلك : نحن العربَ أقْرَى الناس لضيف ، ونحن الصعاليكَ لا طاقة لنا على المروءة .

ويختار من الشعر[1] :

إنا بنى مِنْقَرٍ ذوو حسبٍ   فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدلّ على جميع هذا الباب ، فافهم .

---

(١) زيادات ر : « هو لعمرو بن الأهتم »

كمل الجزء الأول من كتاب الكامل بحمد الله وعونه
ويليه الجزء الثانى

الموضوع | صفحة

الموضوع | صفحة

الموضوع	صفحة

الكامل

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم السيد شحاتة

الجزء الثاني

دار نهضة مصر
للطبع والنشر

مطبعة نهضة مصر بالفجالة

الموضوع	صفحة

باب

باب

بابٌ

[فى المختار من أشعار المولدين]

قال أبو العباس : هذه أشعار اخترناها من أشعار المولّدين حكيمةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ يُحْتَاجُ إليها للتمثّلِ . لأنها أَشْكَلُ بالدهر ، وَيُسْتَعارُ من ألفاظها فى المخاطبات والْخُطَب وَالكتب

[لعبد الصمد بن المعذل]

قال ابن الْمُعَذَّلِ[1] :

تُكَلِّفُنِى إذْلالَ نَفْسِى لِعِزِّها وهانَ عليها أنْ أُهانَ لِتُكْرَمَا

تَقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمٍ فقلتُ سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بنِ أكثما[2]

[لبشار بن برد]

وقال بَشَّار بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ اللهِ بن قَزْعة ، وهو أبو الْمُغِيرة أخو الْمَلَوِىّ المتكلم ، قال — وقال المازنى : لم أرَ أَعْلَمَ من الْمَلوِىّ بالكلام . وكان من أصحاب إبراهيم النَّظام — :

خَليلَىَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينا أخاكُما على دهْرِهِ إنَّ الكريمَ مُعِينُ

---

(١) ر : « عبد الصمد بن المعذل » .

(٢) زيادات ر : « بالثاء مثلثة لا غير ؛ وكذلك أكثم بن صيفى ؛ ويقال إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى » .

رَجَعَتْ إساءَتُهُ عليه وإحسـ ـانى فعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ
وَغَدَوْتُ ذا أجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وغَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالإثْمِ
فكأنما الإحسانُ كان لَهُ وأنا المُسِيءُ إليه فى الْحُكْمِ
مازال يَظلِمُنى وَأَرْحَمُه حتى بَكَيْتُ له من الظُّلْمِ

أَخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له : إنى مررتُ بقوم من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتِمونَكَ شَتْمًا رَحِمْتُكَ منه ، قال : أَفَسَمِعْتَنى أقول إلا خَيْرًا ! قال : لا ، قال : إيَّاهُمْ فارْحَمْ .

وقال الصّدّيق [1] — رحمه الله — لرجل قال له : لأَشْتِمنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ معك فى قبرك ، قال : معكَ والله يَدْخل ، لا معى .

وقال ابن مسعود : إن الرجل ليظلِمنى فأَرْحَمُه .

وقال رجل للشعبىّ كلامًا أَقْذَعَ له فيه ، فقال الشعبى : إن كنتَ صادقًا فغفر الله لى ، وإن كنتَ كاذبا فغفر الله لك .

ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوما يغتابونه فأخذ بِعِضادَتِي الباب ، ثم قال :

هَنيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ من أعراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

وذَكَر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال : دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلا راكبًا على بغلة لم أر أحسَن وجهاً ولا سَمْتًا ولا ثوبا ولا دابة منه ، فمال قلبى إليه ، فسألت عنه ، فقيل : هذا الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام ، فامتلأ قلبى له بُغضاً ، وحَسَدْتُ عليًّا أن يكون له ابن مثلُه ، فَصِرْتُ إليه ، فقلتُ له :

---

(١) ر : « أبو بكر الصديق » ، س : « الصديق رضى الله عنه »

وَلاَ تَبخَلاَ بُخْلَ ابْن قَزْعَةَ إنه مَخَافَةَ أن يُرْجى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ اللهِ لم يَلْقَ ماجدا ولمْ يَدْرِ أَنَّ المَكْرُماتِ تكونُ
فقل لأبى يَحْيَى مَتَى تُدْرِكُ العُلَا وفى كُلِّ مَعْرُوفٍ عليك يمين
إذا جِئْتَهُ فى حاجةٍ سَدَّ بابَهُ فلم تَلْقَهُ إلا وَأَنْتَ كَمِينُ

فنظير قوله :

* وفى كُلِّ معروف عليك يمينُ *

قول جرير :

وَلاَ خَيْرَ فى مال عليه أَلِيَّةٌ ولا فى يمين عُقِّدَتْ بالمآثِمِ (١)

[لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية]

وقال إسماعيل بن القاسم :

أَطِعِ اللهَ بِجُهْدِكَ عَامِدًا أو دونَ جُهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلاَكَ كما تَطْلُبُ من طاعةِ عَبْدِكَ

[لمحمود الوراق]

وقال محمود :

تَعْصِى الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا مُحَالٌ فى القِياسِ بَدِيعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأَطعتَه إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أيضاً :

إنى شَكَرْتُ لظالِمِى ظُلْمِى وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ على عِلْمِى
ورأيته أَسْدَى إلىَّ يَدًا لَمَّا أَبانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِى

(١) ر : « عقدت » . وديوانه ٥٥٣ : « ولا فى يمين غير ذات محارم » .

[لعبد الله بن محمد بن عيينة]

وقال عبد الله بن أبى عُيَينة لذى اليَمِينَيْنِ(١) :

لَمَّا رَأَيْتُكَ قاعِدًا مُسْتَقْبِلاً ... أَيقنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ

فَارْفِضْ بِهَا وَتعَرَّ مِنْ أَثْوَابِها ... إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقضَاءِ يَقِينُ

مَالاَ يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ

يَسْعَى الذَّكِيُّ فَلَا ينَالُ بسَعْيِهِ ... حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ

سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فى وَقْتِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَتَهُ بَيْننَا ... فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَيَّ يَهُونُ

[لصالح بن عبد القدوس]

وقال صالح بن عبد القُدُّوس(٢) :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتُ جَلِيلا ... فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ

كُلُّ آتٍ لا شَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهْلِ ... مُعَنًّى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

[من الأبيات المنفردة]

وأنشد مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ(٣)

(١) هو طاهر بن الحسين ؛ وكان من أكبر أعوان المأمون ، وفى زيادات ر : « سمى ذا اليمينين : لأنه ضرب إنساناً فجعله قسمين » .

(٢) زيادات ر : « صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة ــ أعنى صالحاً » . وفى معجم الأدباء ١٢ : ٧ أن الذى قتله هو المهدى العباسى ؛ ضربه بالسيف فشطره شطرين ، وعلق بضعة أيام للناس ، ثم دفن » .

(٣) حواشى الأصل : « هذا البيت قاله هشام بن عبدالملك ولم يقل شعراً غيره » .

آنت ابنُ أبى طالب ؟ فقال :أنا ابن ابنه . فقلت : فَبِكَ و بأبيك أُسُبُّهما . فلما انقضى كلامى قال لى : أَحْسِبُكَ غريباً . فقلت : أجَلْ . قال : فَمِلْ بنا ، فإن احْتَجت إلى منزل أنزلناك ، أو إلى مال آسَيْناكَ ، أو إلى حاجة عاوَنّاكَ . قال : فانصرفت عنه وو الله ما على الأرض أَحَدٌ أحبُّ إلىَّ منه

[لمحمود الوراق أيضاً]

وقال محمود الوَرَّاق :

يا ناظِرًا يَرْنُو بِعَيْنَىْ رَاقِدِ ... وَمُشَاهِدًا لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدِ

مَنَّيْتَ نَفْسَكَ ضَلَّةً وَأَبَحْتَهَا ... طُرُقَ الرَّجاءِ وَهُنَّ غَيْرُ قَوَاصِدِ

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِى ... دَرَكَ الجِنَانِ بِهَا وَفَوْزَ العَابِدِ

وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمًا ... مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

[للحسن بن هانئ الحكمى المعروف بأبي نواس]

وقال الحكَمىّ للفضل بن الرَّبيع[1] :

مَا مِنْ يَدٍ فى النَّاس واحِدَةٍ ... كَيَدٍ أَبُو الْعَبَّاس مَوْلاَهَا

نامَ الْكِرامُ على مَضَاجِعِهِمْ ... وَسَرَى إِلَى نَفْسِى فَأَحْيَاهَا

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنَنِى ... مِنْ أَنْ أَخافَكَ خَوْفُكَ اللهَ

فَعَفَوْتَ عَنِّى عَفْوَ مُقْتَدِرٍ ... حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا

---

(١) زيادات ر : هو أبو نواس الحسن بن هانئ ؛ وهو منسوب إلى حكم ، قبيلة من مذحج .

كَلَّفَتْنِي عِذْرَةَ الْبَاخِلِ إِذْ طَرَقَ الطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُوعُ
لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ

[للحسن بن هانئ أيضا]

وقال الحسن بن هانئ الحكمىّ :

إِلَيْكَ غَدَتْ بِي حَاجَةٌ لَمْ أُبُحْ بِهَا أَخَافُ عَلَيْهَا شَامِتًا فَأُدَارِي
فَأَرْخِ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا عَلَيَّ عَوَارِي

وقال أيضاً :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفَا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِمَةً لاقَتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَسْبِي أَقُومُ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

[لدعبل بن على الخزاعى]

وقال دِعْبِل بن علىّ الخزاعِيّ :

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمُ قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَهَتِ
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا لاَ بُدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصِّلَةِ
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَيْنَ إِنَّ لَهُمْ حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ [1]
قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ وَآلُ كِنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عُلَةٍ [2]
ثُبْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهُمْ سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ
لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِنٍ مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ

---

(١) المرة : لغة فى المرأة (رغبة الآمل) . (٢) علة : قبيلة .

ومنها قول ابن وُهَيْب الحميريّ (١) :

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صانِعُ

وقال آخر :

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... قاطِبُهُ مِنْ كلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وقال أَشْجَعُ السُّلَمِيّ :

رَأْيٌ سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ ... ما أَخَّرَ الْحَزْمَ رَأْيٌ قَدَّمَ الْحَذَرَا

وقال آخر :

فَلِلَّهِ مِنِّي جانِبٌ لا أُضِيعُهُ ... وَلِلَّهْوِ مِنِّي وَالْبَطَالَةِ جانِبُ

وقال آخر :

فَلَوْ عَابَ نَفْسِي غَيْرُ نَفْسِي لَسُؤْتُهُ ... فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدْ أَتَتْ مَا يَعِيبُهَا

وقال آخر :

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُقْبِلٌ ... كأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْناً عَلَى غَدِ

[لعبد الصمد بن المعذل أيضا]

وقال عبد الصَّمد بن المُعَذَّل :

أَمُنُّ عَلَى الْمُجْتَدِي ... وَمَا أُتْبِعُ الْمَنَّ مَنّ

كأَنْ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى ... وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

أَرَى النَّاسَ أُحْدُوثَةً ... فَكُونِي حَدِيثاً حَسَنْ

وقال أيضاً :

زَعَمَتْ عَاذِلَتِي أَنِّي لِمَا ... حفِظَ الْبُخْلُ مِنَ الْمَالِ مُضِيعُ

(١) فى ر ، س : « ابن أبى وهيب » وصوابه ما فى الأصل . وانظر معجم الشعراء ٤٢٠ .

كلُّ حَىٍّ مُمَلَّكٍ سوف يَفْنَى وما مَلَكْ

وقال أيضاً :

طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرٍ كذاكَ خَطوبُه نَشْرًا وطَيّا

فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِىَ المَنايا شَكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إليّا

بكيتُكَ يا أُخَىَّ بدمعِ عينى فلم يُغْنِ البُكاء عليك شَيّا

كَفَى حَزَناً بدَفْنِكَ ثم إِنِّى نَفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيّا

وكانتْ فى حَياتِكَ لى عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعَظُ منكَ حيّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخلى شعرَه مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقربَ مُتناوَل، ويَسْرِقه أخفَى سَرِقةٍ.

فقوله : « وأنت اليوم أوعظ منك حيا »، إنما أخذه من قول المُوبَذِ لقُباذَ المَلِكِ حيث مات . فإنه قال فى ذلك الوقت : كان المَلِكُ أمسِ أنطَقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعَظُ منه أمس .

وأخذ قوله :

قد لَعَمْرِى حَكَيْتَ لى غُصَصَ المو تِ وَحَرَّكْتَنى لها وسكنتا

من قول نادبِ الإسكَنْدَر . فإنه لما مات بكى مَنْ بحضرته فقال نادِبه : حَرَّكنا بسُكونه .

[لإسماعيل بن القاسم أيضا]

وقال إسماعيل بن القاسم [١] :

يا عَجَبًا للناسِ لَوْ فَكَّرُوا وحاسَبوا أنفسهم أبْصَروا

(١) زيادات ر : « وهو أبو العتاهية » .

قَرْبٌ قافِيَـةٍ بِالْمزْحِ جارِيَةٍ   مَشْئُومَـةٍ لَمْ يُرِدْ إِنْمَاؤُهَا نَمتِ
إِنِّى إِذَا قُلْتُ بَيْتاً مَاتَ قَائِـلُهُ   وَمَنْ يُقَالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

وقال أيضاً :

نَعَوْنِى وَلَمَّا يَنْعَنِى غَيْرُ شامِتٍ   وغيرُ عَدُوٍّ قد أصيبت مَقاتِلُهْ
يقولون إن ذاق الرَّدَى مات شِعْرُهُ   وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالت طوائِلُهْ
سَأَقْضِى ببيتٍ يَحْمَدُ الناسُ أَمْرَهُ   وَيَكْثُرُ من أَهلِ الرِّوايةِ حامِلُهْ
(يموت رَدِىُّ الشِّعْرِ من قبل أَهْلِهِ   وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مات قائِلُهْ[١])

[لإسماعيل بن القاسم أيضا]

وقال إسماعيل بن القاسم :

يا مَنْ يَعِيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبُ   كَمْ فيكَ من عَيْبٍ وأَنتَ تَعِيبُ!
لله دَرُّكَ كيفَ أَنتَ وغايَةٌ   يَدْعوكَ رَبُّك عندها فتُجيبُ

وقال أيضاً :

يا علىُّ بنَ ثابتٍ بانَ مِـنِّى   صاحبُ جَلَّ فَقْدُهُ يومَ بِنْتا
يا علىَّ بنَ ثابتٍ أينَ أنتَ   أَنتَ بين القُبورِ حَيْثُ دُفِنْتا
قد لعَمْرِى حَكَيْتَ لى غُصَصَ الْمَوْ   تِ وحَرَّكْتَنى لها وسَكَنْتا

وقال أيضاً :

صاحبٌ كان لى هَلَكْ   والسَّـبيلُ التى سَلَكْ[٢]
يا علىُّ بن ثابتٍ   غَفَرَ اللهُ لى ولَكْ

---

(١) زيادات ر : « البيت الأخير ليس لدعبل ؛ وإنما هو مضمن » .

(٢) زيادات ر : « والسبيل التى سلك : ابتداء وخبر ، ومن قال غير هذا فقد أخطأ » .

وقوله

الخير مما ليس يخفى هو المـــعروف والشرُّ هو المنكرُ

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « يا عبدَالله كيفَ بكَ إذا بَقيتَ فى حُثالةٍ من الناس، مَرِجَتْ عُهودُهُم وأماناتُهم ، وصار الناس هكذا » ، — وشَبَّكَ بين أصابعه — ، فقلتُ : مُرْنِى يا رسولَ الله ، فقال : « خُذْ ما عَرَفْتَ ، ودَعْ ما أنْـكَرْتَ ، وعليك بخُوَيْصَّةِ نفسك ، وإيَّاكَ وعوامَّها » .

قوله صلى الله عليه وسلم : « فى حُثالةٍ من الناس » ، أما الحُثالةُ فهو ما يَبقَى فى الإناء من رَدِىِّ الطعام ، وضربَه مَثَلاً . وقوله : « مَرِجَتْ عُهودُهم » . يقول : اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهَبٍ ، يقال : مَرَجَ الماء إذا سال فلم يكن له مانع ، قال الله عز وجل : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ ﴾ (١)

وقوله :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ من قَوْل أبى هُرَيْرَةَ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حُشِر الناسُ فى صَعيدٍ واحد نادى مُنادٍ من قِبَلِ العَرْشِ : لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقِف ، مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ ؟ لِيَقُمِ المُتَّقون ! ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢)

وقوله :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِـــرُهُ يَفْخَرُ !

---

(١) سورة الرحمن ١٩ .

(٢) سورة الحجرات ١٣

وعَبَرُوا الدنيا إلى غَيْرِها فإنما الدنيا لهُم مَعْبَرُ[1]

الخيرُ مما ليسَ يَخْفَى هو الـمَعْروفُ والشَّرُّ هو المُنْكَرُ

والمَوْعِدُ الموتُ وما بعده الـحَشْرُ فذاكَ المَوْعِدُ الأكبرُ

لا فَخْرَ إلاَّ فخرُ أهْلِ التُّقَى غَداً إذا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ

لَيَعْلَمَنَّ الناسُ أن التُّقَى والبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُذْخَرُ

عجبتُ للإنسانِ فى فَخْرِهِ وهْوَ غداً فى قبرِه يُقْبَرُ

ما بالُ مَن أوَّلُهُ نُطْفَةٌ وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!

أصْبحَ لاَ يَمْلِكُ تَقْدِيمَ ما يرجو ولا تأخيرَ ما يَحْذَرُ

وأصْبحَ الأمْرُ إلى غيرِه فى كلِّ ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ

أما قوله :

يا عجبا للناس لو فَكَّروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم : الفِكْرةُ مِرْآةٌ تُرِيكَ حَسَنَكَ من قبيحِكَ . ومن قول لُقْمانَ لابنه : يا بُنَيَّ لا ينبغى لعاقل أن يُخْلِيَ نَفْسَهُ من أربعة أوقات : فوقتٌ منها يناجى فيه ربَّه ، ووقتٌ يُحاسب فيه نفسه ، ووقتٌ يَكْسِبُ فيه لمعاشه ، ووقتٌ يُخلِّى فيه بين نفسه وبين لذّتها ، ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

وقوله :

وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ

مأخوذ من قول الحسن : اُجْعَلْ الدنيا كالقنطرة تجوزُ عليها ولا تعمُرُها .

---

(١) زيادات ر : « معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج ، وبفتح الميم لا غير ، رواية عاصم » .

لكان قد قال قولا .

وقال العباس بن الفرج :

أَمَلِي مَنْ دُونِهِ أَجَلِي   فَمَتَى أُفْضِي إلى أَمَلِي !

[للخليل بن أحمد]

وقال الخليل بن أحمد ، وكان نظر فى النجوم فأبعدَ ثم لم يَرْضَها فقال :

أَبلغَا عَنِّيَ الْمُنَجِّمَ أَنِّى   كَافِرٌ بالَّذِى قَضَتْهُ الْكَوَاكِبْ

عَالِمٌ أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَا   نَ بِحَتْمٍ مِنَ الْمُهَيْمِنِ وَاجِبْ

[لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين]

قال محمد بن بَشِير يعيب المتكلمين ، أنشدنيه الرِّياشيُّ :

يَاسَائِلِي عَنْ مَقَالَةِ الشِّيَعِ   وَعَنْ صُنُوفِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ

دَعْ مَنْ يَقُودُ الْكَلَامَ نَاحِيَةً   فَمَا يَقُودُ الْكَلَامَ ذُو وَرَعِ

كلُّ أُنَاسٍ بَدِيِّهِمْ حَسَنٌ   ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشُّنَعِ

أَكْثَرُ ما فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ   لَمْ يَكُ فى قوله بِمُنْقَطِعِ

وأنشد الرياشيُّ لغيره :

قَدْ نَقَّرَ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بِدَعًا   فى الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ أَكْثَرُهُمْ   وَفى الَّذِى حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ

وقال محمد بن بشير :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللهُ   وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ

يَاحَسْرَتَا فى كلِّ يومٍ مَضَى   يُذْكِرُنِى الْمَوتَ وَأَنْسَاهُ

مأخوذ من قول على بن ابى طالب رضى الله عنه : وما ابنُ آدمَ والفخْر ! وإنما أوله نُطفَةٌ ، وآخره جيفةٌ ، لا يرزُق نفسه ، ولا يدفعُ حتفه .

[لابن أبي عيينة]

وقال ابن أبي عُيَينة :

مَارَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلاَ ابْتَكَرَا إلاَّ رأَى عِبْرَةً فِيهِ إن اعْتَبرَا

وَلاَ أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ[١] حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا

إنَّ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ أَنْفُسَهَا عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبَرَا

فأخذ هذا المعنى حَبيبُ بن أوسٍ الطائيُّ وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِى لَقَدْ نَصَحَ الزَّمانُ وَإنَّهُ لَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ

فزاد بقوله: « ناصح لايشفق » على قول ابن أبي عُيَينَة شيئاً طريفاً ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام . ولو قال قائل : إن أقرب ما أخَذَ منه أبو العَتاهِيَة :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

من قول خليل بن أحمد :

[قال أبو الحسن : زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذى وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل لنَشداً سُمِّيَ بأحمد غيرَه]

وَإذَا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ[٢]

---

(١) زيادات ر : « فانصرفت » أشبه للمطابقة ، والمشهور « انصرفت » .

(٢) كذا نسبته فى الأصول ؛ والمشهور أن البيت للأخطل ؛ وهو فى ديوانه ١٥٨ .

ومما يستحسن من شعره قوله :

لا أذودَ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ   قَدْ بَلَوْتُ الْمرّ من ثَمَرهْ

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الأمثال . وكذلك قوله أيضاً :

فامْضِ لاَ تَمْنُنْ عَلَىَّ يَداً   مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ

وكان يقول : ذكْرُ المعروف من المُنْعِمْ إفسادٌ له . وكتمانُه من المنْعَمْ عليه كُفْرٌ له . وفى هذا الشعر أبيات مختارة ، فمنها :

وَإِذا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا   وَتَرَاءَى الْمَوْتُ فى صُوَرِهْ

رَاحَ فى ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ   أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ   ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

فاسْلُ عَنْ نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ   حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِه

لاَ تَعَطَّى عَنْهُ مَكْرُمَةٌ   بِرُبًا وَادٍ وَلاَ خَمَرِهِ

ذُلِّلَتْ تِلْكَ الْفِجَاجُ لَهُ   فَهْوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ

وقد عابوا عليه قوله :

كَيْفَ لاَ يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ   مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهِ

وهو لَعَمْرى كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوع فى غير موضعه ، لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُضاف إليه ، ولا يضافَ إلى غيره ، ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه عَسِرٌ موضوع فى غير موضعه . وباب الاحتيال فيه أن تقول : قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره مِنْ أفناء قريش : منا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَقُّ هذا أنه من القبيل الذى أنا منه . فقد أضافه إلى نفسه ، وكذلك يقول القُرَشىُّ لسائر العرب ، كما قال حسانُ بن ثابت :

من طال فى الدنيا به عُمْرُهُ وعاشَ فالموتُ قصاراهُ
كأنَّهُ قد قيلَ فى مجلسٍ قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
صار البشيرىُّ إلى ربه يرحمنا الله وإياه

وقال أيضاً :

أىُّ صفوٍ إلا إلى تكديرٍ ونعيمٍ إلا إلى تغييرِ
وسُرورٍ ولَذَّةٍ وحُبورٍ ليس رَهْناً لنا بيومٍ عسير
عَجَباً لِى ومن رِضاى بدنيا أنا فيها على شَفَا تغرير!
عالمٌ لا أشُكُّ أنِّى إلى اللّـهِ إذا متُّ أو عذابِ السَّعير
ثم ألهُو ولَسْتُ أدْرِى إلى أيِّهما بعدهُ يَصيرُ مَصيرى
أىُّ يومٍ علىَّ أفظَعُ من يومٍ به تُبْرِزُ النُّعاةُ سَريرى
كُلَّما مُرَّبى على أهل نادٍ كُنْتُ حيناً بهم كثيرَ المُرورِ
قِيلَ : مَنْ ذَا عَلَى سَريرِ المَنَايَا قِيلَ هٰذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِير

[للحكمى أبى نواس أيضا]

وقال الحكَمِىُّ أبو نُواسٍ :

أخِى مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيسَ يَنقى كأنَّكَ لا تَظُنُّ المَوْتَ حَقّاً
ألاَ يَا بْنَ الَّذينَ فَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَحْظَى وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنكَ أَشْقَى
وَلاَ لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللهِ زَادٌ إذَا جَعَلَتْ إلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى

[لإسحاق بن خلف البهراني يمدح علي بن عيسى القمي]

ومما يستحسن من أشعار المُحْدَثين قول إسحاق بن خَلَفٍ البَهْرَانيّ ، وكُنْيَتُه في بني حنيفة لِسباء وقع عليه ، يقوله لعلي بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعريّ المعروف بالقمّيّ[١] :

وَلِلْكُرْدِ منك إذا زُرْتَهُمْ ... بِكَيْدِكَ يَوْمٌ كيوم الْجَمَلْ

وما زال عيسى بن موسى له ... مَوَاهِبُ غَيْرُ النِطافِ الْمُكَّلْ[٢]

لَسَلُّ السيوف وشَقّ الصُّفوف ... لِنَقْضِ التِّراتِ وضَرْبِ القُلَلْ

ولُبْسُ العَجَاجةِ والخافقاتُ ... تُرِيكَ المنا برءوس الأَسَلْ

وقد كَشَرَتْ عن شَبَا نَابِها ... عروسُ المنيَّة بين الشُّعَلْ

وَجَاءَتْ تَهادَى وأبناؤها ... كأنَّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ

خَروسٌ نَطوقٌ إذا اسْتُنْطِقَتْ ... جَهولٌ تَطيشُ على مَنْ جَهِلْ

إذا خُطِبَتْ أخذتْ مَهْرَها ... رُءوساً تحادَرُ قبل النَّفَلْ

أَلَذُّ إليه من المُسْمِعات ... وحَثِّ الكُؤُوسَةِ في يوم طَلّْ

وشُرْبِ المُدامِ وَمَنْ يَشْتَهِيه ... مُعاطٍ له بمزاج القُبَلْ

بعثنا النَّوَاعِجَ تحت الرِّحال ... تَسَاَفُ أشداقُها في الجُدُلْ

إِذَا ما حُدِينَ بمدحِ الأَميرِ ... سَبَقْنَ لِحَاظَ المُحِثِّ[٣] الْعَجِلْ

قوله : « تريك المنا » ، يريد المنايا، وهذه كلمة تخفّ على ألسنتهم فيحذفونها ، وزعم الأصمعيّ أنه سمع العرب تقول : دَرَسَ المنا ، يريدون المنازل . وجاء في

---

(١) زيادات ر : « منسوب إلى قمّ وهي بلدة أو قرية من خراسان » .

(٢) المكل : جمع مكول ، وهي البئر .

(٣) زيادات ر : « من كسر الميم فهو من حث ؛ ومن ضم الميم جعله من أحث ؛ يقال : حث وأحث على فعل وأفعل ، لغتان » .

وَمَا زَالَ فى الإِسْلاَمِ مِنْ آلِ هاشم دعائمُ عِـــزٍّ لا تُرامَ ومَفخرُ
بَهَاليلُ منهمْ جعفرٌ وابن أمّهِ علىٌّ ومنهمْ أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فقال : « منهم » كما قال هذا « من نفره » . أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم .

وأما قول حسَّان : « منهم جعفر وابن أمه علىّ ومنهم أحمد المتخيّر »
فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُم كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾[1] وقال : ﴿ يا مَعْشَرَ الجنّ والإِنْسِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ واسْجُدِى وَارْكَعِى مع الرَّاكِعِين ﴾[3] ، ولو كان بثمّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم ، ثم الذى يليه واحداً فواحداً .

وأما قوله فى هذا الشعر :

وكريمُ الخالِ من يَمَنٍ وكريمُ العَمّ من مُضَرِهْ

فأضاف « مُضَرَ » إليه ، فهو أجود كلامٍ لا يمتنعُ منه ممتنع . قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للأشتَرِ — وهو مالك بن الحارث أحَدُ النَّخَع بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْدٍ — وكان على الميْمَنَة — : احْمِلْ ، فَحَمَلَ فى أصحابه فَكَشَفَ منْ بإزائه . ثم قال لهاشم بن عُتْبَةَ بن مالك أحد بنى زُهْرةَ ابن كلاب — وكان على الميسَرَةِ — احْمِلْ . فَحَمَلَ فى المُضَرِيَّة فكَشَفَ مَنْ بإزائه ، فقال علىٌّ رضى الله عنه لأصحابه : كيف رأيتم مُضرى ويَمَنِى ! فأضاف القبيلتين إلى نفسه ، قال جرير :

إن الذين ابتَنَوْا مَجْداً وَمَكْرُمَةً تِلْكُمْ قُرَيْشِىَ والأنصارُ أنصارى

(١) سورة التغابن ٢ .
(٢) سورة الرحمن ٣٣ .
(٣) سورة آل عمران ٤٣ .

فنزعتم فى القسىّ ، ونزوتم على ظهور الخيل .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغى للعاقل أن يُخْلِىَ نفسه من ثلاثٍ فى غير إفراط : الأكل ، والمشى ، والجماع . فأما الأكل فإن الأمْعاء تضيق لتركه ، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصل — فيما ذكروا — بين خمس عشرة من يوم وليلة ، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ لِيَفْتُقَ أمعاءه . قال أبو العباس : قال الأوّل : والمشى إن لم تتعهده أوْشَكْتَ أن تطلبه فلا تجده ، والجماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّتْ ، وإن تُرِكَتْ تَحَيَّرَ مَاؤُها ، وحقٌّ هذا كله القَصْد .

وقوله :

* كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَل *

يريد : تألُّق الحديد ، كأنَّه شمس طالعة عليهم ، وإن لم تكن شمس . وأحسنُ من هذا قول سَلامة بن جنْدَل :

كَأَنَّ النَعامَ بَاضَ فوْقَ رُءُوسِهِمْ ... وَأَعيُنُهُمْ تَحْتَ الحَدِيدِ جَوَاحِمُ [1]

فهذا التشبيه المصيب .

وأما قوله :

أَحَبُّ إِلَيْـهِ مِنَ المُسْمِعَاتِ

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو دُلَف العِجْلىّ :

يَوْمَاىَ يَوْمٌ فى أَوَانِسَ كَالدُّمَى ... لَهْوٍ ، وَيَوْمٌ فى قِتَالِ الدَّيْلَمِ

هٰذَا حَلِيفُهُ غَلَائِلٍ مَكْسُوَّةٍ ... مِسْكاً وَصَافِيَةٍ كَنَضْحِ الْعَنْدَمِ

وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدُّرُوعِ وَضُمَّرٌ ... يَكْسُونَنَا رَهَجَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

وَلَيَوْمُهنَّ الْفَضْـــلُ لَوْلا لَذَّةٌ ... سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِىِّ الْمُعْلِمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح ، وهو :

(١) زيادات ر : « جواحم ، أى متقدة » .

التخفيف أعجبُ من هذا . حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعىّ وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله ، ولكنّ الأصمعىّ قال : كان أَخَوان متجاوران لا يكلِّمُ كلُّ واحد منهما صاحبَه سائر سنته حتى يأتىَ وقت الرعى ، فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا ؟ فيقول الآخر : بلى فا ، يريد: ألا تنهض؟ فيقول الآخر ، بلى فأنهض . وحكى سيبويه فى هذا الباب :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا ۞ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

يريد : وإن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تريد[1] .

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء ، فإنه يقال : إن اللسان إذا كثرت حركته ، رقّتْ عَذَبَتُه .

وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال : قال لى محمد الجَهْم : لما كانت أيامُ الزُّطّ أَدْمَنْتُ الفِكْرَ ، وأمسكت عن القول ، فأصابتنى حُبْسَةٌ فى لسانى .

وقال رجل من الأعراب يذكر آخَرَ منهم :

كَأَنَّ فِيهِ لَفَفاً إِذَا نَطَقْ ۞ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفوان : إنك لتُكْثِرُ ، فقال: أُكْثِر لضربين : أحدهما فيما لا تُغْنِى فيه القِلّة ، والآخر لتمرين اللسان ، فإن حبسه يورث العُقْلَة .

وكان خالد يقول : لا تكون بليغاً حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداءَ فى الليلة الظَّلماء ، فى الحاجة المهِمَّة ، بما تتكلم به فى نادى قومك ، فإنما اللسان عُضْوٌ إذا مَرَّنْتَهُ مَرَنَ ، وإذا أهملته خارَ ، كاليد التى تُخَشِّنُها بالممارسة ، والبدن الذى تُقَوِّيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه ، والرِّجْل إذا عُوِّدَتِ المشى مشت .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تزالون أصِحَّاءَ ما نَزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ.

---

(١) زيادات ر: « قال ش : قول أبي العباس : « إلا أن تريدهم » إنما هو إلا أن تشاء ، ولو كان كما قال أبو العباس لكانت التاء مضمومة » .

[لإسحاق أيضا بمدح الحسن بن سهل]

ومما يُستحسن من شعر إسحاق هذا قوله الحسن بن سَهْل :

تَابُ الأَمِيرِ عَرَاءٌ مَا بِهِ أَحَدٌ ... إِلاَّ امْرُؤٌ وَاضِعٌ كفًّا عَلَى ذَقَنِ

قَالَتْ وَقَدْ أَمَّلَتْ مَا كُنْتُ آمُلُهُ ... هٰذَا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ

كَفَيْتُكَ النَّاسَ لاَ تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ ... بِفَيْءِ دَارِكَ يَسْتَعْدِى عَلَى الزَّمَنِ

إِنَّ الرَّجَاءَ الَّذِى قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ ... وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فِى كَفَنِ

فِى اللهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ ... لَيْسَ السَّدَى وَالنَّدَى فِى رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ ... أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ الْمُتَاحْ

وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْهَبَا ... ءُ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحْ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس : وأحسبه أخذ قوله :

* وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ *

من حديث حَدَّثَنَاه أبو عثمان الخزاعىّ عن الأصمعىّ قال : كان يقال : ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هم ، وهم : رجلٌ رأيته راكباً ، أو سمعته يُعْرِب ، أو شَمِمْتَ منه طيباً . وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ ، وهم : رجل شَمِمْتَ منه رائحةَ نَبِيذٍ فى مَحْفِلٍ ، أو سمعته فى مِصْرٍ عَرَبىٍّ يتكلم بالفارسية ، أو رجلٌ رأيته على ظهر طريق ينازِعُ فى القَدَرِ .

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَذَلْ ... وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ الْمُخْتَبِلْ

وأما قوله :

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُلْ *

فتسافه من السفه ، وإنما يصفها بالمرح ، وأنها تميل كذا مرة ، وكذا مرة ، كما قال رُؤْبَة :

* يَمْشِي العِرَضْنَى فى الحَدِيدِ الْمُتْقَنِ *

وكما قال الآخر :

إذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الْهَيْدَبَى ... وَيَتَّقِى الْأَرْضَ بِمُمْعَجٍ رِقَاقْ[1]

وكما قال الحُطَيْئَة :

وإنْ آنَسَتْ حِسًّا مِنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ

بِيَ الْجَوْرَ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

والجُدُلُ : جمع جَدِيلٍ وهو الزمامُ المجدول ، كما تقول : قتيل ومقتول ، وأدنى العدد أجْدِلَة . كقولك : قضيب وقُضُب وأقضبة ، وكذلك كَثِيب ورَغيفٌ وجَرِيبٌ . وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير . يقال قُضْبان ورُغْفان وجُرْبان . ومثل قوله .

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُلْ *

قول حبيب بن أوس الطائى :

سَفِيهُ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إذَا مَا ... بَدَا فَضْلُ السفيه عَلَى الحَلِيمِ

---

(١) زيادات ر : « الهيدبي ، بالدال مهملة ومعجمة . وقوله : « بمعج رقاق ، يريد قليلة الهم » .

ما غِذاؤُكَ فى بلدِك ؟ فقال: الخُبْزُ . فقال كِسْرَى لجلسائِه : هذا عَقْلُ الخُبْزِ يُفَضِّله على عقول أهل البوادى الذين يَغتذونَ اللبن والتمر .

وقد رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لَقَدْ هَمَمْتُ ألّا أقْبَلَ هَدِيَّةً — ويروى: أن لا أَتَّهِبَ هِبَةً — إلا من قُرَشِىٍّ أو أنصارىٍّ أو ثَقَفِىٍّ . وروى بعضهم : أو دَوْسِىٍّ . وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمنَّ بها ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الأمصار تفضيلا على أهل البوادى .

[لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة]

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَةَ يعاتب رجلا من الأشراف :

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ   فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِى   كَأَنَّ إِخَاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فى قِدْرِ قَوْمٍ   وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ   بِجَانِبِهِ إِذَا عَــزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضا :

كُنَّا مُلُوكاً إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا   لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالعلا خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالاً عِزًّا يُلَاذُ بِهَا   وَرَائِحَاتٍ بِالْوَبْلِ تَنْبَعِقُ (١)
كَانُوا بِهِمْ تُرْسَلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ   أَرْضِ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الأُفُقُ
لَا يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا   فَتْقاً وَلَا يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
لَيْسُوا كَمِعْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ   فَمَا بِهَا مِنْ سَــحَابَةٍ لَثَقُ (٢)

---

(١) الرائحات : السحب ، وتنبعق : تتخرق فينزل منها الماء .
(٢) اللثق : البلل .

[لشاعر فى عبد الله بن طاهر]

قال أبو العباس : أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّىّ يُكنَى أبا يزيدَ شيئاً يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفصَّ ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنه ، و اختاره لأهله :

اشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً   فى شَاذَ مِهرَ وَدَعْ غُمْدَانَ لِلْيَمَنِ

فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ   مِنْ هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ وَابْنِ ذِى يَزَنِ

فأَحْسَنَ الترتيب جدًّا ، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر . وإنما ذكر ابنَ ذى يَزَن لقول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِيّ حيث يقول :

اشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً   فى رَأْسِ غُمْدانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلالاَ

وقال الأَعْشَى فى هَوْذَةَ بن علىّ ، وإن لم يكن هوذة ملكا :

منْ يرَ هوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ   إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَّلَهَا   صوَّاغُهَا لا تَرَى عيْباً وَلا طَبَعاً

قال أبو العباس : وحدثنى التَّوَّزِىّ قال : سمعت أباعبيدة يقول عن أبى عمرو ، قال : لَمْ يُتتوَّجْ مَعدِّىٌّ قط ، وإنما كانت التيجان لليمن ، فسألته عن هوذة ابن على الحنفى ، فقال : إنما كانت خرَزات تُنْظَم له .

قال أبو العباس : وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علىّ يدعوه كما كتب إلى الملوك ، وكان يُجيزُ لَطيمةَ كِسْرَى فى البرّ بجَنَبَاتِ اليمامة . واللَّطيمة : الإبل تَحْمِلُ الطيبَ والبَزَّ . ووفدَ هَوْذَةُ بن علىّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنِيهِ ، فذكر منهم عَدَدًا فقال : أيهم أحبُّ إليك ؟ فقال : الصغير حتى يَكْبُرَ ، والغائبُ حتى يَقْدَمَ ، والمريضُ حتى يَصِحّ . فقال له كِسْرَى :

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم، وقد مروا به يريدون إسماعيل بن جعفر:

أَلاَ قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسَةٍ أَوْ ثَلاَثَة — يُعَدُّونَ مِنْ أَبْنَاءِ آلِ المهَلَّبِ

عَلَى بَابِ إِسْمَاعِيلَ رُوحُوا وَبَكِّرُوا — دَجاجَ الْقُرَى مَبْثُوثَةً حَوْلَ ثَعْلَبِ

وَأَثْنُوا عليــــه بالجَمِيلِ فَإِنَّهُ — يُسِرُّ لـكم حُبًّا هُوَ الْحُبُّ وَاقْلِبِ

يَلِينُ لَـكم عِنْدَ اللِّقَاءِ مُوَارِبًا — وَيُخْلِفُكُمْ مِنْهُ بِنَابٍ وَمِخْلَبِ

وَلَوْلاَ الَّذِي تُولُونَهُ لَتَكَشَّفَتْ — سَرِيرَتُهُ عَنْ بُغْضَةٍ وَتَعَصُّبِ

أَبَعْدَ بَلاَئِي عِنْدَهُ إِذْ وَجَدْتُهُ — طَرِيحًا كَنَصْلِ الْقِدْحِ لَمَّا يُرَكَّبِ

بِهِ صَدَأٌ قَدْ عَابَهُ فَجَلَوْتُهُ — بِكَفِّيَ حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ

وَرَكَّبْتُهُ فِي خُوطِ نَبْعٍ وَرِشْتُهُ — بِقَادِمَتَيْ نَسْرٍ وَمَتْنٍ مُعَقَّبِ[1]

فَمَا إِنْ أَتَانِي مِنْهُ إِلاَّ مُبَوَّأً — إِلَيَّ بِنَصْلٍ كَالْحَرِيقِ مُذَرَّبِ

فَقُلْتُ مِنْهُ حَدَّهُ وَتَرَكْتُهُ — كَهُدْبَةِ ثَوْبِ الْخَزِّ لَمَّا يُهَذَّبِ[2]

رَضِيتُمْ بِأَخْلاَقِ الدَّنِيِّ وَعِفْتُمُ — خَلاَئِقَ مَاضِيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالأَبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين:

مَالِي رَأَيْتُكَ تُدْنِي كُلَّ مُنْتَكِثٍ — إِذَا تَغَيَّبَ مُلْتَاثٍ إِذَا حَضَرَا[3]

إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْغَدْرِ قَابَلَهَا — حَتَّى إِذَا نَفَخَتْ فِي أَنْفِهِ غَدَرَا

وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّقْرِيبِ منك له — وَأَنْتَ تَعْرِفُ فِيهِ الْمَيْلَ وَالصَّعَرَا

أَحَلَّكَ اللهُ مِنْ قَحْطَانَ مَنْزِلَةً — فِي الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا

فَلاَ تُضِعْ حَقَّ قَحْطَانٍ فَتُغْضِبَهَا — وَلاَ رَبِيعَةَ كَلاَّ لاَ وَلاَ مُضَرَا

---

(١) الخوط: الغصن الناعم. راشه: ألزق فيه الريش. والمتن: الوتر.

(٢) يهذب: يقطع.

(٣) المنتكث: الهزيل، والملتاث: البطيء.

وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْد نَائبَةٍ   تَنُوبُهُمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَــــرَقُ
هٰـــذا زَمَانٌ بالنَّاسِ مُنْقلِبٌ   ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَـــدِيدُهُ خَلَقُ
الأُسْدُ فِيـــــهِ عَلَى بَرَاثِنِهَا   مُسْتَأْخِراتٌ تَـكَادُ تَمَّزِقُ

وكان سبب قوله هذا الشعرَ أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بنِ على ابن عبد الله بنِ العباس كان له صديقاً ، وكان عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنة من رؤساء مَنْ أخذ الْبَصْرَةَ للمأمون فى أيام الْمَخْلوع ، وكان معاضِدًا لطاهر ابن الحسين فى حروبه ، وكان إسماعيل بن جعفر جليلَ القدر ، مطاعا فى مَوَاليه وأهلِه ، وكانت الحال بينهما ألطفَ حال ، فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فولّاه البصرة ، ووَلّى ابن أبى عيينة اليمامةَ والْبَحْرَيْنِ وَغَوصَ البحرِ ، فلما رجعا إلى البصرة تَنَــكَّر إسماعيلُ لابن أبى عيينة ، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ، ثم عُزِلَ ابنُ أبى عيينة ، فلم يزل يهجو إسماعيل ، وسأل ذا اليمينين عزله ، فدافعه وضن بالرجل ، فكان يهجو مِنْ أهله مَنْ يُوَاصِلُ إسماعيلَ ، وكان أكبرَ أهلِه قدرًا فى ذلك الوقت يزيدُ بن الْمُنْجَابِ ، وكان أعور قائم العينِ لم يُطْلَعْ على عِلَّتِهِ إلا بشعرِ ابن أبى عيينة ، وكان منهم . وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمعين محمدُ بن عَبَّادِ ابن حبيب بن المهلَّب ، ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَة . وكان قصيراً ، وكان ابن عبَّاد أَحْوَلَ ، فذلك حيث يقول ابن أبى عيينة فى هذا الشعر الذى أمْلَيناه :

تَسْتَقْدِمُ النَّعجتَانِ والبَرقُ [1]   فى زمنٍ سَرْوُ أهــــلِهِ الْمَلَقُ
عُورٌ وَحُـــولٌ وثَارَتْ لَهُم   كَأَنَّهُ بَيْنَ أَسْطرٍ لَحَقُ [2]

---

(١) البرق : الخروف والجمع أبراق .
(٢) اللحق : اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه .

وَلاَ انتِقَالاً مِنْ دَارِ عَافِيَةٍ   إلَى دِيَارِ الْبَــلاَءِ وَالفِتَنِ
وَلاَ خُرُوجًا إلى القِفَارِ مِنَ الْـ   أَرْضِ وَتَرْكَ الأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ
كَمْ رَوْحَةٍ فِيكَ لِي مُهَجِّرَةٍ   وَدُلْجَــةٍ فِي بَقِيَّةِ الْوَسَنِ
في الْحَرِّ وَالْقُرِّ كَيْ تُوَلَّى عَلَى الْـ   ـبَصْرَةِ عَيْنِ الأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ
إنِّي أُحَاجِيكَ يَا أَبَا حَسَنٍ   مَا صُورَةٌ صُوِّرَتْ فَلَمْ تَــكُنِ ؟
وَمَا بَهِيٌّ فِي الْعَيْنِ مَنْظَرُهُ   لَوْ وَزَنُوهُ بِالزِّفِّ لَمْ يَزِنِ ؟(١)
ظَاهِرُهُ رَائِعٌ وَبَاطِنُــهُ   مَلآنُ مِنْ سَوْءَةٍ وَمِنْ دَرَنِ(٢)

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبَل، مولى بني مازِن بن مالك ابن عمرو بن تميم، وكان منقطعاً إلى إسماعيل وولده، وكان لا يَبْلُغُ ابن أبي عُيَيْنَةَ في الشعر ولا يدانيه، ومن أَمْثَل شعره وما اعْتَرَضَ له به قوله :

إنِّي أُحَاجِيكَ مَا حَنِيفٌ عَلَى الْـ   ـفِطْرَةِ بَاعَ الرَّبَاحَ بِالْغَبَنِ
وَمَا شُيَيْخٌ مِنْ تَحْتِ سِدْرَتِهِ   مُعَلَّقٌ نَعْلُهُ عَلَى غُصُنِ ؟
وَمَا سُيُوفٌ حُمْرٌ مُصَقَّلَةٌ   قَدْ عُرِّيَتْ مِنْ مَقَابِضِ السَّفَنِ ؟(٣)
وَمَا سِهَامٌ صُــفْرٌ مُجَوَّفَةٌ   تُحْشَى خُيُوطَ الْكَتَّانِ وَالقُطُنِ ؟
وَمَا ابْنُ مَاءٍ إنْ يُخْرِجُوهُ إلَى الأَرْ   ضِ تَسِلْ نَفْسُهُ مِنَ الأُذُنِ ؟
وَمَا عِقَابٌ زَوْرَاءُ تُلْجَمُ مِنْ   خَلْفٍ فَتَهْوِي قَصْدًا عَلَى سَنَنِ ؟(٤)

---

(١) الزف : ريش النعام .
(٢) الدرن هنا : الدنس .
(٣) السفن بالتحريك : جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف .
(٤) زيادات ر : « قيل السفينة ، وقيل الراية ؛ وهو أصح ، لأن جده حبس راية طاهر ابن الحسين ثلاثة أعوام .

أَعْطِ الرِّجَالَ عَلَى مِقْدَارِ أَنفُسِهِم ... وَأَوْلِ كُلًّا بِمَا أَوْلَى وَمَا صَبَرَا

وَلَا تقولَنَّ إِنِّى لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ ... لَا تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَا

ويقول له فى أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لله وَالرِّضَا ... إِذَا نَزَلَتْ بِى خُطَّةٌ لَا أَشَاؤُهَا

إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَالِمِينَ بِأَنفسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا

فَأَنفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا ... تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا

هِىَ الأَنفُسُ الْكُبْرُ الَّتِى إِنْ تَقَدَّمَتْ ... أَوِ اسْتَأْخَرَتْ فَالْقَتْلُ بِالسَّيْفِ دَاؤُهَا

سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَدَاوَتِى ... له رِيقُ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا

ولما حُمِلَ إسماعيل مُقَيَّداً ومعه أبناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه ، وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَة[1] .
فقال ابن أبى عُيَيْنَةَ فى ذلك :

مَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَابنَاهُ مَعًا فِى الأَسْرَاءِ

جَالِسًا فِى مَحْمِلٍ ضَنْكٍ عَلَى غَيْرِ وِطَاءِ

يَتَغَنَّى الْقَيْدُ فِى رِجْلَيْهِ أَلْوَانَ الْغِنَاءِ

بَاكِيًا لَا رَقَأَتْ عَيْنَاهُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ

يَا عُقَابَ الدَّجْنِ فِى الأَمْنِ وَفِى الْخَوْفِ ابْنَ مَاءِ[2]

وقد كان تطيّر عليه بمثل ما نزل به ، فمن ذلك قوله :

لَا تَعْدَمِ الْعَزْلَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ... وَلَا هُزَالًا فِى دَوْلَةِ السِّمَنِ

---

(١) قال المرصفى : « أيام الخضرة هى الأيام التى أمر المأمون فى جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد ، وأن تلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل على بن موسى بن جعفر ولى عهد المسلمين من بعده وسماه الرضا . رغبة الآمل ٤ : ١٤١
(٢) طائر بألف الماء .

هَزَارَمَرْدَ(١) ، وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ، ولم يلده المُهَلَّبُ ، وكان يقال لأبي صُفْرَةَ ظالم بن سرّاق :

أَفَاطِمَ قَدْ زُوِّجْتِ عِيسَى فَأَيْقِنِي ... بِذُلٍّ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ

فَإِنَّكِ قَدْ زُوِّجْتِ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ ... فَتًى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلِ

فَإِنْ قُلْتِ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... وَإِنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ

فَقَدْ ظَفِرَتْ كَفَّاهُ مِنْكِ بِطَائِلٍ ... وَمَا ظَفِرَتْ كَفَّاكِ مِنْهُ بِطَائِلِ

وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ ... أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلِ

وَمَا قُلْتُ مَا قَالاَ لِأَنَّكِ أُخْتُنَا ... وفى السِّرِّ مِنَّا وَالذُّرَا وَالْكَوَاهِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتُّهُ فِي نِصَابِهِ ... بِأَنْ صِرْتِ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلاَئِلِ

إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا ... عُرَا الْمَجْدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ

رَأَيْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ ... إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ وَالْمَبَاقِلِ(٢)

يُرَخِّمُ بَيْضَ الْعَامِ تَحْتَ دَجَاجِهِ ... لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيجَ قَابِلِ

قال أبو العباس : وَوَلَدُ عيسى من فاطمة هذه لَهُمْ شجاعةٌ وَنَجْدَةٌ وشدة أبدانٍ ؛ وفاطمة التي ذكرتها هي التي كان يَنْسِبُ بها أبو عُيَيْنَةَ أخو عبد الله ويَكْنِي عنها « بِدُنْيَا » ، ومن ذلك قوله لها :

دَعَوْتُكِ بِالْقَرَابَةِ وَالْجِوَارِ ... دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادِي السِّرَارِ

لِأَنِّي عَنْكِ مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِي ... وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْكِ بِغَيْرِ نَارِ

---

(١) زيادات ر : وقعت الرواية كما في الأصل ؛ وصوابه : « هزاذ مرد » بالزاى والذال معجمة ، ولا خلاف فى الزاى » .

(٢) الباحة : شبكة تحبس البياح ، وهو نوع من السمك . والمباقل : مواضع بيع البقل .

لَهَا جَنَاحَانِ يَحْفِزَانِ بِهَا ... رِنِيطًا إِلَيْهَا بِجُذْوَتَيْ رَسَنِ
يَاذَا الْيَمِينَيْنِ اُضْرِبْ عِلَاوَتَهُ(١) ... يُدْفَعْ وَمَانِي فِي النَّارِ فِي قَرَنِ(٢)

فأجابه إبراهيم السَّوَّاقُ مولى آلِ الْمُهَلَّبِ — وكان مُقَدَّمًا في الشعر — بأبيات لا أحفظ أكثرها، منها:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ فِي أَبِي حَسَنٍ ... فَانْتَحِرُوا فِي تَطَاوُلِ الزَّمَنِ

وهذا السَّوَّاق هو الذي يقول لِبُشْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصَةَ ابن المهلب:

سَمَاؤُكَ تُمْطِرُ الذَّهَبَا ... وَحَرْبُكَ تَلْتَظِي لَهَبَا
وَأَيُّ كَتِيبَةٍ لَاقَتْكَ لَمْ تَسْتَحْسِنِ الْهَرَبَا

ومن شعره السائر:

حَبِيبِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَأْتُ ... وَبِالْهِجْرَانِ قَبْلَكُمُ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكِ فَدَتْكِ نَفْسِي ... عَلَيَّ إِذَا أَسَأْتِ كَمَا أَسَأْتُ!

ولابن أبي عُيَيْنَةَ في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاء إسماعيل وغيره، سَنَذكرها بعدُ في هذا الكتاب إن شاء اللّٰه تعالى.

ومن شعره المستحسَن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد اللّٰه ابن العباس، وكانَ تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص

---

(١) العلاوة: الرأس.

(٢) زيادات ر: قوله: «وماني في النار في قرن» ماني: اسم علم، وكان رأسا من رءوس الزنادقة».

وَلاَ بُدَّ لِلْمَاءِ فِى مِرْجَلٍ عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورَا
وَمَنْ أُشْرِبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنِىَّ وَمَنْ أُشْرِبَ الْحِرْصَ كَانَ الْفَقِيرَا
عَلاَمَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِى لَدَيْكَ وَنَصْرِى لَكَ الدَّهْرَ بُورَا
أَلَمْ أَكُ بِالْمِصْرِ أُدْعُو الْبَعِيدَ إِلَيْكَ وَأُدْعُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَاكَ بِطَاعَةِ مَنْ كَانَ خَلْفِى بَشِيرَا
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِى مَأْقِطِ السُّرُوبِ عَلَيْهَا مُقِيماً صَبُورَا[1]
فَفِيمَ تُقَدِّمُ جُفَّالَةً إِلَيْكَ أَمَامِى وَأُدْعَى أَخِيرَا[2]
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى السَّخِىَّ إِذَا زَارَ يَوْماً أَمِيرَا
فَقَدَّمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرَا!
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَزُورَا
وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْهَوَى وَالْمَدَى أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدَّبُورَا
وَلَكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرْمِ بِى مُهِمّاً تَجِدْ كَوْكَبِى مُسْتَنِيرَا
فَهَلْ لَكَ فِى الإِذْنِ لِى رَاضِياً فَإِنِّى أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَبِيرَا
وَكَانَ لَكَ اللهُ فِيماً ابْتُعِثْتَ لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
وَلاَ جَعَلَ اللهُ فِى دَوْلَةٍ سَبَقْتَ إِلَيْهَا وَرِيحٍ فُتُورَا
فَإِنْ رَأَى لِى مَذْهَباً بَعِيداً مِنَ الْأَرْضِ قَاعاً وَقُورَا[3]

---

(١) الغرز : مساك رحل الراكب . والمأقط : المضيق فى الحرب
(٢) الجفالة : كثير الجفول .
(٣) القاع : الأرض المستوية لا نبات فيها . والقور : جمع قارة ؛ وهى قنة الجبل

وَأَنْتِ تَوَقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِى عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ
فَأَنْتِ لِأَنَّ مَا بِكِ دُونَ مَا بِى تُدَارِينَ الْعُيُونَ وَلاَ أُدَارِى
وَلَوْ وَاللهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِى لَجَمَحْتِ إِلَىَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمنين

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى الْأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةً عِنْدِى عَنِ الْإِنْشَادِ
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الْحُسَّادِ
وَأَظُنُّ لِى مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيئَةً سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالِى أَرَى أَمْرِى لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثِقْلِهِ طَوْدٌ مِنَ الْأَطْوَادِ!
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وَتُمْضِى غَيْرَهُ فِى سَاعَةِ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
اللهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائِراً مِنْ ضِيقِ ذَاتِ يَدٍ وَضِيقِ بِلَادِ
لَكِنْ أَتَيْتُكَ زَائِراً لَكَ رَاجِياً بِكَ رُتْبَةَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
قَدْ كَانَ لِى بِالْمِصْرِ يَوْمٌ جَامِعٌ لَكَ مُصْلِحٌ فِيهِ لِكُلِّ فَسَادِ
وَدَعَوْتُ مَنْصُوراً فَأَعْلَنَ بَيْعَةً فِى جَمْعِ أَهْلِ الْمِصْرِ وَالْأَجْنَادِ
بَارَتْ مُسَارَعَتِى إِلَيْكَ بِطَاعَتِى كُلَّ الْبَوَارِ وَآذَنَتْ بِكَسَادِ
فِى الْأَرْضِ مُنْفَسَحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ لِى عَنْكَ فِى غَوْرِى وَفِى إِنْجَادِى

وقال أيضاً يعاتبه :

أَيَاذَا الْيَمِينَيْنِ إِنَّ الْعِتَا بَ يُغْرِى صُدُوراً وَيَشْفِى صُدُورا
وَكنت أَرَى أَنَّ تَرْكَ الْعِتَا بِ خَيْرٌ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَضِيرا
إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ بِأَنْ قَدْ ظَنَنْتَ بِأَنِّى لِنَفْسِىَ أَرْضَى الْحَقِيرَا
فَأَضْمَرَتِ النَّفْسُ فِى وَهْمِهَا مِنَ الْهَمِّ هَمّاً يَكُدُّ الضَّمِيرَا

قَدْنَا الجِيَادَ مِنَ العِرَاقِ إِلَيْهِمُ مِثْلَ القَطَا مُسْتَنَّةً لِوُرُودِ[1]
يَحْمِلْنَ مِنْ وَلَدِ المُهَلَّبِ عُصْبَةً خُلِقَتْ قُلُوبُهُمُ قُلُوبَ أُسُودِ

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطوّلة

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ فِرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْدَلاَ
وَمَا نِيلَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ بِحَاصِبٍ مِنْ النَّبْلِ والنُّشَّابِ حَتَّى تَجَدَّلاَ
وَإِنِّي لَمُثْنٍ بِالَّذِي كَانَ أَهْلَهُ أَبُو حَاتِمٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلاَ
فَتًى كَانَ يَسْتَحْيِي مِنَ الذَّمِّ أَنْ يُرَى لَهُ مَخْرَجًا يَوْمًا عَلَيْهِ وَمَدْخَلاَ
وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَارًا عَلَى الفَتَى يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلاَ
مَنِيَّةُ أَبْنَاءِ المُهَلَّبِ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهَا حَتْمًا كِتَابًا مُعَجَّلاَ
وَقَدْ أَطْلَقَ اللهُ اللِّسَانَ بِقَتْلِ مَنْ قَتَلْنَا بِهِ مِنْهُمْ وَمَنَّ وَأَفْضَلاَ
أَنَاخَ بِهِمْ دَاوُدُ يَصْرِفُ نَابَهُ وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ كَلْكَلاً ثُمَّ كَلْكَلاَ
يُقَتِّلُهُمْ جُوعًا إِذَا مَا تَحَصَّنُوا وَتَقْرِيهِمُ هُوجُ المَجَانِيقِ جَنْدَلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره .

وفى هذه القصة يقول :

أَبَتْ إِلَّا بُكَاءً وَانْتِحَابَا وَذِكْرًا لِلْمُغِيرَةِ وَاكْتِئَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ القَتْلَ وِرْدٌ لَنَا كَالمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
وَقُلْتُ لَهَا : قِرِي وَثِقِي بِقَوْلِي كَأَنَّكِ قَدْ قَرَأْتِ بِهِ كِتَابَا

(١) مستنة : مسرعة فى طيرانها .

بِهِ الضَّبُّ تَحْسَبُهُ بِالْفَلَاةِ إِذَا خَفَقَ الْآلُ فِيهَا بَعِيرَا
وَمَالاً وَمِصْرًا على أَهْلِهِ يَدُ اللهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
وَإِنِّى لَمِنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ وَأَكْثَرِهِمْ بِنَفِيرِى نَفِيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكان دعاه إلى نُصْرَتِهِ حين ظهرت المُبَيِّضَة(١) فلم يُجِبْهُ ، فتوعّده علىّ ، فقال عبد الله :

أَعَلِيُّ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ ، لاَ ظُلْمَةٌ لَكَ ، لَا وَلاَ لَكَ نُورُ
أَكَتَبْتَ تُوعِدُنى إِذِ اسْتَبْطَأْتَنِى إِنِّى بِحَرْبِكَ مَا حَيِيتُ جَدِيرُ
فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِى أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الْبَعُوضِ يَضِيرُ
وإِذَا ارْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِىَ لِلأُلَى أَبَوَاهُمُ الْمَهْدِىُّ وَالْمَنْصُورُ
نَبَتَتْ عَلَيْهِ لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا وَعَلَيْهِ قُدِّرَ سَعْيُنَا الْمَشْكُورُ

وقال عبد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المُهَلَّبِ مَنْ قتل بأرضِ السِّنْد بدم أخيه المُغيرةِ بن يَزيد :

أَفْنَى تَمِيماً سَعْدَهَا وَرِبَابَهَا بِالسِّنْدِ قَتْلُ مُغِيرَةَ بنِ يَزِيدِ
صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ صَعْقَةٌ عَتَكِيَّةٌ(٢) جَعَلَتْ لَهُمْ يَوْماً كَيَوْمِ ثَمُودِ
ذَاقَتْ تَمِيمٌ عَرْكَتَيْنِ عَذَابَنَا بِالسِّنْدِ مِنْ عُمَرٍ وَمِنْ دَاوُدِ

---

(١) قال المرصفى : « المبيضة قوم من أعداء الدولة العباسية ، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لباس السواد . »

(٢) عتكية : منسوبة إلى جده الأكبر عتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء ابن ماء السماء . رغبة الآمل ٤ : ١٥١ .

قال أبو الحسن : وهذا شعر حَسَنٌ وأوله :

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَعْشَقَا وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقُ لَوْلاَ الشَّقَا

أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهَى وَشَمِّكَ رَيْحَانَ أَهْـــلِ التُّقَا

عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ فِى الْعَاشِقِيـ نَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا

ثم قال :

* أَعَاذِلُ صَـــهْ لَسْتَ مِنْ شِيمَتِى *

ثم قال بعد قوله :

* فَدَعْـــنِى أُغَلِّى ثِيَابَ الصِّبَا *

أَدُنْيَاىَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خُذِى بِيَدِى قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا

أَنَا لَكِ عَبْدٌ فَكُونِى كَمَنْ إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَـــقَا

قال أبو الحسن : قوله « أَنَا لكِ عبدٌ » فوصل بالألف ، فهذا إنما يجوز فى الضرورة ، والألف تَثْبُتُ فى الوقف لبيان الحركة ، فلم يُحْتَجْ إلى الألف ، ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة ، كقوله :

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِيناً فَإِنَّنِى سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الهاء وَحْدَها ، فأجرى الوصل على الوقف، وأنشدوا قول الأعشى :

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالُ الْقَوَا فِ بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عارَا

والرواية الجيدة : « فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ القَوافِ بَعْدَ المَشِيبِ »

سَقَى اللَّهُ دُنْيا عَلَى نَأْيِها مِنَ الْقَطْرِ مُنْبَعِقاً رَيِّقَا

فقد جاء الكتاب به فقولى ألا لا تعدم الرأى الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا عوابس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أغر مهلبى تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخى حفاظ إذا يدعى لنائبة أجابا

فما بلغت قرى كرمان حتى تخدد لحمها عنها فذابا

وكان لهن فى كرمان يوم أمر على الشراة بها الشرابا[1]

وإنا تاركون غدا حديثا بأرض السند سعدا والربابا

تفاخر بابن أحوزها تميم لقد خان المفاخر لى وخابا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عيينة :

أعاذل صه لست من شيمتى وإن كنت لى ناصحا مشفقا

أراك تفرقنى دائبا وما ينبغى لى أن أفرقا[2]

أنا ابن الذى شاد لى منصبا وكان السماك إذا حلقا

قريع العراق وبطريقهم وعزهم المرتجى المتقى

فمن يستطيع إذا ما ذهبت أنطق فى المجد أن ينطقا

أنا ابن المهلب ما فوق ذا لعال إلى شرف مرتقى

فدعنى أغلى ثياب الصبا بجدتها قبل أن تخلقا

* * *

---

(١) الشراة : جماعة من الخوارج .

(٢) تفرقنى : تخوفنى .

قال أبو العباس : وزعم أبو مُعاذٍ النَّمَيْرِيّ أنه كَانَ يَعْتاد عبد الله بن محمد ابن أبي عيينة ، ويكثر المقامَ عنده ، وكَانَ راويةً لِشعره ، وأمُّ ابن أبي عُيَيْنَةَ ابن المهلب يقال لها : خَيْرَة ، وهي من بني سَلَمَة الخيرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب ابن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة ، فَأَبْطَأْتُ عليه أياما فكتب إلىَّ :

تمَادى فى الجفاء أَبُو مُعادٍ وَرَاوَغَـني وَلاذَ بِلا مَلاذِ
وَلَوْلاَ حَقُّ أَخْوَالِي قُشَيْرٍ أَتَتْهُ قَصَائِدٌ غَيْرُ اللِّذَاذِ
كمَا رَاحَ الهِلاَلِيُّ بْنُ حَربٍ بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَاذِ(١)

— يعنى محمد بن حرب بن قَبيصة بن مُخَارِقٍ الهلالىّ ، وكان من أقعدِ الناس .

ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكَان قد سار إليه فأكرمه وبَسَطَ له رِدَاءهُ وقال : « مرحباً بخالى » ! . فقال : يا رَسول الله ، رَقَّ جلْدِى ، ودَقَّ عَظْمى ، وَقَلَّ مالى ، وهُنْتُ على أهلى ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السمآء » .

ومحمدُ بن حَرْبٍ هذا وَلِيَ شُرْطَةَ البصرة سبع مرات ، وكَان على شُرْطَةِ جعفر بن سليمان على المدينة ، وكَان كثير الأدب غزيرَه ، فَأَغْضَبَ ابنَ أبي عُيَيْنَةَ فى حُكْمٍ جَرَى عليه بحضرة إسحاق بن عيسى — وكان على شرطته إذ ذاك — ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عيينة :

(١) الحاذ : الظهر .

أَلَمْ أَخدَعِ النَّاسَ عَنْ حُبِّها وَقَدْ يَخدَعُ الكَيِّسُ الأَحمَقا

بَلَى وَسَبَقتُهمُ إِنَّنِي أُحِبُّ إِلَى المَجْدِ أَنْ أَسْبِقا

وَيَوْمَ الجنازَةِ إِذْ أَرْسَلَت عَلَى رِقبَةٍ أَنْ جِىءِ الخَنْدَقا

إِلَى السَّالِ فَاْختَرْ لَنا مَجْلِساً قَرِيباً وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقا

— هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهل البصرة ، يقولون : « السال » بالتخفيف ، وإنما هو السالُّ يا هذا ، وجمعه سُلاَّن ، وهو الغالُّ وجمعه غُلاَّن ، وهو الشَّقُّ الخفىّ فى الوادى —

فَكُنَّا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ رَطِيبَيْنِ حِدْثَانَ مَا أَوْرَقا

فَقالَتْ لِتِرْبٍ لَهَا اُسْتَنْشِدِيهِ مِنْ شِعْرِهِ الحَسَنِ المُنْتَقَى

فَقُلْتُ أُمِرْتُ بِكِتمانِهِ وَحُذِرْتُ إِنْ شاعَ أَنْ يُسْرَقا

فَقالَتْ بِعَيشِكِ ! قُولِى لَهُ تَمَتَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَنفقا

قوله : « لعلك أن تنفقا » اضطرار ، وحقه « لعلك تَنْفُقُ » ، « لأن لَعَلَّ » من أخوات إنَّ فأجْرِيَتْ مجْرَاها ، ومن أتى بأنْ فلمضارعتها عسى ، كما قال مُتمّمُ بن نُوَيْرَة :

لَعَلَّكَ يَوْماً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللاَّئِى يَدَعْنَكَ أَجْدَعا

وهو كثير .

* * *

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس : كان ابن شُبْرمةَ إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سَحابةٌ ثم تنقَشِعُ .

وكان يقال : أربعٌ من كنوز الجنة : كِتمانُ المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمانُ الفاقةِ ، وكِتمانُ الوَجعِ .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو كان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْن ما باليتُ أيُّهما رَكِبتُ .

[العتبي يذكر ابناً له مات]

وقال العُتبيُّ محمد بن عبيد الله ، يذكر ابناً له مات :

أَضْحَتْ بِخَدِّى لِلدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِى الْفُؤَادِ كُلُومُ

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المَصائِبِ كُلِّها ... إِلَّا عَلَيْكَ فإِنَّه مَذْمُومُ

قال أبو العباس : وأحسب أن حبيباً الطائى سمع هذا فاسْتَرَقَهُ فى بيتين : أحدهما قوله فى إدريس بن بَدْرٍ الشامى :

دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمَّعُ ... تَوَصَّلُ مِنّا عَنْ قُلُوبٍ تَقطَّعُ

وَقَدْ كانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازِمًا ... فَأَصْبَحَ يُدْعَى حازِمًا حِينَ يَجْزَع

بِأَخْــوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتْ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَبِهَا تُهَابُ
مَتَى مَا أَدْعُ أَخْوَالِي لِحَرْبٍ وَأَعْمَامِي لِنَائِبَــةٍ أَجَابُوا
أَنَا ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فَرْعُ قَوْمِي وَكَعْبٌ وَالِدِي وَأَبِي كِلَابُ
خَلَا ابْنِ عُكَابَةَ الظِّرْبَانِ سَهْلٍ لَهُ فَسْوٌ تُصَادُ بِهِ الضِّبَابُ
وَآخَرَ مِنْ هِلَالٍ قَدْ تَدَاعَى فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

حتى تصيبَكَ منها بشؤبوب بَرَدٍ ! فضرب به مائتَىْ سوطٍ . وقال بعضهم : بل أَمَرَ به فدِيسَ بطنُهُ .

قوله : « بشؤبوب » ، مهموز ، وهو الدُّفْعَةُ من المطر بشدة ، وجمعه شآبيبُ . قال النابغة يخاطب القبيلة :

وَلاَ تُلاَقِى كما لاَقَتْ بنو أَسَدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهَا بشُؤْبُوبِ

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم ، وضرب الشؤبوب مثلا للغارة ، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلا ، كما يقال شَنَّ عليهم الغارةَ ، أى صبّها عليهم . قال ابن هَرْمَةَ :

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَأْتُ لَبَّتَهَا بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبوبِ أَوْ جَمَلِ

يريد ما وَجَأَها به من حديدة ، يقول : لمّا وَجَأْتُها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم ، فكأنه قال : « بسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ » ، أو ما أشبه بذلك .

[خالد بن صفوان وسليمان بن على]

وكان خالد بن صَفْوَانَ أحد مَنْ إذ عَرَضَ له القولُ قال ، فيقال إن سليمان ابن علىّ سأله عن ابْنَيْه جعفر ومحمدٍ ، فقال : كيف إحمادُك جوارَهما يا أبا صفوان ؟ فقال :

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ فَيَالَكَ جَارَىْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ !

* * *

والآخر قوله :

قَالوا الرَّحِيلَ! فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنيَا تُرِيدُ رَحِيلا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدا فِي الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلا

وقال سابقٌ البَرْبَرِيّ :

وَإِنْ جَاءَ مَا لاَ تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللهُ وَاصْبِرَا

وقال آخر أيضا :

اِصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لاَ تَشْتَهِي الْقَدَرُ
فَمَا صَفَا لِامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلاَّ سَيَتْبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدَرُ

[خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة]

وكان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبي بُرْدَةَ يحدّثه فَيَلْحَن ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثني أحاديثَ الخلفاء ، و تَلْحَنُ لَحنَ السَّقَّاءاتِ ! قال التَّوَّزِيّ : فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الإعرابَ ، وكُفَّ بَصَرُهُ فكان إذا مَرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول : ما هذا ؟ فيقال له : الأمير ، فيقول خالد :

* سَحَابَة صَيْفٍ عَنْ قَلِيل تَقَشَّعُ *

فقيل ذلك لبلال ، فأجْلسَ معه مَنْ يأتيه بخبره ، ثم مَرَّ به بلال ، فقال خالد كما كان يقول ، فقيل ذلك لبلال ، فأقْبلَ على خالد فقال : لا تَقَشَّع والله

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلا فى دينٍ وهو قاضى البصرة ، فَطَلَبَ منه البيِّنةَ ، فلم يأته بمَقْنَعٍ ، فقيل للطالب : اسْتَجِرْ وَكيعَ بن أبى سُودٍ حتى يَشْهَدَ لك ، فإن إياسًا لا يَجْتَرِئُ على رَدِّ شهادته ، ففعل ، فقال وكيعٌ : والله لأشْهَدَنَّ لك ، فإن ردَّ شهادتى لأعَمِّمَنَّهُ السيفَ ! فلما طَلَعَ وكيعٌ فَهِمَ إياسٌ عنه فأَقْعَدَهُ إلى جانبه ، ثم سأله عن حاجته ، فقال : جئتُ شاهداً ، فقال له : يا أبا المُطَرِّفِ ، أتشهد كما تفعل المَوالى والعَجَمُ ؟ أنت تَجِلُّ عن هذا ! فقال : إذَن واللهِ لا أشهد ، فقيل لوكيع بَعْدُ : إنما خَدَعَك ، فقال : أوْلَى لابن اللَّخْناء !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده ، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن ، فأتاه الحسن فقال : يا أبا واثلة ، لِمَ رَدَدْتَ شهادةَ فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن الله تعالى يقول : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾[1] وليس فلان ممن أرْضَى .

[من أخبار أبي دلامة]

واختلف نصرانىٌّ إلى أبى دُلامةَ مولى بنى أسد يَتَطَبَّبُ لابن له ، فوعده إن بَرَأَ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فبرأ ابنه ، فقال للمتطبب : إن الدراهمَ ليست عندى ، ولكنْ والله لأوَصِّلَنَّها إليك ، ادَّعِ على جارى فلان هذه الدراهم فإنه مُوسِر ، وأنا وابنى نشهد لك ، فليس دون أخذها شىء ، فصار النصرانىُّ بالجار إلى ابْنِ شُبْرُمَةَ ، فسأله البينةَ ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ ، ففهم القاضى ، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة :

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .

ش : قوله : أبو مالك ، صوابه « أبو نافع » وهو مَوْلًى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

* * *

فأَعْرَضَ عنه سليمانُ ، وكان سُليمانُ من أَحْلَمِ الناسِ وأَكرمهم ، وهو فى الوقت الذى أَعْرَضَ فيه عنه والِى البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور ، والشعر الذى تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغٍ الْحِميرى ، قال :

سَقَى اللهُ دَارًا لِى وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا ... إِلَى جَنْبِ دَارَىْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَيَالَكَ جَارَىْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ !

* * *

وكان الحسن يقول : لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فإن عَرَضَ له القولُ نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القولُ أَمْسَكَ ، ولسانُ الأَحْمق أمامَ قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه ، أَوْ لَهُ

وخالدٌ لم يكن يقول الشِّعْرَ . ويُرْوَى أنه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شيئاً فأخره عنه ، وكان خالد أحدَ البُخَلاءِ ، فمر به الفرزدقُ فهَدَّدَهُ ، فأمسكَ عنه حتى جاز الفرزدقُ ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن هذا قد جَعَلَ إحْدَى يَدَيْهِ سَطْحًا ، وملأ الأخرى سَلْحًا ، وقال : إن عَمَرْتُمْ سَطْحِى ، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسلْحى !

[من أخبار إياس بن معاوية]

وقال إياسُ بن معاوية المُزَنِىُّ أبو واثلةَ — وكان أحد العقلاء الدُّهاة الفضلاء — لخالد : لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس ، فقال له خالد : وكيف يا أبا واثلة ؟ فقال : لأنك لا تحب أن تسكت ، وأنا لا أحب أن أسمع

ابن الحسن شهد عنده رجل من بنى نَهْشَل على أمر أحْسِبُهُ دَيْناً فقال له :
أترْوِى قولَ الأسود بن يَعْفُرْ .

* نَامَ الخَلِيُّ فَمَا أُحِسُّ رُقَادِى *

فقال له الرجل : لا ! فَرَدَّ شهادتَهُ وقال : لو كان فى هذا خير رَوَى
شرف أهلِهِ .

[من أخبار سوار بن عبد الله]

فحدثنى شيخ من الأَزْدِ حديثاً ظننت أن عبيد الله إياه قَصَدَ ، قال : تقدم رجل
إلى سَوَّارِ بن عبد الله — وسَوَّارُ ابنُ عَمِّ عبيد الله بن الحسن — يَدَّعى داراً ،
ولمرأةٌ تدافِعُهُ وتقول لسوَّار : إنها والله خِطَّةٌ ما وقع فيها كتاب قَطُّ . فأتى
المدعِي بشاهدين يعرفهما سَوَّار ، فشهدا له بالدار ، وجعلت المرأة تنكر إنكاراً
يَعضُده التصديق ، ثم قالت : سَلْ عن الشهود ، فإن الناس يتغيرون ، فَرَدَّ
المسألة ، فَحُمِدَ الشاهدان . فلم يزل يُرَيِّثُ أمورَهم ، ويسألُ الجيرانَ ، فكلٌّ
يصدِّقُ المرأةَ ، والشاهدان قد ثبتا ، فشكا ذلك إلى عبيد الله . فقال له عبيد الله :
أنا أحضرُ مجلس الحُكْمِ معك فآتيك بالجلِيَّة إن شاء الله تعالى ، فقال للشاهدين :
ليس للقاضى أن يسألكما كيف شهدتما ، ولكن أنا أسألكما . قال : فقالا : أراد
هذا أن يَحُجَّ فأدارنا على حُدُودِ الدار من خارج ، وقال : هذه دارى ، فإن حدث
بى حادث فَلْتُبَعْ ولْتُقْسَمْ على سبيل كذا ، قال : أفعندكما غيرُ هذه الشهادة ؟
قالا : لا . فقال : الله أكبر ! وكذا لو أدرْتُكما على دار سوَّار ، وقلت لكما مثل
هذه المقالة ، أكنتما تشهدان بها لى ؟ ففهما أنهما قد اغترَّا ، فكان سوار إذا

إنِ النّاسُ غطَّوْنى تغطّيتُ عنهمُ　　وإنْ بحثونى كانَ فيهمْ مَباحِثُ

[وإنْ حفروا بئرى حفرتُ بئارَهم　　ليعلمَ قومٌ كيفَ تلكَ النبائثُ]

فقال ابن شبرمة : من ذا الذى يبحثك يا أبا دُلامة ؟ ثم قال للمدعى : قد عرفتُ شاهدَيك ! تخلَّ عن خصمك ، ورُحِ العشيّةَ إلىّ ، فراح إليه فغَرِمها من ماله

[من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبرى]

وشهد أبو عُبيدةَ عند عُبيدِ الله، بن الحسن العَنْبَرِىّ على شهادة ورجلٍ عدل ، فقال عبيدُ الله للمُدَّعِى : أما أبو عبيدة فقد عرفته ، فزدنى شاهداً .

وكان عبيدُ الله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء . وزعم ابن عائشة قال : عَتَبْتُ عليه مرة فى شىء ، قال : فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم ، وأنا أخرج فقلت مُعرِّضًا به :

طَمِعتَ بليلى أنْ تَريعَ وإنّما　　تُقَطِّعُ أعناقَ الرِّجالِ المَطامعُ[1]

فأنشدنى مُعرِّضاً تاركا لما قصدتُ له :

وبايعتُ ليلى فى خلاءٍ ولم يكنْ　　شُهودٌ على ليلَى عُدولٌ مَقانِعُ

وكان ابن عائشة يَتحدّثُ عنه حديثاً عجيباً ، ثم عُرِفَ مَخرَجُ ذلك الحديث

ذكر ابن عائشة ، وحدثنى عنه جماعة لا أحصيهم كثرةً : أن عبيد الله

(١) زيادات ر : « البعيث » .

[أنفة عقيل بن علفة]

وكان عَقِيلُ بن عُلَّفَة من الغَيْرةِ والأَنَفَةِ على ما ليس عليه أحدٌ علمناه ، فخطب إليه عبدُ الملك بن مَرْوانَ ابنته على أحَدِ بَنِيهِ . وكانت لعقيلٍ إليه حاجاتٌ فقال : أمّا إذْ كنتَ فاعلا فجنِّبْنِي هُجَناءك .

وخَطَبَ إليه ابنتَه إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المغيرة — وهو خال هشام بن عبد الملك ووالِي المدينة . وكان أبيضَ شديد البياض — فردَّه عَقيلٌ وقال :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ القُرَشِيِّ لمّا أبَتْ أَعْرَاقُهُ إلّا احْمِرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عِمْرَانَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد مِيتَ عنها ، فخطبها جماعة من قريش . أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب ، وأحدهم إبراهيم بن هشام . فكان أخوها محمد بن عمران ، إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ أَتَى الحَبِيبُ أَخُو الحَبِيبِ

أُحِبُّكَ أنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِيّ . فأما جَمِيلُ بن معمر الجُمَحِيُّ فلا نَسَبَ بينهُ وبين معمر . أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر . وكانت له صُحْبَةٌ ، وكان خاصًّا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه

سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول : أجائز العدالةِ هو ؟ فظننت أن عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه .

وحدثنى أحد أصحابنا أن رجلا من الأعراب تقدم إلى سَوَّار فى أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ ، فاجتهد فلم يَظْفرْ بحاجته ، قال : فقال الأعرابى ، وكانت فى يده عصًا :

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارَا
بِأَنَّنِى أَخْبطُ فى لَيْلَتِى كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارَا

ثم انحنى على سوّار بالعصا فضربه حتى مُنِـعَ منه ، قال : فما عاقبه سَوَّار بشىء .

قال : وحُدِّثْتُ أن أعرابيا من بنى العَنْبَرِ صار إلى سَوَّار فقال : إن أبى مات وتركنى وأخًا لى — وخط خطين فى الأرض — ثم قال : وَهَجِيناً — وخط خطًّا ناحيةً — فكيف نقسم المال ؟ فقال : أهاهنا وارثٌ غيركم ؟ قال : لا ، قال : المال بينكم أثلاثا . فقال : لا أحسِبُك فَهِمْتَ عنى ! إنه تركنى وأخى وهَجيناً لنا ، فقال سوّار : المال بينكم أثلاثا . قال : فقال الأعرابى : أيأخذ الهجينُ كما آخذ ، وكما يأخذ أخى ! قال : أجل ! فغضب الأعرابى . قال : ثم أقبل على سوّار فقال : تَعَلَّمْ والله إنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء ، فقال سوار : إذاً لا يَضيرنى ذلك عندِ الله شيئاً(١)

(١) زيادات ر : « قيل إنه ليس بالدهنا أمة ؛ وإنما كان فيها الحرائر » .

جِلسَة وركبت رِكْبَة ، وهو حَسَنُ الجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ ، أى الهيئة التى يَجْلِس عليها وَيَرْكَبُ عليها ، وكذلك القِعْدَة والنِّيمَة . وقوله : « لآبَكَ » ، أى لعادَكَ ، وأصل هذا من الإيابِ والرُّجوع ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[1] ، وقال عَبِيدُ بن الأَبْرَصِ[2] :

* وَكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ *

وقوله : « بالعَرْجِ » ، فهو ناحية من مكة ، به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عَفَّانَ ، فسمى العَرْجِىَّ ، ويقال : بل كان له مال بذلك الموضع ، فكان يقيم فيه .

* * *

قال ش : هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله ، وأما صوابه فعبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

* * *

والنَّواهلُ فيه قولان : أحدهما العِطاشُ — وليس بشىء — والآخر الذى قد شَرِبَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ ، فاحتاج إلى أن يُعَلَّ ، كما قال امْرُؤُ الْقَيْسِ :

إِذ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَى أَوْ كَقَطَا كاظِمَةَ النَّاهِلِ[3]

وقوله : « أحاطَتْ بالرقاب السلاسلُ » . يقول : جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلّا على وجهها ، وكان يقال إن أول من أَظْهَرَ الجوْرَ من القضاة فى

---

(١) سورة سورة الغاشية ٢٥ .

(٢) بقيته كما فى زيادات ر :

* وغائبُ الموتِ لاَ يَئُوبُ *

(٣) أقساط : قطع . الدبى : جماعة الجراد .

[عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب]

ويروى عن عبد الرحمٰن بن عوف أنه قال : أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله ، فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكبانيَّةِ (١) :

وَكَيْفَ ثَوَائى بِالمدينة بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لى : أسَمِعْتَ ما قلتُ ؟ فقلتُ : نعَمْ ! فقال : إنَّا إذا خَلَوْنَا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم

* * *

قال ش : وَهِمَ أبو العباس رحمه الله فى هذا ، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف يُنْشِدُ .

* * *

[لأبي خراش — وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر]

وكان جَمِيلُ بن معمر الجمحىّ قتل أخا لأبى خِراش الهُذَلِيِّ يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ ، فضربه ، ففي ذلك يقول أبو خراش :

فأُقْسِمُ لَوْ لاقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بِالْعَرْجِ الضِّبَاعُ النَّوَاهِلُ

لَكَانَ جَمِيلٌ أسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً ... وَلَـكِنَّ أقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّار يا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلَـكِنْ أحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ

وَعَادَ الْفَتَى كَالْـكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

قوله : « أسوأ الناس صِرعة » ، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول : جلست

(١) الركبانية : غناء العرب فيه مد وتمطيط . (رغبة الآمل) .

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد : إذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فلا تستَعِنْ على عملك بأحد من آل أبى موسى

[شعر ذى الرمة فى بلال]

قال أبو العباس : وكان بلالٌ داهيةً لَقِناً أديباً ، ويقال : إن ذا الرُّمَّة لمّا أنشده :

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً ⁂ فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلالا
تُنَاخِى عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ ⁂ إذَا النَّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمالاَ

فلما سمع قوله :

* فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلالاَ *

قال : ياغلامُ ، مُرْ لها بقَتٍّ وَنَوًى ، أراد أن ذا الرُّمَّة لا يُحْسِنُ المدح .

قوله : « سمعت الناسُ ينتجعون » حكاية ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه اللفظةَ ، أى قائلاً يقول : « الناسُ ينتجعون غيثاً » ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِى كِتَابِ بَنِى تَمِيمٍ ⁂ أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ

فمعناه : وجدنا هذه اللفظة مكتوبة ، فقوله : « أحَقُّ الخيل » ابتداء ، « والمُعَارُ » خبره ، وكذلك « الناسُ » ابتداء ، و « ينتجعون » خبره . ومثل هذا فى الكلام : قرأتُ « الحمدُ لله ربّ العالمينَ » ، إنما حكَيْتَ ما قرأتَ ، وكذلك قرأتُ على خاتَمِه « اللهُ أكبرُ » يا فتى ، فهذا لا يجوز سواه .

الحكم بلالُ بن أبى بُرْدَةَ ، وكان أمير البصرة وقاضيها ، وفى ذلك يقول رُؤْبَةُ[1] :

وَأَنْتَ يا بن القاضِيَيْنِ قاضٍ

وكان بلال يقول : إن الرجلين لَيتقدَّمان إلىَّ فأَجِدُ أحدهما على قلبى أخفَّ فأقضى له .

[بلال بن أبي بردة وعمر بن عبد العزيز]

ويروى أن بلالا وَفَدَ على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةَ ، فَسَدِكَ [ش : معناه لَصِق] بسارِيةٍ من المسجد ، فجعل يصلّى إليها ويديم الصلاة ، فقال عمر بن عبد العزيز للعَلاء بن المُغيرة بن البُنْدارِ : إنْ يَكُنْ سِرُّ هذا كعَلانِيَتِهِ فهو رجلُ أهلِ العراق غيرَ مُدافَع ، فقال العلاء : أنا آتيك بخبره ، فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء ، فقال : اشْفَعْ صَلاَتَكَ فإن لى إليك حاجة ، ففعل ، فقال العلاء : قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين ، فإن أنا أَشَرْتُ بِكَ على ولايةِ العِراق فما تجعلُ لى ؟ قال : لك عُمَالتى[2] سنةً ، وكان مَبْلَغُها عشرينَ ألْفَ ألْف درهم ، قال : فاكتب لى بذلك ، قال : فارْقَدَّ[3] بلالٌ إلى منزله ، فأَتى بِدَواة وصحيفة فَكَتَبَ له بذلك .

فأتى العلاء عمر بالكتاب ، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب — وكان والىَ الكوفةِ — أما بعد : فإن بلالا غرَّنا بالله ، فكدنا نَغْتَرُّ ، فَسَبَكْنَاهُ فوجدناه خَبَثاً كُلَّهُ ، والسلام .

---

(١) بعده كما فى زيادات ر :

* معتزم على الطريق ماض *

(٢) زيادات ر : « العمالة ، بضم العين : أجرة العامل » .

(٣) زيادات ر : « معناه : أسرع » .

وَمَا الْخَرْقُ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى عَلَيْهِمْ وَلٰكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيَا

قوله « مَدرجى » يقول : مَروزى ، فأما قولهم فى المَثَلِ : خَيْرٌ مَنْ دَبَّ ومن دَرَجَ ، فمعناه : مَنْ حَيِ ومَنْ ماتَ ، يريدون : مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ دَرَجَ منها فذهب .

وقوله :

* أراكَ لها بالبصرة العامَ ثاويا *

فإنه يقال فى هذا المعنى : ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يافتى ، إذا أقام ، وهى أكثر ، ويقال : أثوَى فهو مُثْوٍ يا فتى ؛ وهى أقلُّ من تلك ، قال الأعشى :

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

وقوله : « قَسَا » ، فهو موضع من بلاد بني تميم . وقوله : « لأكثبة الدهنا » فأكْثِبَةٌ جمع كَثِيب ، وهو أقلُّ العدد ، والكثير كُثُبٌ وكُثْبانٌ : والدَّهْنا من بلاد بنى تميم ، ولم أسْمَعْ إلا القصر من أهل العلم والعرب ، وسمعت بَعْضُ من يَرْوِى مَدَّها ولا أعرفه ، قال ذو الرمة :

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا أُمِّى هِلاَلاً عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرُّشْدِ

يعنى هِلالَ بن أحْوَزَ المازنى ، وقال جرير :

* بَازٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطاً جُونا *

وقوله :

* كأنهم الكروانُ أبصرن بازيا *

وقوله : « إذا النكباء ناوحت الشمالا » فإن الرياح أربع ، ونكباواتها أربع ، وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا ، أو الشمال والدبور ، أو الجنوب والدبور ، أو الجنوب والصبا . فإذا كانت النكباء تناوح الشمال فهي آية الشتاء . ومعنى « تناوح » تقابل . يقال : تناوح الشجر إذا قابل بعضه بعضا . وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سميت ، لأنها تقابل صاحبتها .

وقال يحيى بن نوفل الحميري — ويقال إنه لم يمدح أحدا قط :

فَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِحًا لِلنَّوَالِ ... فَتًى لَامْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلَالَا

وَلَكِنَّنِي لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ ... بِمَدْحِ الرِّجَالِ الْكِرَامِ السُّؤَالَا

سَيَكْفِي الْكَرِيمَ إِخَاءُ الْكَرِيمِ ... وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالَا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحًا ... عَلَى بَيْتِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا

أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ ... أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا

فَقُلْتُ لَهَا : لَا إِنَّ أَهْلِي لَجِيرَةٌ ... لَأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا[1]

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ ... أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

وَلَكِنَّنِي أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبَيْ قَسًا ... أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا

مِنَ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ ... كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا

مُرِمِّينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ ... تَفَادَى أُسُودُ الْغَابِ مِنْهُ تَفَادِيَا

(١) زيادات ر : قوله « لا » لحن ؛ وهذا اللحن راجع على المرأة ؛ لأن « لا » لا تقع إلا في جواب « أو » ، وإنما سألته بأم ، وهي لم يستقر عندها علم .

وقال جرير :

مَا لِلمَنَازِلِ لاَ تجيبُ حَزِيناً ، أَصْمِمْنَ أَمْ قَدُمَ المَدَى فَبَلِينا
وَ تَرَى العَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلاَمَتِي وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينا

قال أولا لرجل ، ثم قال : « سوى هواكِ » . وقال آخر :

فِدًى لكَ وَالِدِى وَسَرَاةُ قَوْمِى وَمَالِى إِنَّهُ مِنْـــهُ أَتَانِى

على تحويل المخاطبة .

وقوله : « مُرِمِّين » ، يريد مسكوتاً مُطْرِقين ، يقال : أرَمَّ إذا أطرق ساكتاً .

وقوله : « تفادَى أُسودُ الغاب » معناه تفتدى منه بعضُها ببعضٍ . وفى الخبر

أن سليمان بن عبد الملكِ أمر بدفع عيالِ الحجَّاج ولُحْمَتِه إلى يَزِيد بن المُهلَّبِ

فتفادَى منهم ، تأويله : فدَى نفسَهُ من ذلك المقام بغيره . وقوله :

وَمَا الخُرْقُ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى عَلَيْهِمْ وَلـكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَاهِيَا

إذا رفعت « هيبة » فالمعنى : ولـكن أمره هيبة ، كما قال الله عز وجل :

﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إلا ساعةً مِن نَهَارٍ بَلاغ ﴾[1] أى ذلك بلاغ ، ومثله قوله

عز وجل : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوف ﴾[2] يكون رفعُهُ على ضربين ، أحدهما

أمرُنا طاعةٌ وقولٌ معروف ، والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمثَلُ .

ومن نصب « هيبة » أراد المصدر ، أى ولـكن يُهابُ هَيبةً .

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى :

يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال الفَرَزْدَقُ ، يعنى يَزِيدَ بن المهلب :

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥
(٢) سورة محمد ٢١

فالكِرْوَان جماعة كَرَوان ، وهو طائر معروف ، وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ، ولكنه على حذف الزيادة ، فالتقدير : كَرًا وكِرْوانٌ . كما تقول : أخٌ وإِخْوَانٌ ، ووَرَل ووِرْلانٌ ، وبَرَقٌ وبِرْقانٌ ، والبَرَقُ أعجميّ ولكنه قد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْمَعُ العربية ، واستعمل الكَرَوانُ جمعاً على حذف الزيادة ، واسْتُعْمِلَ في الواحد كذلك ، تقول العرب في مَثَل من أمثالها :

أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامَ فِى الْقُرَى

يريدون الكَرَوانَ .

وقوله :

* من آل أبى موسى ترى القوم حوله *

فقال : « تَرَى » ، ولم يقل : تَرَيْنَ ، وكانت المخاطَبَةُ أوّلاً لامرأة ، ألا تراه يقول :

وَما كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنى فى خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حوّل المخاطَبَةَ إلى رجل ، والعرب تفعل ذلك ، قال الله عزّ وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[1] . فكأنّ التقدير — والله أعلم — : كان للناس . ثم حُوِّلَت المخاطبةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَىَّ طِلَابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

---

(١) سورة يونس ٢٢

بابٌ

[لجرير وقد نزل بقوم من بنى العنبر فلم يقروه]

قال جرير — ونزل بقوم من بني العَنْبرِ بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشْتَرَى منهم القِرَى ، فانصرف وهو يقول :

يَا مَالِكَ بنَ طَرِيفٍ إنَّ بَيْعَكُمُ رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ بِيعُوا المَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ
لَوْلاَ كِرَامُ طَرِيفٍ مَاغَفَرْتُ لَكُمْ بَيْعِي قِرَايَ وَلاَ أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ

قوله : « يا مالكَ بنَ طَرِيفٍ » فمن نصب ، فإنما هو على أنه جعل « ابنًا » تابعًا لما قبله ، كالشئ الواحد ، وهو أكثر فى الكلام إذا كان اسمًا علمًا منسوبًا إلى اسم علم ، جعل « ابن » مع ما قبله بمنزلة الشئ الواحد ، ومثل ذلك :

* يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجارودِ *[1]

ومن وقف على الاسم الأول ، ثم جعل الثانى نعتًا لم يكن [فى الأول][2] إلا الرفع ، لأنه مفردٌ نُعِتَ بمضافٍ ، فصار كقولك : يا زيدُ ذا الجمة .

---

(١) الرجز لأعشى بنى الحرماز ، وبعده :

* سرادق المجد عليك ممدود *

(٢) تكملة من س .

وإذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ

وفى هذا البيت شيء يستطرفه النحويون ، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فَوَاعِل ، لئلا يلتبس بالمؤنث . لا يقولون : ضارِب وضَوَارِب ، وقاتِل وقواتِل ، لأنهم يقولون فى جمع ضاربة : ضوارب ، وقاتلة : قواتل ، ولم يأتِ ذلك إلا فى حرفين : أحدهما فى جمع فارسٍ : فَوَارِس ، لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأَمِنُوا الالتباسَ ، ويقولون فى المثل : هو هالكٌ فى الهوالِكِ ، فأَجْرَوْه على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نواكسُ الأبصار » ، ولا يكون مثل هذا أبداً إلا فى ضرورة .

وَمَا زَالَ يَفْرِى الشَّدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا قَوَائِمُهُ فِى جَانِبَيْهِ زَعَانِفُ[1]

وتزعم الرُّواةُ أن مَا أَنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هـذا البيتُ ، يعني قول جرير :

* بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ *

لأنه حَطَّهم ووضَعَهم ، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عَيْباً . ومثل ذلك قول المُنْتَجِع لرجل من الأشراف : مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ ؟ قال : الفرائضَ ، قال : ذلك عِلْمُ المَوالى لا أبا لك ! عَلِّمْهُم الرَّجَزَ ، فإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُم[2] ومن ذلك قول الشَّعْبيّ — ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقـال : لئن أَصْلَحْتموه إنَّكُمْ لَأَوَّل من أفسده ! ومن ذلك قول عَنْتَرَةَ :

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفَرُوقِ أَشَابَةً وَلاَ كُشُفًا وَلاَ دُعِينَا مَوَالِيَا[3]

ومن ذلك قول الآخر :

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسْمُنَا وَأَسْمَاؤُهُمْ فينا رِقَابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤهم عندنا الحَمْرَاء . وقول العرب : ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأحمر . يريد العَرَبىَّ والعَجَمِىَّ . وقال المُخْتَارُ لإبراهيم بن الأشْتَرِ يوم خَازِرَ[4] وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عبيد الله بن زِياد : إنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاء

---

(١) يفرى الشد : يأتي بالعجب فى عدوه .

(٢) يهرت أشداقهم : يوسعها .

(٣) الفروق : اسم موضع . والكشف : الذين لا يصدقون فى القتال .

(٤) زيادات ر : « وقعت الرواية كما فى الأصل ، ووجد بخط يد أبي على البغدادى رحمه الله : « جازر » بالجيم » .

وقوله : « وَلاَ أَنْسَأَتْـكُمْ غَضَبِى » ، يقول : لم أؤخره عنكم .
نَسَأَ اللهُ فى أَجَلِكَ ، وَأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَكَ ، والنَّسِىء من هذا ، ومعناه تأخير شهر
عن شهر ، وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كِنانَةَ . فأنزل الله عزَّ وجلَّ :
﴿ إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الْكُفْرِ ﴾[1] لأنهم كانوا يؤخرون الشهور
فيُحَرِّمون غير الحرام ، ويحِلُّونَ غيرَ الحلال ، لِمَا يُقَدِّرُونه من حُرُوبِهم
وتَصَرُّفِهِمْ . فاسْتَوَتِ الشهورُ لَمَّا جاء الإسلام ، وَأَبَانَ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ
السَّمواتِ وَالأَرْضَ » .

وقوله :

* هل أنتمُ غيرُ أَوشابٍ زعانفةٍ *

فالأشابةُ جماعة تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم ، وإنما هو مأخوذ من الأمرِ
الأَشِبِ ، أى المختلط ، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِبَ ، يقال
بالفارسية : وَقَعَ القومُ فى آشوب [أى][2] فى اختلاط ، ثم تَصَرَّفَ فقيل :
تَأَشَّبَ النبتُ ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ[3] .

وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَّمَكِ ، سمى بذلك الأَدْعِيَاء ، لأنهم
التصقوا بالصَّمِيمِ كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك ، قال أَوْسُ
ابن حَجَرٍ :

---

(١) سورة التوبة ٣٧ .
(٢) من ر .
(٣) زيادات ر : « هذا وهم من أبى العباس ، ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب ، لأن فاء الفعل من الأشابة همزة ، ومن أوشاب واو ، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة ، وأبدلت الواو المضمومة همزة » .

أبن حَبيب ، فَنَظَرَ بَنوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم ، فأَحَسُّوا بأنه أراد أمّهم ، فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجَهَا . وَسَبَقَهُمْ لأنه كان راكبا ، فقال لها : إنَّ فيك لبَقِيَّةً ؟ فقالتْ : إنْ شئتَ . . . فجاءوا وقد بَنَى عليها ، ثم نقلها بعدُ إلى بلده ، فتزعم الرواة أنها جاءت بالْعَنبَرِ معها صغيراً ، وأَوْلَدَهَا عمرو بن تميم أُسَيِّدًا وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْبَ ، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقُونَ فَقَلَّ عليهم الماء ، فأنزلوا مائحاً من تميم ، فجَعَلَ المائحُ يملأ الدلو إذا كانت لِلْهُجَيْمِ وَأُسَيِّد والقُلَيْبِ ، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تركها تضطرب ، فقال العنبر :

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ۞ وَالنَّأْيُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا

* إِلَّا تَجِئْ مَلْأَى يَجِئْ قُرَابُهَا[1] *

فهذا قول النَّسَّابين .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لعائشة رحمها الله ، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَرِ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتِقِي الصَّمِيمَ من ولد إسماعيل فَأَعْتِقِي من هؤلاء » . فقال النَّسَّابون : فبَهْرَاءُ من قُضَاعَة ، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ ، فقد رجعوا إلى إسماعيل .

ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَرَ — وهو الحق — قال : فالنسب الصحيح فى قحطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق . وقول الْمُبَرِّزِينَ من العلماء : إنما العَرَبُ

---

(١) أى ما يقارب ملأها .

الحمراء . وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا ، فَاحْمِلِ العربَ على مُتُونِ الخيل ،
وأَرْجِلِ الحمراء أمامهم .

ومن ذلك قول الأشعث بن قَيْسٍ لعلى بن أبى طالب رحمه الله ، وأتاه يَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ ، وعلىٌّ على المِنْبَرِ فقال : يا أمير المؤمنين ، غَلَبَتْنا هذه الحمراء على قُرْبِكَ . قال : فَرَكَضَ علىٌّ المِنْبَرَ برجله ، فقال صَعْصَعَة بن صُوحانَ العَبْدِىُّ : مالنا ولهذا ؟ يعنى الأشعث ، لَيقولَنَّ أمير المؤمنين اليومَ فى العرب قولًا لا يَزَال يُذْكَرُ ، فقال علىٌّ : مَنْ يَعْذِرُنى من هذه الضَّياطِرة ، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشه تَمَرُّغَ الحمار ، وَيُهَجِّرُ قومٌ للذكر ، فيأمرنى أن أَطْرُدَهم ، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين ، والذى فَلَقَ الحبة ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على الدِّين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً .

قوله : « الضياطرة » واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطارٌ ، وهو الأحمر العَضِلُ الفاحشُ ، قال خِداشُ بن زُهَيْرٍ :

وَتَرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الْحُمْرِ

وإنما قال جَرِيرٌ لبنى العَنْبَر :

* هل أنتمُ غير أوشاب زعانفة *

لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم ، إنما هو ابن عمرو بن بَهْراءَ ، وَأُمُّهُمْ أم خارجة البَجَلِيَّة التى يقال لها فى المَثَلِ : « أَسْرَعُ من نكاح أُمّ خارجة » ، فكانت قد وَلَدَتْ فى العرب فى نَيِّفٍ وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين ، وكان يقول لها الرجلُ : خِطْبٌ ؟ فتقول : نِكْحٌ ! كذلك قال يونس

قوله :

* أمن مذحِج تدعون أم من إياد *

فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبإ أبن يَشْجبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ . وإياد بنُ نِزَارِ بن مَعْد بن عَدْنان . ويقال : إن النَّخَعَ وثَقيفًا أخَوان من إيادٍ . فأما ثَقيفٌ فهو قَسِيٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ . فهذا قول قوم . فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثَقِيفاً من بقايا ثمود ، ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم ، وكثرة مَنا كِحِهِمْ قُرَيْشًا .

وقد قال الحجاج على المنبر : تزعمون أنا من بَقايا ثَمُودَ ، واللهُ عز وجل يقول : ﴿ وَثمودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ [1] . وقال الحجاج يوما لأبى العَسُوس الطائىّ : أىّ أَقْدَمُ ؟ أَنزُول ثقيف الطائفَ أم نزول طَيِّء الجبلين ؟ فقال أبو العَسُوس : إن كانت ثقيفٌ من بُكْر بن هَوازانَ فنزول طيىء الجبلين قبلها ، وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم ، فقال الحجاج : يا أبا العسوس ، اتَّقِنِى فإنى سريع الخَطْفَةِ للأحمق المتهوِّكِ [2] ! فقال أبو العَسُوس [3] :

يُؤَدِّبُنِى الحَجَّاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِهِ ... فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَوْلاَدِ يُوسُفَ مَا عَدَا
وَإِنِّى لَأَخْشَى ضَرْبَةً ثَقَفِيَّةً ... يَقُدُّ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ المُقَلَّدَا
عَلَى أَنَّنِى مِمَّا أُحَاذِرُ آمِنٌ ... إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا المَرْءُ وَاعْتَدَى

---

(١) سورة النجم ٤٣ .

(٢) المتهوّك : المتهور .

(٣) زيادات ر : « رواية عاصم رحمه الله العسوس [بالواو المشددة] والعسْوس [بسكون السين وفتح الواو] ، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب » .

المتقدمة من أولاد عابَرَ ، وَرَهطُهُ عاد وَطَسْم وَجَدِيس وَجُرْهُم والعماليق ، فأما قحطان عند أهل العلم ، فهو ابن الهَمَيْسَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْت بن قَيْذَار ابن إسماعيل صلوات الله عليه ، فقد رجعوا إلى اسمٰاعيل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة — وقيل من الأنصار : « ارْمُوا يا بنى إسماعيلَ ، فإن أباكم كان راميًا » .

[ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم]

قال يحيى بنُ نوفَلٍ : « يَهْجُو العُرْيَانَ بن الهَيْثَمِ بن الأَسْوَدِ النَّخَعِىَّ — وكانَ العُرْيَانُ تزوج زَبادِ » من ولد هانئ بن قَبِيصةَ الشَّيْبَانِىّ ، وكانت عند الوَلِيد بن عبد الملك فطلقها ، فتزوجها العريان ، وكان ابنُ نوفل له هَجَّاء ، فقال :

أَعُرْيَانُ مَا يَدْرِى امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ !

فَإِنْ قُلْتُمُ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا ... لَبِيضُ الْوُجُوهِ غَيْرُ جِدِّ جِعَادِ

وَأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا ... وُجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ

فَإِنْ قُلْتُمُ الحَىُّ اليَمَانُون أَصْلُنَا ... وَنَاصِرُنَا فِى كُلِّ يَوْمِ جِلَادِ

فَأَطْوِلْ بِأَيْرٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوَةٍ ... نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادِ

لَعَمْرُ بَنِى شَيْبَانَ إِذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبَادِ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادِ

أَبَعْدَ الوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خِلَافَ جَوَادِ

وَأَنْكَحَهَا لَا فِى كِفَاءٍ وَلَا غِنًى ... زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْىَ زِيَاد

ثقيفٌ عمُّنا وَأَبُو أَبِينا وَإِخْوَتُنا نِزَارُ أُولوا السَّدَادِ

قوله : « وأنتم صغار الهام حُدْلٌ » ، فالأَحْدَلُ المائلُ العُنُقِ ، يقال

قوسٌ حَدْلاءُ إذا اعوَجَّتْ سِيَتُها ، قال الراجز :

لَمَا (١) مَتَاعٌ وَلَهَاةٌ فَارِضُ حَدْلَاءُ كالزِقِّ نحاهُ الماخِضُ

وأما قوله : « زيادِ » يافتى ، فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد

فراغنا من تفسير هذا الشعر

وقوله : « لَقدْ مَا قَصَّرُوا » . فما زائدة ، مثل قوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ

أُغْرِقُوا ﴾ (٢) ولو قال : لَقِدَمًا قَصَّرُوا لم يكن جيدا ، ودخل الوَليد فى الذم .

وقوله : « كَنزية عَيْرًا خلافَ جَوَاد » يقول : بعد جواد ، قال الله

عز وجل : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وقوله : « لا فى كِفاءِ » يقال : هو كُفْؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِفاؤُكَ ، إذا

كان عَديلَكَ فى شرف أو ما أشبهه ، كما قال الفَرَزْدَقُ :

* وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت :

* بنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مِسمع : بيت بكر بن وائل ، والحَبِطات هم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ،

---

(١) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية « لها » والصواب « له » ، لأنه يعنى الفحل من الإبل ؛ لأن الشقشقة لا تكون للأنثى ، قاله ش » .

(٢) سورة نوح ٢٥ .

(٣) سورة التوبة ٨١ .

[المغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان بن المنذر]

وقد كان المُغيرةُ بن شُعْبَةَ ، وهو والى الكوفةِ ، سار إلى دَيْرِ هِنْدٍ بنت النُّعمان بن المُنْذِرِ ، وهى فيه عَمْياءُ مُتَرَهِّبَةٌ ، فاستأذن عليها ، فقيل لها : أميرُ هذه المَدَرَةِ بالباب ، فقالت : قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيْهَمِ أنت ؟ قال : لا ، قالت : أَفَمِنْ وَلَدِ المُنْذِرِ بن ماء السماء ؟ قال : لا ، قالت : فَمَنْ أنتَ ؟ قال : المُغيرةُ بن شُعْبَةَ الثَّقَفِىّ ، قالت : فما حاجتك ؟ قال : جِئتكِ خاطبًا ، قالت : لو كنتَ جئتني لِجمال أو لمـال لأَطْلَبْتُكَ ، ولكنك أردتَ أن تَتَشَرَّفَ بى فى مَحافِلِ العرب ، فتقول : نكحتُ ابنةَ النُّعْمانِ بن المنذر ، وإلاّ فأَىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وعَمْياءَ ! فبَعَثَ إليها : كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأَخْتَصِرُ لك الجواب . . . أمسينا مَساءً ، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا هو يَرْغَبُ إلينا ويَرْهَبُنَا ، ثم أصبحنا وليس فى الأرض عربىّ إلا ونحن نرغب إليه ونَرْهَبُهُ ، قال : فما كان أبوكِ يقول فى ثقيف ؟ قالت : اختصم إليه رجلانِ منهم ، أحدهما يَنْمِيهَا إلى إياد ، والآخر إلى بَكْرِ بن هَوَازن فقضَى بها للإيادِىّ ، وقال :

إنَّ ثَقِيفًا لَمْ تَكن هوازِنا ... وَلَمْ تُناسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ وَمَازِنَ بن منصور ، فقال المغيرةُ : أما نحن فمن بكر بن هَوَازن ، فَلْيَقُل أبوكِ ما شاء !

[فى رثاء الأشتر]

وقالت أختُ الأشْتَرِ ، وهو مالك بن الحارث النَّخَعِىُّ تُبَكِّيهِ ، وهذا الشعر رواه أبو اليقظان ، وكان متعصبا :

أَبَعْدَ الأشْتَرِ النَّخَعِىِّ نَرْجُو ... مُكاثَرَةً وَنَقْطَعُ بَطْنَ وَادِ !

وَنَصْحَبُ مَذْحِجًا بإِخاءِ صِدْقٍ ... وَإِنْ نُنْسَبْ فَنَحْنُ ذرا إيَادِ

لالتقاء الساكنين . مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة ، تقول للمرأة : أنتِ فعَلْتِ . فالكسر علامة التأنيث . وكذلك إنكِ ذاهبةٌ ، وضربْتُكِ يا امرأةُ ، فما لا يكون إلا معرفة مكسوراً ما كان اسماً للفعل نحو نزَالِ يا فتى . ومعناه انزِلْ ، وكذلك ترَاكِ زيداً أى اتركه . فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . وهما مؤنثان معرفتان . يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرنا . قال الشاعر تصديقاً لذلك :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا ... دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعْرِ

فقال : « دعيتْ » لما ذكرته لك من التأنيث . وقال الآخر ، وهو زَيْدُ الخَيْلِ :

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلَامَةُ أَنَّ سَيْفِى ... كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر :

تَرَاكِهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِهَا ... أَمَا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا

أى اتْرُكْها . وقال آخر[1] :

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر[2] :

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبُهُ نَظَارِ *

فهذا باب من الأربعة .

ومنها أن يكون صفة غالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم ، نحو قولهم للضَّبُعِ : جَعَارِ

---

(١) زيادات ر : « هو رؤبة » .

(٢) زيادات ر : « هو أبو النجم » .

وإنما قال هذا الفَرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خَطَبَ امرأة من بنى دارِم بن مالك ، فأجابه رجلٌ من الحبطات :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدارِمٍ   بَلَى وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتِ

عَبَّاد ، يعنى بنى هاشم ، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1] وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : لَأَمْنَعَنَّ النساءَ إلا من الأَكْفاء ، وتَحَدَّثَ أصحابُنا عن الأصمعى عن إسحاق بن عيسى . قال : قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيدِ أو المهدِىّ : يا أمير المؤمنين ، مَنْ أكفاؤُنا ؟ قال : أعداؤنا ، يَعنى بنى أُمَيَّةَ ، وزِيادٌ الذى ذَكَرَ كان أخاها .

هذا تفسير ما كان من المؤنث على « فَعَالِ » مكسورَ الآخر .

وهو على أربعة أضرب ، والأصل واحد .

قال أبو العباس : اعلم أنه لا يُبْنَى شىء من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدولٌ عن جهته ، وهو فى المؤنث بمنزلة فُعَل ، نحو عُمَرَ وقُثَمَ فى المذكر ، وفُعَلٌ معدول فى حال المعرفة عن فاعِل ، وكان فاعِل ينصرف ، فلما عُدِل عنه فُعَلُ لم ينصرف ، وفَعَال معدول عن فاعِلَة ، وفاعِلَةُ لا ينصرف فى المعرفة فعُدِل إلى البناء ، لأنه ليس بعد مالا ينصرف إلا المبنىُّ ، وبنى على الكسر لأن فى فاعِلَةَ علامةَ التأنيث ، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردت به الأمر ما كنا كالمجزوم من الفِعْلِ الذى هو فى معناه ، فكَسَرتَهُ

(١) سورة الإخلاص ٤ .

ما ذكرت ، لأنه معدول فى الأصل وسُمِّىَ به ، فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذى كان قبله ، فلم يغيِّروه ، فعلى ذلك قالوا :

* اسقِ رَقَاشِ إنها سقَّاية *

وقال آخر :

إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ۞ فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وينشدون :

* وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءِ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع ، والصحيح « فقد أَقْفَرَتْ سَلْمَى شَرَاء » ، لأن قبله :

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلَالِ جَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر للنَّمِر بن تَوْلَب .

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فَسَمَّوْا به صرفوه فى النكرة ، ولم يصرفوه فى المعرفة ، وسيبويه يختار هذا القول ، ولا يَرُدُّ القولَ الآخر ، فيقول : هذه رَقَاشُ قد جاءتْ ، وهذه غلابٌ قد جاءتْ ، وهذه غلابٌ أخرى ، ولا اختلاف بين العرب فى صرفه إذا كان نكرة ، وفى إعرابه فى المعرفة ، وصرفه فى النكرة إذا كان اسماً لمذكر ، نحو رجل تسميه نَزَالِ أو رَقاشِ أو حَلاقِ ، فهو بمنزلة رجل سميته بعَناق أو أَتانٍ ، لأن التأنيث قد ذهب عنه ، فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئاً بالفعل الذى هو مأخوذ منه لأعربته ، نحو أُنْزِلْ واضْرِبْ ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مجرى إصبَعٍ وَأَحْمَدَ وَإِثْمِدٍ ، ونحو ذلك ، فهذا يحيط بجميع هذا الباب .

يافتى ، وللمنية حَلاقِ يافتى ، لأنها حالقة ، والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله :

لَحِقَتْ حَلاَقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسائِهِمْ ضَرْبَ الرِّقَابِ وَلا يُهِمُّ الْمَغْنَمُ[1]

وتقول فى النداء يافَساقِ وياخَباثِ ويالَكاعِ ، تريد يافاسقةُ وياخبيثةُ ويالُكعاء ، لأنه فى النداء فى موضع معرفةٍ كما تقول للرجل : يافُسَقُ ويا خُبَثُ ، ويا لُكَعُ[2] ، فهذا باب ثان .

ومن ذلك مَا عُدِلَ عن المصدر نحو قوله[3] يَذُمُّ الْخَمْرَ :

جَمَادِ لَهَا جَمَادِ وَلاَ تَقُولِى طَوَالَ الدَّهْرِ مَاذُكِرَتْ حَمَادِ

وقال النابغة الذبيانىُّ :

إنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَجارِ[4]

يريد قُولى لها جُموداً ، ولا تقولى لها حَمْدًا هذا المعنى ، ولكنه عُدِلَ مؤنثاً وهذا باب ثالث .

والباب الرابع أَنْ تُسَمِّىَ امرأةً ، أو شيئاً مؤنثاً باسم تَصُوغُهُ على هذ المثال ، نحو رَقَاشِ وحَذامِ وقَطَامِ ومَا أشبهه ، فهذا مؤنث معدول عن راقشةَ وحاذِمَةَ وقاطمةَ ، إذا سميتَ به ، وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس

---

(١) الأكساء : المتأخرون .

(٢) زيادات ر : « حكى ابن السراج عن أبى عبيدة : فرس لكع للمذكر ، ولكعة للمؤنث

(٣) زيادات ر : « هو المتلمس يذم الخمر » .

(٤) زيادات ر : « برة : اسم علم لجميع البر ، وفجار لجميع الفجور لابن جنى ، تخصيصه برة بفعلت ، وفجار بافتعلت ؟ مثل قوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ، فكسب للخير واكتسب للشر .

[لرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه]

ولما زَوَّجَ إبراهيم بن النعمان بن بَشِيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبي حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألفَ درهم قال قائل يُعَيِّرُه :

لَعَمْرِى لَقَدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خِزْيَةً ‏ ‏ ‏ وَخَالَفْتَ فِعْلَ الأَكْثَرِينَ الأَكَارِمِ

وَلَوْ كَانَ جَدَّاكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا ‏ ‏ ‏ بِبَدْرٍ لَمَا رَامَا صَنِيعَ الأَلَائِمِ

فقال إبراهيم بن النُعْمانِ يَرُدُّ عليه :

مَا تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ ‏ ‏ ‏ مَقَالًا فَلَا تَحْفِلْ مَلَامَةَ لَائِمِ

وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَقَدْ مَضَتْ ‏ ‏ ‏ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِى وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

[القلاخ بن حزن يخاطب يحيى بن أبي حفصة ورد يحيى عليه]

وَتزوَّجَ يحيى بن أبي حفصة وهُو جَدُّ مَروانَ الشاعرِ، ويزعم النَّسَّابون أن أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان ، وكان يحيى من أجود الناس ، وكان ذا يَسار . فتزوج خَوْلة بنت مُقاتِلِ بن طَلَبَةَ[1] بن قيس بن عاصم سيدِ الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، ومَهَرَها خِرَقًا ، ففى ذلك يقول القُلاخ ابن حزْنٍ :

لَمْ أَرَ أَثْوَابًا أَجَرَّ لِخِزْيَةٍ ‏ ‏ ‏ وَأَلْأَمَ مَكْسُوًّا وَأَلْأَمَ كَاسِيَا

مِنَ الخِرَقِ اللَّاتِى صُبِبْنَ عَلَيْكُمُ ‏ ‏ ‏ بِحَجْرٍ فَكُنَّ المُبْقِيَاتِ البَوَالِيَا

فقال يحيى بن أبي حَفْصَةَ يُجيبه

تَجَاوَزْتُ حَزْنًا رَغْبَةً عَن بَنَاتِهِ ‏ ‏ ‏ وَأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

---

(١) زيادات ر : « الرواية المشهورة بإسكان اللام ، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام » .

[لامرأة من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيء]

قال أبو العباس ، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صَعْصَعَة زُوِّجَتْ فى طَيِّءٍ .

لا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أُخْتٌ أَخَا لَهَا ... وَلَا تَرْثِيَنَّ الدَّهْرَ بِنْتٌ لِوَالِدِ

هُمُ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ ... وَهُمْ طَرَحُوهَا فِي الأَقَاصِي الأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إنما النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُر امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته . وعلى هذا جاءت اللغة ، فقالوا كنا فى إِمْلاكِ[1] فلان ، وفى مِلاكِ فلان ، وفى مَلْكِ فلان ، وفى مَلَكَةِ فلان ، وفى مِلْكَانِ فلان ، ويقول الرجل : مَلَكْتُ المرأةَ وَأَمْلَكَنِيهَا وَلِيُّها ، ومن ذلك أَنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُوصيكُمْ بالنساء فإنهن عندكم عوانٍ » أى أسيراتٌ ، ويقال: عَنِيَ فلانٌ فى بَنِي فلان إذا أقام فيهم أسيرا ، ويقال: فلان يَفُكُّ العُناةَ ، وأصل التعنية التذليل ، وأصل الإسارِ الوثاقُ ، ويقال للقَتَب مأسور إذا شُدَّ بالقِدِّ ، هذا أصل هذا . فأما المَثَلُ فى قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَمِلٌ ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القِدِّ ، فكانت تَقْمَلُ .

[لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء]

وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجَتْ من غير كُفْءٍ :

لَقَدْ فَرِحَ الوَاشُونَ أَنْ نَالَ ثَعْلَبٌ ... شَبِيهَةَ ظَبْيٍ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا

أَضَرَّ بِهَا فَقْدُ الوَلِيِّ فَأَصْبَحَتْ ... بِكَفِّ لَئِيمِ الوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا

---

(١) الإملاك : مصدر أملك ، وهو التزويج .

[للفرزدق فى عطية أبي جرير]

قال الفرزدق يعنى عطيَّةَ أبا جَرير :

قَرَنْبى يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ لَئيمٍ مَآثِرُه قُعْدُدِ (١)

وفى هذا الشعر يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِي دَارِمٍ زُرَارَةُ مِنَّا أَبُو مَعْبَدِ

وَمِنَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ

أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ (٢) وَأَصْحَابِ أَلْوِيَةِ الْمِرْبَدِ

أَلَسْنا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ تُسَامِي وَتَفْخَرُ فى الْمَشْهَدِ (٣)

وَناجِيَةُ الْخَيْرِ وَالأَقْرَعَانِ وَقَبْرٌ بِكَاظِمَةَ الْمَوْرِدِ (٤)

إِذَا مَا أَتَى قَبْرَه عَائِذٌ أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالأَسْعُدِ (٥)

أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِي دارِمٍ عَطِيَّةُ كَالْجُعَلِ الأَسْوَدِ (٦)

وَمَجْدُ بَنِي دَارِمٍ دُونَهُ مَكَانُ السِّمَاكَيْنِ وَالفَرْقَدِ (٧)

قوله :

* ألم تر أنا بني دارم *

---

(١) زيادات ر : « ألف قرنبي ألف إلحاق وليست للتأنيث . والقعدد . اللئيم ؛ وجمعه قعادد » .

(٢) زيادات ر : « النسار : جبل تألفه النسور كثيراً ؛ فلذلك سمى بهذا الاسم » .

(٣) رغبة الآمل : بعده :

وقد مد حولى من المالكين أواذى ذو حدب مزبد

إلى هادرات صعاب الرءوس قساور للقسور الأصيد

(٤) كاظمة : موضع على سيف البحرين .

(٥) الأسعد : جمع سعد ؛ وبعده :

فذاك أبي وأبوه الذى لمقعده حرم المسجد

(٦) الجعل : دويبة سوداء تسكون على المواضع الندية .

(٧) زيادات ر : « الرفع فى مكان أقوى ؛ وهو الوجه الجيد فى العربية » .

يقال ذلك للسابق إذا تقدَّم تقدُّمًا بيِّنًا فبلغ الغاية ، فمن شأنه أن يثنى عِنانه فينظر إلى الخيل ، وقال الشاعر :

فَمَنْ يَفْخَرْ بِمِثْلِ أَبِي وَجَدِّي   يَجِئْ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهْوَ ثَانِي

يريد ثانى عنانِه ، وقال القُلاخ فى هذه القصة :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا   لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا   فِي فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ

لِلّٰهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا   بَرْذَنْتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ[(١)]

* * *

وقال جرير يُعيِّرُهم :

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى   فُرُوجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ الْمَوَالِي

لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدٍ[(٢)]   مِنَ الصُّهْبِ الْمُشَوَّهَةِ السِّبَالِ

فَلَا تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا   خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ الْبَوَالِي

* * *

وقال آخر فى مثل هذه القصة :

أَلَا يَاعِبَادَ اللّٰهِ قَلْبِي مُتَيَّمٌ   بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلَا

يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ   دَبِيبَ الْقَرَنْبَى بَاتَ يَقْرُو[(٣)] نَقَاسَهْلَا

القَرَنْبى : دُوَيْبَّة على هيئة الخنفس مُنَقَّطَة الظَّهْر ، وربما كان فى ظهرها نقطة حمراء ، وفى قوائمها طول على الخنفس ، وهى ضعيفة المشى

---

(١) برذنتها : جعلتها من البراذين .

(٢) يريد أنه عريق فى العبودية .

(٣) يقرو : يتبع .

وكان حاجب يُكْنَى أبا عِكْرِشَةَ ، وكان أحلمَ قومه ، وفى ذى الرقيبة يقول الشاعرُ [1] :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْقَائِلِينَ وَفِعْلَهُمْ فَلِذِى الرُّقَيْبَةِ مَالِكٍ فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفَةٌ وَمُخْلِفَةٌ وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفَدِىَ حاجبٌ ، وقُتِل فى ذلك اليوم لقيطٌ ، وأُسِر عمرو بن عمرو ابن عُدَس ، فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق ، لأن الفرزدق من بنى مُجَاشع بن دارمٍ ، وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ، ولجرير فى قَيْسٍ خُؤولة .

[للفرزدق يهجو جريراً وجواب جرير عليه]

فلما هجا الفرزدقُ قيسًا فى أمر قُتَيْبةَ بن مُسْلِم الباهلى ، قال :

أَتَانِى وَأَهْلِى بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ لآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ
كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ [2]
وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلاقِمِ
أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ نَقَلْنَا دِمَاغَهُ إِلَى الشَّامِ فَوقَ الشَّاحِجَاتِ الرَّوَاسِمِ
تَذَبْذَبُ فِى الْمِخْلاَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا مُحَذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ [3]
وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا وَلاَ مِنْ تَمِيمٍ فِى الرُّؤُوسِ الأَعَاظِمِ

---

(١) زيادات ر : « هو المسيب بن علس ، واسمه زهير ، ويكنى أبا الفضة » .
(٢) الأمائم كما فى زيادات ر : « حجارة تشدخ بها الرءوس ، الواحدة أميمة » .
(٣) المخلاة فى الأصل : ما يوضع فيها الخلى ؛ وهو الحشيش الرطب ، أراد بها ها هنا الخرج .

منصوب على الاختصاص ، وقد مضى تفسيره .

وَزُرارَةُ الذى ذَكَرَ ، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارِمٍ ، وكان زرارةُ يُكْنى أبا مَعْبَدٍ ، وكان له بنونَ : مَعْبَدٌ ، وَلقيطٌ ، وَحاجِبٌ وعَلْقَمَةُ ، والمأموم .

ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ ، ومنهم شَيْبانُ بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبانَ النَسّابَةُ ، وكان حاجِبٌ أذْكَرَ القوم [1] .

ورَوَوْا أن عبد المَلِكِ ذَكَرَ يوما بني دارم فقال أحدُ جُلسائه يا أمير المؤمنين ! هؤلاء قوم محظوظون : فقال عبدُ الملك : أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة وَلم يُخَلِّف عَقِباً ! والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً

وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَة ، وَأُسِرَ حاجِبٌ ففُودِىَ ، فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عُكاظىٌّ أغْلَى فِدَاءً من حَاجب ، وكان أسره زَهْدَمُ [2] العَبْسىُّ ، فَلَحِقهُ ذو الرُّقَيْبة القُشَيْرِىُّ ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعْصَعَة ، فأخذه ذُو الرُّقَيْبَةِ بعِزَّةٍ ، وأنه فى مَحَلِّ قومِهِ فقال حَاجب : لَمَّا تنازعني الرجلان خِفتُ أن أُقتَلَ بينهما ، فقلت : حَكِّمانى فى نفسى ، ففعلا فحكمتُ بسلاحى وركابى لزَهْدَمٍ ، وبنفسى لذى الرُّقَيْبَةِ ،

---

(١) أذكر القوم : أشهرهم .

(٢) زيادات ر : « أخو كردم » .

وإنما أخذ ذلك من النَّقَل وهى الحجارةُ الصغارُ — فإذا أَوْضَحَتْ عن العظم فهى المُوضِحةُ ، فإذا خرقت العظم وبلغتْ أُمَّ الدِّماغ وهى جُلَيْدَةٌ قد أَلْبست الدماغَ فهى الآمَّة ، وبعض العرب يسميها المأمومةَ ، واشتقاقُ ذلك إفضاؤُها إلى أمّ الدماغ ولا غاية بعْدها ، قال الشاعر :

يَحُجُّ مَأْمُومَــــةً فِى قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطبيبِ قذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ[1]

وقال ابن غَلْفاءَ الْهُجَيْمِىُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِق فى هِجائه بنى تميم :

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَـــنِى تَمِيمٍ ... كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

هُمُ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى[2] ... رأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

وَهُمْ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَـــتَّى ... بَدَتْ أُمُّ الشُّؤونَ مِنَ الْعِظَامِ[3]

إِذَا يَأْسُـــونَها جَشَأَتْ إِلَيْهِمْ[4] ... شَرَنْبَثَةُ الْقَــوَائِمِ أُمُّ هَامِ[5]

وابن خازم هو عبد الله بن خازمٍ السُّلَمِىُّ ، وهو أحد غِرْبانِ العرب فى الإسلام ، وكان من أَشْجَعِ الناس ، وقتله بنو تميم بخُراسان ، وكان الذى وَلِىَ قتله منهم وَكِيعُ بن الدَّوْرَقِيَّةِ الْقُرَيْعِىُّ . وقوله : فوق الشاحجات « يعنى البغال . وَالرَّسِيمُ : ضربٌ من السير ، وإنما عنى هاهنا بغالَ البَرِيد لقوله :

* مُحَذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

---

(١) مأمومة : مشجوجة .

(٢) الحبارى : اسم طائر .

(٣) أم الشئون : يريد بها الرأس .

(٤) جشأت : نهضت .

(٥) زيادات ر : « يريد غليظ القوائم »

تخوّفنا أيام قيس ولم تدع ... لعيلان أنفاً مستقيم الخياشم
لقد شهدت قيس فما كان نصرها ... قتيبة إلا عضها بالأباهم (١)

وقال جرير يجيبه :

أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم ... ولا أن تروعوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوّف الفرزدق :

تحضض يا ابن القين قيساً ليجعلوا ... لقومك يوماً مثل يوم الأراقم (٢)
كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً ... وعمرو بن عمرو إذ دعوا يال دارم
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدات قيس يوم دير الجماجم
فيوم الصفا كنتم عبيداً لعامر ... وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم
إذا عدت الأيام أخزين دارماً ... وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

* * *

أما قول الفرزدق :

كأن رؤوس الناس إذ سمعوا بها ... مشدخة هاماتها بالأمائم

فإن الشجاج مختلفة الأحكام . فإذا كانت الشجة شقيقاً يدمى فهى الدامية ، وإذا أخذت من اللحم شيئاً فهى الباضعة ، وإذا أمعنت فى اللحم فهى المتلاحمة ، فإذا هشمت العظم فهى الهاشمة ، وإذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق ، من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثرب الشاة من الشحم إلا سماحيق ، أى طرائق ، فإذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة —

---

(١) الأباهم : جمع الإبهام .
(٢) الأراقم ، يريد يوماً كان لقيس على تغلب ابنة وائل ؟ والأراقم هم بطون تغلب .

لا نزيدُ على المائتين ، فتطمعَ فينا ذؤبانُ العرب . فقال معبد : يا أخى ، افدِنى بمالى فإنى ميّتٌ . فأبى لقيطٌ ، وأبى معبد أن يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُون فاه ، وَيصبّون فيه الطعام والشراب لِئلا يَهلِكَ فيذهبَ فداؤه ؛ فلم يزل كذلك حتى مات ، فقال جَرير يعيّر الفرزدق وقومه بذلك :

تَرَكْتُمْ بِوَادِى رَحرَحانَ نِساءَكمْ ... وَيَومَ الصَّفَا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا

سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَوْا يَالَ عَامِرٍ ... فَكُنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنَفَّرَا

وَأَسْلَمْتِ الْقَلْحَاءُ فِى الْغُلِّ مَعْبَدًا ... وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا

قوله :

* سمعتمْ بنى مجد دعَوْا يال عامرٍ *

يعنى مَجْدَ بنت النَّضْر بن كنانةَ وَلَدتْ رَبيعةَ بن عامر بن صعصعة ، وَوَلَدُهُ بنو كلاب وبنو كَعبٍ وبنو عامر بن ربيعة . والقلْحَاء لقب ، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ تَضْرِبُ إلى السواد ، ويقال لها الحِبَرَة لشدة تأثيرها . أنشدنى المازنى :

لَسْتُ بِسَعْدِيٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ ... وَلَسْتُ بِعَبْدِيٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمْرُ

* * *

وزعم أبو الحسن الأخفش [1] ، أن العرب تقول فى هذا المعنى : « فى أسنانه حِبِرَة » ، وليس ذلك بمعروف ، ولم يأت اسم على « فِعِل » إلاّ إبِلٌ وَإطِل [2] .

* * *

(١) زيادات ر : « سعيد بن مسعدة » .

(٢) زيادات ر : « وامرأة بلز ؛ أى ضخمة ، قاله ابن قتيبة . أما إبل فكما ذكر ، وأما « إطل » فليس كما ذكر ؛ وإطل [بالكسر] أصله إطل [بالسكون] ؛ ثم حركت الطاء اتباعاً لحركة الهمزة ؛ كما قالوا فى الجلد [بالسكون] : الجلد [بالكسر] ؛ قال سيبويه : ليس فى الأسماء والصفات فعل [بالكسر] إلا إبل » .

كما قال أمرؤ القيس :

على كل مقصوص الذنابى معاود   بريد السرى بالليل من خيل بربرا (١)

وكانت برد ملوك العرب فى الجاهلية الخيل .

وأما قول جرير : « الجونين » فقد مضى ذكرهما ، ويوم « دير الجماجم » يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى ، وقوله :

* وبالحنو اصبحتم عبيد اللهازم *

فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة ، وبنو ذهل بن ثعلبة ، وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وبنو مازن ابن صعب بن على ، ثم تلهزمت حنفة تيم فصارت معهم . وأما علقمة ابن زرارة فإنه قتلته بنو ضبيعة تيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسى ، فقال حاجب فى ذلك :

فإن تقتلوا منا كريما فإننا   أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها   ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لأشيم : مأوى الصعاليك ، وضبيعة أضجم الذى ذكر هو ضبيعة بن ربيعة بن نزار رهط المتلمس . هذا لقبهم .

وأما معبد بن زرارة فإن قيسا أسرته يوم رحرحان ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لقيط فى بعض الأشهر الحرم ليفديه ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط : إن أبانا أمرنا أن

(١) الذنابي : الذنب ؛ وبربر : قبيلة ؛ وكان من علامة خيلها حذف أذنابها .

[إغارة النعمان بن المنذر على تميم]

وذكر أبو عبيدة مَعْمر بن المثنَّى أن تميما مَنعت النُّعمانَ الإتاوةِ ، وهي الأديانُ ، فوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنذِرِ ، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ . إحداها الوَضائِعُ — وهم قوم من الفُرْسِ كان كسْرَى يَضَعُهمْ عنده عُدَّةً ومَدَدًا ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لَخْمٍ ، فإذا كان فى رأس الحوْل رَدَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَثَ بمثلهم . وكتيبةٌ يقال لها الشَّهباء — وهى أهل بيت الملك ، وكانوا بيضَ الوجوه ، يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ . وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائعُ — وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائلٍ . وكتيبةٌ رابعةٌ يُقال لها الرهائنُ ، وهم قوم كان يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم . والخامسة دَوْسَرُ — وهى كتيبة ثقيلة تجمعُ فُرْسانًا وشُجعانًا من كل قبيلة . فأغزاهم أخاه[1] ، وجُلُّ من معه بكْرُ بن وائل ، فاستاقَ النَّعَم وسَبَى الذَّرارِيَّ ، وفى ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكُرِيُّ :

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمانِ مُقْبِلَةً ... قالُوا ألاَ لَيْتَ أدْنَى دارِنا عَدَنُ

يا لَيْتَ أُمَّ تَمِيمٍ لمْ تَكُنْ عَرَفَتْ ... مُرًّا وكانَتْ كَمَنْ أوْدَى بِهِ الزَّمَنُ

إنْ تَقْتُلُونا فأعْيارٌ مُجَدَّعَةٌ ... أوْ تُنْعِمُوا فقديمًا منكمُ المِنَنُ[2]

مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وعَتَّابٌ ومُحْتَضَرٌ ... وابْنا لَقِيطٍ وأوْدَى فى الوَغَى قَطَنُ

ويقول النعمان فى جواب هذا :

لِلّهِ بَكْرٌ غَداةَ الرَّوْعِ لَوْ بِهِمُ ... أرْمِى ذُرا حَضَنٍ زالَتْ بِهِمْ حَضَنُ[3]

إذْ لا أرَى أحَدًا فى النَّاسِ أشْبَهَهُمْ ... إلاَّ فَوارِسَ خامَتْ عَنْهُمُ اليَمَنُ[4]

---

(١) أى أعطاهم إياه يغزو بهم .

(٢) أعيار : جمع عير ؛ وهو الحمار . ومجدعة : مقطعة الآذان .

(٣) حضن : جبل فى أعالى نجد .

(٤) خامت : جبنت .

وقوله :

* ولاَقَى لَقيط حتفه فتَقطَّرَا *

يقال : قَطَّرَهُ لجنبيه وقَتَّرَهُ ، لغتان ، لأن التاء من مخرج الطاء ، فإن رَمَى به على قفاه قيل : سَلَقَهُ وسَلْقَاهُ وبَطَحَهُ لوجهه ، فإن رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَه

* * *

رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول :

أما قوله :

* ومنا الذى منع الوائدات *

فإنه يعنى جدَّه صعصعة بن ناجية بن عِقال ، وكانت العرب فى الجاهلية تَئِد البنات ، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرّ ، ثم استفاض فى جيرانهم ، فهذا قول واحد . وقال قوم آخرون : بل كان فى تميم وقيسٍ وأسَدٍ وهُذَيْلٍ وبكرِ بن وائلٍ ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ ، وَاجْعَلْها عليهم سِنِين كسِنِي يوسُفَ » . وقال بعض الرواة : اشدد وَطْدَتَكَ ، والمعنى قريب يرجع إلى الثِّقل ، فأَجْدَبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدمِ فكانوا يسمونه العِلْهِزَ ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال : ﴿ وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ ﴾[1] وقال : ﴿ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ ﴾[2] . فهذا خبرٌ بَيِّنٌ أن ذلك للحاجة ، وقد رَوَى بعضهم أنهم إنما فعلوا ذلك أَنَفَةً .

---

(١) سورة الإسراء ٣١ .
(٢) سورة الممتحنة ١٢ .

قال : وهل تبيعُ العربُ أولادها ؟ ، قال : قلتُ : إنما أشترى منك حَياتَها ، ولا أشترى رِقّها ، قال : فبِكَمْ ؟ قلتُ : احتَكِمْ ، قال : بالناقتين والجمل ، قال : قلت : ذاك لك ، عَلَى أن يُبَلِّغنى الجملُ وإيَّاها . قال : ففعل ، فآمنتُ بك يا رسول الله ، وقد صارتْ لى سُنَّةً فى العرب ، عَلَى أن أشترى كل موءودة بناقتين عُشَرَاوَيْنِ وجمل ، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْءودة قد أنقذتُها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفعُكَ ذلك ، لأنك لم تَبْتَغِ به وجه الله ، وإن تَعمَلْ فى إسلامِك عملا صالحاً تُثَبْ عليه » .

وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ وإذا المَوْءودةُ سَأَلَتْ . بأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[1] .

وقال أهل المعرفة فى قول الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ إنما تُسأَل تبكيتاً لمن فَعَلَ ذلك بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ياعيسى ابنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[2]

وقوله : « وُئِدَتْ » ، إنما هو أُثقِلَتْ بالتُّراب ، يقال للرجل : اتَّئِدْ أى تَثَبَّتْ وتَثَقَّلْ ، كما يقال : تَوَقَّرْ ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمةَ[3] :

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا

[* أم صَرَفاناً بارِداً شَدِيداً[4] *]

وقوله : « أضلتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ » أضللتُ ، ضَلَّتا منى ، وتحقيقه : صادفتهما ضالَّتَيْنِ ، كما قال[5] :

---

(١) سورة التكوير ٨ ، ٩ . (٢) سورة المائدة ١١٦

(٣) زيادات ر : « هذا وهم من أبي العباس ، وإنما هو للزباء » .

(٤) الصرفان : ضرب من التمر .

(٥) زيادات ر : « لرجل من قضاعة ، يقال له مالك بن عمرو » وقبله :

فلا وَجْدُ ثَكلى كما وجدتُ ولاَ وَجْدُ عجولٍ أضلها رُبَعُ

وهذا خبر طويل ، فوَفَدَتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقيا ، فقال :

مَا كَانَ ضَرَّ تميماً لَوْ تَغَمَّدَهَا مِنْ فَضْلنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلاَنِ

فأناب القومُ وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباها رُدَّت إليه ، وإن اختارت صاحبها تُرِكَتْ عليه . فكلُّهن اختارت أباها ، إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَج ، فَنَذَرَ قيس ألّا تُولَد له ابنةٌ إلا قَتَلَها . فهذا شيء يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد ، ويقول : فعلناه أَنَفَةً ، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أَنزل اللهُ تعالى فى القرآن .

وقال ابن عباس رحمهُ الله فى تأويل هذه الآية : وكانوا لا يوَلِّدون ، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمْح ومَنَع الحريم — يريد الذكْرانَ .

[وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله]

وروت الرواة : أن صعصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، قال : يا رسول الله ، إنى كنتُ أَعْمَلُ عملا فى الجاهلية أفينفعُنى ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أَضْلَلْتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ . فركبتُ جَمَلاً ، ومضيت فى بُغائهما[1] ، فَرُفِع لى بيتٌ حريدٌ . فقصدته ، فإذا شيخ جالس بفِناء الدار ، فسألته عن الناقتين . فقال : ما نارُهما ؟ قلتُ : مِيسَمُ بنى دارم . فقال : هما عندى وقد أحيا الله بهما قوماً من أهلك ، من مُضَرَ . فجلستُ معه ليُخْرَجا إلىَّ . فإذا عجوز قد خرجَتْ من كِسْرِ البيت ، فقال لها : ما وَضَعَتْ ؟ فإن كان سَقْباً[2] شارَكَنا فى أموالنا وإن كانت حائلا وأدْناها . فقالت العجوز : وَضَعَتْ أنثى ! فقلتُ : أتبيعها ؟

---

(١) البغاء : الطلب .

(٢) السقب : الذكر من ولد الناقة .

أثبانها ، ولو كان غالبُ بن صعصعةَ ما ضرَّها . ففتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ وتَرَّ المال ، وبلغ الخبرُ زيادًا فطلبه ، فهرب الفرزدق ، وله فى هربه حديثٌ طويل ، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة ، نذكره بعد هذا إن شاء الله .

[جماعة استجاروا بقبر غالب]

فمن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جَعْفَرِ بن كلاب ، خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيَها ويَسُبَّها ، فعاذت بقبر أبيه ، فلم يذكرْ لها اسماً ولا نسباً ، ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب :

عجوزٌ تُصَلِّى الخَمْسَ عاذت بِغالبٍ ❊ فَلاَ وَالَّذِى عَاذَتْ بِهِ لاَ أَضِيرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما وَلَّى تَميمَ بن زيد القَيْنِيَّ السِّنْدَ ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء ، فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت : إنى استجرت بقبر أبيك . وأتت منه بحصياتٍ ، فقال لها : وما شأنك ! فقالت : إن تميم بن زيد خَرَجَ بابنٍ لى معه ولا قُرَّةَ لعينى ولا كاسِبَ لى غيره ، فقال لها : وما اسمُ ابنك ؟ فقالت : خُنَيْسٌ ، فكتب إلى تميم بن زيد مع مَنْ شَخَصَ :

تَمِيمُ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِى ❊ بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عَلَىَّ جَوَابُهَا
وَهَبْ لِى خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مِنَّةً ❊ لِعَبْرَةِ أُمٍّ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا
أَتَتْنِى فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ ❊ وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِى عَلَيْهَا تُرَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ ❊ وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِهَابُهَا

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ   حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

والعُشَرَاء : الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر ، وإنما حمْلُ الناقة سنة .

وقوله : « ما نارها » ؟ يريد ما وَسْمُهما ؟ كما قال :

قَدْ سُقِيَتْ آبَالُهُمْ بالنَّارِ   وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِي مِنَ الأُوَارِ

أي عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعوا الماء .

وقوله : « فإذا بيت حَرِيدٌ » يقول : مُتَنَحٍّ عن الناس ، وهذا من قولهم : انْحَرَدَ الجمل ، إذا تَنَحَّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها ، ويقال في غير هذا الموضع : « حَرَدَ حَرْدَهُ » أي قَصَدَ قَصْدَهُ ، قال الراجز :

قَدْ جاءَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ   يَحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغِلَّهْ

وقالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[1] : أي على قصد كما ذكرنا .

وقالوا : هو أيضاً « على مَنْعٍ » ، من قولهم : حارَدَت الناقة إذا مَنَعَتْ لبنها ، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطرَها ، والبعير الأحرد : هو الذي يضرب بيده ، وأصله الامتناع من المشي . وأما قوله :

وَقَبْرٍ بِكَاظِمَةِ الْمَوْرِدِ
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ خَائِفٌ   أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعُدِ

فإنه يعني قبر أبيه غالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجيةَ ، وكان الفرزدق يُجير مَن استجار بقبر أبيه ، وكان أبوه جوادًا شريفاً . ودخل الفرزدق البصرة في إمرة زيادٍ ، فباع إبلا كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها ، فقال له رجل : إنك لَتَصُرُّ

---

(١) سورة القلم ٢٥ .

فإنه نصب غالباً لأنه استثناء مقدم ، وإنما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك ، وذلك أن حق الاستثناء إذا كان الفعلُ مشغولا به أن يكون جارِيا عليه . لا يكون فيه إلا هذا . تقول : ما جاءنى إلا عبدُ الله ، وما رأيت إلا عبدَ الله ، وما مررت إلا بعبدِ الله . فإن كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجَباً ، لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ ، نحو جاءنى إخوَتُكَ إلا زيدا . كما قال تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾[1] ، وَنَصَبُ هذا على معنى الفعل ، و « إلا » دليلٌ على ذلك .

فإذا قلت : جاءنى القوم ، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم ، فإذا قال : إلا زيدا ، فالمعنى لا أَعْنِي فيهم زيداً ، أو أستثنى ممن ذكرت زيداً . ولسيبويه فيه تمثيل ، والذى ذكرت أَبْيَنُ منه ، وهو مُتَرْجَمٌ عما قال ، غيرُ مناقِضٍ له . وإن كان الأول منفيًّا جاز البدل والنصب ، والبدل أحسن ، لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزَل الموجود بدليل ، وذلك قولك : ما أتانى أحد إلا زيدٌ ، وما مررتُ بأحد إلا زيدٍ . والفصل بين المنفى والموجَب ، أن المبدل من الشئ يُفَرَّغُ له الفعل ، فأنت فى المنفى إذا قلت : ما جاءنى أحدٌ إلا زيدٌ ، إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير : ما جاءنى إلا زيدٌ . لأنه بدل من أحد ، والموجَبُ لا يكون فيه البدل ، لأنك إذا قلت : جاءنى إخوتك إلا زيداً ، لم يجز حذف الأول ، لا تقول : جاءنى إلا زيد ، وإن شئت أن تقول فى النفى : ما جاءنى أحد إلا زيداً جاز ، ونصبهُ بالاستثناء الذى شرحتُ لك فى الواجب . والقراءةُ الجيدةُ ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾[2] ، وقد قرئ ﴿ إلا قليلاً منهم ﴾ ، على ما شرحتُ لك فى الواجب ، والقراءةُ الأولى .

---

(١) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٢) سورة النساء ٦٦ .

فلما ورد الكتابُ على تميم ، تَشَكَّكَ فى الاسم فقال : أُحُبَيْشٌ ؟ أم خُنَيْسٌ ؟ قال ثم : انظروا مَنْ له مثلُ هذا الاسم فى عسكرنا ؟ فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْش وَخنَيْس فوَجَّهَ بهم إليه .

ومنهم مُكاتَبٌ لبنى مِنقر ، ظَلَعَ بمكاتبته[1] ، فأتى قبرَ غالب فاستجار به ، وأخذ منه حَصَيَاتٍ فشَدَّهُنَّ فى عِمامته ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبَرَه ، وقال : إنى قد قلت شعراً ، فقال : هاته ، فقال

بِقَبْرِ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ عُذْتُ بَعْدَمَا ‏ ‏ خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ

بِقَبرِ امْرِئٍ تَقْرِى[2] المِئينَ عِظَامُهُ ‏ ‏ وَلَمْ يَكُ إِلاَّ غَالِباً مَيِّتٌ يَقْرِى

فَقَالَ لِىَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إِنَّمَا ‏ ‏ فَكَاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالمِصْرِ

فقال له الفرزدق : ما اسْمُكَ ؟ قال : لَهْذَمٌ ، قال : يا لَهْذَمُ ، حُكْمُكَ مُسَمَّطاً ، قال : ناقةٌ كَوْماء سوداء الحدقة ، قال : ياجارية ، اطْرَحِى إلينا حبلا ، ثم قال : يا لَهْذَمُ اخرج بنا إلى المِرْبَدِ ، فألْقِه فى عُنُقِ ما شئت . فتخير العبدُ على عينه ، ثم رمى بالحبل فى عنق ناقةٍ وجاء صاحبها ، فقال له الفرزدق : اغْدُ علىَّ فى ثمنها ، فجعل لَهْذَمٌ يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بها من البيوت إلى الصحراء ، صاح به الفرزدقُ : يا لَهْذَمُ ، قَبَحَ الله أخسرنا !

[قوله : « تقرى المئين عظامه » يريد أنهم كانوا ينحرون الإبل عند قبور عظمائهم ، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات ، وهذا معروف فى أشعارهم]

وقوله :

* ولم يك إلا غالبا ميتٌ يقرى

---

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به .

(٢) من القرى بالكسر : وهو إكرام الضيف .

قد خَنَقَ الحَوْضُ وقَالَ قَطْنِي   سَلاً رُوَيْداً قد مَلأْتَ بَطْنِي

ولَمْ يكن كلامٌ . إنما وُجِدَ ذلك فيه . وكذلك قوله :

فقال لِيَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إنما   فكاكُكَ أنْ تَلْقَى الفَرَزْدَقَ بالمصْرِ

أي : قد جُرِّبَ مثل هذا منكَ في المستجيرِ بقبره .

[لهو النعمان بن المنذر]

وحدثني العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ في إسنادٍ قد ذَهَبَ عني أكثرُه ، قال : نزل النُّعْمانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَدِيُّ بن زيد في ظلِّ شجرةٍ مُونِقَةٍ ، ليَلْهُوَ النُّعمانُ هناك . فقال له عديُّ بن زيد : أَيُّها الملكُ . أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتدرِي ما تقولُ هذه الشجرة ؟ قال : وما الذي تقول ؟ قال : تقول[1] :

[مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ   أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالْ
وصُرُوفُ الدهرِ لا يَبْقَى لها   ولِمَا تأتي به صُمُّ الجبالْ]
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حَوْلَنَا   يَمْزُجُونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
[والأباريقُ عليها فُدُمٌ[2]   وجيادُ الخيل تَرْدِي في الجِلالْ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حسَنٍ   قَطَعُوا دَهْرَهُمْ غيرَ عِجَالْ]
ثم أضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بهم   وكذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالْ

قال : فتَنَغَّصَ النعمان .

وهذا في الأمثالِ كثيرٌ . وفي الأشعار السائرة .

---

(١) كل ما كان بين المربعين من زيادات ر .

(٢) الفدم : جمع فدام ، وهو ما يوضع على فم الابريق لتصفيته عند الشرب .

فإذا قدّمتَ المستثنى بطلَ البدل ، لأنه ليس قبله شيء يُبْدَل منه ، فلم يكن فيه إلاّ وجهُ الاستثناء . فتقول : ما جاءنى إلاّ أباك أحدٌ . وما مررت إلاّ أباك بأحدٍ . وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار . قال كعبُ بنُ مالك الأنصاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

الناسُ ألْبٌ علينا فيكَ ليس لنا . إلاَّ السُّيوفَ وأطْرافَ القَنا وَزَرُ[(1)]

وقال الكُمَيْتُ بن زيد :

فمالِىَ إلاّ آلَ أحْمَدَ شيعةٌ ومالِىَ إلاّ مَشْعَبَ الحق مَشْعَبُ

لا يكون إلاّ هذا ، وليونس قول مرغوب عنه ، فلذلك لم نذكره .

وقوله : « فقال لى استَقْدِمْ أمامَكَ » مُخْبِرٌ عن الميِّت بالقول ، فإن العرب وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دليلٍ قولاً ، فمن ذلك قول زُهَيْر :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وإنما كلامُها عنده أن تُبَيِّنَ بما يُرَى من الآثارِ فيها ، من قِدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِمْ .

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال : هَلاَّ وقفتَ على المَعاهد والجِنانِ ، فقلتَ : أيتها الجِنانُ ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثمارَكِ ؟ فإنها إن لم تُجِبْكَ حِواراً[(2)] أجابَتْكَ اعتباراً !

وأهلُ النظر يقولون فى قول الله عزوجل : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[(3)] — إنه لم يكنْ كلامٌ ، إنما فعلَ عزَّ وجل ما أراد فوُجد ، قال الراجزُ :

---

(1) ألب : متجمعون ، ووزر : ملجأ .

(2) الحوار : الجواب .

(3) سورة فصلت ١١ .

بابٌ

[أبو رافع مولى الرسول عليه السلام]

قال أبو العباس : قال الليثيُّ[1] : أعتقَ سعيدُ بن العاصي أبا رافعٍ إلاّ سهمًا واحدًا فيه ، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا ، فاشترى رسولُ صلى الله عليه وسلم ذلك السهمَ فأعتقه . وكان لأبى رافعٍ بَنُونَ أشرافٌ ، منهم عُبيد الله بنُ رافع ، وحديثه أثبتُ الحديثِ عن علىّ بن أبى طالب ، وكان كالكاتب له . وكان عُبيدُ الله بنُ أبى رافعٍ شريفًا ، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وَلِىَ عمرُو بنُ سعيدٍ الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئًا قبل إرساله إلى عُبيد الله بن أبى رافعٍ ، فقال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال له : مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأبْرَزَه فضربَه مائةَ سوطٍ ، ثم قال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال : مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضربه مائةً أخرى . فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ ، وأن عمراً قد ألَحَّ عليه فى ضربه ، قام إلى عمرٍو فقال له : اذكر المِلْحَ ، فأمسك عنه .

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ ، يريدُ الرَّضاعَ ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيُّ :

وإنّى لأَرْجُو مِلْحَها فى بُطونكمْ ... وما بَسَطَتْ مِن جِلْدِ أَشْعَثَ أغبَرَا[2]

* * *

---

(1) زيادات ر : « هو الجاحظ » .

(2) الخبر فى الإصابة ٧ : ٦٤ « كان أبو رافع عبدا لسعيد بن العاصى ؛ فاعتق كل مَن بنيه نصيبه منه إلا خالد بن سعيد ، فإنه وهب نصيبه للنبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله .

وأما قولهُ « حُكْمُكَ مُسَمَّطاً » فإعرابُه أنه أرادَ : لك حُكْمُكَ مُسَمَّطاً ، واسْتُعْمِلَ هذا فكثر ، حتى حُذِفَ استخفافاً ، لعلم السامع بما يُرِيدُ القائلُ ، كقولك : « الهلالُ واللهِ » أى : هذا الهلالُ ، وأَغْنَى عن قوله : « هذا » — القصدُ والاشارةُ .

وكان يقالُ لِرُؤْبَة : كيفَ أصبحتَ ؟ فيقول : خَيْرٍ عافاكَ اللهُ . فلم يُضْمِرْ حرفَ الخفضِ ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستعمال . والمُسَمَّط : المرسلُ غيرُ المردودِ[1] . والكَوْمَاء : العظيمة السَّنَامِ .

---

(١) المردود : النافذ حكمه .

كان التُّراثُ لِجَدِّنا مِن دُونه فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإِسلامِ

حقُّ البناتِ فريضةٌ معروفةٌ والعَمُّ أَوْلَى من بنى الأعمام

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عنْ ابن الماجِشُون قال : جاءنى رجل من وَلَدِ أبى رافعٍ ، فقال : إنى قد قاوَلْتُ رجلا من مَوَالِى بعضِ العربِ ، فقلتُ : أنا خيرٌ منكَ ، فقال : بل أنا خير منكَ ، فما الذى يَجِبُ لى عليه ؟ فقلتُ : ليس فى هذا شىء ، فقال : أنا مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويَزْعُمُ أنه خير منى ! قال : قلتُ : قد يَتصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ ، قال : فلما رآنى لا أَقْضِى له بشىء قال لى : أنت دافعٌ مَغْرَمًا[1] لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِىٍّ ؟ قالِ — وصَدَقَ — : فى بنى تَميمٍ لِتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاَءً مِنِّى .

[أسامة بن زيد يقاول عمرو بن عثمان]

وحُدِّثْتُ أن أسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمان فى أمر ضَيْعَة يدعيها كلُّ واحدٍ منهما ، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ ، فقال عمرو : يا أسامةُ ، أَتأْنَفُ ان تكونَ مولاىَ ! فقال أسامة : والله ما يَسُرُّنى بِوَلائى مِن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم نَسَبُكَ ! ثم ارتفعا إلى مُعاويه ، فَلَجَّا بين يديه فى الخصومة ، فتقدم سعيدُ بن العاصى إلى جانب عمرو ، فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ ، فتقدم الحسنُ إلى جانب أسامة يلقّنه ، فَوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ ، فصار مع عمرو ، ووثب الحسينُ فصار مع أسامة ، فقام عبد الرحمن بنُ أُمِّ الحَكَمِ ، فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة ، فقام الوليدُ بن عُقْبَةَ فجلس مع

(١) مغرما : حقا يتقاضاه .

[كذا وقعت الرواية ، والصوابُ « أغبَر » لأنّ قبلَه :

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيوعِ لَسَرَّها بمكةَ أن تبتاعَ حَمْضًا بإذْخِرِ [1]

قاله ش]

* * *

وكما قال الآخر [2] :

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العبا دِ والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ

ويروى أن عُبيد الله بن أبي رافع أتى الحسنَ بنَ عليّ بن أبي طالبٍ فقال : أنا مولاك ، فقال في ذلك مَوْلًى لِتَمّام بن عبد المطَّلِب ، يَعْذُلُه ويُعَيِّره :

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهِمُ فما كُنْتَ في الدَّعْوَى كريمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ يَحُوز ويُدْعَى والداً في المَنَاسِبِ !

يُريدُ أنّ العباسَ أَوْلَى بولاء مَوْلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لأنّ العمَّ مَدْعُوٌّ والداً في كتاب الله تعالى ، وهو يَحُوزُ الميراثَ .

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ : أنشَدْتُ مَرْوانَ بنَ أبي حَفْصَةَ هذين البيتين ، فوقع عندي أنه من هذا أخَذَ قولَه :

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبَنِي البنَاتِ وِراثةُ الأعمامِ

ألْغَى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لَهُمْ أن يَشْرَعُوا فيه بغيرِ سِهامِ

وقال طاهرُ بن عليّ بن سليمانَ بن عليّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين :

لو كانَ جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا فتنازَعَا فيها لوقْتِ خِصامِ

---

(١) الإذخر : حشيش طيب الريح واحدته إذخرة

(٢) نقل المرصفي عن ابن الأعرابي أنه الحارث بن عمرو الفزاري ، وعن المفضل، هو شتيم ابن خويلد الفزاري .

عن موضع الفصاحةِ والآدابِ ، ويَخْلِطَهُمْ بأهل القرى والأنْباطِ ، فقال : إنما الموالى عُلوج ، وإنما أُتِىَ بهم من القُرَى ، فقُراهُم أولَى بهم . فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرَارِ العرب بها ، وأمر أن يُنْقَشَ على يَدِ كلِّ إنسانٍ منهم اسمُ قريَتِه . وطالتْ وِلايته ، فتوَالَدَ القومُ هنالك ، فخبُثَتْ لُغاتُ أولادِهم ، وفسدتْ طَبائِعهم . فلمَّا قام سليمانُ بن عبد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحجّاج من المظلومين ، فيقال إنه أخرج فى يومٍ واحدٍ ثمانين ألفاً ، وردَّ المنقوشين ، فرَجَعوا فى صورة الأنْباط ، ففى ذلك يقولُ الراجز :

جَارِيَةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبِلْ أخرجها الحجَّاجُ من كِنٍّ وظِلّْ
لو كَانَ بَدْرٌ حاضِراً وابنُ حَمَلْ ما نُقِشَتْ كَفَّاكِ فى جِلدِ جَمَلْ

* * *

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لمَّا اسْتُقْضِىَ عليها نُوحُ بن دَرَّاجٍ[١] :

يا أَيها الناسُ قد قامَتْ قيامَتُكمْ إذْ صَارَ قاضِيكُمْ نوحُ بن دَرَّاجِ
لو كَانَ حيًّا له الحجَّاجُ ما سَلِمَتْ كَفَّاهُ ناجيةً من نَقْشِ حَجَّاجِ

ويُرْوَى عن حسَّانَ ، المعروفِ بالنَّبَطِىِّ ـ صاحبِ مَنارة حَسَّانَ فى البَطيحة[٢] ـ قال : أُرِيتُ الحجَّاجَ فيما يرى النائم ، فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ! ما صَنَعَ اللهُ بكَ ؟ فقال : يا نبطىُّ ، أهذا عليك ! قال : فرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِنْ نَقْشِهِ فى الحياةِ ، ومِنْ شَتْمِهِ بعدَ الوفاة !

---

(١) زيادات ر : « ينسب للفرزدق » ، وقال المرصفى : هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة عشرة ومائة ، ومات نوح بن دراج وهو قاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة » .

(٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

عمرو ، فقام عبدُ الله بن جعفر فجلس مع أُسامةَ ، فقال معاوية : الجليّةَ عندى ، حَضَرْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطَعَ هذه الضَّيْعةَ أسامةَ . فانصرف الهاشميون ، وقد قُضِىَ لهم . فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ : هلاّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ ، أو أخَّرتَها عن هذا المجلس ! فتكلم بكلامٍ يدفعه بعضُ الناس .

[الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير]

وكان الذى اعتَدَّ به الحجّاجُ بن يوسفَ على سعيد بن جُبَيْر لَمّا أُتِىَ به إليه بعدَ انقضاءِ أمرِ ابنِ الأشْعث ، وكان سعيدٌ عبداً لرجلٍ من بنى أسَدِ ابْن خُزَيمةَ ، فاشتراه سعيدُ بن العاصِى فى مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً ، فقال له الحجّاجُ : يا شقِىَّ بنَ كُسَيْرٍ ، أما قَدِمتَ الكوفةَ ، وليس يؤُمُّ بها إلاّ عَرَبىٌّ فجعلتُك إماماً ! قال : بلى ، قال : أفَما وَلَّيْتُكَ القَضاءَ فَضَجَّ أهلُ الكوفة وقالوا : لا يصْلُحُ القضاء إلاّ لعربىّ ، فاستقضيتُ أبا بُرْدَةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ وأمَرْتُه ألا يقطعَ أمراً دُونَكَ ! قال : بلى ، قال : أوَما جعلتُك فى سُمّارى وكلُّهم من رُءوس العرب ! قال : بلى ، قال : أوَ ما أعطيتك مائةَ ألف درهمٍ لتفرِّقَها فى أهل الحاجة ، ثم لم أسألْكَ عن شىء منها ! قال : بَلَى ، قال : فما أخْرَجَكَ علىَّ ؟ قال : بَيْعةٌ كانت لابن الأشعثِ فى عُنُقى . فغَضِب الحَجّاجُ ، ثم قال : أفَما كانتْ بيعةُ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ فى عُنُقِكَ قَبْلُ ؟! والله لأقتُلَنَّكَ ، يا حرَسِىُّ ، اضرِبْ عُنُقَه . ونظر الحَجّاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرجَ مع عبد الرحمن ، من الفقهاء وغيرهم ، من الموالِى ، فأحَبَّ أن يُزيلَهم

[هرب العديل من الحجاج]

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العِجْليُّ هارِباً منَ الحجّاج ، فجعلَ لا يَحُلُّ ببلدة إلاَّ رِيعَ لأَثَرٍ يراهُ من آثارِ الحجّاج فيَهْرُب ، حتى أَبْعَدَ ، ففي ذلك يقول العَدَيْل :

يُخَشّونَنِى الحجَّاجَ حتى كأَنَّما يُحَرِّكُ عَظْمٌ فى الفؤادِ مَهِيضُ (١)

ودُونَ يَدِ الحجَّاجِ من أَنْ تَنَالَنى بَسَاطٌ لِأَيْدِى اليَعمَلاتِ عَرِيضُ (٢)

فلم يَنشَبْ أن أُتِيَ به الحجَّاج ، ففى ذلك يقولُ العُدَيْل :

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أَجا وشِعابها لكانَ لِحَجَّاجٍ علىَّ دليلُ

بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حتَّى كأَنَّما أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أَجا وسلْمَى : جَبَلاَ طَيِّئٍ ، و « أَجَأْ » مهموز ، وإنما هو « أجا » مقصورٌ ، فاعلم ، قال زَيْدُ الخَيْلِ :

جَلَبْنَا الخيلَ مِنْ أَجَإٍ وسلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعاً خَبَبَ الذِّئابِ (٣)

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها ، إن كانت الهمزةُ مكسورة جعلَها ياءً ، أو ساكنةً جعلها على حركةِ ما قَبلَها ، وإن كانت مفتوحةً وقَبْلها فتحةٌ جعلها ألِفاً ، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً ، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واواً ، قال الفرزدق :

---

(١) يخشونى : يخوفونى .

(٢) البساط : الأرض العريضة .

(٣) نزائع : واحدتها نزيعة ؛ وهى التى تشتاق إلى أوطانها .

ويُروى عن حسانَ أنه قصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين ، فقال له ابنُ سيرين : لقد رأيتَ الحجَّاجَ بالصِّحة .

[حديث الجحاف والأخطل]

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ أن الجحَّاف بنَ حكيم دخل على عبد الملك ، والأخطَلُ عندَه ، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال :

أَلَا أَبْلغِ الجحَّافَ هل هُوَ ثائرٌ ... بقتلَى أُصِيبتْ من سُلَيمٍ وعامِرِ !

فقال الجحَّاف :

بَلَى سَوْفَ نَبْكيهِمْ بكُلِّ مُهَنَّدٍ ... وَنَبْكِى عُمَيراً بالرِّماحِ الخَوَاطِرِ

ثم قال : يا بْنَ النَّصرانيَّة ، ما ظَنَنْتُكَ تجترِئُ علىَّ بمثل هذا ولو كنتُ مأسوراً لك ! فَحُمَّ الأخطلُ خوفاً ، فقال له عبدُ الملك : أنا جارُكَ منه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْكَ أَجَرْتَنِى منه فى اليقظةِ ، فَمَنْ يُجيرُنى منه فى النَّوم !

ومِن هذا أو نحوِه أخذَ السَّلَمِىُّ قوله :

[قال أبو الحسن : هو أشْجَعُ السُّلَمِىُّ يقوله للرشيد] :

وعلى عَدُوِّكَ يا بنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ

فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا ... سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

[كانوا كَتارِكَةٍ بَنِيها جانِباً سَفَهاً وغيرَهُم تَصُونُ وتُرْضِعُ](١)

وأما قول حسانَ :

* سالَتْ هذيلٌ رسول الله فاحشة *

فَلَيس من لغته « سِلْتُ أَسَال » مثل : « خِفْتُ أخافُ »، و « هُما يَتَساوَلاَنِ » ، هذا من لُغةِ غيرِه ، وكانت هُذَيلٌ سالَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحِلَّ لها الزِّنَا .

[مفاخرة بن أسدى وهذلى]

ويُرْوَى أن أَسديًّا وهُذَليًّا تفاخَرا ، فرَضِيَا برجلٍ ، فقال : إنى ما أَقْضِى بينكما إلاَّ أنْ تجعلا لِى عَقْدًا وثيقاً ألاّ تضرِبا ولا تَشْتِما ، فإنِّى لستُ فى بلادِ قومِى ، ففعلاَ . فقال : يا أخا بَنِى أسدٍ ، كيف تُفاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليس حَىٌّ أحبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف ، ولا أقلَّ تحتَ الراياتِ منكم ! وأمّا أنتَ ياأخا هُذَيْلٍ ، فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ : كان منكم دَليلُ الحبشةِ على الكعبةِ ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النِّحْيَيْنِ ، وسألْتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحلَّ لكم الزِّنا ! ولكن إذا أَرَدْتُما بيتَىْ مُضَرَ ، فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تميم وقَيْس ، قومًا فى نميرٍ حفظِ الله !

وأمّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حَسّانَ فإنه يقوله لعبد الرحمن بن الحكم ابن أبى العاصِ — وكان يُهاجيهِ ، فقال له فى كلمته :

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

رَاحتْ بمَسْلمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً   فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وقال حسَّانُ بن ثابت :.

سَالَتْ هُذَيلٌ رسولَ اللهِ فاحشةً   ضَلَّتْ هُذَيلٌ بماسَالَتْ ولمْ تُصِبِ!

وقال عبد الرحمن بنْ حسَّان :

وكنتَ أَذلَّ من وَتَدٍ بِقَاعٍ   يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِي

[قول الفرزدق فى عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق]

وأما قولُ الفرزدق ، فإنه يقول لَمَّا عُزِلَ مَسْلَمَةُ بنُ عبد المَلكِ عن العِراق بعد قتله يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبِه وَوَلِيَ عُمَرُ بن هُبيرَةَ :

راحَتْ بمَسْلَمَةَ البِغَالُ عشيةً   فَارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ   أَنْ سوفَ تَطْمَعُ فى الإمارةِ أَشْجَعُ

فأَرَى الأُمورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها   حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارةَ تَنْزِعُ [1]

عُزِلَ ابنُ عمرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ   وأَخُو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

ففى جواب هذا يقول الأَسَدِى [2] لَمَّا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ :

بَكَتِ المنابرُ من فَزَارةَ شَجْوَها   فالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

وَملوكُ خِنْدِفَ أَسْلَمُونَا لِلعِدَا   للهِ دَرُّ مُلوكِنَا مَا تَصْنَعُ !

---

(١) زيادات ر : « تنزع » ، رواية عاصم ، فمن روى «تنزع» بضم التاء يعنى « تعزل » ، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس ؛ وهو الرمى ، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها ، وأنها ترمى عن قوسها » .

(٢) نسبه المرصفى إلى إسماعيل بن عمار .

[محمد بن عبد الله النميرى والحجاج]

وممن هَرَبَ من الحجاج مُحمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ ، وكان يُشَبِّبُ بزينبَ بِنْت يوسفَ ، أختِ الحجاج ، وهو القائل فيها :

تَضَوَّعَ مِسْكا بطنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَتْ به زينبٌ فى نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ
يُخَبِّئْنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فى كلمةٍ له ، فلمّا أُتِىَ به الحجاجُ قال :

هاكَ يَدِى ضاقَتْ بِىَ الأرض رُحْبَهَا وإنْ كُنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكانِ
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِهاَ[1] لَخِلْتُكَ إلاّ أَنْ تَصُدَّ تَرانِى

* * *

[مَن رَفَعَ « رُحْبُها » فعلى البدل ، ومن نَصَبَ فعلى الظرف ، قاله ش .
و « أسومها » بفتح الهمزة وبالضم ، والفتح أحسن ، ش] .

* * *

ثم قال : والله أَيُّها الأميرُ ، إنْ قلتُ إلاّ خيراً ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أَطرافَ البنَانَ من التُّقَى وَيَخْرُجْنَ شَطرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فعفا عنه ، ثم قال له : أخبرنى عن قولك :

لَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أَعْرَضَتْ وكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

ما كنتم ؟ قال : كنتُ على حمارٍ هَزِيل ، ومعى صاحبٌ لى على أتان مثله .

---

(١) أسوم : اسم جبل .

وأمّا قولكَ الخلفاءُ مِنَّا ... فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِدَاجِ [1]

ولولا هُمْ لكنتَ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوَى فى مُظْلِمِ الغَمَراتِ داجى

وكنتَ أذلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بالفِهْرِ واجِى [2]

وكان أحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سوَّارُ بن المُضَرَّبِ [3] فى ذلك يقول :

أَقاتِلِيَ الحَجَّاجُ إنْ لم أَزُرْ لَهُ ... دَرَابِ وأَتْرُكْ عندَ هِنْدٍ فُؤَادِيا [4]

فإن كَانَ لا يُرضيكَ [5] حتى تَرُدَّنِى ... إلى قَطَرِىٍّ مَا إخَالُكَ راضِيا

إذَا جَاوَزَتْ دربَ المُجيزِينَ ناقَتِى ... فَبِاسْتِ أبِى الحجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا [6]

أيَرْجو بنو مَرْوَانَ سَمْعِى وطاعتِى ... وقَوْمى تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا

« وورائى » هاهنا بمعنى : أمامى . قال الله عزّ وجل : ﴿ وإنّى خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائى ﴾ [7] ، وقال جل ثناؤه : ﴿ وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [8] .

---

(١) وداج : مصدر ودجه ، أى قطع ودجه . والودج : أحد الودجين ، وهما عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها .

(٢) الفهر : الحجر ملء الكف ، واجى : أصله واجىء ؛ من الوجء ؛ وهو الضرب والدق .

(٣) زيادات ر : « بفتح الراء » .

(٤) دراب ، قال المرصفى : «يريد دارابجرد ، فاقتصر على أحد الجزأين ؛ وهى كورة بفارس» .

(٥) زيادات ر : فاعل « يرضيك » مضمر أو منوى ، تقديره : فإن كان لا يرضيك الإرضاء ، ولا يجوز أن يكون ما بعد «يرضيك» الفاعل ، لأن سيبويه رحمه الله قال : الفاعل لا يكون جملة ، و«حتى تردني» جملة ، قاله ابن الأبرش » .

(٦) درب المجيزين هو باب السكة ، والمجيزون : هم المقيمون بأبواب الثغور يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز .

(٧) سورة مريم ٥

(٨) سورة الكهف ٧٩ .

يقولُ : خُبزُ المُعلِّمينَ يأتى مختلفاً ، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلفِى الأحوال .

وأنشَدَ أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحرٍ الجاحظ :

أَمَا رَأَيْتَ بني بَحْرٍ وقد حفلوا كَأَنَّهُم خُبْزُ بَقَّالٍ وكُتَّابِ

هذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِدٌ يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ[1]

وفى لَقَبِهِ يقولُ آخرُ من أهل الطائف :

كَلِيبٌ تَمَكَّنَ فى أَرْضِكم وقد كان فينا صَغِيرَ الخطرْ

ولما دخل الحجاجُ مكةَ اعتذَر إلى أهلها لقلة ما وصلهم به ، فقال قائلٌ منهم : إذَنْ واللهِ لا نَعْذِرُكَ وأنتَ أميرُ العِرَاقَيْنِ وابنُ عَظيم القَرْيَتَيْنِ ! وذلك أنّ عُرْوَةَ بنَ مسعود وَلَدَهُ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ . وتأويلُ قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2] مجازُهُ فى العربية : « على رجل من رجلين من القريتين عظيمٍ » ، والقريتانِ : مكةُ والطائفُ . والرجلان : عُرْوَةُ بنُ مسعود ، والآخرُ الوَليدُ بن المُغيرةِ ابن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخزوم .

ويُرْوَى أن أبا بكر الصديق رحمه الله مَرَّ بقبره ومعه خالد ، فقال : أصبَحَ جَمْرَةً فى النار ، فأجابه خالد فى ذلك بجواب غيرِ مَرْضِىّ .

---

(١) الحنبل : القصير الضخم . والجحد : ضائق العيش .

(٢) سورة الزخرف ٣١ .

[مالك بن الريب والحجاج]

ومن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنيُّ ، أحَدُ بني مَازِنِ بن مالك ابن عمرو بن تميمٍ ، وفي ذلك يقول :

إنْ تُنْصِفونا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا ببِعَادِ

فإنَّ لَنَا عنكم مَزَاحاً ومَزْحَلا بِعِيسٍ إلى ريحِ الفَلاَة صَوَادِ (١)

فَفِي الأرض عن دارِ المَذَلَّةِ مَذهَبٌ وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبِلادِي

* * *

كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء ، والأصحُّ « أَوْطَنْتَ » بفتح الهمزة وفتح الطاء ، قاله ش .

* * *

فماذا تُرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إذا نحنُ جاوزنا حَفِيرَ زِيَادِ (٢)

فلولاَ بَنُو مَرْوَانَ كان ابنُ يوسفٍ كما كانَ عبداً من عَبِيدِ إيَادِ

زَمانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِي

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف ، وكان لقبهُ « كُلَيْباً » ، وفي ذلك يقولُ القائل :

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زمانَ الهُزَالِ وتَعْلِيمَهُ سُورَةَ الكَوْثَرِ

رَغِيفٌ له فلْكَةٌ ما تُرَى وآخَرُ كالقَمَرِ الأزْهَرِ (٣)

---

(١) مزاحا ، مصدر ميمي من زاح إذا بعد ، ومزحلا ، مصدر ميمي من زحل ؛ إذا تنحى وتباعد . العيس : الإبل البيض . والصوادى : العطاش .

(٢) حفير زياد : نهر احتفره زياد على خمس ليال من البصرة .

(٣) الفلكة : مستدار كل شيء .

وقال : مَنْ يقول شعراً يُسليني به ؟ فقال الفرزدق :

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها فُقْدانُ مِثْلِ محمدٍ ومحمدِ
مَلِكانِ قد خلتِ المَنابِرُ منهما أخذَ الحِمامُ عليهما بالمَرْصَدِ

فقال : لو زِدْتني ! فقال الفرزدق :

إنِّي لباكٍ على ابْنَيْ يوسُفٍ جزَعاً ومِثْلُ فَقْدِهما للدِّينِ يُبْكِيني
ما سَدَّ حَيٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهُما إلا الخلائفَ مِنْ بَعْدِ النَّبيِّينِ

فقال له : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً ، إنما زِدْتَ في حُزْني ، فقال الفرزدق :

لَئِنْ جَزِعَ الحجّاجُ مَا مِنْ مُصيبةٍ تَكونُ لمحزونٍ أَجَلَّ وَأَوْجَعَا
مِن المصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارهم جَنَاحَيْهِ لَمَّا فارقاهُ فوَدَّعَا
أخٌ كان أَغْنَى أَيْمَنَ الأرضِ كُلَّهُ وأَغْنَى ابْنُهُ أهلَ العراقَيْنِ أَجْمَعَا
جَناحَا عُقابٍ فَارَقَاهُ كِلاهُما ولو نُزِعَا مِن غيره لَتَضَعْضَعَا

فقال : الآنَ .

أمّا قولُهُ : « إلا الخلائفَ من بعد النبيينِ » نخفضَ هذه النون ، وهي نون الجمع ، وإنما فَعَل ذلك لأنه جَعَلَ الإعْرابَ فيها لا فيما قبلَها ، وجعلَ هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو أفْلُسٍ ، ومَساجِدَ ، وكلاب ، فإن إعراب هذا كإعرابِ الواحِدِ ، وإنما جاز ذلك لأن الجمعَ يكون على أبْنِيَةٍ شَتَّى ، وإنما يُلحَق منه بِمِنْهاجِ التثنيةِ ما كان على حدّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه ، وإلاَّ فلاَ ، فإنَّ الجمعَ كالواحدِ ، لاختلاف معانيه ، كما تختلفُ معاني الواحِدِ ،

[مقتل عروة بن مسعود]

وأما عُرْوَةَ بن مسعود فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثَه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، فرَقِيَ سطحَهُ ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله ، فلما وَجَّهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العباسَ بن عبد المُطَّلِب رحمه الله إلى أهل مكة أبطأَ عليه ، فقال : « رُدُّوا علىَّ أَبى . أَمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثقيفُ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّهَا عليهم ناراً » .

يقال : رَقِيتُ السطحَ وما كان مثلَهُ أرقاه ، مثلُ خَشِيتهُ أَخْشَاهُ ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ تَرْقَى فى السَّماء ﴾ (١) ، ويقال : رَقَيْتُ اللَّدِيغَ أَرْقيه ، مثلُ رَمَيْتُهُ أرميه . ويقال : ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع ، مهموزٌ « تَرْقَأُ » يا فتى ، مثلُ « قَرَأْتَ تَقْرَأُ » يا فتى .

[فى موت ابن الحجاج وأخيه]

وكان الحجاجُ رأى فى منامه أن عَيْنَيْهِ قُلِعَتا ، فطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ : هنداً بنتَ الْمُهَلَّبِ ، وهنداً بنتَ أسماءَ بْنِ خَارِجَةَ ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نعِيُّ أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ ، فقال : هذا والله تأويلُ رؤيايَ ، ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحدٍ !

حَسْبِى بقَاءُ اللهِ من كلِّ مَيِّتٍ ... وحَسْبِى رَجاءُ اللهِ مِن كلِّ هالكِ

إذا كان ربُّ العرشِ عَنِّىَ رَاضِياً ... فإنّ شفاءَ النفسِ فيما هُنَالِكِ (٢)

---

(١) سورة الإسراء ٩٣ .

(٢) زيادات ر : « ويروى : فإن سرور النفس » .

وفى القرآن ما يُصَدِّق ذلك قولُ الله عزّ وجل : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيينَ . وما أَدْرَاكَ مَاعِلِّيُونَ ﴾[1] ، فمن قال : « هذه قِنَّسْرُونَ وَيَبْرُونَ » ، فَنَسَبَ إلى واحد منهما رجلا أو شيئاً قال : « هذا رجل قِنَّسْرِيٌّ وَيَبْرِيٌّ » ، بحذف النون والواوَ ، لمجيء حَرْفَيِ النَّسَب ، ولو أَثْبَتَهُمَا لكان فى الاسم رَفعَانِ ونَصبانِ وجَرَّانِ ؛ لأن الياءَ مرفوعةٌ ، والواوَ علامةُ الرفع . ومن قال : « قِنَّسْرِين » كما ترى قال فى النَّسَب : « قِنَّسْرِينِيٌّ » لأنَّ الإعراب فى حرف النَّسَب ، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لحقه النَّسَبُ .

وأما قوله : « ونَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ » ، فمعناه : فَهَّمني وعَرَّفَنِى ؛ كما يقال : حَنَّكَتْهُ التَّجارب ، والناجذُ : آخِرِ الأضراس ، من ذلك قولهم : ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه . والشؤونُ : جمعُ « شَأْنٍ » مهموزٌ ، وهو الأمْر .

وقال المفسِّرونَ من أهلِ الفقه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ : هو غُسَالة أهلِ النار ، وقال النحويُّون : هو « فِعْلِينٌ » من الغُسالة .

[كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين]

ويروَى أنَّ عُمَرَ بنَ عبد العزيز خرج يوماً فقال : الوَليدُ بالشَّام ، والحَجَّاجُ بالعراق ، وقُرَّة بنُ شريكٍ بمصر ، وعثمانُ بن حَيَّانَ بالحجاز ، ومحمدُ بنُ يوسفَ باليمن ! امتلأتِ الأرْضُ واللهِ جَوْراً !

---

(١) سورة المطففين ١٨ ، ١٩ .

والتثنيةُ ليستْ كذلك ، لأنها ضَرْبٌ واحدٌ ، ولا يكونُ اثنانِ أكثرَ من اثنين عدداً ، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع ، فمما جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سِنِين ، فاعْلَمْ ، وهذه عِشْرِين ، فاعلم ، قال العَدْوَانِيُّ :

إنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُحافَظَةٍ وابنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أَبِيِّينِ
وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائةٍ فأَجمعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونِى

وقال سُحَيمُ بن وَثيل :

وماذَا يَدرِى الشُّعَرَاء مِنِّى وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعِينِ !
أَخو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى ونَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ

وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[1] .

فإن قال قائل : فإن « غِسْليناً » واحدٌ ، فإنه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد فاعزابه كإعرابِ الجمع ، أَلاَ تَرَى أنَّ « عِشْرِينَ » ليس لها واحدٌ من لفظها ، وإعرابُها كإعرابِ «مُسْلمينَ» واحدهم « مُسْلِمٌ » ! وكذلك جميعُ الإعراب . وتقول : «هذه فِلسْطونَ» يا فتى ، و «رأيتُ فِلَسْطين » يافتى ، هذا القولُ الأَجْوَدُ وكذلك « يَبْرِينَ » ، وفى الرفع « يبْرُونَ » يافتى ، وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بمنزلته ، تقول : « قِنَّسْرُونَ » ، و « رأيت قِنَّسْرِينَ » ، والأجودُ فى هذا البيتِ[2] :

وشَاهِـــدُنَا الجلُّ والياسمُو نَ والمُسْمِعَاتُ بقُصَّـــابِهَا[3]

---

(١) سورة الحاقة ٣٩
(٢) زيادات ر : « هو الأعشى » .
(٣) زيادات ر : « الجل : الورد » . والقصاب : الأوتار ، وقيل الزمار » . والمسمعات : الجوارى المغنيات .

[تفجع الوليد لموت الحجاج]

وزَعَمَ الأَصْمَعِىُّ قال : خَرجَ الوليدُ يوماً على الناس وهو مُشْعَانُّ الرَّأْسِ فقال : مات الحجاجُ بنُ يوسفَ ، وقرَّةُ بن شَريك ، وجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عليهما .

قوله : « مشعَانُّ الرأسِ » يعنى مُنْتَفِخ الشَّعَرِ (١) متفرِّقة .

ومثلُ هذا لا يكونُ فى شِعْر ، لأن فى هذا التقاء ساكنَيْنِ ، ولا يَقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشّعر ، إلا فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِبِ ، وليس ذا على ذلك الوزن .

[رسول عمر بن العزيز إلى إليون ملك الروم]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز رحمه الله وجَّهَ عبدَ الله بنَ عبدِ الأَعْلَى ومعه رجل من عَنْسٍ إلى إلْيُونَ ، فقال العَنْسِىُّ : فَخَلاَ بِى عُمَرُ دونَهُ ، وقال لى : احفظْ كلَّ ما يكونُ منه ، فلما صِرْنا إليه صِرْنا إلى رجلٍ عَرَبِىِّ اللسانِ ، إنّما نَشَأَ بِمَرْعَشَ (١) ، فذهبَ عبدُ الله ليتَكَلَّمَ ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، فَحَمِدْتُ اللهَ وصليتُ على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قلتُ : إنِّى وُجِّهْتُ بالذى وُجِّهَ به هذا ، وإنَّ أميرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام ، فإنْ تَقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْدَكَ ، وأَنِى لَأَحسِبُ أَنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء ، إلاَّ أن يشاء اللهُ غيرَ ذلك ، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكتبْ جوابَ كتابنا . قال : ثم

(١) زيادات ر : « الرواية منتفخ » والصحيح « منتفش » قاله ابن سراج .

(١) مرعش : مدينة بين الشام وبلاد الروم .

[كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك]

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلكِ بعدَ وفاةِ محمدِ بن يوسف : « أُخْبِرُ أميرَ المؤمنين — أكرمه اللهُ — أنه أصِيبَ لمحمدِ بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينارٍ ، فإن يَكُنْ أصابها مِن حِلِّها فرَحِمَهُ الله ، وإن تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ » ! فكتبَ إليه الوليدُ : « أما بعدُ ، فقد قرأَ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف ، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ له أحْلَلْناها ، فَتَرَحَّمْ عليه ، رحمه الله » !

[من كلام معاوية لابنه يزيد]

ويروى أن يَزيدَ بنَ معاويةَ قال لمعاوية فى يوم بُويِعَ له على عَهْدِه ، فَجَعَلَ الناسُ يَمدحونه ويُقرِّظونهُ : « يا أميرَ المؤمنين ، واللهِ ما ندْرى ، أنَخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُوننا » ! فقال له معاويةُ : « كلُّ مَنْ أرَدْتَ خديعتَه فتَخادعَ لك حتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَه » .

[كتاب إلى الحجاج عبد الملك]

ويروى أن الحجاجَ كَتَبَ إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوَانَ : « وَبَلغَنى أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَمَّتَهُ قوم فقال : يغفر الله لنا ولكم ، فيا لَيْتَنِى كنت معهم فأفُوزَ فوْزاً عظيما » !

[الشعبي عند صاحب الروم]

ولما وجَّهَ عبدُ الملكِ الشَّعْبِيَّ إلى صاحب الرُّوم فـكلَّمه ، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهما : أمِنْ أهلِ بيت المَملكة أنتَ ؟ قال : قلتُ : لا ، ولكنى رجلٌ من العرب ، قال : فكتب معى رُقعةً ، وقال لى : إذا أدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك ، قال : فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جوابَ كتابِه وخَبَّرته بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ ، فرجعتُ فدفعتُها إليه . فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى ، فقال لى : أتَدْرِى ما فى هذه الرقعةِ ؟ قلتُ : لا ، قال : فيها : « العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمورَهم غيرَهُ » . قال : فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى ، فقال لى : أفتَدْرِى مَا أرادَ بهذا ، قلتُ : لا ، قال : حَسَدَنى عليكَ ، فأرادَ أن أقْتُلَكَ ، قال : فقلتُ : إنما كَثُرْتُ عندَه — يا أميرَ المؤمنين — لأنه لم يَرَكَ ، قال : فرجَعَ الكلام إلى مَلِك الروم ، فقال : لله أبُوه ! مَا عَدَا مَا فى نَفْسِى !

[معاوية وأحد بطارقة الروم]

وحُدثتُ أنّ معاوية ، كان إذا أتاه عن بِطْريق من بَطارقةِ الروم كيدٌ للإسلام احتالَ له ، فأهْدَى إليه وكاتبَه ، حتى يُغْرِىَ به مَلِكَ الروم ، فكانت رُسُلُه تأتيه فتُخبرُه بأن هناك بَطريقاً يُؤذِى الرُّسُلَ ، ويَطْعُنُ عليهم ، ويسىء عِشْرتَهُم ، فقال معاويةُ : أىُّ مَا فى عَمَلِ الإسلامِ أحبُّ إليه ؟ فقيل له : الخِفافُ الحُمرُ ، ودُهْنُ البَانِ . فألْطَفَهُ بهما ، حتى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ ، ثم كَتَبَ كتاباً إليه ، كأنه جوابُ كتابِهِ منه ، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ

تـكلّمَ عبدُ الله ، فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذَهبَ في القولِ — وكان مُفوَّهًا — فقال له : إلْيونُ : يا عبدَ الله ! ما تقول في المَسيح ؟ فقال : رُوحُ الله وكَلِمتهُ ، فقال : أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ ! فقال عبدُ الله : في هذا نَظَرٌ ! فقال : أيُّ نَظَرٍ في هذا ؟ إمَّا نَعَمْ وإما لاَ ! فقال عبدُ الله : آدمُ خَلَقَه اللهُ من ترابٍ ، فقال : إنَّ هذا أُخرِجَ من رَحِمٍ ، قال : في هذا نظر ! قال له إلْيونُ بالرُّومِيَّة : إنِّي أَعْلَمُ أنك لَسْتَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك — قال : وأنا أفهمُ بالرُّوميةِ — ثم قال : أَتعظِّمونَ يوماً غيرَ يوم الجمعة ؟ فقال : نعم ، فقال : وما ذلك اليومُ ، أَمِنْ أَعْيادِكُم هو ؟ فقال : لا ، قال : فلِمَ تُعَظِّمونَه ؟ قال : عِيدٌ لقومٍ كانوا صالحين قبلَ أن يَصِيرَ إليكم ، قال : فقال له إليونُ بالرومية : قد علمتُ أنكَ لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك ، فقال له عبد الله : أتَدْرِي ما يقول أهلُ السَّفَه ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : قال إبليسُ : أُمِرْتُ ألاّ أسْجُدَ إلاّ لله ، ثم قيلَ لي : اسجُدْ لآدم ، قال : فقال له بالرومية : الأَمْرُ فيك أَبْيَنُ من ذلك ، قال : ثم كَتَبَ جوابَ كُتُبِنا ، قال : فَرَجَعْنا إلى عمرَ بها ، قال : فَخَبَّرناه بما أَرَدْنا ثم نهضنا ، فَرَدَّني إليه من باب الدار فخلا بي ، فأخبرته ، فقال : لَعَنَهُ اللهُ ! لقد كانت نفسي تأباهُ ، ولم أَحْسِبْهُ يَجْتَرِئُ على مِثل هذا ، قال : فلما خرجتُ قال لي عبد الله : ما الذي قال لكَ ؟ قال : قلتُ قال لي : أَتَطْمَعُ فيه ؟ قلت : لا

أَرَدتُ لِكَيْما يَعْلَمَ الناسُ أنها سَراويلُ قَيْسٍ والوُفودُ شهودُ
وألاّ يقولُوا : غابَ قَيْسٌ وهذه سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإنّي منَ القومِ اليَمانينَ سيِّدٌ وما الناسُ إلاّ سيِّدٌ ومَسُودُ
وبَذَّ جميعَ الخلقِ أَصْلي ومَنصِبي وجسمٌ بهِ أَعْلُو الرِّجالَ مَديدُ

وكان قيسٌ سِناطًا[1] . فكانت الأنصارُ تقول : لَوَدِدْنا أنّا اشتَرَينا له لحْيَةً بأنْصافِ أموالِنا . وسنَذْكر خبَره بعد انقضاء الخبرِ إن شاء الله .

ثم وَجَّهَ إلى محمد بنِ الحنفيَّةِ ، فدخلَ ، فَخُبِّرَ بما دُعِيَ له ، فقال : فقولوا له : إن شاءَ فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعطِني يَدَهُ حتى أُقيمَهُ أو يُقعِدَني ، وإن شاءَ فليكنِ القائمَ وأنا القاعِدَ . فاختارَ الروميُّ الجلوسَ ، فأقامه محمدٌ ، وعَجَزَ هو عن إقْعادِهِ ، ثم اختارَ أن يكونَ محمدٌ هو القاعدَ ، فجَذَبَهُ فأَقْعَده ، وعجزَ الروميُّ عن إقامته ، فانصرَفا مغلوبَيْن .

[معاوية يهدى ملك الروم قارورة مملوءة ماء]

وحدثني أحدُ الهاشميين : أن مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاوية بقارورةٍ ، فقال : ابعَثْ إليَّ فيها من كلِّ شيءٍ . فبعَثَ إلى ابنِ عباسٍ ، قال : لِتُمْلأْ له ماءً ، فلما وَرَدَ بها على ملكِ الروم قال : لِلّهِ أبوه ما أدْهاهُ ! فقيلَ لابنِ عباسٍ : كيفَ اختَرْتَ ذلك ؟ فقال : لقولِ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[2]

---

(١) زيادات ر : « السناط والسنوط : أن يكون فى الذقن شيء من الشعر ، ولا يكون فى العارضين شيء ؛ فإن لم يكن فيهما جميعا فهو الثط » .
(٢) سورة الأنبياء ٣٠

بما وَعَدَه به من نصرِه وخِذلانِ مَلِكِ الروم ، وأمَرَ الرسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لأنْ يُظْهِرَ على الكتاب ، فلما ذَهَبَتْ رُسُلُه فى أوقاتها ثم رَجَعَتْ إليه ، قال : ما حَدَثَ هناك ؟ قالوا : فلانٌ البِطْرِيقُ رأيناه مقتولاً مصلوباً ، فقال : وأنا أبو عبد الرحمن ! (١)

[رسولا ملك الروم عند معاوية]

وَحُدِّثْتُ أنّ ملكَ الرُّوم فى ذلك الأوانِ وَجَّهَ إلى معاويةَ : « إنّ الملوكَ قَبلَكَ كانت تُراسلُ الملوكَ مِنَّا ، ويَجْهَد بعضُهم فى أنْ يُغْرِبَ على بعض ، أفتأذَنُ فى ذلك » ؟ . فأذِنَ له ، فوَجَّهَ إليه رجلين : أحدُهما طويلٌ جَسيمٌ ، والآخرُ أيِّدٌ ، فقال معاويةُ لعَمْرو (٢) : أمّا الطويلُ فقد أصَبْنَا كُفْأَهُ — وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادَة — وأما الآخرُ الأيِّدُ فقد احتَجْنا إلى رأيِكَ فيه ، فقال : هاهنا رجلانِ ، كلاهما إليك بَغيضٌ : محمدُ بنُ الحنفيَّة ، وعبدُ الله ابنُ الزُّبيرِ ، فقال معاويةُ : مَنْ هُوَ أقربُ إلينا على حال . فلما دخلَ الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادةَ يُعْلِمُه ، فدَخل قيسٌ ، فلما مَثَلَ بين يَدَىْ معاويةَ نَزَعَ سَرَاوِيلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ ، فلبسها فنالتْ ثُنْدُوَتَه (٣) ، فأطرَقَ مغلوباً ، فحُدِّثْتُ أن قَيْسًا لِيمَ فى ذلك ، فقيلَ له : لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَّبذُّلَ بحَضْرَةِ معاويَة ، هلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها ! فقال :

---

(١) قال المرصفى : « يريد أغريت بما صنعت له ملك الروم حتى قتله وصلبه وأنا المعروف بالكيد والدهاء . وعبد الرحمن ولده من فاختة بنت قرظة » .

(٢) يريد عمرو بن العاص .

(٣) زيادات ر : « الثندوة : ما اسود حول الحلمة » .

وكان معاويةُ كتب إلى قيس بن سعدٍ — وهو وَالِي مصرَ لعليّ بن أبي طالب رحمه الله — : « أمّا بعد ، فإنّك يهوديٌّ ابنُ يهوديٍّ ، إن غَلَبَ أحبُّ الفريقين إليك عزلك واستبدلَ بك ، وإن غلبَ أبغضهما إليك قتلك ، ومثّلَ بك ، وقد كان أبوك فوّقَ سهمَهُ ، ورمى غَرَضَهُ ، فأكثرَ الحزَّ ، وأخطأ المَفْصِل ، حتى خذلَهُ قومُهُ ، وأدركه يومُه ، فمات غريباً بحَوْرَان ، والسلامَ » .

فكتب إليه قيسٌ : « أمّا بعدُ ، فإنك وَثَنٌ ابنُ وَثَنٍ ، لم يَقْدُمْ إيمانُك ، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ ، دخلْتَ في الدين كُرْهًا ، وخرجتَ منهُ طوعًا ، وقد كان أبي فوّقَ سهمَهُ ، ورمى غرضَهُ ، فسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤكَ ، فلم تَشُقُّوا غُبارَه ، ولم تُدْرِكُوا شأْوَه . ونحن أنصارُ الدِّين الذي خرجتَ منهُ ، وأعداء الدين الذي خرجتَ إليه ، والسلام » .

وكان قيسٌ موصوفاً مع جماعةٍ قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالا ، منهم : العباسُ بنُ عبدِ المطلب رحمه الله ، وولدُهُ ، وجَريرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ ، والأشعثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِيُّ ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائيُّ ، وابنُ جذلِ الطِّعَان ، الكِنانيُّ ، وأبو زُبَيْدٍ الطائيُّ ، وزيدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ . وكان أحدُ هؤلاء يُقبِّل المرأة على الهَوْدَجِ ، وكان يقال للرجل منهم مُقَبِّل الظُّعْنِ ، وكان طلحةُ بنُ عُبيد الله موصوفاً بالتّمام .

[طعم الماء]

وقيل لرجلٍ من بني هاشمٍ — وهو جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ، وكان يُقَدَّمُ فى مَعْرِفَتِهِ — : ما طَعْمُ الماء؟ فقال: طعمُ الحَيَاةِ .

[عبد الله بن الزبير وعلاج لحيته]

وأمّا عبدُ الله بنُ الزُّبيْرِ فيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنه قال: عالجْتُ لِحْيَتِي لِتَتَّصِلَ لى إلى أن بلغتُ سِتِّين سنةً ، فلما أكْمَلْتُها يَئِسْتُ منها .

[من أخبار قيس بن سعد]

وكان قيسُ بنُ سَعْدٍ شجاعاً جَواداً سيِّداً ، وجاءته عجوزٌ قد كانت تألَفُهُ ، فقال لها : كيفَ حالُكِ ؟ فقالت : ما فِي بيتي جُرَذٌ ، فقال : ما أَحْسَنَ ما سَأَلْتِ ! أَمَا والله لأُكْثِرَنَّ جرْذَانَ بَيْتِك .

وكان سعدُ بن عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ ماله بين وَلَدِه ، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به ، فلما وُلِدَ له ، قال له عمرُ بن الخطّابِ – يعنى قَيْسًا – : لأَنْقضَنَّ ما فعلَ سعدٌ ، فجاءه قيسٌ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نصيبى لهذا المولودِ ، ولا تَنْقُضْ ما فَعلَ سعدٌ .

قال أبو العباس : حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أثِقُ به : أنّ أبا بكر وعمرَ رحمهما الله مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يسألانِهِ فى أمرِ هذا المولود ، فقال : نصيبى له ولا أُغَيِّرُ ما فعل سعد .

وقوله :

* على فِعل الوَضِيِّ من الرجال *

يريد : الجميل ، وهو « فَعِيلٌ » مِنْ « وَضُؤَ يَوْضُؤُ » يا فتى ، تقديرُهُ « كَرُمَ يَكْرُمُ ، وهو كريم » ، ومَصْدَرُهُ « الوَضاءَةُ » وكذلك « قَبُحَ يَقْبُحُ قَباحَةً » ، و « سَمُحَ يَسْمُحُ سَماحَةً » ، ويقال : « ما كُنْتَ وَضِيئاً » ، و « لقد وَضُؤْتَ بعدَنا » .

وقوله : « فلا تَصِلِي بصعلوكٍ » ، يقول : لا تَتَّصِلِي به ، كما قال ابنُ أحمر :

ولا تَصِلِي بمَطْرُوقٍ إذا ما سَرَى في القوم أَصْبَحَ مُسْتَكِينا
إذا شَرِبَ المُرِضَّةَ قال أَوْكِى عَلَى ما في سِقَائِكِ قد رَوِينا [١]

فالصعلوكُ : الذى لا مَالَ لَهُ ، قال الشاعر [٢] :

كَأَنَّ الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُعْلُوكاً إذا ما تَمَوَّلا

وقوله : « نئوم » يَصِفُه بالبَلادة والكَسَل ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخِفَّةِ الرءوس عن النوم ، وتَذمُّ النُّوَمَةَ ، كما قال عبدُ المَلِكِ لمؤدّبِ وَلَدِهِ : عَلِّمْهُمُ العَوْمَ ، وخُذْهُمْ بقلّةِ النَّوْمِ . وإنما تَوَجَّعَ لخالاتِهِ لأنهنَّ كُنَّ إماءً .

---

(١) زيادات ر : « إذا صب لبن حليب على حامض ، فهى المرضة » و أوكى : شد به بالوكاء ، وهو كل شىء يسد به فم السقاء .

(٢) زيادات ر . « جابر بن ثعلبة الطائى » .

باب

[لسليك بن السلكة]

قال أبو العباس : قال السُلَيْكُ بنُ السُلَكَة – وهى أُمُّه ، وكانت سوداءَ حَبَشِيَّةً – وكان من غِرْبان العَرَب ، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْرٍ السَّعْدِىُّ :

ألاَ عَتَبَتْ عَلَىَّ فَصَارَمَتْنِي ... وأَعجبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فإنِّى يابْنَةَ الأقوامِ أُرْبِى ... على فِعْلِ الوَضِىِّ مِنَ الرِّجالِ

فلا تَصِلِى بِصُعْلُوكٍ نَئُومٍ ... إذا أمْسَى يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ

ولكنْ كلَّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بِنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجالِ[1]

أَشَابَ الرأسَ أَنِّى كلَّ يومٍ ... أَرَى لِى خَالَةً وسْطَ الرِّحالِ

يَشُقُّ علىَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا ... ويَعْجِزُ عن تَخَلُّصِهِنَّ مَالِى

قوله :

* وأعجبها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ *

يعني : الجمم ، وإن شئتَ قلتَ : الجِمَامَ ، يقالُ « جُمَّةٌ وَجُمَمٌ » ، كقولك « ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ » ، ويقال « جِمَامٌ » كقولك : « جُفْرَةٌ وجِفَارٌ »[2] و « بُرْمَةٌ وبِرام » .

قال الشاعر :

إما تَرَىْ لِمَّتِى أوْدَى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أَصْدَاغِى وأَفْوَادِى

---

(١) زيادات ر : « كل خبر ابتداء والتقدير : همك » .

(٢) زيادات ر . « الجفرة : هى الحفرة العظيمة » .

وكان يقالُ له : ابنُ الخيرَتَيْنِ (١) لقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله من عِبادِه خِيرَتانِ ، فَخِيرَتُه من العربِ قُرَيْشٌ ، ومن العَجَمِ فارِسُ » .

وكانت سُلافَةُ عمّةَ أمّ يزيد النّاقِصِ أو أُختَها .

وقال رجلٌ من وَلدِ الحَكَمِ بنِ أبي العاصِي ، يقال له عُبَيْدُ الله بن الحُرّ — وكان شاعراً متقدّماً ، وكان لِأُمِّ وَلَدٍ ، وهو من وَلَدِ مَرْوانَ بن الحَكَمِ — :

فإنْ تَكُ أُمِّي مِنْ نِساءٍ أفاءَها جِيادُ القَنا والمُرْهَفاتِ الصَّفائِحِ
فَتَبّاً لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لم أَنَلْ به كَرائِمَ أولادِ النّساءِ الصَّرائِحِ

وإنما أخَذَ هذا من قول عَنْتَرَة :

وَأَنا امْرُؤٌ مِنْ خيرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِيَ (٢) وأَحْمِي سائِرِي بالمُنْصُلِ

وأُنشِدَ لِبلالِ بنِ جَرِيرٍ — وبلغه أن مُوسَى بن جَرِيرٍ كان إذا ذَكَره نسبه إلى أمّه ، لأنه ابنُ أمِّ وَلدٍ ، فيقولُ : قال ابنُ أمّ حَكِيمٍ ، فقال بلال :

يا رُبَّ خالٍ لِي أغَرَّ أَبْلَجا مِنْ آلِ كِسْرَى يَفْتَدِي مُتَوَّجا
لَيس كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجا

والعَشْنَجُ : المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّءُ المَنْظَرِ .

وكانَ سَبَبُ أمّ بلالٍ عندَ جريرٍ أن جريراً في أوّل دخوله العِراقَ دَخَل على الحَكَمِ بنِ أيوبَ بن أبي عَقِيلٍ الثّقفيّ ، وهو ابنُ عَمّ الحجاجِ ، وعامِلُه على البصرةِ ، وفي ذلك يقولُ جَرِير :

---

(١) زيادات ر : « بتحريك الياء أفصح » .
(٢) زيادات ر . « شطرى ، مبتدأ ، والخبر في المجرور قبله » .

[النجباء من أولاد السرارى]

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُرَيشٍ — لم يُسَمَّ لنا — قال : كنتُ أجالِسُ سعيدَ ابنَ المُسيَّبِ ، فقال لى يوماً : مَنْ أخوالُكَ ؟ فقلتُ : أمِّى فتاةٌ ، فكأنى نَقَصْتُ فى عَيْنِه ، فأَمْهَلْتُ حتى دخلَ عليه سالمُ بنُ عبدِ الله بن عمرَ ابنِ الخطَّابِ رحمه الله ، فلما خَرَجَ منْ عندِه قلتُ : يا عَمِّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : ياسُبْحَانَ الله ! أتجهلُ مثلَ هذا مِنْ قَوْمِكَ ! هذا سالمُ بنُ عبدِ الله بن عمرَ ، قلتُ : فمنْ أمُّهُ ؟ قال : فَتاةٌ ، قال : ثم أتاهُ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصدِّيق رحمه الله ، فجلس عندَه ثم نَهَضَ ، فقلتُ : يا عَمِّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : أتجهلُ مِنْ أَهْلِكَ مثلَهُ ! ما أَعْجَبَ هذا ! هذا القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصديقِ ، قلتُ : فَمَنْ أمُّه ؟ قال : فتاةٌ ، فأَمْهَلْتُ شيئاً حتى جاءه علىُّ ابن الحسين بن علىِّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، فسلَّمَ عليه ثم نهضَ ، فقلتُ : ياعَمِّ ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا الذى لا يَسَعُ مسلماً أن يَجْهلَه ! هذا علىُّ ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، قلتُ : فمن أمُّه ؟ قال : فتاةٌ ، قال : قلتُ : يا عَم ! رأيتَنِى نَقَصْتُ فى عينِكَ لمَّا علمتَ أنى لِأُمِّ وَلَدٍ ، أفَمَالِى فى هؤلاء إسْوَةٌ ! قال : فجَلُلْتُ فى عَيْنِه جدًّا .

وكانَتْ أمُّ علىّ بن الحسينِ « سُلَافَةُ » من ولد يَزْدَجِرْدَ ، معروفةَ النَّسَبِ ، وكانتْ من خِيَرَاتِ النِّساءِ .

ويُرْوَى أنه قيلَ لعلِىّ بن الحسين رحمه الله : إنكَ مِنْ أَبَرِّ الناسِ ، ولَسْتَ تأكلُ مع أمّكَ فى صَحْفةٍ ؟ فقال : أكرهُ أن تَسْبِقَ يدِى إلى ما قد سبقتْ إليه عَيْنُها فأكونَ قد عَقَقْتُها .

[ش : بنصب « الطَّبّ » ورَفْعِ « الدَّلاَل » ، وبالعكس ، برفع « الطب » ونصب « الدلال » . والطِّبُّ هنا : المَذْهَبُ ، والدَّلاَلُ : الدَّالَّة] .

* * *

فاسْتُضْحِكَ الحجاجُ ، وأمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة .

وخُبِّرْتُ أنها كانتْ من أهل الرَّىِّ ، وكان إخْوتَهَا أحراراً ، فاتَّبَعُوه ، فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفاً ، فلم يَفْعَل ، ففى ذلك يقولُ :

إذا عَرَضُوا عِشْرِينَ ألفاً تعرَّضَتْ لِأُمِّ حَكِيمٍ حاجةٌ هِىَ ما هِيَا

فَقَدْ زِدْتِ أهلَ الرَّىِّ عِندى مَوَدَّةً وحَبَّبْتِ أضْعافاً إلىَّ المَوالِيَا

فأولدها حَكِيماً وبلالاً وحَزْرَةَ ، بَنِى جَرِيرٍ ، هؤلاء مَنْ أذْكُرُ مِنْ وَلَدِهَا .

ويقال : إنَّ الحِمَّانِىَّ[1] قاوَلَ بلالاً ذاتَ يوم فيما كان بينهما من الشَّرّ ، فقال : يابنَ أُمِّ حَكِيمٍ ، فقال له بلالٌ : مَا تَذْكُرُ من ابْنَةِ دِهْقانٍ ، وأخِيذَةِ رِمَاحٍ ، وعَطِيَّةِ مَلِكٍ ؟ ليستْ كأُمِّكَ التى بالمَرُّوتِ[2] ، تَغْدو على أثَرِ ضَأْنِهَا ، كأنّما عَقِبَاهَا حَافِرَا حِمَارٍ . فقال له الحِمَّانىُّ : أنا أعْلَمُ بأُمِّكَ ، إنما عَتَبَ عليها الحجّاجُ فى أمرٍ ، اللهُ أعلمُ به ، فحلَفَ أن يدْفَعهَا إلى ألأمِ العربِ ، فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه .

قال : وأُنْشِدْتُ لرجلٍ من رُجَّازِ بنى سعدٍ :

أنَا ابنُ سَعْدٍ وتوَسَّطْتُ العَجَمْ فأنا فِيما شِئْتَ من خَالٍ وعَمّْ

---

(١) المروت : اسم واد بعينه .

(٢) قال المرصفى . « الحماني اسمه أبو نخيلة ، نسب إلى جده حمان » .

أَقْبَلْنَ من ثَهْلَانَ أَوْ وَادِي خِيَمْ ... عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمْ[1]

إِذَا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ ... حَتَّى أَنَخْنَاهَا إِلَى بَابِ الحَكَمْ

خَلِيفَةِ الحَجَّاجِ غَيْرِ المُتَّهَمْ ... فِي ضِنْضِيءِ المَجْدِ وَبُحْبُوحِ الكَرَمْ

فكتبَ الحكمُ بعد أن فَاطَنَهُ[2] إلى الحجاج ، وذلك فى أوّل سببه : إنه قَدِم عليّ أعرابيٌّ باقِعة[3] لم أرَ مثلَه . فكتبَ إليه الحجاجُ أن يَحْمِلَه معه ، فلما دخلَ عليه قال له : بَلَغَنِي أنك ذُو بديهةٍ ، فَقُلْ فى هذه الجاريةِ — جاريةٍ قائمةٍ على رأسِه — فقال جريرٌ : مَالِي أَنْ أقولَ فيها حتَّى أتأمَّلَهَا ، ومَالِي أَنْ أتأمَّل جاريةَ الأمير ! فقال : بَلَى ، فتأمَّلَها وسألها ، فقال لها : ما اسْمُكِ يا جارية ؟ فأمْسَكَتْ ، فقال لها الحجاجُ : خَبِّرِيه يا لَخْنَاء ، فقالتْ : أُمَامة . فقال جرير :

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ منكَ رَحِيلُ ... إِنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

مِثْلَ الكَثِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطَافُهُ ... فَالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وَتُهِيلُ

هٰذِى القُلُوبُ صَوَادِياً تَيَّمْتِهَا ... وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال له الحجاجُ : قد جعلَ اللهُ لكَ السَّبِيلَ إليها ، خُذْهَا هِيَ لكَ . فضربَ بيده إلى يَدِها ، فتمنَّعت عليه ، فقال :

إِنْ كَانَ طِبُّكُمُ الدَّلَالَ فَإِنَّهُ ... حَسَنٌ دَلَالُكِ يا أُمَامَ جَمِيلُ

* * *

---

(١) القلاص . جمع قلوص ، وهى الناقة الفتية ، وخيطان . جمع خيوط وهو النعمة الناعم ، والسلم : ضرب من الشجر

(٢) فاطنه : راجعه فى الكلام .

(٣) زيادات ر . ؟ يريد داهية ، والباقعة : طائر حذر ؟ .

الله عليه وسلم ؛ ثم عليُّ بنُ الحسين ، الذى لم يُولَدْ فيكم بعد وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مولودٌ مثله » .

وهـذه رسالة للمنصورِ طريفةٌ مُستحسَنةٌ جدًّا ، سنُمليها فى موضعها من هذا الكتاب ، إن شاءَ اللهُ .

* * *

وأنشدَنى الرِّياشىُّ :

إنَّ أولادَ السَّرارِىْ كَثُرُوا يارَبِّ فينا

رَبِّ أَدْخِلْنِى بِلاداً لا أَرَى فيها هَجِينَا

والهَجِينُ عند العرب : الذى أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعة ، والأصل فى ذلك أن تكونَ أمَةً ، وإنما قِيلَ : « هجينٌ » من أجْل البَيَاضِ ، وكأنَّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم وَالصَّقَالِبَةِ ومَنْ أشبههم . والدليلُ على أن الهَجِينَ الأبيضُ أن العرب تقول : ما يَخْفَى ذلك على الأسودِ والأحمرِ ، أىِ العرَبى وَالعَجَمِىِّ ، وَيُسَمُّونَ الموالِىَ وسائرَ العجمِ الْحَمْراء ، وقد ذكرنا ذلك ، ولذلك قال زيدُ الْخَيْلِ :

* وأيْقَنَ أَنَّنَا صُهْبُ السِّبَالِ [1] *

أى كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ .

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ :

إنْ تَرَيْنِى تَغَيَّرَ اللَّونُ مِنِّى وعَلا الشَّيْبُ مَفْرِقِى وَقَذَالِى

فَظِلَالُ السيُوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِى وطِعَانِى فى الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

---

(١) صدره كما فى حواشى د .

* وأَسْلَمَ عِرْسَه لمَّا رآنا *

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمه الله : ليس قومٌ أَكْيَسُ من وِلادِ السَّرارِيّ ، لأنهم يجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجَم .

[كتاب محمد بن عبد الله بن حسن إلى المنصور ورده عليه]

وكَتَبَ أميرُ المؤمنين المنصورُ إلى محمدِ بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن على بن أبى طالب — رحمهم الله — لمَّا كَتَبَ إليه محمدٌ :

« وَاعْلَمْ أنِّى لستُ مِن أولادِ الطُّلَقَاء ، ولا أولادِ اللُّعَنَاء ، ولا أُعْرِقَتْ فىَّ الإماء ، ولا حَضَنَتْنِى أُمَّهاتُ الأولادِ . ولقد عَلِمْتَ أنّ هاشماً وَلَدَ عليًّا مرّتين ، وأن عبدَ المطَّلبِ وَلَدَ الحسنَ مرّتين ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَلدنِى مرّتين ، مِنْ قِبَلِ جَدَّىَّ الحسنِ والحسينِ » .

يعنِى أنَّ أمَّ علىٍّ فاطمةُ بنتُ أَسَدِ بن هاشمٍ ، وأمَّ الحسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبدِ الله بن عبد المطَّلب بن هاشم ، وأن أمَّهُ فاطمةُ بنتُ الحسين بن علىّ بن أبى طالب بن عبدِ المُطَّلب بن هاشمٍ .

فكتب إليه المنصور :

« أمَّا ما ذكرتَ من وِلادةِ هاشمٍ عليًّا مرتين ، وولادةِ عبدِ المطَّلب الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأوّلينَ والآخِرينَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلَّا مرةً واحدةً ، ولا عبدُ المطلب إلَّا مرةً واحدةً ، وله السَّبْقُ إلى كلِّ خير . ولقد علمتَ أنه بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمومَتُهُ أَرْبَعَةٌ ، فآمَنَ به اثنان ، أَحَدُهما أَبِى ، وكفر به اثنان أحَدُهما أبوكَ ، وأمَّا ما ذَكرتَ أنّه لم تُعْرِقْ فيكَ الإماء ، فقد فَخَرْتَ على بني هاشم طُرًّا ، أوّلهم إبراهيمُ بنُ رسولِ الله صلى

بابٌ

[لأعرابي فيمن أطال لحيته]

قال أبو العباس: قال أعرابيٌّ:

كُلُّ امْرِئٍ ذِي لِحْيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ ... يَقُومُ عليها ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلا

وَمَا الفَضْلُ فى طُولِ السِّبالِ وعَرْضِهَا ... إِذَا اللهُ لم يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلا

ويُرْوى: «لحامِلِها».

عَثْوَلِيَّة، يقول: كَثيرةٌ، والمُسْتَعْمَلُ رجلٌ «عِثْوَالٌّ» إذَا كَانَ كَثيرَ الشَّعَر، وأصلُ ذلك فى الرأسِ واللِّحية، وبَنَاهُ الأعرابىُّ بناء «جَدْوَل» كأنه «عَثْوَلٌ» ثم نَسَب إليه.

والسَّبَلَةُ: مُقَدَّمُ اللِّحية، يقال لِمَا أَسْبَلَ من الشاربين: سَبَلَتَان، وتقول العربُ: أَخَذَ فلانٌ شَفْرة فَلتَم بها سَبَلَةَ بعيره، أى نَحَرَهُ، واللَّتْم: الشَّقُّ، فهذا ما أُسْبِلَ من جرانِه.

[لبعض المحدثين فى ذم ذوى العى]

وقال بعض المُحْدَثين:

وما حُسْنُ الرِّجال لهم بحُسْنٍ ... إذا ما أخطأَ الحُسْنَ البَيَانُ

كَفَى بِالمَرْءِ عَيْبًا أن تَرَاه ... له وجـــهٌ وليس له لِسَانُ

وقال آخر:

إِنِّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى ... إِذَا قِيسَ ذَرْعِى بالرجال طويلُ

فقيل «هَجين» من هاهنا .

وإذا كانت الأمُّ كريمةَ والأبُ خسيسًا قيل له : المذرَّع ، قال الفرزدقُ :

إذا باهليٌّ تحته حَنْظليَّةٌ له وَلَدٌ منها فذاكَ المُذرَّعُ

وقال الآخرُ :

إنَّ المذرَّعَ لا تُغنِي خئولته كالبَغْلِ يَعجِزُ عن شوْطِ المَحاضِيرِ (١)

وإنما سُمِّيَ مُذَرَّعا ، للرَّقْمَتيْن (٢) فى ذِراع البغلِ ، وإنما صارتا فيه من ناحية الحمارِ ، قال هُدْبة :

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائِها كتوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ فى كلامٍ يُجيبُ به ابنَ الزُّبير : والله إنه لَمَصْلُوبُ قُرَيشٍ ، ومتى كان عوَّامُ ابنُ عوَّامٍ يَطمعُ فى صَفيَّةَ بنتِ عبد المطَّلب ! مَنْ أبوكَ يابَغْلُ ؟ فقال : خالِى الفرَس !

(١) زيادات ر . « جمع محضير ، وهو الفرس السريع »

(٢) الرقمتان : أثر بباطن الذراعين لا ينبتان الشعر »

وفى الحديث : « من سعادة المرْءِ خِفّةَ عارِضَيْه » ؛ وليس هذا بناقض لما جاءَ فى إعفاء اللِّحى وإحْفاءِ الشَّوارِبِ ، فقد رُوِىَ أنهم قالوا : لا بأْسَ بأَخْذِ العارِضَيْنِ والتَّبْطِينِ [١] ، وأما الإعفاء فهو التَّكْثير ، وهو من الأضْدادِ ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ حَتى عَفَوْا ﴾ [٢] ، أى حتى كَثُرُوا ، ويقال : عَفا وَبَرُ الناقة إذ كَثُر ، قال الشاعر :

ولَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ

والكُومُ : العظامُ الأسْنِمَةِ ، واحدتها كَوْماء ، ويقال : عَفَا الرَّبْعُ ، إذا دَرَسَ ، ومِنْ ذلك :

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ *

أى الدُّروس .

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك : إنى لأَعْجَبُ مِنْ ثلاثةٍ : من رجلٍ قَصَّرَ شعرَهُ ثم عادَ فأطاله ، أو شَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأَسْبَلَهُ ، أو تَمَتَّعَ بالسَّرارِىِّ ثم عادَ إلى المَهِيرات .

واحدةُ المَهِيراتِ مَهِيرَة ، وهى الْحُرَّةُ الممهورَة ، و « مَفْعُول » يَخْرُجُ إلى « فَعِيل » ، كمقتولٍ وقَتِيل ، ومجروحٍ وجَرِيح ، قال الأعشى :

ومَنْكُوحةٍ غيرِ مَمْهُورةٍ وأُخْرَى يُقالُ لها فَادِهَا [٣]

فهذا المعروفُ فى كلامِ العربِ ، مَهَرْتُ المَرأةَ فهى ممهورةٌ ، ويقالُ

---

(١) التبطين : أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك .

(٢) سورة الأعراف ٩٥ :

(٣) زيادات ر : « فادها ، من فديت الأسير ؛ وهو يصف سبياً أخذ فيه إماء وحرائر »

[لرجل يصف لحيته]

ونظر يزيدَ بن مَزْيَدٍ الشَّيْبانىُّ إلى رجل ذى لحيةٍ عظيمة ، وقد تلففتْ على صدره ، فإذا هو خاضبٌ ، فقال : إنكَ مِنْ لحيَتِكَ فى مئونة ! فقال : أَجَلْ ، ولذلك أقولُ :

لَهَا دِرْهَمٌ للدُّهْنِ فى كلِّ جُمْعةٍ ... وآخَرُ للحِنَّاء يَبْتَدِرَانِ
ولَوْلا نَوالٌ من يزَيدَ بنِ مَزْيدٍ ... لَصَوَّتَ فى حافاتِها الجَلَمَانِ (١)

[لإسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية]

وقال إسحقُ بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلا بالقِصَر وطُولِ اللحية :

ما سرَّنى أَنَّنى فى طول دَاوُدِ ... وأَنَّنى عَـلَـمٌ فى البَأْسِ والجود
مَا شَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحِكْتُ من عجبٍ ... كأَنَّنى وَالِدٌ يَمْشى بمولُود
طُول داودَ إلاَّ طول لحيَتِه ... يَظَلُّ دواوُدُ فيها غـيرَ مَوْجُودِ
تُسكِنُهُ خُصْلَةٌ منها إذا نَفَحَتْ ... ريح الشِّتَاء وجفَّ الماء فى العُودِ
كالأنْبَجَانِىِّ مَصقُولاً عَوَارِضُهَا (٢) ... سَوْداء فى لِين خَدِّ الغَادَةِ الرُّودِ (٣)
أَجْزَى وأَغْنَى من الخَزِّ الصَّفِيقِ ومِنْ ... بيض القَطائف (٤) يومَ القُرِّ والسُّودِ (٥)
إِنْ هَبَّتِ الرِّيح أَدَّتْهُ إلى عَدَنَ ... إِنْ كَانَ مَالَفَّ منها غيرَ مَعْقُود

---

(١) الجلمان : مثنى جلم ؛ وهو المقراض ، ويطلق المثنى على الواحد .
(٢) الأنبجاني : كساء من الصوف ، منسوب إلى منبج على غير قياس .
(٣) الرود : الحسنة الشابة .
(٤) القطائف : جمع قطيفة ؛ وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر .
(٥) زيادات ر : « القر ، بالقاف ، يريد البرد ، ويروى بالغين ، يريد السحائب البيض ، وجعلها غرا لبياضها » .

الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[1]، فهذه كناية عن الجماع، قال أكثرُ الفقهاءِ في قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[2] قالوا: كنايةٌ عن الجماعِ، وليس الأَمْرُ عندنا كذلك. وما أصِفُ مذهب أهلِ المدينةِ، قد فُرِغَ من النكاحِ تَصْرِيحاً، وإنما المُلامَسَةُ أن يَلْمِسَهَا الرجلُ بِيَدٍ أو بإِدْناءِ جَسَدٍ من جسدٍ، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهلِ المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعد ذِكْرِ الجُنُب: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾.

وقولُه عزَّ وجل: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ[3] ﴾ كِنَايَةٌ بإجماعٍ عن قَضاءِ الحاجة، لأنَّ كلَّ مَنْ أكلَ الطعامَ في الدنيا أَنْجَى، يقال: نَجَا وأَنْجَى، إذا قام لحاجة الإنسان.

وكذلك: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾[4] كناية عن الفروج، ومثلُه: ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾[5] فإنما الغَمْطُ كالوادِي، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِب:

وكَمْ من غَائطٍ مِن دُونِ سَلْمَى ... قليلِ الإنسِ ليسَ به كَتِيعُ[6]

يقال: وَهِمَ الرجلُ يَوْهَم، إذا شَكَّ، وهو الأَجْوَدُ ويجوزُ:

---

(١) سورة البقرة ١٨٧

(٢) سورة النساء ٤٣.

(٣) سورة المائدة ٧٥.

(٤) سورة فصلت ٢١.

(٥) سورة النساء ٤٢.

(٦) يقال: ما بالدار كتيع؛ أي ما بها أحد.

ـ وليس بالكثيرِ ـ : أَمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرَة ، أنشدنى المَازِنىُّ :

أُخِذْنَ اغْتِصَاباً خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْمَاحًا من الخَطِّ ذُبَّلَا[1]

[من ألفاظ الكنايات]

وأهلُ الحجازِ يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دونَ الفِعْل ، ولا يُنكرونه فى الفعل ، ويحتجُّون بقولِ الله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا[2] ﴾ . فهذا الأَشْيَعُ فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وأَمْتَعْتُ نَفْسِى مِنَ الغانِيَا تِ إمَّا نِكاحًا وإمَّا أُزَنْ[3]

ومِن كلِّ بَيْضاءَ رُعْبُوبَةٍ لها بَشَرٌ نَاصِعٌ كاللَّبَنْ[4]

ويكونُ النّكاحُ الجماع ، وهو فى الأصل كناية . قال الراجز :

إذا زَنَيْتُ فأَجِدْ نِكَاحَا وأَعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّوَاحَا

والكنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيراً . والأصل ما ذكرنا لك . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ » . ومِنْ خُطَب المسلمين : « إنّ اللهَ عزّ وجلّ أَحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفاحَ »

والكناية تَقَعُ عن الجماع ، قال الله عزّ وجل : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ

---

(١) زيادات ر : « عجرفية : جافية . خطبة ، مصدر معى » .

(٢) سورة الأحزاب ٤٩ .

(٣) زيادات ر : « قوله « أزن » أراد أزني ثم حذف الياء وخفف النون فقال : أزن » .

(٤) الرعبوبة : الحسنة الخلق .

[طلاق ابنة عبد الله من السائب ، ثم زواجها من المصعب]

ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِي أَسَدِ بن عبد العُزَّى ، يقال له : فُلانٌ [ش : هو عبدُ الله] بنُ السَّائِبِ أنه زوَّج ابنته عَمْرو بنَ عثمان بن عَفَّانَ ، فلمَّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنَصَّةِ ، فجاء أبوها إلى عبدِ الله بن الزُّبَيْر ، فقال : إنّ عَمْرو بن عثمانَ طَلَّقَ ابْنَتِي على المِنَصَّةِ ، وقد ظَنَّ النَّاسُ أنَّ ذلك لِعَاهَةٍ ، وأنتَ عَمُّها ، فَقُمْ فَادْخُلْ إليها ، فقال عبدُ الله : أَوَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ ! جيئونى بالمُصْعَبِ ، فَخَطَبَ عبدُ الله فزَوَّجَها من المُصْعَبِ ، وأقسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِه ، فلا تُعرفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلتَيْنِ وِلاءً غَيْرُها . فأَوْلَدَهَا المصْعَبُ عيسَى وعُكَاشَةَ . فلمَّا كان يومُ مَسْكِنَ[1] ، وَهَرَبَ أكثرُ الناس عن المُصْعَبِ ، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنةِ الحسين ابن علىّ بنِ أبى طالبٍ ، وكانت له شَديدةَ المحبّة ، وكانت تُخْفِى ذلك . فَلَبِسَ غِلالَةَ وتوَشَّح عليها ، وانْتَضَى السَّيْفَ . فلمّا رأتْ ذاك علمتْ أنه عَزَمَ ألّا يَرْجِعَ . فصاحت مِن ورائِهِ : وَاحَرَباهْ ! فالْتَفَتَ إليها ، فقال : أَوَ هذا لِي فى قَلْبِكِ ! فقالت : إى واللهِ وأكثرُ من هذا ! فقال : أمَا لوْ عَلِمْتُ لَكانَ لِى ولكِ شَأْنٌ . ثم خَرَج . فقال لابنِه عيسى : يا بُنَيَّ ، انجُ إلى نَجائِكَ ، فإنَّ القوم لاحَاجَةَ بهم إلى غَيْرِى . وَسَتُفْلِتُ بحِيلَةٍ أو بُقْيا ، فقال :

---

(١) مسكن : موضع على نهر رجيل ، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب ابن الزبير ، وقتل به مصعب ، وقبره هناك . (مراصد الاطلاع ١٢٧١) .

يَيْهَمُ ، ويِيهَمُ ، وياهَمُ ؛ لِعِلَلٍ ، وكذلِكَ ما كان مِثْلَه ، نحو : وَجِلَ يَوْجَلُ وَوَحِلَ يَوْحَلُ ، ووَجِعَ يَوْجَعُ ، ويجوز فى « وَهِمَ » أن تقول : « يَهِمُ » فإن المُعْتَلَّ مِنْ هذا يجىء على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ ، مثل : وَلِىَ الأميرُ يَلِى ، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ ، فهذا جميعُ ما فى هذا الباب .

[لرجل من تميم]

وقال رجلٌ أَحْسِبُه من بَنى تَميمٍ :

لاَ تَسْأَلَنَّ الخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَهاَ ... وكُنْ أُخْرَياتِ الخيلِ عَلَّكَ تَجْرَحُ

لعلَّكَ تَحْمِى عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَائِدٌ يَنْفِى الحَصا حِينَ يَنْفَحُ

وَأَكْرِمْ كريماً إِنْ أَتاكَ لِحَاجةٍ ... لِعَاقِبَةٍ إِنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ (١)

[بذَا فامْدَحِينى وانْدُبِينى فإنَّنى ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ] (٢)

قوله :

* لا تسأَلنَّ الخيلَ ياسعدُ مَالَهَا *

يقول : لا تَتَخَلَّفْ عن القِتَال وتَسْأَلْ عَن أخبار القومِ ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِل :

لَيسَ مِثْلِى يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ ... بَائِهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتالاَ

لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى ... حُذِىَ الوَرْدُ من دِمَاءٍ نِعالاَ

يقول : كُنْتُ فى حَوْمَةِ القتالِ وصَلِيتُ الحربَ أكْثَرَ مِمَّا صَلِيَها غَيْرِى

---

(١) زيادات ر : « إذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب ، فيقال : أخلف الشجر وتروح »

(٢) هذا البيت من زيادات ر .

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدمة [1] :

قوله :

* لعلّك تحمِى عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ *

يقال : حميتُ الناحيةَ أَحْميها حَمْيًا وحمايةً ، كما قال الفرزدق :

وإذا النفوسُ جَشَأْنَ طَأْمنَ جَأْشُها ... ثقةً لهـــا بحِمايةِ الأَدْبارِ [2]

ومعنى ذلك : منعتُ ودفعتُ ، ويقال : أَحْمَيْتُ الأرض أى جعلتُها حِمًى لا تُقْرَبُ . وأَحْمَيْتُ الحديدَ أُحْمِيهِ إحْمَاءً ، وحَمِيتُ أَنفِي مَحْمِيَةً يا فتى ، إذا أنتَ أَبيتَ الضَّيْمَ . وصِحَابٌ : جمعُ صاحب ، وقد يقالُ : هو جمعُ صَحْبٍ كما تقول : تاجرٌ وتَجْرٌ ، وراكِبٌ ورَكْبٌ ، ونحو ذلك . ثم تجمع صَحْبًا على صِحَابٍ ، كقولك : كَلْبٌ وكِلابٌ وفَرْخٌ وفِراخٌ ، فهذا مذهب حَسَنٌ ، ومن قال : هو جمعُ صاحب ، فنظيره قائم وقِيامٌ ، وتاجِرٌ وتجارٌ .

وقوله : « لها عانِدٌ يَنْفِى الحَصَا » يعنى الدَّم ، يقال : عَنَدَ العِرْقُ ، إذا خرج الدَّمُ منه بحِدَّةٍ . وينفى الحصَا ، يعنى الدَّمَ بشدة جَرْيِه ، كما قال :

مُسَحْسِحَةٍ تَنْفِى الحَصَا عن طَرِيقِها ... [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِثارُها] [3]

يعنى طعنةٍ .

وقال آخرُ فى صفة طعنةٍ :

ومستَنَّةٍ كاستِنَانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهنا إنما هو الفُلُوُّ الصَّغير .

---

(١) ص ١٣٢

(٢) جشأن : تطلعن وجزعن فزعا وطأمن : سكن .

(٣) ما بين العلاقين من زيادات ر .

يا أبتاه ! لا أحدِّثُ والله عنك أبداً ، فقال : أما والله لئن قلتَ ذلكَ لما زِلتُ أتعرَّفُ الكَرَم فى أسرارِكَ ، وأنتَ تقلّبُ فى مَهْدِكَ .

[ش : الأسْرارُ : جمع سِرٍّ وهى الطَّرائقُ فى الجبهة] .

فَقُتِلَ بين يَدَىْ أبيهِ ، ففى ذلك يقولُ شاعرُ أهْلِ الشَّأمِ من اليَمَانيةِ :

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَباً وعِيسى ... وَابنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسا

* عَمْداً أذَقْنَا مُضَرَ التَّبئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجُلا :

فلو كان شَهْمَ النَّفْسِ أوذا حَفيظَةٍ ... رَأى ما رَأى فى الموتِ عيسى بنُ مُصْعَبِ

[لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير]

وقال بلالُ بنُ جرير يَمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ [1] :

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِي العُلاَ ... كَنَفَيْهِ حتَّى نَالتَا العَيُّوقا [2]

وَلَوَ انَّ عبدَ اللهِ فَاخَرَ مَنْ ترَى ... فاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قرْمٌ إذا ما كانَ يومُ نُفورَةٍ ... جَمَعَ الزُّبَيْرَ عليكَ والصِّدِّيقَا

لو شئتَ ما فَاتُوكَ إذْ جَارَيْتَهُمْ ... ولَكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبرِّ حَقِيقَا

لكنْ أتَيْتَ مُصَلِّياً بَرًّا بِهِمْ ... ولقد تَرَى وَنَرَى لَديْكَ طَرِيقَا

* * *

(١) زيادات ر : « يقال إن بلالا لم يلحق ابن الزبير إلا أن يكون مدحه ميتا » .

(٢) العيوق : نجم أحمر مضىء فى السماء فى طرف المجرة الأيمن ، وفى زيادات ر : ويروى : « كفيه » ، وهو أظهر لقوله : « حتى نالتا » .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله : مَنْ يَئِسَ من شئ استَغْنى عنه

وقال عبدُ الله بن هَمام السَّلولِيُّ :

فأَخْلِفْ وَأتْلِفْ إنما المالُ عارَةٌ   فكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذى هو آكِلُهْ

فأَهْوَنُ مفقودٍ وأيْسَرُ هالكٍ   على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نائِلُهْ

عارةٌ ، أى مُعارٌ ، ووزنه « فَعَلَةٌ » .

* * *

وقال أحدُ المحْدَثين [1] ، وليس من هذا الباب ولكنَّا ذكرناه في الإعارة :

أَعَارَكَ مالَهُ لِتقومَ فيه   بطاعَتِهِ وتَعْرِفَ فَضْلَ حَقِّهْ

فلم تَشْكُرْهُ نِعْمَتَهُ ولكِنْ   قَوِيتَ على مَعَاصِيهِ برِزْقِهْ

تُجَاهِرُهُ بهَا عَوْدًا وبَدْءًا   وتَسْتَخْفِى بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ :

وإنّى لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى له   عَلَيَّ من الحقِّ الذى لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملُه قومٌ على خِلاف معناه ، وإنما تأويلُه : إنّى لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ يكونَ له علىَّ فضلٌ ولا يكونَ لى عليه فضلٌ ومِنّى إليه مُكافأةٌ ، فأستحيي أَنْ أَرَى له علىَّ حقًّا لِمَا فَعَلَ إلىَّ ، ولا أُفعلَ إليه ما يكونُ لِى به عليه حَقٌّ . وهذا من مذاهب الكِرام ، ومِمَّا تأخذُ به أنفُسَها .

---

(١) زيادات ر : « هو محمود الوراق » .

وقوله :

وأَكْرِمْ كَرِيماً إنْ أتاكَ لحاجةٍ لِعاقبة إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ

يقول : الشجرُ يُصِيبُه النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ له وَرَقٌ . فيقول : لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ .

ومثلُه :

ولا تُهِينَ الكريمَ عَلَّك أَنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد « ولا تُهِينَنْ » بالنون الخفيفة . فحذفها لا لتقاء الساكنين ، وهذا الحكم فيها .

ومثله فى المعنى قولُ عَبَّادِ بن عبَّاد بن حَبيب بن المَهَلَّبِ :

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناسِ قُلَّبُ

وبادِرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا زَوَالَ اقتِدارٍ أو غِنًى عنك يُعْقِبُ

[زَوَالَ ، مفعولٌ لِـ« بادِرْ » . قاله ش] ومثلُ هذا كثير .

وقال جعفرُ بن محمد بن عليِّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ إنِّى لَأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفاً من أن أَرُدَّهُ فيَستغنِىَ عنِّى .

وقال رجلٌ من العرب : ما رددتُ رجلًا عن حاجة فولَّى عنِّى إلَّا رأيتُ الغِنَى فى قَفَاهُ .

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب : ما رأيتُ أحدًا أَسْعَفْتُهُ فى حاجةٍ إلَّا أضاءَ ما بَيْنِى وبينَه ، ولا رأيتُ رجلاً رددتُه عن حاجة إلَّا أَظْلَمَ ما بينى وبينه .

أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)، فإذا كان هُوَ صلى الله عليه وسلم يَخافُ من المعصية فكيفَ يَأْمَنُها غيرُه به !

[لجرير يمدح هشام بن عبد الملك]

وأما قولُ جريرٍ لهشامِ بن عبد الملك فهو المدحُ الصحيحُ على خلافِ هذا المعنى، قال:

وأنتَ إذا نَظَرْتَ إلى هِشامٍ ... عَرَفْتَ نِجارَ مُنْتَجَبٍ كَرِيمِ

وَلِىُّ الحقِّ حينَ يؤُمُّ حَجًّا ... صُفوفًا بين زَمْزَمَ والحَطيمِ

يَرَى للمسلمينَ عليه حَقًّا ... كَفِعْلِ الوالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ

إِذا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا ... كَفَى الأَيْتامَ فَقْدَ أَبى اليَتِيمِ

وفى هذا الشعرِ :

أَمير المؤمنين على صِراطٍ ... إذا اعْوَجَّ المَوارِدُ مستَقِيمِ

أَميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِيناً ... وحِلماً فاضِلاً لِذَوِى الحُلُومِ

لَكَ المتَخَيَّرانِ أَباً وَخالاً ... فأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ

فيَابْنَ المُطْعِمِينَ إذا شَتَوْنَا ... ويا بنَ الذَّائدِينَ عن الحَرِيمِ

سما بِكَ خالدٌ وبنُو هِشامٍ ... إلى العَلْياءِ فى الحَسَبِ الجَسِيمِ (٢)

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلْقَى ... شُئُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ

تَواصَتْ من تَكَرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الخَيْلِ دامِيَةَ الكُلُومِ

فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشاً ... بِمُقْرِفَةِ النِّجارِ ولا عَقِيمِ

---

(١) سورة الأنعام

(٢) تعرقتنا : أهزلتنا ، وأصله أخذ ما على العظم من اللحم .

(٢) زيادات ر : «وهم أبو العباس فى قوله : وبنو هشام ، وإنما وقع فى شعره : وأبو هشام، وهو الصحيح ، يريد إسماعيل بن هشام ، وهو جده من قبل أمه» .

[أبيات عائذ الكلب الزبيرى لعبد الله بن حسن]

فأَمّا قولُ عائذِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِىِّ لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَنٍ : [١] :

له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ ومَهْما قال فالحَسَنُ الجميلُ

وقد كَانَ الرَّسولُ يَرَى حُقوقاً عليه لغيرِه وهوَ الرَّسولُ

فإنهُ ذَكَرَهُ بِقلَّة الإنصاف ، فقال : يَرَى له حقًّا على النَّاس ، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا من أجل نَسَبِه برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبيَّن ذلك بقوله :

وقد كان الرَّسولُ يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسولُ

فالذى يفتَخِرُ بهِ عبد الله يَرَى للناس عليه حقا ، فالمُفْتَخِرُ بهِ أَجْدَرُ

* * *

وقد قيل قيل لعلىّ بن الحُسَين — وكان بَيِّنَ الفَضْلِ رحمهُ الله : ما بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نسبَكَ أَهْلَ الرُّفْقَة ؟ فقال : أَكرهُ أَنْ آخُذَ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالًا أُعْطِى مِثْلَهُ

وإنما يَعترِى هذا البابُ — مِنَ الظُّلمِ وقِلَّةِ الإنصاف والبُعْدِ من الرِّقَّةِ عليهمُ — الجَهَلَةَ من أهلِ هذا النَّسَبِ ، والله جَلَّ ذِكْرُهُ يقول لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ

(١) زيادات ر : اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى ، وسمى عائد الكلب بقوله :

مالى مرضتُ فلم يَعُدْنى عائد منكمْ ويمرضُ كلبكم فأعودُ

وأشدُّ من مرضى علىّ صدودُكمْ وصدودُ كلبكمُ علىّ شديدُ

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

وقوله :

* إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقتْنا *

يُفسَّرُ على وجهين : أحدُها : أن يكون ذهبَ إلى أنّ بعضَ السنين سِنُونَ ، كما قال الأعشى :

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

لأن صَدْرَ القناة قَنَاةٌ ، ومن كلام العرب : ذَهَبَت بعضُ أصابعه ، لأن بعض الأصابعِ إصْبَع ، فهذا قول .

والأَجْوَدُ أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه ، فأقْحَمَ المضافَ اليه توكيداً ، لأنه غيرُ خَارِجٍ من المعنى ؛ وفى كتاب الله عزّ وجل : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[1] إنما المعنى : فَظَلُّوا لها خاضعينَ ، والخضوعُ بَيِّنٌ فى الأعناقِ ، فأَخْبَرَ عنهم ، فأَقْحَمَ الأعْناقَ توكيداً . وكان أبو زيدٍ الأَنصارىُّ يقول : أعناقُهم جماعاتهم ، تقولُ : أتانى عُنُقٌ من النَّاس ، والأَوَّلُ قولُ عامَّة النحويين .

وقال جرير :

لَمَّا أَتَى خبر الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينهِ والجبالُ الْخُشَّعُ

وقال أيضاً :

رأتْ مَرَّ السِّنينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرَارُ من الهِلَالِ

وقال ذو الرُّمَّةِ :

مَشَيْنَ كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّياحِ النَّوَاسِمِ[2]

(١) سورة الشعراء ٤ .

(٢) زيادات ر : «زعم بعضهم أن البيت مصنوع ، والصحيح فيه : مرضى الرياح النواسم والمرضى : التى تهب بلين » .

وما فحْلٌ بأنْجبَ من أبيكم ولا خالٌ بأكْرَمَ من تَميم

سَمَا أولادُ بَرَّةَ بنتِ مُرٍّ إلى العَلْياء فى الحَسَبِ العظيمِ

لك الغُرُّ السَّوابقُ من قريشٍ فقد عُرِفَ الأغرُّ من البَهيمِ

قولهُ : « حين يؤمُّ حَجًّا » فيكون الحجُّ جمعَ حاجٍ ، كما يقال : تاجرٌ وتَجْرٌ ، وراكبٌ وركْبٌ ، قال العَجَّاجُ :

بوَاسِطٍ أكْرَمُ دارٍ دارَا واللهُ سمَّى نصْرَكَ الأنْصَارَا

فأخْرَجَه على « نَاصِرٍ ونَصْرٍ » ، قال : ويجوزُ أن يكونَ حَجٌّ أصحابَ حَجٍّ ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ [1] يريد أهْلَها .

وقوله :

* كفعل الوالد الرَّؤُفِ الرَّحيم *

يقال : « رَؤُف » على « فَعُلٍ » مثلُ يقُظٍ وحَذَرٍ ، ورءوفٌ على وزن ضَرُوبٍ » . وقال الأنصاريُّ [2] :

نُطيعُ نَبيَّنا ونُطيعُ رَبًّا هو الرَّحمنُ كان بنا رءوفا

وقد قُرِئ : ﴿ إن الله رَؤُفٌ بالْعِبادِ ﴾ [3] . و﴿ رءوفٌ ﴾ أكثرُ ، وإنما هو من الرَّأفة ، وهى أشَدُّ الرَّحمة ، ويقالُ : « رَآفَةٌ » وقُرِئ : ﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأفَةٌ فِى دِينِ اللهِ ﴾ [4] على وزن الصَّرَامةِ والسَّفَاهةِ .

(١) سورة يوسف ٨٢ .
(٢) زيادات ر : « هو كعب بن مالك » .
(٣) سورة البقرة ٢٠٧ .
(٤) سورة النور ٢

يقول: هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفون فى الأرض، فقد كان يحب من أجله ألّا ينالها جَدْبٌ، وقال الآخَر:

ذَرِينى أَصْطَبِحْ يَاسَلْمَ إنِّى   رأيتُ الموتَ نقّبَ عن هِشَامِ

وقوله: «نَقَّبَ» أى طَوَّف حتى أصابَ هشاماً، قال الله عز وجل: ﴿ فَنَقَّبُوا فى الْبِلَادِ ﴾[1] أى طَوَّفُوا، ومثلُه قولُ امْرِئ القَيْسِ:

وقد نَقَّبْتُ فِى الآفَاقِ حتّى   رَضِيتُ مِن الغَنِيمةِ بالإِيَابِ

[عمر أول من أرخ فى الإسلام]

فأما التاريخُ الذى يُؤَرَّخَ به اليومَ فأَوّل مَن فعلَه فى الإسلام عمرُ ابن الخطَّاب رحمه الله. حيث دَوَّنَ الدّوَاوِينَ، فقيل له: لو أَرَّخْتَ يأَميرَ المؤمنين لسكنْتَ تَعْرِفُ الأُمور فى أوقاتِها؟ فقال: وما التَّأْريخُ؟ فأُعْلِمَ ما كانت العجمُ تفعلُه، فقال: أرِّخُوا، فقالوا: مُذْ أَىِّ سنةٍ؟ فاجتمعوا على سَنَةِ الهجرةِ، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على غير تَقِيّةٍ، ثم قالوا: فى أىِّ شهرٍ؟ فقالوا: نَسْتَقْبِلُ بالناس أمورَهم فى شهر المحرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهمْ، وكانت هجرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر[2] فَقَدَّمَ التأْريخُ على الهجرة هذه الأشهرَ

وجاءَ فى تصحيح هذا الوقت — أعنى المحرَّمَ — ما رُوِىَ لنا عن ابن عباسٍ رحمه الله، فإنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿ وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[3]: فأَقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ، وهو المحرَّم.

---

(١) سورة ق ٣٦ .

(٢) زيادات ر: «الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الأول، وفيه مات صلى الله عليه وسلم»

(٣) سورة الفجر ١، ٢

ومثل هذا كثير ، وعلى مِثْلِ هذا القول الثانى تقول : « يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىٍّ »
لأنك أردت : « يا تَيْمَ عَدِىٍّ » ، وأقحمتَ الأوّلَ توكيداً [١] ، وكذلك: لا أَبالَكَ ،
لأَن الألف لا تثبتُ فى « الأبِ » فى النصب إلاّ فى الإضافة ، أو بدلاً من
التنوين ، فإنّما أرادَ « لا أباكَ » ثم أقحمَ اللّامَ توكيدا للإضافةِ .
وأنشدَ المازِنىُّ :

وقد ماتَ شَمّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ   وأىُّ كَرِيمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ !

وقال آخَرُ :

أبِالمَوْتِ الّذِى لاَ بُدّ أَنِّى   مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِينِى !

وقولُه : « على صِرَاطٍ » فالصِّراطُ : المِنْهاجُ الواضح ، وكذلك قالت
العلماء فى قوله الله عزَّ وجل : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقِيمَ ﴾ .

وقولُه : « سَمَا بِكَ خَالِدٌ » يريدُ خالدَ بنَ الوَليد بنِ المُغيرةِ بن عبد الله
ابن عُمَرَ بن مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْبٍ ، لأَن أُمَّ هشامٍ بنتُ هشامِ
ابن إسماعيلَ بن هشامِ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم . وكان هشامُ
ابنُ المغيرةِ أَجَلَّ قُرَشِىٍّ حِلْماً وجودًا . وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ ، كما
كانت تُؤَرِّخُ بعام الفِيل وبِمُلْكِ فلانٍ . قال الشاعر :

* زَمَانَ تَنَاعَى الناسَ موتَ هِشَامِ *

ومن أَجْلِهِ يقولُ القائِل :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكّةَ مُقْشَعِرًّا   كَأَنَّ الأَرضَ ليس بها هشامُ

(١) زيادات ر : كذا وقع « وأقحمت الأول توكيدا » ؛ وإنما الصحيح : « وأقحمت الثاني توكيدا »

فَثَنَى لهُ الوِسَادَةَ ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ ، وحملهُ وأضافه ، فلمَّا أَنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمان أبي البَخْتَرِيِّ ، ولا عَقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه . فأَنْكَرَ ذلك مع جَمِيلِ ما فَعَلَ بهِ ، وأنهُ قد تجاوَزَ بهِ أَمَلَه ، فعاتَبَ بعضَهم ، فقال له الغلامُ : إنَّا إنما نُعين النازِلَ على الإقامةِ ، ولا نُعينُ الراحِلَ على الفِراق . فبلغَ هذا الكلامُ جَلِيلاً من القُرَشِيِّينَ ، فقال : والله لَفِعْلُ هؤلاء العَبيدِ على هذا القَصْدِ أَحْسنُ من رِفْدِ سَيِّدِهِمْ .

وقوله :

* فما الأمُّ التى ولَدَتْ قريشاً *

يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانةَ ، وهو أبو قُرَيْش ، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشىٍّ ، وتَمِيمَ بن مُرٍّ خالُه .

وكان يقالُ : مَنْ عَرفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤُه ، ومَنْ تَكبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غرَّ نفسَه .

وقيلَ : ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ ، ولا لِسيِّءِ الْخُلُقِ عَيْشٌ ، وَلا لِمتَكبِّرٍ صديقٌ .

وقيل : مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطتْ فى القلوب محبَّتُهُ ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ .

[فى مدح أبي البخترى]

ويُروى أنّ شاعراً أتَى أبا البَخْتَرىِّ[1] وَهْبَ بنَ وَهْبٍ ، وكان من أجْوَدِ النَّاس ، وكان إذا سمع مَدْحَ المادح ضَحك وسَرَى السُّرُورُ فى جوانحه ، وأعْطى وزَادَ ، فأتاهُ هذا الشاعرُ فأنشده :

لِكُلِّ أخِي فَضْلٍ نَصِيبٌ من العُلاَ ... ورأسُ العُلاَ طُرًّا عَقِيدُ النَّدَى وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهْبًا قولُ مَنْ غَمِطَ العُلا ... كما لاَ يَضرُّ البَدْرَ يَنْبَحهُ الكَلْبُ[2]

---

(١) زيادات ر : «البخترى ، بفتح الباء وبالخاء المعجمة» .
(٢) زيادات ر : «غمط (بالكسر) : كفر النعمة ، وغمط (بالفتح) ، ويقال أيضاً : تنقَّصَ» .

يقولُ : ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضْجِهِ .

وقوله : « ما يُؤنيه طابِخُه » يقول : ما يُؤَخِّرُه ، لأنه لو آناهُ لأنضَجَه ، لأن معنى « آنَاهُ » بلَغ به إناهُ ، أى إدراكَهُ ، قال الله عز وجل : ﴿ إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إنَاهُ ﴾[١] وتقول : أَنَى يَأْنِى إنًى ، إذا أَدْرَكَ ، وآنَ يَئِينُ مثلُه ، وقولُه عز وجلَّ : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾[٢] أى قد بلَغَ إناه .

وقولَه :

* ما غَيَّرَ الغَلْىُ منه فهو مأكولُ *

يقول : نحنُ أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا مِن فعلهم[٣]

وقوله : « مُسَوَّمَةٍ » تكونُ على ضَرْبَيْن : أحدُهما أن تكونَ مُعْلَمَةً ، والثانى أن تكونَ قد أُسيمَتْ فى المَرْعَى ، وهى هاهنا مُعْلَمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ .

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبياتِ من بيتِ امرئ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما فى هذه الأبياتِ فى بيتٍ واحدٍ ، مع فضلِ التقدُّمِ :

نَمَشُّ بأَعْرَافِ الجِيادِ أَكُفَّنَا ... إذا نَحْنُ قُمْنَا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ ، ونمشُّ : نَمْسَحُ ، ويقال للمِنْديل المَشُوشُ

---

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٢) سورة الرحمن ٤٤ .

(٣) زيادات ر : «العرب لاتنضج اللحم ؛ إما لاستعجالها للضيف ، وإما لأن ذلك مستحب عندها ، ولذلك قال : لا يؤنيه . وقيل لتعجيل القرى » .

بابٌ

[سؤال عبد الملك لحسان : أى المناديل أفضل ؟]

قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ يومًا لجلسائه — وكان يَجْتَنِبُ غيرَ الأُدَباء — : أىُّ المَناديلِ أفضلُ ؟ فقال قائلٌ منهم : مناديلُ مصرَ كأنها غِرْقِئُ البَيْضِ[1] . وقال آخرُ : مناديلُ اليمن كأنها أَنْوارُ الرَّبيعِ . فقال عبدُ الملك : ما صَنَعْتُما شيئًا ، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تميم — يعنى عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب[2] :

لمَّا نَزَلنا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ ... وَفَارَ لِلقوم باللَّحم المَرَاجِيلُ

وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ ... مَاغَيَّرَ الغَلْىُ منه فهْو مأكول

ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... أَعْرَافُهُنَّ لِأَيدينا مَناديلُ

قولُه : « غرقئ البيض » يعنى القشرةَ الرقيقةَ التى تَرْكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى ، وقشرُها الأعلَى يقال له : القَيْض .

وقولُه : « المَرَاجِيل » إنما حَدُّهُ « المَرَاجِلُ » ، ولكن لمَّا كانت الكسرةُ لازمةً أَشْبَعَهَا للضرورة ، كما قال :

* نَفْىَ الدَّراهم تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ[3] *

وقد مَرَّ تفسير هذا .

وقوله :

* وَرْدٌ وأشقَرُ ما يُؤْنيه طابِخَهُ *

---

(١) زيادات ر : « الغرقئ يهمز ، ولا يهمز ، وكذلك فعله » .

(٢) زيادات ر : « عبد ، بإسكان الباء » .

(٣) زيادات ر : « الحجة فى الصياريف » .

ثَقُلَ فقدأخطأ . ومِثْلُ ذلك : رجلٌ وَلَا كَمَالِكٍ [١] — يَعنونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ ، ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ .

[حديث بنات ذى الإصبع العدواني]

وحدثنى علىُّ بن عبد الله عن ابنِ عائشةَ قال : كان ذو الإصْبَعِ العَدْوانىُّ رجلاً غَيُوراً ، وكانت له بناتٌ أربعٌ ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً ، فاستَمَعَ عليهنّ يومًا ، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ ، فقالت قائلةٌ منهنَّ : لِتَقلْ كلُّ واحدة منكنَّ ما فى نفسِها ، ولْنَصْدُقْ جميعاً . قال : فقالت كُبْرَاهُنَّ :

أَلا لَيْتَ زوْجى من أُنَاسٍ ذَوِى غِنًى
حَديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ
لَصُوقٌ بأَكْبَادِ النِّساء كأنَّه خَليفةُ جانٍ لا يُقيمُ عَلَى هَجْرِ

قال : وقالت الثانية :

أَلاَ لَيْتَهُ يُعْطَى الجمالَ بَدِيئةً له جَفْنَةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ
له حَكَمَاتُ الدَّهرِ من غيرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلاَ فَانٍ وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ

[أَخْذُ التَّجارِبِ ، وهو مأخوذٌ من حَكَمَةِ اللِّجام . ش] فَقُلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ سَيِّداً . فقالت الثالثة :

أَلاَ هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُها أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنِ [٢] المُهَنَّدِ
عَلِيماً بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ إذا ما انْتَمَى مِنْ أَهلِ بَيْتِي ومَحْتِدِى

فقلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ ابْنَ عَمٍّ لَكِ ، فقد عَرَفْتِهِ . وقُلْنَ للصغرى :

---

(١) زيادات ر : « فما يقال : فتى ولا مالك ، وقد تقدم لأبي العباس : « فتى » ، وهو الصواب » .

(٢) زيادات ر : « حليلها ، بفتح اللام وبالضم ، وأشم مثله » .

وكانت العربُ تَألَفُ الطِّيبَ ، وتطرَحُ ذلك فى حالتين : فى الحرب والصَّيْدِ ،
قال النابغة :

سَهِكِينَ من صَدَإ الحَدِيدِ كأنَّهُمْ تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّـــةُ البَقَّارِ

وقال آخر :

وأسْيافُكُمْ مِسْكٌ تَحَلُّ أَكُفَّكُمْ على أنَّهَا رِيحُ الدماء تَضوعُ[1]

معنى « تَضُوعُ » تَفُوحُ .

[وفاء ابنة هانئ بن قبيصة]

ورُوِىَ عن ابنةِ هانِئ بن قَبِيصَة . [ذَكَرَ يعقوب أنها ابنةُ قَيْس بن خالدٍ الشيبانى . ش] . أنه لما قُتِل عنها لَقِيطُ بن زُرَارَةَ بن عُدَس بن زيد بن عبد الله ابن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ ، فتَزَوَّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزَالُ يراها تَذْكر لَقِيطاً ، فقال لها ذاتَ مَرَّةٍ : ما استحسنْتِ مِن لَقِيطٍ ؟ فقالت : كُلُّ أمورِه كانتْ حَسنةً ، ولكنى أُحَدِّثُكَ أنّه خرجَ مرةً إلى الصيد وقد انْتَشَى ، فرجَعَ وبقميصه نَضْحٌ من دَمِ صيده ، والمِسْكُ يَضُوعُ من أَعْطافِهِ ، ورائحةُ الشَّراب مِنْ فيه ، فَضَمَّنى ضَمَّةً ، وشَمَّنى شَمَّةً ، فليتَنى كنت مِتُّ ثَمَّهْ ، قال : ففعل زوجُها مثلَ ذلك ، ثم ضمها إليه ، وقال : أينَ أنا مِنْ لَقِيطٍ ؟ فقالت : ماءٌ ولا كَصداء — مثلُ حَمْراءَ ، ووزنُها « فَعْلاء » ، وموضع اللام همزة ، وهى بئر مُتَقَدِّمَة ، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعىِّ وأبى عبيدة ، وكذلك سمعنا العربَ تقوله ، ومَنْ

(١) فى ل : « تضوع » رواية ج .

لا يَسْمَعْنَ ، وَأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ ، فقال : « أُشْبِهَ امْرُؤٌ بعضَ بَزِّهِ »[١] فأرسَلَها مثلا .

قال عليٌّ بن عبد الله : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولها : « وأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ » ؟ فقال : أَمَا تَرَاهُنَّ يَمْرُرْنَ فتسقطُ الواحدةُ منهنَّ فى ماء أو وَحَل وما أشبهَ ذلك فيَتْبَعْنَها إليه .

قولُ الثانيةِ :

* له جَفنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والْجُزْرُ *

فالنِيبُ : جمعُ نَابٍ ، وهى المُسِنَّة ، وإنما قيلَ لها : نَابٌ ، لطُول نَابِها ، قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ :

* تُشَبَّهُ نَابا وَهْىَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ *

وتقديرِ « نِيبٍ » من الفعل « فُعْلٌ » ، ولكنْ ما كان من ذواتِ الياء كُسِرَ له موضعُ الفاءِ من الفعلِ لِتَصِحَّ الياء ، لأنَّ الياءَ إذا سَكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَها كانت واواً ، نحو : مُوقِن ومُوسِر ، وإن فارقَتْهَا الضَّمةُ عادتْ إلى أصلها ، نحوُ قولك : مَيَاسِيرُ ، ومثلُ ذلك أبيضُ وبِيضٌ ، وإنما « بِيضٌ » « فُعْلٌ » كـ« أَحْمَرَ وحُمر » و« أَصْفَرَ وصُفْرٍ » ، ولكنْ كُسِرَتِ النون لتصحَّ الياء ، ولو كانت واواً فى الأصل لم تَغَيَّرْ ، نحوُ : « أسودَ وسُودٍ » .

وقوله : « نَابٌ » ، تقديرها « فَعَلٌ » متحركة العينِ ، ولا تنقلبُ الياء ولا الواوُ أَلِفاً إلاَّ وَهُما فى موضِع حركةٍ وما قبلَهما مفتوحٌ ، نحو : بَاعَ وَقَالَ ورَمَى وغزَا ، لأن التقديرَ « فَعَل » ، ولو كان على « فَعْلٍ » لَصَحَّتِ الياء

---

(١) زيادات ر : « أشبه امرأ بعض بزه ، رواية » . يضرب للمتشابهين أخلاقاً .

ما تقولين ؟ فقالت : لا أقولُ شيئاً ، فَقلْنَ : لا ندَعُكِ وذَاكِ ، إنَّكِ اطَّلَعْتِ على أسرارنَا وتَكْتُمِين سِرَّكِ ، فقالت : زَوْجٌ من عُودٍ ، خَيْرٌ من قُعُودٍ .

قال : فَخَطبْنَ ، فزَوَّجَهُنَّ جُمَع ، ثم أَمْهَلَهُنَّ حَوْلاً ، ثم زارَالكُبْرَى ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ : خيرَ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أهلَه ، ويَنْسَى فَضْلَه ، قال لها : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قالت : الإبِلُ ، قال : وما هى ؟ قالَتْ : نَأكل لُحْمَانَها مُزَعا (١) ، ونشربُ أَلْبَانَهَا جُرَعا ، وتَحْمِلنَا وضَعَفَتنَا معا . فقال لها : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عَمِيمٌ .

ثم زار الثانيةَ فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالت : يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ، ويُقَرِّبُ الوَسِيلَةَ . قال : فما مَالُكُمْ ؟ قالت : البَقَرُ ، قال : وماهى ؟ قالت : تَألَفُ الفِنَاءَ ، وتَمْلأُ الإناءَ ، وتُودِكُ السِّقَاءَ ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ . قال لها : رَضِيتِ وحَظِيتِ .

ثم زارَ الثَّالثةَ ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : لا سَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بَخِيلٌ حَكِرٌ (٢) ، قال : فما مالُكُمْ ؟ قالت : المِعْزَى ، قال : وماهى ؟ قالت : لو كنَّا نُوَلِّدُها فَطُمًا ، ونَسْلَخُهَا أَدَمًا ، لم نَبْغِ بِهَا نَعَما ، فقال لها : جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ .

ثم زار الرَّابعةَ ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : شَرُّ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ نفسَهُ ، ويُهِينُ عِرْسَهُ ، قال لها : فما مَالُكُمْ ؟ قالت : شَرُّ مَالٍ ، الضَّأْنُ ، قال لها : وما هُنَّ ؟ قالت : جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ ، وهِيمٌ لا يَنْقَعْنَ ، وصُمٌّ

(١) مزعا : قطعا .
(٢) الحكر هنا : المقتر .

وقولها: « مِنْ أهْلِ بيتى ومَحْتِدِى » فالمحتِدُ: الأصل ، قال الشاعرُ :

وَفِى السِّرِّ مِنْ قَحْطَانَ أَوْلاَدُ حُرَّةٍ   عِظَامُ اللُّهَا بِيضٌ كِرَامُ المَحَاتِدِ

وقولُه: « مالٌ عميمٌ » يقولُ: جامِعٌ ، أَخَذَهُ مِنْ عَمَّ يَعُمُّ .

وقولُه : « جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ » فالجِذْوُ : جمعُ جِذْوةٍ ، وهى القِطْعة ، وأصلُ ذلك فى الخشَبِ ما كانَ منهُ فيه نارٌ ، قال اللهُ عز وجلّ : ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ [1] وتجمعُ أيضا جُذًا ، قال ابنُ مُقْبِل :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها   جَزْلَ الجُذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

الخوَّارُ : الضعيفُ ، والدَّعِرُ : الكثير الثَّقْبِ ، يقالُ : عُودٌ دَعِرٌ .

وقولها : « جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ » تقولُ : عِظامُ الأَجْوَافِ . و« هِيمٌ لا يَنْقَعْنَ » ، الهِيمُ : العِطَاش ، يكونُ الواحِدُ من هِيمٍ أَهْيَمَ ، ويقال فى هذا المعنى : هَيْمَانُ . وقال بعضُ المفسِّرِينَ فى قول الله عز وجل : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ ﴾ [2] قال : هى الإبلُ العِطَاشُ ، وقال ذو الرُّمَّة [3] :

فراحَتْ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرُهَا   وَقَدْ نَشَحْنَ فلا رِىٌّ وَلاَ هِيمُ [4]

ويقال : « قَصَعَ صَارَّتَهُ » إذا رَوِى ، والصَّارَّةُ : شِدَّةُ العطَش ، والنُّشُوحُ : أَنْ تَشْرَبَ دُونَ الرِّىِّ ، يقال : نَشَحَ يَنْشَحُ ، ومثْلُه : تَغَمَّرَ ، إذا لم يَرْوَ . ويقال للقَدَحِ الصغير الغُمَرُ مِنْ هذا . وقال بعضُ المفسِّرِين : الهِيمُ : رِمالٌ بعينها ، واحدتُها هَيْماء ، يا فتى .

---

(١) سورة القصص ٢٩ .

(٢) سورة الواقعة ٥٥ .

(٣) زيادات ر : « يصف حميرا » .

(٤) زيادات ر : « الحقب البيض الأعجاز من الحمير » .

والواوُ ، كما تقول : بَيْعٌ وقولٌ ، و « فَعَلٌ » قد يجمعونه على « فُعْلٍ »
كقولهم : أَسَدٌ وأُسْدٌ ، ووَثَنٌ ووُثْن .

وقولها : « تَشْقَى بها النيبُ والجَزُرُ » فإنَّما عَطَفَتْ أحدَهما على الآخرِ
لأنَّ مِنَ الإبلِ ما يكون جَزُورًا للنَّحْرِ لا غَيْر .

وأمَّا قولها : « وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ » فالضَّرَعُ : الضعيفُ ، والغُمْرُ : الذى
لم يُجَرَّب الأمور .

[الحجاج والمهلب بن أبي صفرة]

ويُرْوَى أَنَّ الحجاجَ لمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّبِ بن أَبِى صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ
عبدَ رَبِّهِ الصغيرَ ، وهَرَبُ قَطَرِىٍّ عنه تَمَثَّلَ فقال : للهِ دَرُّ المُهَلَّبِ ! واللهِ لَـكَأَنَّهُ
ما وصف لَقِيطٌ الإياديُّ حيثُ يقول :

وَقَـلِّدُوا أَمْرَكُمْ للهِ دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لاَ مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا
مازال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطُرَهُ ... يَكونُ مُتَّبِعاً طَوْرًا ومُتَّبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُرَّ العَزِيمَةِ لا رَتًّا وَلاَ ضَرَعَا

فقام إليه رجلٌ فقال : أيُّها الأميرُ ، واللهِ لَـكَأَنِّى أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ
قَطَرِىٍّ فى المهلَّب . فَسُرَّ الحجاج بذلك سروراً تَبَيَّنَ فى وجهه

وقولُها :

* كنصلِ السَّيفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ *

فالمُهَنَّدُ : المنسوبُ إلى الهند .

وتحدّث عمرُو بن بَحْرٍ ، قال : كان يقال : لا ينبغى لعاقل أن يُشَاوِرَ واحداً من خمسةٍ : القَطَّانُ ، والغَزّالُ ، والمُعَلِّمُ ، وراعى ضأنٍ ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثةِ للنّساء .

وقيلَ فى مِثْل هذا : لا تدَعْ أُمَّ صَبِيّكَ تَضْرِبُهُ فإنه أعقلُ منها وإن كان طِفْلا .

وقال الأَحْنَفُ بن قَيْس : إنى لَأُجالِسُ الأحمقَ السّاعةَ فأَتبيَّنُ ذلك فى عَقْلِى

وقال جلَّ ثناؤه فى صفةِ النّساء : ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الْحِلْيَةِ وهُوَ فِى الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ ﴾[1]

[نقد كثير للشعراء]

وحُدِّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بن عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ أتَى المدينةَ فأقام بها ، ففى ذلك يقول :

يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائى بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا

فلمَّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأَحْوَصُ بن محمدٍ ، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ صار إليهما نُصَيْب ، فمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته ، فرَجَعَ إلى صاحِبَيْه ، فقال : إنّى رأيتُ كُثَيِّراً بموضِع كذا ، فقال عمرُ : فابْعثُوا إليه لِيصيرَ إلينا ، فقال الأَحْوَصُ : أَهُوَ يَصير إليكم ؟ هو واللهِ أعظَمُ كِبْراً من ذلك ، قال : فإذاً نَصِير إليه ، فصاروا إليه ، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبش ، فو الله ما رَفَعَ منهم

(١) سورة الزخرف ١٨.

وقولها : « لا يَنقَعْنَ » أي لا يَرْوَين ، يقال : ما نقعتْ ماشيةُ بنى فلانٍ بِرِیٍّ ، إذا لم تَبلُغْ من الماء حقّها ، ويقال للماء : النَّقْعُ ، ويقالُ : النَّقْعُ فى غير هذا موضع للغبار ، ويقال : أثارُوا النَّقْعَ بينهم . والنَّقْعُ أيضا : اسمُ موضع بعينه ، قال الشاعرُ :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهِهَا ... مَساكِنَ ما بين الوَتَائِرِ والنَّقْعِ[1]

والنَّقْعُ : الصُّراخُ ، قال لبيد :

فمتى يَنْقَعْ صُرَاخٌ صادِقٌ ... يُحْلِبُوهُ[2] ذَاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولها : « وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ » ، طَرِيفٌ من كلام العرب ، وذلك أنه يقال لكلِّ صحيحِ البَصَر ولا يُعمِلُ بصَرَهُ : أعمى ، وإنما يُرادُ به أنه قد حَلَّ محلَّ مَنْ لا يُبْصر البَتَّةَ ، إذا لم يُعْمِلْ بَصرَه ، وكذلك يقالُ للسَّمِيعِ الذى لا يَقبَلْ : أَصَمُّ ، قال الله جلَّ ذِكره : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[3] كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[4] وكذلك : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وِلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾[5] وقولُه عزّ وجلَّ : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾[6] .

وتقول العربُ : « أَبلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ » ، ويقالُ : أَحْمَقُ مِنْ رَاعِى ضَأْنٍ ثَمَانِينَ[7]

---

(١) زيادات ر : « الوتائر ، بالتاء منقوطة باثنتين من فوق » ، الوتائر والنقع : موضعان .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى ر : « يجلبوه » .
(٣) سورة البقرة ١٨ .
(٤) سورة محمد ٢٤ .
(٥) سورة النمل ٨٠ .
(٦) سورة البقرة ١٧١
(٧) زيادات ر : « قوله : أحمق من راعى ضأن ثمانين ، المثل لكسرى فى إعرابي خيره فاختار ذلك . ذكره أبو عبيد ، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس » .

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإنْ أَمُتْ   فَوَاحَزَنِى مَن ذَا يَهِيمُ بها بَعْدِى

كأنَّكَ اغْتَمَمْتَ ألاّ يُفْعَلَ بها بَعْدَكَ، ولا يَكْنِى، فقال بعضهم لبعض:
قوموا فقد استَوَتِ القِرِقَةُ. وهى لُعْبَةٌ على خُطُوطٍ، فاستواؤُها انقضاؤُها.

***

قال أبو الحسن: الطَّبِينُ هى السُّدَّرُ، فإذا زيدَ فى خُطوطِه سمَّته العربُ: القِرِقَ، وتُسمِّيه العامَّة السُّدَّر.

[كثير والأخطل عند عبد الملك بن مروان]

قال: وحُدِّثتُ أن كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مَرْوَانَ وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطل، فقال: كيف تَرَى؟
قال: حجازىٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[1]، دَعْنِى أَضْغَمْهُ يأميرَ المؤمنين، فقال كثير: مَنْ هذا يأَميرَ المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطلُ، فقال له كثيّر:
مَهْلا، فهلاّ ضَغَمْتَ الذى يقول[2]:

لا تَطْلُبَنَّ خئولةً فى تَغْلِبٍ   فالزَّنْجُ أَكْرَمُ منهم أَخْوَالاَ[3]

والتَّغْلَبِيُّ إذَا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى   حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمْثَالاَ

فسكتَ الأخطلُ فما أجابه بحرفٍ.

---

(١) مقرور: أصابه القر؛ وهو البرد.
(٢) حاشية الأصل: « هو جرير »، والبيتان فى ديوانه ٤٥٠، ٤٥٣.
(٣) زيادات ر: « أخوالا، منصوب على الحال؛ ومن زعم أنه تميز فقد أخطأ ».

أحداً ولا القرشيَّ . ثم أقبلَ على القرشيّ ، فقال : ياأخا قُرَيْشٍ ، والله لقد قلت فأحسنتَ فى كثيرٍ من شعرك ، ولكن خبِّرْنِي عن قولك :

قالتْ لها أُخْتُها تُعاتِبُها لا تُفْسِدِنَّ الطَّوَافَ فى عُمَرِ[1]

قُومِي تَصَدَّىْ له لِيُبْصِرَنَا ثم اغمِزِيه يا أختِ فى خَفَرِ

قالتْ لها : قد غَمَزْتُهُ فأبَى ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ فى أَثَرِى

والله لو قد قلتَ هذا فى هِرَّةِ أهلِكَ ماعَدَا ، أردتَ أن تَنْسُبَ بها فنسَبْتَ بنفسك ، أهكذا يقالُ للمرأة ! إنما تُوصَفُ بالخفرِ ، وأنها مطلوبة ممتنعة ، هَلَّا قُلْتَ كما قال هذا ؟ وضرب بيده على كَتِفِ الأَحْوَصِ :

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أَدُورُ

وما كنتُ زَوَّاراً ولكنَّ ذا الهَوَى إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

لقد مَنَعَتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ وإنّى إلى معروفها لَفَقِيرُ

قال : فامتلأ الأحوصُ سروراً ، ثم أقبلَ عليه فقال : ياأحْوَص ، خبِّرْنِي عن قولك :

فإنْ تَصِلِي أَصِلْكِ وإنْ تَعُودِى لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبالِي

أما والله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ ، هلاَّ قلتَ مثلَ ما قال هذا ؟ وضَرَبَ بيده على جنبِ نُصَيْبٍ :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ وَقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

قال : فانتفخَ نُصَيْبٌ ، ثم أَقبلَ عليه فقال له : ولكنْ أخبِرْنِي عن قولك يا أَسْوَدُ :

---

(١) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية « لاتفسدن » على النهى ، والصحيح : « لتفسدن » على القسم ؛ كأنها قالت : « والله لتفسدن » .

هل لكَ فيما يُتنادَمُ عليه ؟ فقال : يأميرَ المؤمنين، تأمَّلْني ، قال : قد أراكَ ، فقال : يا ميرَ المؤمنين، جِلدِى أسْوَدُ ، وخَلْقِي مُشَوَّهٌ، ووجهِي قَبيحٌ ، ولستُ فى مَنصِبٍ ، وإنما بَلغَ بى مُجالَستَكَ ومؤاكَلتَكَ عقلِي ، وأنا أكرهُ يأميرَ المؤمنين أن أدخِلَ عليه ما يَنْقُصُهُ . فأعجبه كلامُه فأعفاهُ .

[الوليد بن عبد الملك والحجاج]

وقال الوليدُ بنُ عبدِ الملك للحجاجِ فى وَفْدَةٍ وفدَها عليه — وقد أكلا : هل لكَ فى الشراب ؟ فقال : يأميرَ المؤمنين ، ليسَ بحرامٍ ما أحْلَلْتَهُ ، ولكنى أمنعُ أهلَ عَمَلِي منه ، وأكرهُ أن أخالفَ قولَ العبدِ الصَّالِح : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[1] ، فأعفاه .

[مسلمة بن عبد الملك ونصيب]

وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك يوماً لنُصيبٍ : أمتَدَحْتَ فلاناً ! لِرجُلٍ مِنْ أهلِه ، فقال : قد فعلتُ ، قال : أوَ حَرَمَكَ ؟ قال : قد فعلَ ، قال : فَهلاَّ هجَوْتَه ؟ قال : لم أفعلْ . قال : ولِمَ ؟ قال : لِأَنِّي كنتُ أحقَّ بالهجاء منه ! إذْ رَأيْتُهُ موضِعاً لِمَدْحِي ! فأُعْجِبَ به مسلمُ ، فقال : اسألني ، قال : لا أفعلُ ، قال : ولِمَ ؟ فقال : لأنّ كفَّكَ بالعطيَّةِ أجْوَدُ مِن لساني بالمسألة . فوهَبَ له ألفَ دينارٍ .

[فى نقد الشعر]

وحُدِّثتُ أنَّ الكُمَيتَ بنَ زيدٍ أنشَدَ نُصَيْباً فاستمع له ، فكان فيما أنشدَهُ :

---

(١) سورة هود ٨٨ .

قال أبو العباس : سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعرَ :

* والتَّغْلَبِيُّ إذا تَنَبَّحَ لِلقِرَى *

وهو أبلغُ .

[أبيات نصيب فى امرأة نزل عندها فأكرمته]

قال : وخُبِّرْتُ أَن نُصَيْباً نزلَ بامرأةٍ تُكْنَى أمَّ حَبيبٍ ، من أهلِ مَلَلٍ ، وكانت تُضِيفُ بذلكَ المَوضِعِ وتَقْرِى ، ولا يزالُ الشريفُ قد نزَلَ بها فأَفْضَلَ عليها الفضْلَ الكثير ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يَتناوَلُها بالبِرِّ ، لِيعينَها عَلَى مُرُوءتها ، فنزلَ بها نُصَيْبٌ ومعه رجُلانِ من قريش ، فلما أَرادُوا الرِّحْلَةَ عنها وَصَلَهَا القُرَشِيَّانِ ، وكان نُصيبٌ لا مالَ معه فى ذلك الوقتِ ، فقال لها : إنْ شئتِ فَلَكِ أن أُوَجِّهَ إليكِ بمثلِ ما أعطاكِ أَحدُهما ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً ، فَغَزِلَتْ أُمُّ حبيبٍ [(١)] فقالتْ : بل الشِّعْرَ ، فقال :

أَلاَ حَىِّ قبلَ الْبَيْنِ أُمَّ حَبيبِ ... وإنْ لم تكنْ مِنَّا غَدًا بِقريبِ

وإنْ لم يكن أَنِّى أُحِبُّكِ صادقاً ... فما أحدٌ عندِى إذًا بِحَبيبِ

تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَه مَلَلِيَّةٌ ، غَرِيبُ الهَوَى ، وَاهًا لِكُلِّ غَرِيبِ!

[نصيب عند عبد الملك بن مروان]

وحُدِّثْتُ أن نُصيباً أَتَى عبدَ المَلِكِ فَأَنشدَه ، فاستحسَنَ عبد الملك شِعْرَه وسُرَّ به ، فوصَلَه . ثم دَعَا بالغَدَاءِ فَطَعِمَ معه ، فقال له عبدُ الملك : يا نُصيب ،

---

(١) زيادات ر : « أى مالت إلى أن يتغزل بها » .

ولم يَلزَمْهُ رَدُّ الياء لمّـا تحركت الميمُ ، لأن تحرُّكها ليس لها على الحقيقة ، وإنمـا هي حركةُ الهاء .

* * *

وأمّا قولُ الشاعر :

حديثُ بَنِي بَدْرٍ إذَا ما لَقِيتَهم كَنَزْوِ الدَّبَى في العَرْفَجِ المتَقَارِبِ

فليس كقوله : « وشِغْوٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ » ولكنَّه وصَفهم بصُئُولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإدخال بعضِه في بعض .

والذي يُحمَدُ الجهارَةُ والفخامة .

[لرجل يمدح الرشيد]

وأُنْشِدْتُ لرجل قال يمدحُ الرّشيد :

جَهيرُ الكلامِ جَهيرُ العُطَاسِ جَهيرُ الرُّوَاءِ جَهيرُ النَّغَمْ
ويَخْطُو على الأيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ويَعْلُو الرِّجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ[1]

ويروى أن الرشيدَ كان يَأْتزِرُ في الطَّوافِ فيُذْنبُ إزارَه ويباعد بين خُطاه ، فإذا رجَعَ بيده كادَ يُفْتَنُ مَنْ يراهُ ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشِّعرِ .

(١) زيادات ر : « الرجل هو العماني الشاعر ؛ وقوله : «عمم» ، أي جسيم ؛ والأين : الإعياء ، ويكون الأين الحية ، وهي الأيم » .

ومِن مَذاهبهم المطّرِدَةِ فى الشّعر أن يُلقوا على الساكنِ الذى يَسْكن مما بعدَه للتّقييدِ حركَةَ الإعرابِ، كما قال الراجز[١]:

* أنا ابنُ ماوِيّةَ إذْ جَدّ النَّقُرْ *

يريدُ «النَّقْر» يا فتى، وهو: النَّقْرُ بالخيل، فلما أَسكَنَ الرّاء أَلْقَى حركتَها على الساكنِ الذى قبلَها[٢].

وشَبِيهٌ بهذا قوله:

عَجِبْتُ والدَّهْرُ كثيرٌ عَجَبُهْ مِن عَنَزِيٍّ سَبَّنِى لم أَضْرِبُهْ

أرادَ: «لم أضرِبْهُ»، يا فتى، فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء، وكان ذلك فى الباء أحسنَ، لخفاء الهاء.

وقال أبو النَّجْم:

* أقولُ قَرِّبْ إذا وهذا أَزْحِلُهْ *

يريدُ «أَزْحِلْهُ». يا فتى.

[أقول: قَرِّبْ ذَا وهٰذَاكَ ازْحَلْهْ. كذا عن ش].

وقال طَرَفَة:

حابِسِى رَبْعٌ وقفتُ بِهِ لو أُطِيعُ النَّفْسَ لم أَرِمُهْ

(١) زيادات ر: «قال ابن السيد: أحسبه لعبيد بن ماوية».

(٢) زيادات ر: «النقير»: صويت باللسان؟ يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه. قال امرؤ القيس:

* أخفّضه بالنّقرِ لمّا علوتُه ويرفع طرفاً غيرِ جاف غَضِيض

ويروى أنّ غارةً أتتهُمْ يوماً ، فصاح العباسُ : يا صبَاحاهْ ! فاسْتَسْقطَت الحواملُ لشدةِ صوته .

***

وقد طُعِنَ فى قول النَّابغة الجَعْدِىِّ :

[وأزْجُرُ الـكَاشِحَ العَدُوَّ إذا اغْ * تابَكَ عندِى زَجْراً عَلَى أضم](1)

زَجْرَ أَبِى عُرْوَةَ السِّباعَ إذا أشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ(2)

وذلك أنّ الرُّواةَ احتملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُرُ الذِّئابَ ونحوَها مما يُغيرُ على الغنمَ ، فيفْتقُ مَرَارَةَ السَّبُعِ فى جَوْفه .

فقال : مَنْ يَطْعَنُ فى هذا ؟ السَّبُعُ أشدُّ أيْدًا من الغَنَمِ ، فإذا فعلَ ذلك بالسبعِ هلكتِ الغنمُ قبلَه . فقال مَنْ يَحْتَجُّ له : إنَّ الغنمَ كانتْ قد أَنِسَتْ بهذا منه ، والصوتُ الرّائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به ، كالرَّعْد القاصِفِ الذى لَوْلاَ خَشْيَةُ صَاعِقتَهِ لم يُفْزِع كَبيرَ فزَعٍ ، ولو جاء أقلُّ منه من جَوْفِ الأرضِ لذَعَرَ ، ولم يَبْعُدْ أن يَقْتُل إذا أتَى مِنْ حيثُ لم يُعْتَد .

وجملة هذا البيتِ أنه وَصَفَ شدَّةَ صَوتِ المذكورِ ، وتأويله أنه مِن تَكاذِيبِ الأعْرابِ

(١) هذا البيت من زيادات ر .

(٢) زيادات ر : « يروى « زجر أبى عروة السباع » ؛ بخفض السباع ، ؛ كما قيل : قبس الرقيات » ؛ فصار على هذا الوجه يعرف بأبي عروة السباع ؛ مثل ذلك » .

[لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت]

ويروى أنّ عائشةَ رحمها الله نظرتْ إلى رجل مُتماوِتٍ ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحَدُ القُرَّاء ، فقالت : قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئاً ، فكان إذا قال أسْمَعَ ، وإذا مَشَى أسرعَ ، وإذا ضرب أوْجَعَ .

[لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك]

ويروي أن عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظهِرٍ للنّسْكِ مُتماوِتٍ ، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّةِ ، وقال : لا تُمِتْ علينا دِيننا ، أماتَكَ اللهُ .

[وفود الروم عند عبد الملك بن صالح العباسي]

ويروي أنّ عبدَ الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم ، وقام السِّماطَانِ ، فأُتِيَ برجلٍ منهم ، وعَطَسَ أحَدُ مَنْ فى السِّماطَيْنِ فَأَخْفَى عَطْسَتَهُ ، فقال له عبدُ الملك لمّا انقضى أَمرُ الوَفْدِ : هَلاَّ إذْ كنتَ لَئيمَ العُطاسِ أتبعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حتّى تَخْلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ .

[جهارة صوت العباس]

وكان العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله : أجهرَ الناسِ صوتاً ، ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمّا انهزمَ النّاسُ يومَ حُنَيْنٍ : « يا عباسُ ، اصْرُخْ بالناس » .

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ : أيُّ إخوانِكَ أَحَبُّ إليك ؟ فقال : الذى يَسُدُّ خَلَلِي ، ويَغفِرُ زَلَلِي ، ويَقْبَلُ عِلَلِي .

[من أخبار عبد الله بن جعفر]

وافْتَقَدَ عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَديقاً له مِن مجلسه ، ثم جاءه ، فقال : أين كانت غَيْبَتُكَ ؟ فقال : خرجتُ إلى عُرْضٍ من أعْرَاضِ المدينةِ معَ صديقٍ لى ، فقال له : إنْ لم تَجِدْ مِن صُحبةِ الرِّجال بُدًّا فعليك بصحبةِ مَنْ إنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ ، وإنْ خَفَفْتَ له صانَكَ ، وإنِ احتجتَ إليه مانَكَ[1] ، وإنْ رَأى منك خَلَّةً سَدَّها ، أو حَسَنَةً عَدَّها ، وإن وَعَدَكَ لم يُجْرِضْكَ[2] ، وإن كَثُرْتَ عليه لم يَرْفِضْكَ ، وإن سألْتَه أعطاكَ ، وإن أمْسَكْتَ عنه ابتدَاكَ .

وامتدَحَ[3] نُصَيْبٌ عبدَ الله بن جعفرٍ ، فأمرَ له بخيلٍ وإبلٍ وأثاثٍ ودنانيرَ ودراهِمَ ، فقال له رجل : أَمِثْلُ هذا الأَسْوَدِ يُعْطَى مثلَ هذا المالِ ؟ فقال له عبدُ الله [بن جعفرٍ[4]] : إنْ كان أسودَ فإنَّ شِعْرَهُ لأبْيَضُ ، وإنَّ ثناءه لعَرَبِيٌّ ، ولقد استحقَّ بما قالَ أكثر مما نالَ ، وهل أعطيناهُ إلاّ ثِياباً تَبْلَى ، ومَالاً يَفْنَى ، ومَطايا تُنْضَى ، وأعطانا مَدْحًا يُرْوَى ، وثناءً يَبْقَى !

---

(١) مانك : قام بما عليك من مؤنة .
(٢) يريد لم يخلف وعدك .
(٣) س : « قال أبو العباس » .
(٤) تكملة من س .

[للحسن وقد رأى رجلا يجود بنفسه]

وحُدِّثْتُ أَنّ الحسنَ نظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بنفسه فقال : إنّ أمْراً هذا آخِرُه لَجَديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أَوَّلِه ، وإنّ أمرًا هذا أَوَّلُه لجديرٌ أن يُخَافَ آخِرُه .

***

وقيلَ لرجلٍ من أشرافِ العَجَم فى عِلَّته التى ماتَ فيها : ما بكَ ؟ قال : فِكْرٌ عجيبٌ ، وحَسْرَةٌ طَويلةٌ ، فقيل : مِمَّ ذاكَ ؟ فقال : ما ظَنُّكم بمَنْ يَقطَعُ سَفَرًا قفرًا بلا زادٍ ، ويسكنُ قبرًا مُوحِشاً بلا مُؤْنِسٍ ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادلٍ بلا حُجَّةٍ !

***

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورّاقُ :

بأىِّ اعتذارٍ أَمْ بأَيّةِ حُجَّةٍ يقولُ الذى يَدْرِى مِنَ الأَمْرِ : لا أَدْرِى!
إذا كانَ وَجْهُ العُذْرِ ليسَ ببَيِّنٍ فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ

***

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ مِن أمرٍ بلغه عنه ، فَعَذَرَهُ ، ثم قال له : يا هذا ، لاَ يَحمِلَنَّكَ الخروجُ من أمرٍ تخلَّصْتَ منه على الدُّخولِ فى أمرٍ لعلكَ لا تخلّصُ منه .

***

وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ : الشَّبَابُ الصحةُ ، والسلطانُ الغِنَى ، والمروءةُ الصَّبْرُ علَى الرِّجالِ .

وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ : العَجَبُ لمن يَشتري المماليكَ بماله ولا يشترِي الأحرارَ بمعروفِهِ . وكان يقولُ لِبَنِيهِ : إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراح مُسَلِّماً ، فكَفَى بذلك تقاضِيًا .

وقال خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ : مَحْضُ الْجُودِ مالم تَسْبِقْهُ مسألة ، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ ، ولم يُزْرِ بِهِ قِصَرٌ ، ووافقَ موضعَ الحاجة .

وقال بعض المُحْدَثين — وهو حبيب الطائيُّ :

أَسَائِلَ نَصْرٍ لاَ تَسَلْهُ فإنه أَحَنُّ إلى الإرْفادِ منك إلى الرِّفْدِ

وقال آخرُ — وهو أبو العَتَاهِيَةِ :

لاَ تَسْأَلَنَّ المَرْءَ ذَاتَ يدَيهِ فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إليهِ
الْمَرْءُ مالم تَرْزَهُ لك مُكْرِمٌ فإذَا رُزَأْتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكون لَدَيْكَ مَنْ عاشَرتَهُ فكَذَاكَ فارْضَ بِأَنْ تكونَ لَدَيهِ

[النخار العذرى ومعاوية]

ودخل النَّخَّارُ العُذْرِي على معاوية في عَبَاءَةٍ ، فاحتَقَره معاويةُ ، فرأى ذلك النَّخَّارُ في وجهه ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، ليست العباءةُ تُكلمكَ ، إنما يكلمك مَنْ فيها . ثم تكلمَ فملأ سَمْعَهُ ، ثم نهض ولم يَسْأَلْهُ ، فقال معاويةُ : ما رأيتُ رجلاً أحْتَقَرَ أَوَّلاً ولا أَجَلَّ آخِراً منه

وقيلَ لعبدِ الله بن جعفرٍ : إنكَ لَتبْذُلُ الكثيرَ إذا سُئِلْتَ ، وتُضَيِّقُ في القليل إذا تُوجِرْتَ ؟ فقال : إني أَبْذُلُ مالي ، وأَضَنُّ بعقلي

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقيل ليزيدَ بنِ معاويةَ : ما الجودُ ؟ فقال : إعطاءُ المالِ مَنْ لا تَعرِفُ ، فإنه لا يَصِيرُ إليه حتّى يتَخَطَّى مَنْ تَعرِف .

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ من الأنصارِ قال لابنِ عبدِ الرحمن بن عوفٍ : ما تَرَكَ لك أبوكَ ؟ قال : تَرَكَ لي مَالاً كثيراً . فقال : ألا أُعْلِمُكَ شيئاً هو خيرٌ لك مما تَرَكَ لك[1] أبوك ؟ : إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضَيَاعَ على حازمٍ ، والرَّقيقُ جَمالٌ وليس بمالٍ . فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُوله .

وقال معاويةُ : الخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الخَدَمِ .

وقيل لخُرَيمٍ المرِّى — وهو المُنَبَّزُ[2] بخُرَيمٍ النَّاعِمِ : ما النِّعْمَةُ ؟ فقال : الأمْنُ ، فإنه ليس لخائفٍ عيشٌ ، والغِنَى فإنه ليس لفقير عيشٌ ، والصِّحة فإنه ليس لسَقيمٍ عيشٌ ، قيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قال : لا مَزِيدَ بعدَ هذا .

---

(١) كلمة : « لك » ساقطة من ر ، وهي في الأصل .
(٢) المنبز : الملقب بلقب مكروه

ونَظَرَ أعرابىٌّ إلى رجل جَيِّدِ الـكِدْنةِ فقال : يا هذا ، إنِّى لأَرَى عليك قَطِيفةً مُحْـكمً من نَسْج أضراسِكَ .

[من أخبار أبى الأسود الدؤلى]

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَلِىُّ[1] على عُبيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثَّةٍ ، فكساه ثياباً حِساناً ، فخرج وهو يقول :

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فَشَكَرْتَه   أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ ونَاصِرُ

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إنْ كنتَ مَادِحًا   بمدحك مَنْ أَعْطَاكَ وَالعِرْضُ وَافِرُ

وحدثنى الرِّيَاشِىُّ قال : دخل أبو الأسود الدُّؤَلى على عُبيد الله بن زيادٍ وقد أَسَنَّ ، فقال له عُبيد الله يَهْزَأُ به : يا أبا الأسودِ ، إنك لجميلٌ ، فلو تَعَلَّقْتَ تميمة تَرُدُّ عنك بعضَ العُيونِ ، فقال أبو الأسودِ :

أَفْنَى الشَّبابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَهُ   كَرُّ الجَدِيدَيْنِ مِن آتٍ ومُنطلِقِ

لَمْ يَترُكَا لِىَ فى طُولِ اختلافِهما   شيئاً أَخافُ عليـه لَذْعَةَ الحَدَقِ

قوله : « فلو تعلَّقْتَ تميمةً » هى : المَعَاذَةُ يُعَلِّقُها الرجلُ .

قال ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

صَدَرُوا ليلَةَ انقَضَى الحجُّ فيهمْ   طَفْـلَةٌ زَانَهَا أَغَرُّ وَسِيمُ

يَتَّقِى أَهْلُها العيونَ عليها   فعلَى جِيدِها الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

---

(١) زيادات ر : « اسم أبي الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان ، وقيل : عمرو ابن جندل بن سفيان ؛ وأمه من بنى عبد الدار ؛ بصرى تابعى ثقة ، من أصحاب على من كتابه » .

[محمد بن كعب القرظى وسليمان بن عبد الملك]

ودخل محمدُ بن كَعْبٍ القُرَظِيُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثيابٍ رَثّةٍ ، فقال له سليمانُ : ما يَحمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثيابِ ؟ فقال : أَكْرَهُ أن أقولَ : الزُّهدُ ، فأُطْرِىَ نفسِي ، أو أقولَ : الفقرُ ، فأَشكوَ ربّى .

[سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك]

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : دخلَ سالمُ بن عبد اُلله بن عمر بن الخطاب على هشامِ بن عبد الملك فى ثيابٍ وعليه عِمامةٌ تُخَالِفُهَا ، فقال له هشامٌ : كأنَّ العمامةَ لَيْسَتْ من الثياب ! قال : إنها مُسْتَعارةٌ ، فقال له : كم سِنُّكَ ؟ قال : سِتُّونَ سنةً ، قال : مارأيتُ ابنَ ستينَ أَبْقى كِدْنَةً منك [٢] ، مَا طَعَامُك ؟ قالْ الخبزُ والزَّيتُ ، قال : أَمَا تأْجَمُهما [٣] ؟ قال : إذا أَجِمْتُهما تركتُهما حتّى أشْتَهِيهما ، ثم خرجَ مِنْ عنده وقد صَدِع ، فقال : أَتُرَوْنَ الأَحْولَ لَقَعَنِي بعينه ، فماتَ من تلك العِلّةِ [٤]

---

(١) كلمة « معاوية » ساقطة من ر .

(٢) زيادات ر : « كدنة : قوة الجسم ؛ قال ابن القوطية فى الأفعال : كدنت الشفة كدونا اسودت : كدن البعير : كثر شحمه » .

(٣) أجم الطعام : عافه وكرهه .

(٤) زيادات ر : « قال ابن الأعرابى : لقع فلان فلانا بعينه ، وزلقه ، وزلقه (بتشديد اللام) وأزلقه ، وشقذه ، وشوهه ؛ ويقول الرجل إذا أجاد فى عمله : لا تشوه على ؛ أى لاتقل لى : أجدت فتصيبنى بالعين ، ورجل معين ؛ إذا أصيب بالعين ، وشاه وشائه وشقذ وشقذان » .

وحدثني الزِّياديُّ قال: قيلَ لأعرابيٍّ: ألاَ تخضِبُ بالوَسْمَة، فقال: لِمَ ذاكَ؟ فقال: لِتَصْبُوَ إليكَ النساء، فقال: أمَّا نِساؤُنا فما يُرِدْنَ بِنا بَدِيلاً، وأمَّا غيرُهنَّ فما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ.

[للعتبي]

وقال العُتْبِيُّ:

وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضَ وَالقَــوَانِي   نَوَافِرُ عن مُعَالَجَةِ القَتِيرِ [١]

عَلَيْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى   إِلَى بِيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ [٢]

فقلتَ لها المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي   وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

(ليزيد بن المهلب)

وقال آخر — وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبيّ:

صَبَغْتُ الرَّأْسَ خَتْلاً للغَوَانِي   كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ

أُعَلَّلُ مَرَّةً وأُساء أُخْرَى   ولا تُخْصَى مِنَ الكِبَرِ العُيُوبُ

أُسَوِّفُ تَوْبَتِي خمسينَ عامًا   وظَنِّي أَنَّ مِثْــلِي لاَ يَتُوبُ

يُقَوَّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا   وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ [٣]

---

(١) زيادات ر: «وروى: «معالجة»، بكسر اللام؛ فمن فتح اللام جعله مصدراً، ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء».

(٢) الخطر: نبات يخضب به.

(٣) الثقاف: آلة لتقويم الرماح.

وقالَ أبو ذُؤَيْب :

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

وقوله : « لَذْعَةَ الحَدَقِ » فهو من قولك : لَذَعَتْهُ النارُ ، إذا لَفَحَتْهُ ، ويقال : لَذَعَ فلانٌ فلاناً بأَدَبٍ ، إذا أَدَّبَهُ أَدَباً يسيراً ، كأنَّهُ كالمقدار الذى وصفناه من النَّار .

وقولُ ابن قيسِ الرُّقَيَّاتِ : « زَانَهَا أَغَرُّ وسيم » ، فالأَغَرُّ : الأبيضُ ، يعنى الوَجْهَ ، والوسيمُ : الجميلُ ، والمصدرُ الوَسَامَةُ والوَسَامُ .

[لبعض المحدثين فى الخضاب]

وقالَ بعضُ المحْدَثِينَ ، ذكرناهُ بقولِ أبى الأسود :

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاءِ فى حَلَكٍ ... فصرتُ أرتاعُ للسَّوداءِ فى يَقَقِ[1]

مَنْ لمْ يَشِبْ ليس مِمْلَاقاً حليلتَهُ ... وصاحبُ الشَّيْبِ للنِّسْوَانِ ذو مَلَقِ

قد كنَّ يَفْرَقْنَ منه فى شَبِيبَتِهِ ... فصارَ يَفْرَقُ ممن كان ذا فَرَقِ

إنْ الخِضَابَ لَتَدْليسٌ يُغَشُّ به ... كالثَّوْبِ فى السُّوقِ مَطْوِيًّا على حَرَقِ

ويُرْوَى : « يُطْوَى لِتَدْليسٍ على حَرَقِ »

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبى تمَّامٍ :

طَالَ إنْكَارِىَ البياضَ وإن عُمِّرْتُ شيئاً أنْكَرْتُ لونَ السَّوَادِ

---

(١) اليقق : البياض .

وقال محمودٌ أيضاً :

أَلَيْسَ عَجيبًا بِأَنَّ الفَــتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يَدَيهِ (١)
فَمِنْ بَيْنِ بَاكٍ له مُوجَعٍ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِــذٍّ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فليس يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

وقال أيضاً :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نَحْ فَقْدَهَا فَإِنَّمَا تُدْرِجُهَا فى كَفَنْ
أما تَرَاهَا مُنْــذُ عَايَنْتَهَا تَزِيدُ فِى الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضا :

غْتَنِمْ غَفْلَةَ المنيَّةِ واعْــلَمْ أَنَّمَا الشَّيْبُ للمنيَّةِ جَسْر
كم كَبِيرٍ يومَ القيامة يُقْصَى وصــغِيرٍ له هُنَالِكَ قَدْرُ

* * *

قال أبو الحسن : يقال « جِسْرٌ وجَسْرٌ » ، وهو مأخوذٌ من الناقة الـكبيرة ، [...]ال لها : « الجَسْرُ » .

[لأبي النجم المجلى]

وقال أعرابىٌّ (٢) :

قالت سُلَيْمَى أنتَ شَيخٌ أَنْزَعُ (٣) فقلتُ ما ذَاكِ وَإِنِّى أَصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلَتْ قائِلَةً تَسْتَرْجِعُ
* ما رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ *

---

(١) مغذ : مسرع .
(٢) زيادات ر : « هو أبو النجم » .
(٣) أنزع ، من النزع ؛ وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبي الجبهة .

وقال مالكُ بن دِينارٍ : جاهِدُوا أهواءَكم ، كما تُجاهِدُونَ أعداءَكم . وكان يقول : ما أشدَّ فِطَامَ الكَبيرِ .

* * *

وقال آخرُ :

دَعِى لَوْمِى ومَعْتَبَتِى أمَامَا   فإنّى لَمْ أعُوَّدْ أنْ أُلامَا
وكيف مَلامَتِى إذْ شابَ رأسى   على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُلامَا

* * *

وقيلَ لأعرابىّ : ألاَ تُغَيِّرُ شيبَكَ بالخِضَابِ ؟ فقال : بَلَى ، ففعَلَ ذاكَ مرةً ، ثم لم يُعَاوِدْ ، فقيل له : لِمَ لا تُعاوِدُ الخِضابَ ؟ فقال : يا هَنَاهُ ، لقد شُدَّ لِحْيَاىَ فجعلتُ أخالُنِى ميّتاً .

[لمحمود الوراق فى الشيب]

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورّاقُ :

يا خاضِبَ الشَّيْبِ الذى   فى كلِّ ثالثةٍ يَعُودُ
إنّ النُّصُولَ إذا بَدَا   فكأنّه شَيْبٌ جَدِيدُ
وله بَدَاهَــةُ لَوْعَةٍ   مكروهُهَا أبداً عَتِيدُ[1]
فَدَعِ المَشِيبَ لِمَا أرَا   دَ فَلَن يَعُودَ كَمَا تُرِيدُ

* * *

---

(١) يقال : عتد الشىء إذا حضر ؛ فهو عتيد .

وقال آخرُ :

تُعطَى نُمَيْرٌ بالعمائم لؤمَها   وكيفَ يُفطى اللُّؤمَ طَيُّ العمائمِ
فإنْ تضربونا بالسِّياطِ فإنَّنَا   ضَربنا كُمُ بالمرْهفاتِ الصَّوارمِ[1]
وإن تَحْلِقُوا منَّا الرءوسَ فإننا   حَلَقْنا رُءوسًا باللَّهَا والغَلاصِمِ
وإن تَمْنعُوا منَّا السِّلاحَ فعندنا   سِلاحٌ لنا لا يُشتَرى بالدَّراهِمِ
جلاميدُ أمْلاءُ الأكُفِّ كأنَّها   رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسِمِ

[من شعر يزيد بن الطثرية وأخباره]

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ غَزِلًا ، وكان أخوه ثورٌ ذَا مَالٍ ، فكان يزيدُ يأتي العطَّارَ فيقولُ : ادْهُنِّي دَهْنَةً بناقةٍ من إبلِ ثورٍ ، فيفعلُ ذلك ، وكان ذا جُمَّةٍ حَسَنَةٍ ، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هرب فتبدَّى[2] ، فإذا ذَكَرَ حُوشِيَّةَ — وهى امرأة كانَ يُشَبِّبُ بها[3] — قَدِمَ فاقْتَطَعَ من إبلِ أخيه ما يَقْضِي به دينَه ، وفى ذلك يقولُ :

قَضَى غُرَمائى حُبُّ أسماءَ بعدَما   تَخَوَّفَنِي ظُلْمٌ لهم وفجورُ
فذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى   لثَورٍ على ظَهرِ الفَلاةِ بعيرُ

فاسْتَعْدَى عليه ثورٌ السُّلطانَ ، فأَمَرَ بحلْق رأسه . فقال :

أقولُ لثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمَّتى   بعَقْفَاءَ مَرْدُودٍ عليها نصابُها

(١) اللها : جمع لهاة ؛ وهى لحمة فى أقصى الفم ، والغلاصم : جمع غلصمة ؛ وهى لحمة بين الرأس والعنق .
(٢) تبدى : أقام بالبادية .
(٣) زيادات ر : « حوشية بنت أبي فديك بن قرة ؛ ولها مع يزيد حديث طريف » .

[لرؤبة

وقال آخرُ ، وهو رُؤْبة :

قد تَرَكَ الدهرُ صَفَاتِى صَفْصَفا فصارَ رأسِى جَبْهةً إلى القفا
كأنّه قد كانَ رَبْعًا فَعفَا يُمْسِى ويُضْحِى للمنايا هَدَفا

[لنصر بن حجاج وقد حلق عمر رأسه]

وكان نصْرُ بن حَجّاج بن عِلاَطٍ السُّلَمِىُّ ثم البَهْزِىُّ جميلاً . فعَثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر — اللهُ أعلم به — فحلَقَ رأسَه ، وكان أَصْلَعَ ، لم يَبْقَ من شَعَره إلاّ حُفَافُه[1] . كذلك قال الأصمعىُّ . فقال نصرُ ابنُ حجّاجٍ :

لَضَنَّ ابنُ خَطَّابٍ علىَّ بجُمَّةٍ إذا رُجِّلَتْ تَهْتَزُّ هَزَّ السَّلاسِلِ
فَصَلَّعَ رأساً لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يرِفُّ رَفِيفًا بعد أَسْوَدَ جَاثِلِ[2]
لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يَكُنْ إذا ما مَشَى بالفَرْعِ بالمُتخايِلِ[3]

قوله : « بالفرعِ بالمُتخايِلِ » ليس أنهُ جَعَلَ « بِالفَرْعِ » ، مِن صِلَةِ المُتخايل فيكون ذلك معناه : بالذى يَخْتَالُ بالفَرْعِ ، فيكون قدقدَّمَ الصِّلَةَ على الموصول ، ولكنه جَعَلَ قوله : « بالفرع » تبييناً ، فصار بمنزلة « بِكَ » التى تَقَعُ بعدَ « مَرْحَباً » للتبيين ، وقد مرَّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب « المُقْتَضَبِ »

* * *

(١) حفاف : شعر حول الصلعة .
(٢) الجاثل : الشعر الكثير الملتف .
(٣) الفرعان : جمع أفرع : وهو الوافى الشعر

باب

[لقيس بن عاصم المنقرى]

قال رجلٌ من المتقدِّمين ، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِىُّ :

أَيَا ابْنَةَ عبدِ اللهِ وابْنَةَ مالكٍ ... ويا ابْنَةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفرَسِ الوَرْدِ(١)

إذا ما أصبْتِ الزَّادَ فالْتَمِسِى له ... أَكِيلاً فإِنى غَيْرُ آكِلِه وَحْدِى

قَصِيًّا كَرِيماً أو قَرِيبًا فإننى ... أَخافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِن بَعْدِى

وإنّى لعَبْدُ الضَّيْفِ مادامَ ثَاوِياً ... وما مِنْ خِلاَلِى غيرَها شِيمَةُ العَبْدِ

« غيرَها » استثناءٌ مقدَّم . وقد مضَى تفسيرُه .

وقوله : « قَصِيًّا كريماً » من طَرِيف المَعانى ، وذلك أنه لم يَحْتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نِسبته الكَرَمَ ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك ، واشترط فى القَصِىّ أن يكون كريماً ، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كَرِيمٍ .

[لجرير يهجو بنى هزان]

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزَّانَ :

ضَيْفكُمْ جائعٌ إِذْ لم يَبِتْ غَزِلا ... وجَارُكُمْ يابَنِى هِزَّانَ مَسْرُوقُ

رأيتُ هِزَّانَ فى أَحْرَاحِ نِسْوَتِها ... رُحْبٌ وهِزَّانُ فى أخلاقِها ضِيقُ

(١) البردان : ثوبان لبسهما عامر بن أحيمر فى مجلس النعمان بن المنذر والورد : لون بين الحمرة والصفرة .

تَرَفَّقْ بِها يا ثَوْرُ ليس ثَوابُها … بهـذا ولكنْ عندَ رَبى ثَوابُها

ألاَ رُبَّما يا ثَوْرُ فَرَّقَ بينها … أنامِلُ رَخْصاتٌ حَدِيثٌ خِضابُها

فتَهْلِكُ مِدْرَى العَاجِ فى مُدْلَهِمَّةٍ … إذا لم تُفَرَّجْ ماتَ غَمًّا صُؤابُها [1]

فجاء بها ثَوْرٌ تَرِفُّ كأَنَّها … سلاسِلُ بَرْقٍ لِينُها وانْسِكابُها

ورُحْتُ برأسٍ كالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفَتْ … عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها

غُدَارِيَّةٌ كالشَّرْيَةِ الفَرْدِ جادَها … من الصَّيفِ أَنْواءٌ مَطِيرٌ سَحابُها [2]

---

(١) فتهلك ؛ قال المرصفى : « يريد تضل » والصواب : بيص القملة ؛ والجمع صئبان .

(٢) خدارية . وصف للمة ، وهى شدة السواد ، والشرية : النخلة تنبت من النواة ، والفردة : المنفردة (المرصفى) .

قال أبو الحسن : لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيت الاخيرَ ، وهو صحيحٌ .

* * *

وجاوَرَ قَيسُ بنُ عاصمِ بن سِنَانِ بنِ خالدِ بن مِنْقَرِ بنِ عُبيدٍ تاجراً خَمَّارًا ، فشرب شرَابَهُ ، وأَخَذَ متاعَه ، ثم أَوْثَقَهُ ، فقال : افْدِ نفسَكَ

وقال فى ذلك :

وتَاجِرٍ فَاجِرٍ جاءَ الإلهُ به كأَنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنابُ أَجْمَالِ

قال ذلك ، لأَن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ ، وفيه استواء ، وهو يُشْبِه اللِّحْيَةَ

[للنمر بن تولب]

وقال النَّمِرُ بنُ تولَبٍ :

إذا كنتَ فى سَعْدٍ وأُمُّكَ منهمُ غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ مِنْ سَعْدِ
فإِنَّ ابنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إناؤُهُ إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

[قيس بن عاصم وبنو منقر]

وَاسْتَعْمَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقات بنى سعدٍ ، فتُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقَسَمَها قيسٌ بعدُ فى بَنِى مِنقَرٍ ، وقال :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رسالةً إذا ما أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الوَدائِعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العام مِنقَرًا وأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

[يحيى بن نوفل يهجو]

وقال آخرُ من المُحْدَثينَ ، وهو يحيى بنُ نوْفَلٍ ، أنشده دِعْبِل :

كنتَ ضيفاً بِبَرْمَنَا يا لعبْدِ الله والضَّيْفُ حقُّهُ معلومُ
فانبرَى يَمْدحُ الصِّيامَ إلى أنْ صُمْتُ يومًا ما كنتُ فيه أصومُ
ثم أنشا يَسْتامُ بِرَذَوْنِي الوَرْدَ مُلِحًّا كما يُلِحُّ الغَرِيمُ

[قال الأخفش : يُرْوَى « بِرَذَوْنِي الزَّرْدَ » وهو الأصفرُ]

ولعَمرِي إنَّ ابنَ قَيْلَةَ إذْ يَسْتَامُ بِرْذَوْنَ ضَيفِه لَلَئيمُ

[لأبي دلامة بن الجون]

وقال رجل[١] ، أنْشَدَنيه السِّجِسْتانِيُّ ، يقُولُه لابن دَغْلَجٍ ، وكان ابنُ دَغْلَجٍ يَتوَالَى بنى تميمٍ :

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ عليكَ ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأمَّا بَعْدَ ذاكَ فلِي غَرِيمٌ مِنَ الأعْرابِ قُبِّحَ مِن غَرِيمِ !
لُزُومٌ ما عَلِمتُ بباب دارِى لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقِيمِ
لَهُ مائةٌ عليَّ ونصفُ أُخْرَى ونصفُ النّصفِ فى صَكٍّ قَديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ حَبَوْتُ بها شُيوخَ بنى تميمِ

* * *

روى[٢] أبو الحسن :

أتونِى فى العَشيرَةِ يسألونى ولم أكُ فى العَشيرةِ بالمليمِ

(١) قال المرصفى : « هو أبو دلامة بن الجون » .
(٢) ر : « زاد » .

[ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد مُهيَّجًا أضاعَ الشَّبابَ فى الرَّبيلةِ والخَفْضِ (١)
ولكنه قد لوَّحَتْه مَخامِصٌ على أنه ذو مِرَّةٍ صادقُ النَّهْضِ]
كأنَّهمُ يَسْعَوْنَ فى إثْرِ طائرٍ خفيفِ المُشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ (٢)
يُبادِرُ جنحَ اللَّيْلِ فهو مُهابِذٌ يَحُثُّ الجَناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ

قولُه :

* قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ *

فهو جماعةُ راضِعٍ . وقومٌ يقولون : هو توكيدٌ لِلَّئِيمِ كما يقولون : جائعٌ نائعٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، وعَطْشَان نَطْشَان ، وأجمعُ أكْتَعُ . وقومٌ يقولون : الراضعُ هو الذى يَرْتَضِعُ من الضَّرْعِ لئلّا يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الحَلْبِ فيَطْلُبَ منه .

وتصديقُ ذلك ما أنشدَناه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤم والتَّوحُّش :

أحَبُّ شىءٍ إليه أنْ يكونَ له حُلقومُ وادٍ له فى جَوْفِهِ غارُ
لا تَعْرفُ الرِّيحُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ولا يُشَبُّ إذا أمْسَى له نارُ

(١) البيتان بين علامتى الزيادات لم يردا فى نسخة الأصل ؛ وهما فى ر ، س . والربيلة : السمن . والخفض : الدعة ولين العيش .
(٢) المشاش : رءوس العظام .

[من أخبار أبي خراش الهذلي وشعره]

وجاور عُرْوةُ بن مُرَّةَ أخو أبي خِراشٍ الهَذَلِيّ ثُمالةَ من الأَزْدِ، فجلس يوماً بِفِناء بيته آمِنًا لا يخاف شيئاً، فاستدبره رجلٌ منهم من بني بَلاَّلٍ بسهم، فقصَم صُلْبَهُ، ففي ذلك يقولُ أبو خِراشٍ:

لَعَنَ الإلهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ غَدَرُوا بعُرْوةَ من بني بَلاَّلِ

وأُسِرَ خِراشُ بن أبي خِراشٍ، أَسَرَتْهُ ثُمالةُ، فكان فيهم مُقيماً، فدعا آسِرُهُ يوماً رجلا منهم للمنادمة، فرأى ابنَ أبي خِراشٍ مُوثَقاً في القِدِّ، فأمهلَ حتى قامَ الآسِرُ لحاجةٍ، فقال المَدْعُوُّ لابن أبي خِراش: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا ابنُ أبي خِراشٍ، فقال: كيفَ دِلِّيلاكَ؟ قال: قَطَاةٌ، قال: قُمْ فاجْلِسْ وَرائي، وأَلْقَى عليه رِداءَهُ، ورَجَعَ صاحبُهُ، فلمَّا رأى ذلك أصْلَتَ بالسَّيف، وقال: أَسيرِي، فنَثَلَ(١) المُجيرُ كِنانَتَهُ، وقال، والله لأَرمينَّكَ إنْ رُمْتَه، فإني قد أَجَرْتُه. فخَلَّى عنه، فجاء إلى أبيه، فقال له: مَنْ أَجارَكَ؟ فقال: والله ما أَعْرِفه، فقال: أبو خِراشٍ، وقال الرُّواةُ: لا نَعرِفُ أحداً مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبي خِراشٍ:

حَمِدْتُ إلهي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فوالله لا أنسَى قَتيلاً رُزِئتُهُ بجانبِ قَوْسَى ما مَشَيْتُ على الأرضِ

بَلَى إنَّهـا تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّمـا يُوَكَّلُ بالأدْنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِداءَهُ عَلَى أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْضِ

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل.

[من أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره]

ولقى الزِّبْرِقَانُ بنَ بَدْرٍ — وهو قاصدٌ بصَدَقاتِ قومه إلى أبى بكر الصديق، رحمه الله — الْحُطَيْئَةُ فى طريقه، فقال له الزِّبْرِقانُ: مَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو مُلَيْكَة، أنا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ، فقال له الزبرقان: إنّى أريدُ هذا الوَجْهَ، وما لك منزلٌ، فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ، فَسَلْ عن القَمَرِ ابن القمر، وكُنْ هناك حتى أعودَ إليك، ففعل، فأنزلوه وأكرموه، فأقام فيهم فحسَدَهُم[1] عليه بَنُو عمّهم مِن بنى قُرَيْعٍ، وذلك أنَّ الزبرقانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف ابن كعبِ بن سعدِ بن زيدِ مَنَاة بن تَمِيمٍ، وحاسِدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بن عوف ابن كعب بن سعدٍ، ولم يَكُنْ لِعَوْفٍ إلاّ قُرَيعٌ وعُطارِدٌ وبَهْدَلَةُ. وكان الذين حَسَدُوه منهم بنو لأْيِ بن شَمَّاسِ بن أَنفِ النَّاقةِ بن قُرَيْعٍ، فَدَسُّوا إلى الْحُطَيْئَة: أن تحوّلْ إلينا نُعطِكَ مائةَ ناقةٍ، ونَشُدُّ كلَّ طُنُبٍ[2] مِن أطْنابِ بيْتِكَ بجُلّةٍ[3] بَحْوَنَة. قال: فأَنَّى لِى بذلك! قالوا: إنهم يريدونَ النُّجْعَةَ فإذا احْتَمَلُوا فتَخَلَّفْ عنهم، ثم دسُّوا إلى امرأةِ الزِّبْرِقانَ مَنْ خَبَّرَ بأَنَّ[4] الزبرقانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتزوّجَ ابنتَه، فقدَحَ ذلك فى قَلْبِها، فلمَّا تحمّلَ القومُ[5] تخلَّفَ الْحُطَيْئَةُ، فاحْتَمَلَهُ القُرَيْعِيُّونَ، فبَنَوْا لهُ ووَفَوْا له، فلما جاء

---

(١) س: «فحسده».

(٢) الطنب: حبل تشد به الخيمة.

(٣) الجلة: وعاء من خوص يوضع فيه التمر.

(٤) س: «أن الزبرقان».

(٥) س: «احتمل القوم».

لا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لُؤمًا فى الإناءِ ولا   يُرَى له فى نَواحى الصَّحْنِ آثارُ

وقوله : كيفَ « دِلِّيلاكَ » ، فهى كثرةُ الدِّلالة ، و « الفِعِّيلَى » إنما تُستعمل فى الكثرة ، ويقال : القِتِّيتَى لكثرة النَّميمة ، ويقال : الهِجِّيرَى لكثرة الكلمة المترَدِّدَةِ على لسان الرَّجلِ ، يقالُ : ذِكْرُكَ هِجِّيراىَ . أى هو الذى يَجْرِى على لسانى ، وفى الحديث : « كان هِجِّيرَى أبى بكر الصِّدِّيقِ رحمه الله بلا إلَه إلّا الله » ويقال : كان بينهم رِمِّيًّا ، لكثرة الرَّمْيِ . وكذلك كلُّ ما أَشْبَه هذا .

وقوله : « بجانب قَوْسَى » فهو بلد تَحُلُّه ثُمَالَةُ بالسَّرَاةِ .

وقولُه : « بلى إنَّهَا تَعْفُو الكُلُومُ » فهى الجِراحُ والآثارُ التى تُشبهها ، قال جرير :

تَلْقَى السَّلِيطِىَّ والأبطالُ قد كُلِموا   وَسْطَ الرّجال سليماً غيرَ مَكْلومِ (١)

وينشد : « وَسْطَ الرِّحالِ » ، و « تَعْفُو » تَدْرُسُ .

وقولُه « عظْمُهُ غيرُ ذِى نَحْض » ، النَّحْضُ : اللَّحْمُ ، يقالُ : يأكُلُ ويُرَوِّى الرِّجالَ مَحْضًا .

وقولُه : « فهو مُهَابِذٌ » يقولُ : مجتهدُ . وَهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأَكْنافِ الحجاز .

---

(١) السليطى : نسبة إلى سليط ؛ وهو كعب بن الحارث بن يربوع .

وقوله : « والحَسَبُ العِدّ » معناه : الجليلُ الكثير ، وأصلُ ذلك فى الماءِ :
يقال بئرٌ عِدٌّ ، إذا كانت ذات مادّة من العيونِ لا تنقطِعُ ، وكلُّ ماءٍ
ثابتٍ فهو عِد .

وقولُه :

* يَسُوسُونَ أَحلاماً بعيداً أَناتُها *

يقولُ : ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها ، وأصلُ الأناةِ من التأنى والانتظار ،
يقولُ : لا يُبْلَغ آخِرُها فتَسفَهَ .

وقولُه :

* أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنوا البُنَا *

وإن شئتَ قلتَ « البِنا » فهما مقصورانِ ، يقال : بَنَى بِنْيةً وَبُنْيةً فجَمْعُ
بِنْيةٍ بِنًى وجَمْعُ بُنْيةٍ بُنًى فبِنْيَةٌ وبِنًى كَكِسْرةٍ وكِسَرٍ ، وبُنْيةٌ وبُنًى كظُلْمةٍ
وظُلَمٍ ، فأمّا المصدرُ مِنْ « بنيتُ فممدودٌ » ، يقالُ : بَنَيْتُه بِناءً حسناً ،
وما أَحْسَنَ بِناءَك .

وقولُه : « وإن عاهَدُو أَوْفَوْا » أَوْفى ، أَحْسَنُ اللغتين ، يقالُ وَفَى وَأَوْفَى .
قال الشاعرُ — فجمعَ [بينَ[1]] اللغتين :

أَمّا ابن بِيض فقد أَوْفَى بذمّتِه ... كما وَفَى بقِلاص النّجْمِ حادِيها[2]

(١) تكملة من س .
(٢) ابن بيض ، بفتح الباء وكسرها : رجل تاجر مكثر ؛ كان لقمان بن عاد يجيزه عن خراج يؤديه إليه كل عام ؛ فلما حضرته الوفاة قال لولده : لاتجاوزن لقمان ، وسر بمالك وأهلك ، فإذا صرت إلى عقبة كذا فضع حقه عليها ؛ فجاء لقمان فأخذه وانصرف حكاه المرصفى عن أبي زيد .

الزبرقانُ صَارَ إليهم ، فقال : رُدُّوا عَلَيَّ جارِي ، فقالوا : ليس لكَ بجارٍ وقد طَرَحْتَه ، فذلك حيثُ يقولُ[1] الحطيئة :

وإنَّ التي[2] نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا[3]

أَتَتْ آلَ شَمَّاسِ بْنِ لأْيٍ وإنما ... أتاهُمْ بها الأحْلامُ والحَسَبُ العِدُّ

فإنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تُعادِي صُدُورُهُمْ ... وذا الجَدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ وَدُّوا[4]

يَسُوسُونَ أحلامًا بَعيداً أَناتُها ... وإن غَضِبُوا جاء الحفيظَةُ والجِدُّ

أَقِلُّوا عليهم لا أبًا لأبيكُمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

أُولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البِنَا ... وإنْ عاهدوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وإن كانت النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ حادِثٍ ... من الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلامِكم رَدُّوا

وتَعْذُلُنِي أَفْناءُ سَعْدٍ عليهمُ ... وما قلتُ إلاَّ بالذي[5] عَلِمَتْ سعد

قولُه « جُلَّةٌ بَحْوَنَةٌ » : أي ضَخْمَةٌ ، يقالُ ذلك للناقةِ والنخلةِ إذا اسْتَفْحَلَتْ وطالَتْ .

وقولُه « نَكَّبْتُها » يقولُ : عَدَلْت بها .

---

(١) س : « قول الحطيئة » .

(٢) س : « الذى » تحريف .

(٣) نكبتها : عدلت بها .

(٤) الجد : الحظ والبخت .

(٥) س : « بالتى » .

وقولُه : « على جُلِّ حادثٍ » فهو الجليلُ من الأمر ، ويقال : فلان يُدعى للجُلَّى ، قال طَرَفَةُ :

* وإنْ أُدْعَ لِلجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا *(١)

وفيهم يقولُ الحطيئةُ(٢) :

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ ... يوماً يَجِيءُ بها مَسْحِي وإبْسَاسِي

لمَّا بَدَا لِيَ منكم غَيْبُ أَنفسِكم ... ولم يَكُنْ لِجِرَاحِي فيكمُ آسِي

أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمُ ... ولا تَرَى طارِدًا للْحُرِّ كَالْيَاسِ

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لاَ أَبَالَكُمُ ... فى بَائِسٍ جاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ

جارٍ لقومٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ... وغادَرُوهُ مُقِيماً بين أَرْمَاسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ ... وجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه : « لقد مَرَيْتُكُمُ » أصل ، المَرْيِ المَسْحُ ، يقال مَرَيْتُ الناقةَ ، إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتَدُرَّ . ويقالُ : مَرَى الفرسُ والناقةُ إذا قام أحدُهم على ثلاثٍ ومَسَحَ الأرضَ بيده الاخرَى ، قال الشاعرُ :

إذا حُطَّ عَنْها الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا ... إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْصَفَنَتْ تَمْرِى(٣)

---

(١) تمامه :

* وإنْ تأْتِكَ الأعْداءُ بالجَهْدِ فاجْهَدِ *

(٢) كلمة « الحطيئة » ساقطة من س .

(٣) شذب العيدان : ماتفرق منها ، الواحد شذبة .

وفى القرآن : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ﴾ [١] وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [٢] وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ [٣] .

فهذا كله على « أَوْفَى » . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما رُوِيَ مِنْ أنه قَتَلَ مسلماً بِمُعَاهَدٍ ، وقال : « أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ » .

وقال السَّمَوْءَل فى اللغة الأُخْرَى :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّى ... إذا ما عاهدتُ أقواماً وَفَيْتُ [٤]

وقال المُكَعْبِرُ الضَّبِّىُّ :

[قال أبو الحسن : حِفظِى « المُكَعْبِرُ »] :

وَفَيْتُ وَفَاءً لم يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... بِتَعْشَارَ إِذْ تَحْبُو إِلَىَّ الأَكَابِرُ [٥]

وقولُهُ :

وإِنْ كانتِ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإِنْ أَنْعَمُوا لاَ كَدَّرُوهَا ولاَ كَدُّوا

يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَهُ :

وإنّى لأَسْتَحْيِى أَخِى أَنْ أَرَى لَهُ ... علىَّ من الحقِّ الَّذِى لا يَرَى لِيَا

يقولُ : أَسْتَحْيِى أَنْ أَرَى نعمتَهُ علىَّ ولا يَرَى على نفسِه لى مِثْلَهَا .

---

(١) سورة آل عمران ٧٦ .

(٢) سورة النحل ٩١ .

(٣) سورة البقرة ١٧٧ .

(٤) س : « إذا ماخان أقوات وقيت » .

(٥) تعشار : موضع بالدهناء

والإساءُ الدَّواءُ ، ممدودٌ ، وقال الحطيئةُ :

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرَّأْسِ لَمَّا   تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإِسَاءُ

فأمَّا الأَسى فمقصورٌ ، وهو : الْحُزْنُ ، ومِنْ ذلك قولُ الله جل ثناؤه : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1] وقال العجّاج :

ياصَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا   قال نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وأَبْلَسَا[2]

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى *

فإذا قلتَ : « الأُسَى » قَصَرْتَ أيضاً ، وهو جَمْعُ أُسْوةٍ ، يقالُ فلانٌ أُسْوَتِي وقُدْوَتِي قال الله جل وعزَّ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3] .

والرَّمْسُ : التُّراب ، يقال : رُمِسَ فلانٌ في قبره .

* * *

وأشعارُ الْحُطيئةِ في هذا الكتاب كثيرةٌ ، ولولاَ أنَّها معروفةٌ مشهورةٌ لأتَيْنَا على آخِرِها ، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئاً مختاراً .

فمن ذلك قولُه :

جَزَى اللهُ خيراً والجَزاءُ بكفِّه   عَلى خَيْرِ ما يَجْزِي الرجالَ بَغِيضاَ

فلو شاءَ إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ   وصادفَ مَنَّا في البلادِ عَرِيضاَ[4]

---

(١) سورة المائدة ٦٨ .

(٢) أبلسا ، من الإبلاس وهو الهم والحزن .

(٣) سورة الأحزاب ٢١ .

(٤) زيادات ر : « كذا وقعت الرواية «منا» والصواب : «منأى» ، أى بعدا ؛ مأخوذ من «نأبت» إذا بعدت ، ومنه النأى » .

وهذا مِن أحْسَنِ أوصافِها .

وقال بعض المحْدَثِين يَصِفُ بِرْذَوْناً بحسن الأدب[1]

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ اللِّجَامَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[2]

ويقال : مَرَاهُ مائةَ سوطٍ ومائةَ درهمٍ ، إذا أوْصَلَ ذلك إليه ، وله « مَرَاهُ » موضعٌ آخرُ ، ومعناه مَرَاهُ حقَّه ، إذا دَفَعَهُ عنه ومنعَهُ منه ، وقد قُرِئَ ﴿ أفتَمرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[3] أى تدْفَعونَه ، و « على » فى موضع « عن »

قال العامرِىُّ[4]

إذَا رَضِيَتْ علىَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِى رِضَاهَا

وبنو كعْبِ بن رَبيعةَ بن عامرٍ يقولون : « رضى الله عليك » .

وأمّا الإبْساسُ فأنْ تَدْعُوَ الناقةَ باسمِهاً ، أوْ تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى الحلَب ، بقولٍ أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك ، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل : ناقةٌ بَسُوسٌ ، وذلك مِن صفاتِها فى حُسْنِ الخُلُقِ .

وقوله :

* ولم يكَنْ لِجرَاحِى فيكُمُ وآسِى *

يقول : مُدَاوٍ ، الآسِى : الطبيبُ ، قال الفرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً :

إذا نَظَرَ الآسُونَ فيها تقَلَّبَتْ حَمَالِيقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أنيابِهَا العُصْلُ[5]

---

(١) زيادات ر: «الشعر لمحمد بن يزيد، من ولد مسلمة بن عبد الملك» ؛ يصف فرسه ،وقبله :

عَوَّدْتُهُ فِيما . أزورُ حِبابَى إهمالَهُ وكذاك كلُّ مخاطِرِ

(٢) القربوس : حنو السرج ، العنان : سير اللجام الذى تمسك به .

(٣) سورة النجم ١٢ .

(٤) زيادات ر : « هو القحيف العقيلى » .

(٥) العصل: جمع أعصل ؛ وهو المعوج من كل شىء فيه صلابة.

قال حسان : ما كنتَ علىَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَفَيْتَ بامرأةٍ ! ما اسْمُكَ ؟
قال : الحطيئةُ ، قال : امْضِ بسَلاَمٍ .

وكان الحطيئةُ فى حَبْسِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله ، باستدعاء الزِّبْرِقَانِ عليه فى هذه القصة ، ولِعُمَرَ يقولُ

ماذا تقولُ لِأفْرَاخٍ بذى مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[1]
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فاغْفِرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ
أنتَ الإمامُ الذى مِنْ بَعْدِ صاحبِهِ ... ألقتْ إليك مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ
ما آثَرُوكَ بها إذْ قَدَّمُوكَ لها ... لكنْ بكَ اسْتَأْثَرُوا إذْ كانتِ الأُثَرُ

ويُروى عن أبى زيدٍ الأنصارىِّ أنه قال : ويُرْوَى « الأُثَرُ » والواحدةُ أُثْرَةٌ وإِثْرَةٌ ، ومعناه الاستئثارُ .

فَرَقَّ له عمر فأخرجه ، فيُرْوَى أنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسىٍّ فجلسَ عليه ، ودَعَا بالحطيئة فأجلسه بينَ يديه ، ودَعا بإِشْفَى وشَفْرَةٍ[2] ، يُوهِمُه أنه على قَطْعِ لِسانِه ، حتى ضَجَّ من ذاكَ ، فكان فيما قال له الحطيئة : يا أميرَ المؤمنين ، إنى والله قد هَجَوْتُ أبى وأُمى ، وهَجَوْتُ امرأتى ، وهجوتُ نفسِى . فتبسَّمَ عمرُ رحمه الله ، ثم قال : فما الذى قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبى وأُمِّى — والمخاطَبَةُ للأُمِّ :

ولقد رأيتُكِ فى النسَاء فَسُؤْتِنِى ... وأَبَا بَنِيكِ فساءَنِى فى المَجْلِس

---

(١) ذو مرخ : واد بالحجاز .
(٢) الإشفى : مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد . والشفرة : السكين العريضة .

يقولُ : كَثُرتْ محاسِنه حتى كُذِّبَ ذامُّه . فاستغنى عن أن يُكثِّرَ مادحَه ، ثقةً بأنَّ هاجيَه غيرُ مُصَدَّقٍ . فاعتَبِرْ هذا الكلامَ ، فإنك تجِدُه رأسًا فى بابه .

ومن ذلك قوله :

وإنّى قد عَلِقْتُ بحَبْلِ قومٍ أعانَهمُ على الحسَبِ الثَّراء

إذا نَزَلَ الشِّتاء بِجارِ قومٍ تجَنَّبَ جارَ بَيتِهمُ الشتاء

همُ الآسُونَ أمّ الرأسِ لمَّا تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإساء

ثم قال يخاطبُ الزِّبرِقانَ ورَهْطَهُ :

ألم أكُ نائِياً فدَعَوتُمونى فجاء بِىَ المواعِدُ والدُّعاء

فلمّا كنتُ جارَكُمُ أبَيْتُمْ وشَرُّ مَواطِنِ الحَسَبِ الإباء

ولمّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنى وفيكم كانَ لو شئتُمْ حِباء

فلمّا أنْ مدحتُ القومَ قلتم هجوتَ ، وهل يَحِلُّ لىَ الهِجاء !

ولم أشْتِمْ لكم حَسَباً ولكنْ حَدَوْتُ بحيثُ يُسْتَمَعُ الحُداء

ويُرْوَى أنّ الحُطَيْئَةَ ـ واسمُهُ جَرْوَلُ بن أوْسٍ ويُكنَى : أبا مُلَيكَةَ ـ مَرَّ بحسّانِ بن ثابتٍ وهو يُنْشِد :

لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلمعنَ بالضُّحَى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما

[ش أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أنّ « الجفَنَاتِ » من الجمْعِ الكثيرِ :]

فالتفت إليه ، فقال : كيفَ ترى فقال : ما أرَى بأسًا ، قال حَسانُ : انظرُوا إلى [هذا [1]] الأعرابىِّ يقولُ : ما أرَ بأساً ، أبو مَنْ ؟ قال أبو مُلَيكَةَ ،

(١) تكملة من س .

(من أخبار الحجاج)

ويُروَى : أنّ الحجاجَ [بن يوسفَ[١]] جلسَ لقَتْل أصحاب عبد الرحمن ابن محمد بن الأشْعَثِ ، فقامَ رجلٌ منهم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! إنَّ لِي عليك حَقًّا ، قال : وما حَقُّكَ ؟ قال : سَبَّكَ عبدُ الرحمن يوماً فرددتُ عليه ، قال : مَنْ يعلمُ ذاكَ ؟ قال : أَنْشُدُ اللهَ رجلاً سمعَ ذاكَ إلاَّ شَهِدَ به . فقام رجلٌ من الأَسَرَاءِ[٢] فقال : قد كان ذاكَ أيُّها الأَميرُ ، قال : خَلُّوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تُنْكِر كما أنْكَرَ ؟ قال : لقَدِيم بُغْضِى إيَّاكَ ؛ قال : ويُخَلَّى عنه لصِدْقِهِ .

* * *

وقال عمرُ بن الخطاب لرجلٍ — وهو أبو مريمَ السَّلُولِيُّ — : [٣] واللهِ لا أُحِبُّكَ حتى تحِبَّ الأرضُ الدَّمَ ، قال : أَفَتَمْنَعُنِي حقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلا بأس ؛ إنَّما يأسَفُ على الُحبِّ النساءُ .

* * *

وقال الحجاج لرجلٍ من الخوارج : واللهِ إنّى لأُبْغِضُكُم ، فقال له الخارجىُّ : أدْخَلَ اللهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجَنَّةَ .

* * *

---

(١) تكملة عن س .

(٢) س : « الأسرى » .

(٣) زيادات ر : « وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله : « أبو مريم السلولى ؛ إنما هو أبو مريم الحنفى ؛ وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ؛ وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب ؛ واسم أبي مريم إياس بن صبيح ؛ ثقة كوفى ؛ واسم أبي مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » .

وقلتُ لها :

تنحَّىْ فاجلِسِى مِنِّى بَعِيداً   أراحَ اللهُ منكِ العالَمِينا

غِرْبالا إذا استُودِعْتِ سِرًّا   وكانُوناً على المُتَحَدِّثينا[1]

وقُلتُ لامرأتِى :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى   إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ

فقال له عمرُ رحمه الله : فكيف هَجَوْتَ نفسَكَ ؟ فقال : اطَّلَعْتُ فى بئرٍ فرأيتُ وجهِى فاستقبحتُهُ ، فقلتُ :

أَبَتْ شَفتاىَ اليومَ إلاَّ تَكَلُّمًا   بِسُوءٍ فما أَدْرِى لِمَنْ أَنَا قائِلُهْ

أَرى لِىَ وَجْهاً قَبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ   فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

(المثنى بن معروف مع أبي جبر الفزارى)

ونزَل أعرابىٌّ من طَيِّءٍ ، يقالُ له المُثَنَّى بنُ معروفٍ بأبى جَبْرٍ الفَزارِىِّ ، فسمعَه يوماً يقول : والله لوَدِدْتُ أَنى أَبِيتُ الليلةَ خالياً بابنةِ عبد الملكِ ابن مَرْوانَ . فقال له المُثَنَّى : أَحَلَالا أم حراماً ؟ فقال : ما أُبَالِى ، فوَثَبَ عليه فضرب رأسَه بِرِحَالةٍ[2] ، ثم انتقلَ وهو يقولُ :

أَبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً   عَلَى النأىِ أَنّى قد وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ

كسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالَةً   لِنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِى

على غيرِ شىءٍ غيرَ أَنّى سمعتُهُ   بَنَى بنساءِ الناسِ بلا مَهْرِ

---

(١) زيادات ر : «قوله : كانونا ، قيل : الكانون : النمام ، وقيل : الثقيل ، وقيل : الذى إذا دخل على قوم كنوا حديثهم منه . وقيل : هو المصطلى . وقيل : هو كانون النار ؛ لأنه... ويحرقهن » .

(٢) الرحالة : ثوب يغشى بالجلد .

على الدنيا ، فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافةِ يزيدَ بنِ عاتِكةَ رُمِىَ به على قمامةٍ ، وهو لِمَآبِهِ[١] . فَسُمِعَ يُحَكِّمُ عليها[٢] ، وحَكَّمَ مالكُ بن المنذر بن الجارودِ ، وهو بآخر رَمَقٍ فى سجن هشام بن عبد الملك .

* * *

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمٍ على سليمانَ بن عبد الملك ، وكان دَميماً ، فلما رآهُ [سليمانُ[٣]] قال : قَبحَ اللهُ رجلاً أجرّكَ رَسَنهُ[٤] ، وأشرَكَكَ فى أمانتِه ! فقال له يزيدُ : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمرُ لكَ وهو عَنِّى مُدبِرٌ ، ولو رأيتنى والأمرُ علىَّ مُقبلٌ لاستكبرْتَ مِنِّى ما استصغرتَ ، واستعظمتَ مِنِّى ما استحقرتَ ، فقالَ : أترَى الحجاجَ استقرَّ فى قعر الجحيم بَعْدُ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تَقُلْ ذلكَ [فى الحجاج[٣]] ، فإنَّ الحجاجَ وطَّأَ لكمُ المنابرَ ، وأذلَّ لكمُ الجبابرَ ، وهو يجىء يومَ القيامةِ عن يمينِ أبيكَ ، وعن يسار أخيكَ فحيثُ كانا كانَ .

---

(١) لمآبه : لعاقبته .

(٢) يحكم ، أى يقول بقول الخوارج : لا حكم إلا لله

(٣) تكملة من س .

(٤) الرسن فى الأصل : الحبل يقاد به البعير ؛ وأجرك : جعلك تجره ؛ والكلام هنا على الكناية .

وأُتِىَ الحجاجُ بامرأةٍ من الخوارجِ، فجعلتْ لا تَنْظُرُ إليه، وكان يزيد ابن أبى مُسْلِمٍ يرَى رأى الخوارجِ ويكتُمُ ذاكَ[١]، فأقبَلَ على المرأةِ فقال: انظُرِى إلى الأمير، فقالت: لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليه. فكلَّمها الحجاجُ وهى كالسَّاهِيَة، فقالَ لها يزيد: اسْمعِى وَيْلَكِ من الأميرِ! فقالت: بل الويل لكَ أيها الكافرُ الرَّدِّىُّ!

قال أبو العباس: والرِّدِّىُّ عند الخوارج الذى له عَقْدُهُمْ ويُظهِر خلافَه رغبةً فى الدنيا.

* * *

وكان صالحُ بنُ عبد الرَّحْمنِ كاتِبَ الحجاجِ وصاحِبَ دواوينِ العراقِ، والذى قلَبَ الدَّواوين إلى العربية، ثم كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِىَ يزيدُ بن المُهَلَّبِ [العِراقَ[٢]] فأشْجَى[٣] يزيدَ، وقد كان يرَى رأْى الخوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ مَوْلَى الحجاج، فأشارَ على الحجاج أن يأمُرَهُ بقتل جَوَّابٍ الضَّبِّىِّ، وهو رأسٌ من رءوسِ الخْوارجِ، وقال يَزِيدُ: إنْ فَعَلَ بَرِئتْ منه الخْوارجُ وقَتَلَتْهُ، وإنْ أمْسَكَ قَتَله الحجاجُ فقتله.

وخُبِّرْتُ أنه قال: واللهِ ما قتلتُه رغبةً فى الحياةِ، ولكنِّى خِفْتُ يَسْبِى الحجاجُ بَنَاتِى، وكان يقولُ [بعْدُ[٤]]: إنِّى حينَ أَقْتُلُ جَوَّاباً لَحَرِيصٌ.

---

(١) س: «ذلك».
(٢) تكملة من س.
(٣) أشجاه: أحزنه.
(٤) تكملة من س.

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١] وحَوَالَيْهِ : تثنيةُ حَوَالٍ ، كما تقولُ : حَنَانَيْهِ ، الواحدُ حَنانٌ ، قال الشاعرُ :

فقالتْ حَنَانٌ أَنَى بكَ هاهُنا أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحَيِّ عارِفُ

والحَنَانُ : الرحمةُ ، قال الله عز وجل : ﴿ وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا[٢] ﴾ . وقال الشاعر : [وهو الحُطَيْئَةُ[٣]] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ فإنَّ لِكلِّ مَقَامٍ مَقَالاً

وقال طَرَفَةُ :

أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا حنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

* * *

قال أبو العباس : وحدَّثني غيرُ واحدٍ من أصحابنا ، قال : قيلَ لرُؤْبة : ما قولُكَ :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ سِنَّ الحِسْلِ أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

ما زمنُ الفِطَحْلِ ؟ قال : أيامُ كانت السِّلَامُ رِطَابًا[٤] .

قولُه : « سِنَّ الحِسْلِ » مَثَلٌ ، تَضربُه العربُ في طول العُمُرِ[٥] .

---

(١) سورة النمل ٨ .
(٢) سورة مريم ١٣
(٣) تكملة من س .
(٤) السلام : جمع سلمة ؛ وهى الحجارة الصلبة .
(٥) زيادات ر : « ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلاثمائة سنة » ، والحسل : ولد الضب .

بابٌ

(من تكاذيب الأعراب)

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذِيب الأعِرابِ .

حدثني أبو عُمَر الجَرْمِيُّ قال : سألتُ أبا عُبيدةَ عِن قول الرَّاجزِ

أَهَدَّمُوا بيتَكَ لاَ أبَالَكا وأنا أَمْشى الدَّأَلى حَوَالَكا !

فقلتُ : لِمَنْ هذا الشعرُ ؟ فقال : [تقولُ العربُ[1]] : هذا يقولُه الضَّبُّ للحِسْلِ ، أيَّامَ كانت الأشياء تتكلَّمُ .

الدَّألى : مَشْىٌ كَمَشْىِ الذِّئْب ، يقالُ : هو يَدْأَلُ فى مشيَتِه ، إِذَا مَشَى كَمِشْية الذِّئب ، من قول امرىءِ القيسِ :

* أَقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّأَلانِ[2] *

ومَنْ قال فى بيتِ ابنِ عَنَمَةَ الضَّبِّىِّ :

[حَقِيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ][3] تُعَارِضُهُ مُرَبَّبَةٌ دَءُولَ

فإنما أرادَ هذا ، ومن قال « دَءُولُ » فإنما أراد السُّرعَةَ ، يقالُ : مَرَّ يَدْأَل ، إذا مَرَّ يُسْرِعُ .

وقولُهُ « حَوَالَكَا » يقالُ : هو يطوف حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه . ومَنْ قال : « حواليِهِ » بالكسر : فقد أَخْطَأَ ، وفى القرآن : ﴿ نُودِىَ أَنْ بُورِكَ

---

(١) تكملة من س .

(٢) صدره :

* عَلى رَبِزٍ يَزْدادُ عَفْوًا إذا جَرَى *

(٣) مابين العلامتين تكملة من ر .

بَنِى عامرٍ هل تعرفونَ إذا غدَا   أبو مِكنَفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ
بِجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ   ترَى الأُكْمَ منه سُجَّداً للحَوَافِرِ
وَجَمْعٍ كِمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى   كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ البَوَادِرِ
أَبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أَنْ يَكْرَهَ الوَغَى   وحاجةُ رُمْحِى فى نُمَيْرِ بن عامرِ

فقلتُ لأبِى : أَحَضَرْتَ هذه الوَقْعَةَ ؟ فقال : نعم ، فقلت : فكم كانتْ خيلُكم ؟ قال : ثلاثةُ أفراسٍ ، أحدُها فرَسُه ، قال : فذكرتُ هذا لابن أبى بكرٍ الهُذَلِيِّ ، فحدَّثنى عن أبيه قال : حضرتُ يوم جَبَلَةَ ، قال : وكان قد بَلَغَ مائةَ سنةٍ ، وكان قد أدْرَكَ أيّامَ الحجاجِ ، قال : فكانت الخيلُ فى الفريقيْنِ ، مع ما كان مع ابْنَىِ الجَوْنِ — ، ثلاثين فرساً ، قال : فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِىَّ — وكان رواية أهل الكوفةِ — فحدثنى : أنّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلاً من بنى سُلَيْمِ بن منصور ، فقالت أختُه ترْثِيهِ :

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىَّ بِهَيِّنٍ   لَنِعْمَ الفتَى غادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا
وكان إذا ما أَوْرَدَ الخيلَ بِيشَةً   إلى جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَناخَ فَأَلْجَمَا
فأَرْسَلَهَا رَهْوًا رِعالًا كأنّها   جَرادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا

فقيلَ لها : كم كانتْ خيلُ أخيكِ ؟ فقالت : اللهم إنى لا أَعْرِفُ إلا فرسَهُ .

قوله : « قد شَدَّ عَقَدَ الدَّوابِرِ » يريدُ عَقَدَ دوابر الدرْع ، فإنّ الفارسَ إذا حَمِى فعَلَ ذلك .

وقولُه : « تضِلُ البُلْقُ فى حَجَرَاتِه » يقولُ : لكثرته لا يُرَى فيه الأَبْلَق ، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَر ، لاختلافِ لوْنَيْهِ ، من ذلك قولُه :

وأنشدنى رجلٌ من بنى العَنْبَرِ ، أعرابىٌّ فصيح ، لعُبيْدِ بن أيوبَ العَنبَرِى :

كَأَنّى وليْلَى لم يكنْ حَلَّ أهْلُنا   بوادٍ خَصيبٍ والسَّلامُ رِطَابُ

***

وحدثنى سليمانُ بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مولَى العباسِ بن محمد : تَكاذَبَ أعرابيّانِ فقال أحدُهما : خرجتُ مرةً على فرسٍ لى ، فإذا [أنا[1]] بظُلمةٍ شديدةٍ ، فَيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها ، فإذا قِطْعَةٌ من اللَّيْلِ لم تَنْتبهْ ، فما زِلْتُ أَحْمِلُ بفرسِى عليها حتى أنْبَهْتُها ، فانْجابتْ . فقال الآخرُ : لقد رَمَيْتُ ظَبْياً مَرَّةً بسهمٍ فَعَدَلَ الظَّبىُ يَمْنَةً ، فعدلَ السهمُ خلفَه ، فتَيَاسَرَ الظبىُ ، فتيَاسَرَ السهمُ خلفَه ، ثم عَلاَ الظبىُ فعلاَ السهمُ خلفَه ، فانحدرَ فانحدر عليه حتى أخَذَه .

***

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُرْوةَ بن عُتْبَةَ بن جعفرِ بن كِلابٍ قال لِابْنَىِ الجَوْنِ الكِنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ : إن لىَ عليكما حَقّاً لِرحْلَتِى ووِفَادَتِى ، فَدَعُونى أُنْذِرْ قومى من مَوضِعِى هذا ، فقالوا : شأْنَكَ ، فصَرَخَ بقومه بعد أن قالا له : شأْنَكَ ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ .

***

ويروى عن حَمّادٍ الرَّاوِيَة قال : قالتْ ليلَى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ لأبيها : أرأيت قولَ أَبيك :

---

(١) تكملة من س .

فلما تَوَاقَفْنَا وسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
ومعنى أَتْهَمَ أَتَى تِهَامَةَ .

***

وَزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بنُ المَثَنَّى (١)] عَمَّن حَدَّثَهُ أَنَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أَرادتِ الغارةَ على قبائلِ بنى تميمٍ ، فقالوا : إِنْ عَلِمَ بِنَا السُّلَيْكُ أَنْذَرَهُمْ ، فبعثُوا فارسَيْنِ على جوادَيْنِ يُرِيغَانِ (٢) السُّلَيْكَ ، فَبَصُرَا بِهِ فقصداهُ ، وخَرَجَ يَمْحَصُ (٣) كأنه ظَبْيٌ ، فطارَدَاهُ سَحَابَةَ يومِهِمَا ، فقالا : هذا النهارُ ، ولوجَنَّ عليه اللَّيلُ لقد فَتَرَ ، فَجَدَّا فى طلبه ، فإِذا بِأَثَرِهِ قد بال فَرَغًا فى الأرضِ وخَدَّهَا ، فقالاَ : قاتَلَهُ اللهُ ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْهِ ! ولعلَّ هذا كانَ مِنْ أَوّلِ الليل فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَرَ ، فاتَّبَعَاهُ ، فإِذا به قد عَثَرَ بأَصْلِ شَجَرَةٍ فَنَدَرَ (٤) منها كَمَكَانِ تلك ، وانكسرتْ قوسُه ، فارْتَزَّتْ قِصْدَةٌ منها فى الأرض فنَشِبَتْ ، فقالا : قاتَلَهُ اللهُ ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ بعدَ هذا ، فرجَعَا عنه ، وأَتَمَّ إلى قومِهِ .

***

ش : يُرْوَى « أَتَمَّ » بأَلِفٍ ، و « تَمَّ » بغير الألفِ « ونَمَّ » بالنون ، ومعنى « تَمَّ إلى قومه » أى نَفَذَ .

***

فأنذرهم ، فلم يصدِّقُوه لِبُعْدِ الغاية ، ففى ذلك يقولُ :

يُكَذِّبُنى العَمْرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُو بنُ كَعْبٍ والمُكَذِّبُ أَكْذَبُ
ثَكِلْتُكمَا إِنْ لم أَكُنْ قد رأيتُها ... كَرَادِيسَ يَهْدِيهَا إلى الحىِّ مَوْكِبُ (٥)

(١) تكملة من س .
(٢) يريغان : يطلبان .
(٣) يمحص : يعدو عدواً شديداً .
(٤) ندر : سقط .
(٥) الكراديس : جمع كردوس ؛ وهو القطعة العظيمة من الخيل .

فَلَئِنْ وَقَفْتَ لَتَخْطَفَنْكَ رِماحُنا ... وَلَئِن هَرَبْتَ لَيُعْرَفَنَّ الأَبلق

وحَجَرَاته : نواحيه .

وقولُه :

* تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحَوَافِرِ *

يقول : لكَثْرةِ الجيش تطْحَنُ الأُكْمَ تُلْصِقُهَا بالأرض .

وقولُه : « كَمثْلِ اللَّيلِ » يقول : كَثْرَةً ، فيكاد يَسُدُّ سوادُهُ الأُفُقَ ، ولذلك يقال : كَتيبةٌ خضراء ، أى سوداء ، وكانت كَتيبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والأنصارُ يقالُ لها : الخَضْرَاء .

والمُرتَجِسُ : الذى يُسْمَعُ صوتُه ولا يَبِينُ كلامُهُ ، يقال : ارتجَسَ الرَّعْدُ ، من هذا . والوَغَى : الأصواتُ .

و التَّوَالِى : اللَّواحق ، يقال : تلاهُ يَتلُوهُ ، إذا اتبَعَهُ ، وتلَوْتُ القرآنَ أى أتبعْتُ بعضَه بعضاً . والمُتْلِيَةُ : التى معها أولادُها .

وقولُه : « فأَرْسَلَها رَهْوًا » ، يقول : ساكنةً . قال الله جل وعزّ : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [1] ، ويقال : عيشٌ رَاهٍ يا فتى ، أى ساكنٌ

ورِعالٌ : جمعُ رَعِيلٍ ، وهو ما تَقَدَّم من الخيل ، يقالُ : جاء فى الرَّعيلِ الأوَّلِ ، قال عَنْتَرَةُ :

إذْ لاَ أُبادِرُ فى المَضِيقِ فَوَارِسِى ... وَلاَ أُوَكِّلُ بالرَّعِيلِ الأَوَّلِ

وقولُه : « زَهَتْهُ ريحَ نجْدٍ فأَتْعَبَهَا » يقول : رفعته واستَخَفَّتْهُ ، قال ابنُ أبي رَبيعةَ :

(١) سورة الدخان ٢٤ .

قال أبو العباس : وحدثنى عَمْرُو بن بَحْر قال : أتيتُ أبا الربيع الغَنَوى ، وكان من أفصحِ الناس وأبلغهم ، ومعى رجلٌ من بنى هاشمٍ ، فقلتُ : أأبو الرَّبيع هاهنا ؟ فخرجَ إلىَّ وهو يقولُ : خَرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ فلمَّا رأى الهاشمىَّ استحيا من فَخْرِهِ بحضرته ، فقال : أَكْرَمُ الناس رَدِيفاً ، وأشرفُهم حَلِيفا ، فتحدثنا مَلِيًّا ، فنهضَ الهاشميُّ ، فقلتُ لأبي الرَّبيعِ : يا أَبا الرَّبيع مَنْ خَيْرُ الخلقِ ؟ فقال : الناسُ والله ، فقلتُ : مَنْ خَيْرُ الناسِ ؟ قال : العربُ واللهِ ، فقلتُ : فَمَنْ خيرُ العرب ؟ قال : مُضَرُ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ مُضَر ؟ قال : قيسٌ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ قيسٍ ؟ قال : يَعْصُرُ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ يَعْصُرَ ؟ قال : غَنِيٌّ واللهِ ، قلتُ : فمن خيرُ غَنِيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لك واللهِ ، قلتُ : أَفَأَنْتَ خيرُ الناسِ ؟ قال : نَعَمْ إى واللهِ ، قلتُ : أَيَسُرُّكَ أَنَّ تحتكَ بنتَ يزيدَ بن المُهَلَّبِ ؟ قال : لا واللهِ ، قلتُ : ولك ألفُ دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ؟ قلتُ : فألفا دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ، قلتُ : ولك الجَنَّةَ ! فأطرقَ [مَلِيًّا [1]] ثم قال : على ألّا تَلِدَ مِنِّى ، وأَنْشَدَ :

تَأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ مِنْ أَنْ تُناسِبَ قوماً غيرَ أَكفاء
فإن يَكُنْ ذاكَ حَتْمًا لا مَرَدَّ لَهُ فاذْكُرْ حُذَيْفَ فإِنِّى غيرُ أَبَّاء

وقولُه : « أكرمُ الناسِ رديفاً » فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَوىَّ كانَ رديفَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

وقولُه : « وأشرفُهم حليفاً » ، كانَ أبو مَرْثَدٍ حليف حمزةَ بن عبد المطَّلب .

---

(١) تكملة من س .

كَرادِيسُ فيها) الْحَوْفَزَان وحولَه فوارسُ هَمَّامٍ متى يَدْعُ يَرْكَبُوا!

فصدَّقه قومٌ فنجَوْا ، وكذَّبه قومٌ فوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكتَسَحَهُمْ .

* * *

وحدثنى التوَّزِىُّ قال : سألتُ أبا عُبيدَةَ عن مثلِ هذه الأخبارِ من أخبارِ العرب ؟ فقال لى : إن العجَم تَكْذِب فتقولُ : كان رجلٌ ثُلثُهُ من نحاسٍ ، وثلثه من رَصاصٍ ، وثلثه من ثَلْجٍ ، فتعارِضُها العربُ بهذا وما أشبه .

ومن ذلك قول مُهَلْهِل بن رَبيعةَ :

فلو نُشِرَ المَقابِرُ عن كُلَيْبٍ فتُخْبَرَ بالذَّنائِبِ أىُّ زِيرِ (١)

بيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لقَرَّ عَيْنًا وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِى أَبِينا بجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

كأنَّ رِمَاحَهم أشْطَانُ بِئْرٍ بَعيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ

فلولاَ الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بحَجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

* * *

[قال أبو الحسن : يقالُ فلانٌ : زِيرُ نِساءٍ ، وطِلْبُ نساءٍ ، وتِبْعُ نساءٍ ، وخِلْوُ نساءٍ ، إذا كان صاحبَ نساءٍ ، وذلك أنَّ مُهَلْهِلًا كان صاحِبَ نساءٍ ، فكانَ كُلَيْبٌ يقولُ : إنَّ مهلهلاً زِيرُ نساءٍ ولا يُدْرِكُ بثأرٍ ، فلمَّا أدْرَكَ مهلهلٌ بثأرِ كليبٍ ، قال : أىُّ زِيرٍ ! فرَفَعَ « أيا » بالابتداء ، والخبرُ محذوفٌ ، فكأنه قال : أىُّ زِيرٍ أنا فى هذا اليوم !] .

---

(١) أشطان البئر : حبالها .

قالَ : أَجَلْ ، وَلٰكِنْ أَخبرنى عن قولِكَ :

وَمَا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أَعْرَضَتْ ‏ وَكُنَّ مِنْ أن يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ ؟ قال : واللهِ إنْ كنتُ إلاَّ على حمارٍ هزيل ، ومعِى رَفيقى على أتانٍ مثلِهِ .

* * *

ومن ذلك ما يَحْكُونَ فى خبرِ لُقْمانَ بن عادٍ ، فإنهم يَصِفُونَ أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِيَ مِن بَصَرِه ، لدخولِه فى السِّنِّ ؟ فقالتْ : واللهِ لقد ضَعُفَ بَصَرُه ، ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ ، إنَّهُ لَيَفْصِلُ بين أَثَرِ الأُنثَى والذَّكرِ من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا ، فى أشْيَاءَ تُشَاكِلُ هذا من الكَذِب .

* * *

وحُدِّثْتُ أنَّ امرأةَ عِمْرَان بنِ حِطَّانَ السَّدُوسِيَّ قالت له : أما حَلَفْتَ أنَّكَ لا تَكْذِبُ فى شعرٍ ؟ فقال لها : أَوَ كانَ ذاكِ ؟ قالت : نعم ، قلتَ :

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْرٍ كانَ أَشْجَعَ من أُسامَهْ

أيكونُ رجلٌ أَشْجَعَ من أَسَدٍ ! فقال لها : ما رأيتُ أسداً فَتَحَ مدينةً قَطُّ ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فَتَحَ مدينةً[1] .

* * *

ومرَّ عِمْرَانُ بن حِطّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ ، فوقف عليه فقال :

أيُّها المادِحُ العِبادَ ليُعطَى ‏ إنَّ لِلّهِ ما بأيدِى العِبادِ

---

(١) زيادات ر : « مجزأة بن ثور : جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر ، فلما أسن مجزأة فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذاك مع ابنه شقيق بن مجزأة ، وقتل رحمه الله على شستر هو والبراء بن مالك ؛ وكانا من أبطال المسلمين » .

وقوله : « فاذكُرْ حُذَيفَ » ، أرادَ حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ الفَزارىَّ ، وإنما ذكره مِنْ بينِ الأشرافِ لأنه أقربُهم إليه نسباً ، وذاكَ يَعْصُرَ بنُ سعدِ بن قيس ، وهؤلاء بنو رَيْثِ بن غطَفَانَ بن سعد بن قيسٍ . وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يَهْجُو وَلَد يَعْصُرَ ، وهُمْ غَنِىٌّ وباهِلةُ والطُّفَاوَةُ :

أَبَاهِلَ ما أَدْرِي أَمِنْ لُؤْم مَنْصِبى أُحِبُّكُمُ أَمْ بِى جُنونٌ وأَوْلَقُ (١)
أَسَيِّدُ أَخْوَالِي وَيَعْصُرُ إخْوَتِى فَمَنْ ذَا الَّذِى مِنِّى معَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ !

فقال الباهلىُّ يُجِيبُهُ :

وكيف تحِبّ الدهرَ قومًا هُمُ الاولَى نَوَاصِيَكُمْ فى سالفِ الدَّهْرِ حَلَّقوا
أَلَسْتَ فَزَارِيًّا عليك غضَاضَةٌ وإن كنتَ كِنْدِيًّا فإنك مُلْصَقُ

* * *

وتحدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحجاجَ رأى محمدَ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِىَّ ، وكان يَنسِبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ ، فارْتَاعَ مِن نظرِ الحجاجِ [إليه (٢)] فدَعَا به ، فلمَّا عرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا :

هاكَ يَدِى ضاقتْ بِىَ الارضُ رُحْبُها وإن كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكَانِ
ولو كنتُ بالعَنْقاءِ أَوْ بِيَسُومِهَا لَخِلْتُكَ إلاَّ أنْ تَصُدَّ تَرَانِى (٣)

ثم قال : واللهِ إنْ قلتُ إلاَّ خيراً ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْن أطرافَ البَنانِ مِنَ التُّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ

---

(١) الأولق : الجنون .
(٢) تكملة من س .
(٣) يسوم : جبل بعينه .

عليه فطَعَنْته فأذْرَيْته[1] ، ثم مِلْتُ عليه بالصَّمْصامة ، فأخذتُ رأسَهُ ، فقال له خالدٌ : حِلّا أبا ثَوْرٍ ، إنَّ قَتيلَكَ هو المُحَدِّثُ . فقال : يا هذا ، إذا حُدِّثْتَ فاسْتَمِعْ ، فإنما نَتَحَدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّة[2] .

قولُه : « مُسْتَرْعِفِينَ » يقولُ : مُقَدِّمين له ، يقال : جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيشَ ويَؤُمُّ الجيشَ ، إذا جاء متقدِّمًا لهم ، ويقالُ في الرُّعافِ : رَعَف يَرْعُفُ ، لا يقال غيرُ « رَعَفَ » ، ويجوز « يَرْعَفُ » مِن أَجْلِ العَيْنِ ، وليس من الوَجْه . وسنذكرُ هذا البابَ بعدَ انقضاءِ هذه الأخبارِ ، إن شاء الله .

وقولُه : « حِلّا أبا ثَوْرٍ » يقولُ : اسْتَثْنِ ، يقال : حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ ، أى لم يَسْتَثْنِ .

***

وخُبِّرْتُ أنّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديث عن هَرِمِ بنِ حَيَّانَ[3] فاتفق هرمٌ [مرةً][4] معه فى مسجدٍ وهو يقول : حَدَّثَنا هرِمُ بن حيان ، مرةً بعدَ مرةٍ ، بأشياءَ لا يعرفُها هرمٌ ، فقال له : يا هذا ، أَتَعْرِفُني ؟ أنا هرِمُ بنُ حيان ، [واللهِ][4] ما حدَّثْتُكَ من هذا بشىء قطُّ ، فقال له القاصُّ : وهذا أيضاً من عجائِبِكَ ، إنَّه لَيُصَلِّى معنا فى مسجدنا خمسةَ عَشَرَ رجلاً ، اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ ، كيفَ توهَّمْتَ أنه ليس فى الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُك !

---

(١) أذريته : رميته .

(٢) المعدية : المنسوبون إلى معد .

(٣) زيادات ر: «الهرم : الضب ؛ يقال إنه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج ؛ قال الشاعر :

* كما أكبَّ على ذى بطنه الهَرِم *

قيل إن هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ؛ ولذلك سمى هرما » .

(٤) من س .

فَاسْأَلِ اللهَ ما طلبتَ إليهم   وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العوّادِ
لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ما ليس فيه   وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجوادِ

وأنشدنى الحسنُ بن رَجَاءٍ لرجلٍ من المُحْدَثينَ لم يُسَمِّهِ (١) :

أبا دُلفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ   سِوَايَ فإنِى فى مَدِيحِكَ أكْذَبُ

* * *

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثينَ :

إنّى امْتَدَحْتُكَ كاذباً فأثَبْتَنِى   لمّا امتَدَحْتكَ ما يُثَابُ الكاذبُ

قال الأصمعىُّ : قلتُ لأعرابىٍّ كنت أعرِفُه بالكذبِ : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : لولا أنّى أخافُ أن أَصْدُقَ فى هذا لقلتُ لكَ : لا .

* * *

وتَحَدَّثوا مِن غيرِ وجهٍ أنَّ عمْرَو بن مَعْدِى كَرِبَ كانَ معروفاً بالكذبِ . وقيلَ لِخَلَفِ الأحمرِ — وكانَ شديدَ التعصُّبِ لِلْيَمَنِ : أكانَ عَمْرُو بن معدى كرب يَكْذِبُ ؟ فقال : كان يكذبُ فى المَقال ، ويَصْدُقُ فى الفَعَال .

وذَكَرُوا من غيرِ وجهٍ أنّ أهلَ الكوفةِ من الأشرافِ كانوا يَظْهَرُونَ بالكُنَاسةِ فيَتَحَدَّثُونَ على دَوَابِّهم ، إلى أن يَطْرُدَهمْ حَرُّ الشَّمسِ ، فوقفَ عمْرُو بن معدى كربَ وخالدُ بن الصَقْعَبِ النَّهْدِىُّ ، فأقبلَ عمرٌو يُحَدِّثه ، فقال : أغَرْنَا مَرّةً على بنى نَهْدٍ ، فخرجوا مُسْتَرْعِفِينَ بخالدِ بن الصَّقْعَبِ ، فحملتُ

(١) زيادات ر : « وهو بكر بن النطاح فى أبي دلف » .

أَربعٍ : الزنا والسَّرَق[1] وشربِ الخمرِ والكذبِ ، فأَيَّتُهنَّ أَحببتَ تركتُ لك سِرًّا ، فقال رسولُ الله : دَعِ الكذبَ . فلما تولَّى مِنْ عندِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هَمَّ بالزنا ، فقال : يسألني رسولُ الله ، فإنْ جَحَدْتُ نَقَضْتُ ما جعلتُ له ، وإن أقررتَ حُدِدْتُ . فلم يَزْنِ ، ثم هَمَّ بالسَّرَقِ[1] ، ثم هَمَّ بشربِ الخمرِ ، ففكَّرَ في مثل ذلك ، فرجَعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، قد تركتهنَّ جُمعَ .

* * *

وشهِدَ أعرابيٌّ عند معاويةَ بشهادةٍ ، فقال له معاويةُ : كذبتَ ، فقال له الأعرابيُّ : الكاذبُ مُتَزَمِّلٌ في ثيابكَ ، فقال معاويةَ : هذا جزاء مَنْ عَجَّلَ

وقال معاويةُ يوماً للأحنف — وحدَّثه حديثاً : أتكذِبُ ؟ فقال : والله ما كذبتُ مُذْ علمتُ أنّ الكذبَ يَشِينُ أهلَهَ

* * *

ودخلَ عبدُ الله بن الزُّبير يوماً على معاوية ، فقال : اسمعْ أبياتاً قُلْتُهُنَّ — وكان واجداً عليه ، فقال معاويةُ : هَاتِ ، فأنشدَهُ :

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وَجَدْتَهُ ... على طَرفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلَ

ويركبُ حَدَّ السَّيْفِ من أنْ تَضِيمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

---

(١) السرق : السرقة .

وكان بالرَّقَّةِ قاصٌّ يُكْنَى أبا عَقِيلٍ ، يُكْثِرُ التحدثَ عن بنى إسرائيلَ فَيُظَنُّ بِهِ الكذبُ ، فقال له يومًا الحجاجُ بن حَنْتَمَةَ : ما كان اسمُ بقرةِ بنى إسرائيلَ ؟ قال : حَنْتَمَةُ ، فقال له رجلٌ من ولد أبى موسى الأشعرىِّ : فى أىِّ الكتب وَجَدْتَ هذا ؟ قال : فى كتاب عَمرو بن العاصِ .

وقال القَيْنِىُّ : أنَا أَصْدُقُ فى صغيرِ مَا يَضُرُّنى ، ليجوزَ كَذِبى فى كَبير ما ينفعُنِى .

وأنشد المازنىُّ للأعشى — وليس مما رَوَتِ الرواةُ متَّصلًا بقصيدة :

فَصَدَقْتُهُمْ وَكَذَبْتُهُمْ والمَرْءُ ينفعُهُ كِذَابُهُ

* * *

ويروى أنَّ رجلاً وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله [عن بعضِ شىء[1]] ، فكذَبَهُ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَأسألك فَتكْذِبُنِى ؟ لولا سَخاءٌ فيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لَشَرَّدْتُ بِكَ مِنْ وافِدِ قَوْمٍ .

معنى « وَمِقَكَ » أَحَبَّكَ ، يقال وَمِقْتُه أَمِقُهُ ، وهو على « فَعِلْتُ أَفْعِلُ » ونظيرُه من هذا المُعتلِّ وَرِمَ يَرِمُ ، و وَلِىَ يَلِى . وكذلك وَسِعَ يَسَعُ ، كانت السينُ مكسورةً ، وإنما فُتِحَت للعينِ ، ولو كانَ أصلُها الفتح لظَهَرَتِ الواوُ ، نحو وَجِلَ يَوْجَلُ ، و وَحِلَ يَوْحَلُ . والمصدرُ « مِقَة » كقولك : وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً ، و وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً .

ويُروى : أنَّ رجلًا أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلَمَ ، ثم قال : يا رسولَ اللهِ ، [إنى[1]] إنما أُوخَذُ من الذُّنوب بما ظَهَرَ ، وأنا أَسْتَسِرُّ بخِلالٍ

(١) تكملة من س .

قال الشيخُ : قولُه : « أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة » أى كأنه يَجعله سَيِّدَ مُزَيْنَةَ ، لأنه كان مُزَنِيًّا ، والصوابُ : « يُمَزِّرَهُ » قال المَوْصِلِيُّ :

* وَإِنِّى مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مَزِيرُ *

ولم يَكنْ فى القُضَاةِ ، وإنّما كان أميراً على البصرة . . . إن مات عمرو . . . .

وكتب عُمَرُ إلى عَدِىٍّ : اجمعْ ناساً مِمَّنْ قِبَلَكَ وشاوِرْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسمِ بن رَبيعةَ ، واسْتَقْضِ أَحَدَهما ، فوَلَّى عَدِىٌّ إياساً[1]] .

* * *

ويروَى أَنَّ أخا إياسٍ صارَ إلى ابن هُبَيْرَةَ فقال : طَرَقَنِى اللصوصُ فحارَبْتُهم فهَزَمْتُهم ، وظَفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[2] ، فجعله ابن هُبَيرةَ تحتَ مُصَلَّاهُ ، ثم بعثَ إلى الصَّياقِلَة فأحضَرَهم ، فقال : أيَعْرِفُ منكم الرجلُ عملَه ؟ قالوا : نعم ، فأخرجَ المِغْوَلَ فقال : من عَمِلَ أيُّكُمْ هذا[3] ؟ فقال قائلٌ منهم : أنا عملتُ هذا ، واشتراهُ مِنّى هذا أَمْسِ .

(١ـ١) مابين العلامتين زيادة فى نسخة ر ؛ وذكر المصحح أنها من إحدى النسخ التى رجع إليها ؛ وموضع النقط مقطوع من الأصل المنقول عنه ؛ وهذه الزيادة ليست فى الأصل ، وليست فى س أيضاً .

(٢) زيادات ر : « المغول سيف صغير » .

(٣) س : « أيكم عمل هذا » .

فقال له معاويةُ : لقد شَعُرْتَ بعدَنا يا أبا بكرٍ ، ثم لم يَنْشَبْ معاوية أنْ دَخَل عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِيُّ ، فقال له : أَقُلْتَ بعدَنا شيئا ؟ قال : نعَمْ ، فأنشده :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ　　على أَيِّنَا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات التى أَنْشَدَها ابنُ الزبير ، فقال له معاويةُ : يا أبا بكر ، أَمَا ذَكَرْتَ آنفاً أنَّ هذا الشِّعرَ لك ؟ قال : أنا أَصْلَحْتُ مَعانِيَهُ ، وهو أَلْفُ الشعرَ ، وهو بَعْدُ ظِئْرِى ، فما قالَ مِنْ شىء فهو لِى .

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْر مُسْتَرْضَعًا فى مُزَيْنَةَ .

* * *

وحُدِّثْتُ أن عُمَرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوَانَ (١)] كتَبَ فى إشْخاص إيَاس بن معاويةَ المُزَنِىِّ وعَدِىِّ بن أَرْطاةَ الفَزَارِىِّ أميرِ البَصْرَةِ وقاضيها يومَئِذٍ ، فصار إليه عدىٌّ ، فقَرَّبَ أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفةِ ، فقال : يا أبا واثِلَةَ ، إنَّ لنا حقًّا ورَحِماً ، فقال إياسٌ : أَعَلَى الكذب تريدُنِى ؟ والله ما يَسُرُّنِى أَنِّى كَذَبْتُ كَذِبةً يغفرُها اللهُ ولا يَطَّلِعُ عليها إلّا هذا — وأَوْمَأَ إلى أَبِيهِ — ولِى ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ .

[قال أبو الحسن (١) : « التَّمْزِينُ » المَدحُ ، ولم أَسْمَعْ هذه اللفظةَ إلَّا مِن أبى العباس ، وهى عندى مشتقَّةٌ مِن « المازِنِ » وهو بيض (٢) النَّمْلُ ، وبهذا سُمِّيَتْ « مازنٌ » كأنه أرادَ منه أن يُكَبِّرَهُ .

ويروى : يُكَثِّرَه . قال القُتَبِىُّ : المَازِنُ : بَيْضُ النَّمل .

(١) تكملة من س .

(٢) كلمة « بيض » ساقطة من ر ، س ، وهى فى الأصل .

وضرب يضرِبُ ، وقعد يقعُد ، وجلس يجلِس ، فقد أنبأتُكَ أنه يكونُ متعدّياً وغيرَ متعدٍّ . فأمّا يَأبَى ، و يَقْلَى ؛ فلهما عِلّةٌ تُبيَّنُ عندَ ما أذْكرُه لكَ إن شاء اللهُ

ولا يكونَ « فَعَلَ يَفعَلُ » إلّا أن يكون يَعرِضُ له حرفٌ من حروف الحَلْقِ الستةِ فى موضعِ العينِ أو موضعِ اللّامِ ، فإن كان ذلك الحرفُ عيناً فتحَ نفْسَه ، وإنْ كان لاماً فتح العينَ .

وحروفُ الحلْقِ : الهمزة ، والهاء ، والعينُ ، والحاء ، والغينُ ، والخاء .

وذلك قولهم : قرَأَ يقرَأُ قرْءاً ، يا فتى ، قِرَاءةً ، و سأَلَ يسْأَلُ ، و جَبَهَ يَجبَهُ ، و ذَهَبَ يذهَبُ ، وتقول : صَنَعَ يصنَعُ ، و طَعَنَ يَطْعَنُ ، و ضَبَحَ يَضْبَحُ ، وكذلك فرَغ يفْرَغُ ، و سَلَخَ يسْلَخُ .

وقد يجوزُ أنْ يجئ الحرفُ على أصلِه وفيه أحدُ السِّتّةِ ، ويجوزُ : زأَرَ يَزْئِرُ ، و فرَغَ يفرُغُ ، و صبَغَ يَصْبُغُ ؛ إلّا أنّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه « فَعَلَ » إلّا وَأَحدُ هذه الحروف فيه .

وأما « يأبَى » فله علّةٌ ، وأما « يَقْلَى » فليس يَثْبُتُ . وسيبويه يذهبُ فى « يَأبَى » إلى أنه إنما انفتح مِن أجلِ أنّ الهمزةَ فى موضع فائه ، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ لك ، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق ، فإنما انفتح لأنهُ يصيرُ إلى الألِفِ ، وهى من حروف الحلق ، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكونُ أصلاً ، إنما تكون زائدةً أو بدَلاً ،

بابُ

ما يجوزُ فيه « يَفْعَلُ » فيما ماضيه « فَعَلَ » مفتوح العين

اعلم أنَّ كلَّ فِعْلٍ على « فَعُلَ » فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعولٍ، لأنَّه فِعْلُ الفاعلِ فى نفسه، وتأويلُه الانتقالُ. وذلك قولك: كَرُمَ عبدُ الله، وظَرُفَ عبدُ الله.

وتأويلُ قولِى: « الانتقال »، إنَّما هو انتقال من حالٍ إلى حال، تقولُ: ما كَانَ كريماً ولقد كَرُمَ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ. فهذا تأويله. فأمَّا قولهم: كِدْتُ أَكادُ، فإنما كِدْتُ معترِضَةٌ على أَكادُ.

وما كَان من « فَعِلَ » [من][1] الصحيحِ فإنَّه « يَفعَلُ » نحو: شَرِبَ يَشْرَبُ، وعَلِمَ، وفَرِقَ، ويكونُ متعدِّياً وغيرَ متعدٍّ، تقولُ: حَذِرْتُ زيداً، وعَلِمْتُ عبدَ الله، ويكون فيه مثلُ سَمِنْتُ، وبَخِلْتُ، غيرَ متعدٍّ، وكلُّه على « يَفْعَلُ » نحو يَسْمَنُ، ويَبْخَلُ، ويعلَمُ، ويَطْرَبُ.

فأمَّا قولهم فى الأربعةِ من الأفعالِ: « يَحْسِبُ »، و « يَيْئِسُ »، و « يَنْعِمُ »، و « يَيْبِسُ »، فهى معترِضَةٌ على « يَفعِلُ » تقولُ فى جميعها: « يَحسَبُ »، و « ينعَمُ »، و « يَيْئَسُ »، و يَيْبَسُ »

وما كان على « فَعَلَ » فبابُه « يَفعُل » و « يَفعِل » نحو قَتَلَ يقتُل.

---

(1) من س.

باب

[من أخبار عبد الله بن العباس وابنه]

يُرْوَى عن عليّ بن أبي طالب رحمةُ الله عليه أنه افتقدَ عبدَ اللهِ بنَ العباس رحمه الله [في وَقْتِ صلاةِ الظُّهْرِ[1]] ، فقال [لأصحابه[1]] : ما بَالُ أبي العباسِ لم يَحْضُرْ ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ ، فلما صلّى عليٌّ رحمه الله قال : امضُوا بِنَا إليه ، فأتاه فهنّأه ، فقال : شَكَرْتَ الواهِبَ ، وبُورِكَ لك في الموهوبِ ، ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال : أَوَ يَجُوزُ لي أَنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه ! فأَمَرَ به فأُخْرِجَ إليه ، فأخذه وحَنَّكَه ودَعَا له ، ثم رَدَّه إليه ، وقال : خُذْه إليك أبا الأملاكِ ، قد سَمَّيْتُه عليًّا ، وكَنَّيْتُهُ أبا الحسنِ ، فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ : ليس لكم اسمُه وكنيتُه ، قد كَنَّيْتُه أبا محمدٍ ، فجَرَتْ عليه .

* * *

وكان عليٌّ سيدًا شريفًا بليغًا ، وكان له خمسُمائةِ أصل زَيْتُونٍ ، يصلي في كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين ، فكان يُدْعَى ذَا الثَّفِنَاتِ[2]

* * *

وضُرِبَ بالسَّوْطِ مرتين . كلتاهما ضربَهُ الوليد ، إحداهما : في تزَوُّجِه لبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ . وكانت عندَ عبد الملك ، فعَضَّ تُفَّاحةً ثم رَمَى بها إليها — وكان أبْخَرَ — فَدَعَتْ بِسِكِينٍ ، فقال : ما تَصنعينَ به ؟[3] قالتْ أُمِيطُ عنها الأذى . فطلَّقَها . فتزوَّجها عليّ بنُ عبد الله ، فضربه الوليدُ ،

(١) من س .

(٢) الثفنات : جمع ثفنة ؛ وهى من كل ذى أربع مايصيب الارض منه .

(٣) أى بالسكين ، والسكين تذكر وتؤنث .

ولا تكونُ متحركةً ، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ ، ولا يَعْتَمِدُ اللّسانُ بِهِ على موضعٍ ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أنّ يَسَعُ ، ويَطَأُ ، حَدُّهما « فَعِلَ يَفْعِلُ » فى المعتلِّ ، كحَسِبَ يَحْسِبُ ، من الصحيح ، ولكنْ فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ ، كما تقول : وَلَغَ الكلبُ ، يَلَغُ ، والأصلُ « يَلِغُ » فحرفُ الحَلْقِ فتحه .

الشيخَ قد اختَلَّ وأسَنَّ وخلِطَ نصار يقول : إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَدِهِ ، فَسَمِعَ ذلك عليٌّ فالتفت إليه فقال : والله ليكونَنَّ ذاكَ ، وَلَيَمْلِكَنَّ هذانِ .

* * *

قال أبو العباس : أَمَّا قولي : « إن الخليفة في ذلك الوقتِ لم يكن سليمانَ » ، فلأَنَّ محمدَ بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّج الحارِثيَّةِ ، للحديثِ المَرْوِيِّ ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءَهُ محمدٌ ، فقال له : إنى أردتُ أن أتزوج بنتَ خالِي من بنى الحارث بن كَعْبٍ ، أفتَأْذَنُ لى [يأَميرَ المؤمنينَ[1]] ؟

فقال عمرُ : تَزَوَّجْ — رحمكَ اللهُ — مَنْ أحببتَ ، فتزوَّجها ، فأَوْلَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين ، و عمرُ بعدَ سليمانَ ، فلا ينبغى أن يكونَ تَهَيَّأَ له أن يدخل على خليفةٍ حتى يَتَرَعْرَعَ .

[ش : كذا وقعَ فى الأُمِّ والروايةِ ، وَالصحيحُ « لهما أن يدخلاَ على خليفةٍ حتى يترعرع »] .

فلا يَتِمّ مِثلُ هذا إلّا فى أيامِ هشامٍ .

* * *

وكان عبدُ الملك يُكرِمُ عليًّا وَيقدّمُهُ ، فحدثنى التَّوَّزِىُّ ، قال : قال علىُّ ابن عبد الله : سايَرْتُ يوماً عبد الملك ، فما جاوَزْنَا إلَّا يسيراً حتى لَقِيَهُ الحجاجُ قادماً عليه ، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشَى بين يديه ، فغَضِبَ عبدُ الملك ، فأسرع الحجاجُ ، فزادَ عبدُ الملك ، فهَرْوَلَ الحجاجُ ، فقلتُ لعبد الملك ،

(١) تكملة من س .

وقال : إنما تتزوّجُ بأمّهاتِ الخلفاءِ لِتضَعَ منها ، لأن مَرْوَانَ بن الحكمِ تزوّجَ أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية ليَضَعَ منه ، فقال عليُّ بن عبد الله : إنما أرادتِ الخروج من هذه البَلْدَة ، وأنا ابنُ عمِّها فتزوجتُها لأكونَ لها مَخرَجًا .

وأمّا ضربُه إيّاه في المرّة الثانيةِ فإنّا نرويه من غيرِ وَجْهٍ ، ومِنْ أتمِّ ذلك ما حدَّثنيهِ أبو عبد الله محمدُ بن شُجاعٍ البَلْخيُّ[1] في إسنادٍ له مُتَّصِلٍ ، لستُ أحفظُه ، يقولُ في آخرِ ذلك الإسناد : رأيتُ عليًّا مضروبًا بالسَّوْط يُدارُ به على بعيرٍ ووجهُهُ مما يلي ذَنَبَ البعيرِ ، وصائحٌ يَصيحُ عليه : هذا عليُّ بن عبد الله الكذابُ ! قال : فأتيتُه فقلتُ : ما هذا الذي نَسَبُوكَ فيه إلى الكذب ؟ قال : بلَغهم قولي : إنّ هذا الأمرَ سيكونُ في ولدي . واللهِ ليكونَنَّ فيهم حتى يَملِكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغارُ العيونِ ، العِراضُ الوُجُوهِ ، الذين كأنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَة .

* * *

ومع هذا الحديثِ آخرُ شَبيهٌ بإسنادِهِ ، أن عليَّ بن عبد الله دخلَ على سليمانَ بن عبد الملك ، ومعه ابنَا ابنِه ، الخليفتانِ : أبو العباسِ ، وأبو جعفرٍ — قال أبو العبّاس : وهذا غَلَطٌ ، لِمَا أذكرُهُ لك ، إنما ينبغي أن يكونَ دخلَ على هشامٍ — فأوْسَعَ لهُ على سَريرِه ، وسأله عن حاجته ، فقال : ثلاثون ألفَ درهمٍ عليَّ دَيْنٌ ، فأمَرَ بقضائها ، قال له : وتَسْتَوصي بابْنَيَّ هذين خيراً ، ففعلَ ، فشكرَهُ ، وقال : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، فلما وَلَّى عليٌّ قال الخليفةُ لأصحابه : إنّ هذا

---

(١) زيادات ر : «هو محمد بن شجاع الثلجي ، كذا صوابه » .

إلى سُعْدَى [ليلاً[١]] فقال [لها][١] : أَخْرِجِى إلىَّ وصيةَ أبى ، فقالت : إن أباكَ أجلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلاً ، ولكنها تأتيك غداً ، فلمّا أصبح غَدَا بها عليه سليمانُ ، فقال : يا أبى ويا أخِى ، هذه وصيةُ أبيك ، فقال محمدٌ : جزاكَ اللهُ مِن ابنٍ وأخٍ خيراً ، ما كنتُ لِأُثَرِّبَ على أَبِى بعدَ موتِه ، كما لم أُثَرِّبْ عليه فى حياتِه .

* * *

قال أبو العباس : التَّمتَمَةُ : التردُّد فى التّاء . والفأْفأةُ : الترددُ فى الفاء . والعُقلَةُ : الْتِوَاءُ اللسانِ عندَ إرادة الكلام ، و الحُبْسَةُ : تَعَذُّرُ الكلامِ عند إرادته ، و اللَّفَفُ : إدخالُ حرفٍ فى حرفٍ ، و والرُّتّةُ : كالرَّتَجِ تمنعُ أوَّل الكلامِ ، فإذا جاء منه شىءٌ اتَّصلَ . و الغَمْغَمَةُ : أن تسمع الصوتَ ولا يَتبيَّنَ لك تقطيعُ الحروفِ . و الطَّمْطَمَةُ : أن يكونَ الكلام مُشبِهًا لكلامِ العجْمِ . واللُّكْنَةُ : أن تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغةُ الأعجميةُ . وسَنُفَسِّرُ هذا بحججه حرفاً حرفاً ، وما قيل فيه ، إن شاء الله . و اللُّثْغَةُ : أن يُعْدَلَ بحرفٍ إلى حرف . و الغُنَّةُ : أن يُشْرَبَ الحرفُ[٢] صوتَ الخيشومِ . و الخُنْةُ : أشدُّ منها . و التَّرخيمُ : حَذْفُ الكلامِ ، يقالُ : رجلٌ فأفاءٌ يا فَتَى ! تقديرُه « فَاعَالٌ » ونظيرُه من الكلامِ : سَاباطٌ وخاتامٌ ، قال الراجزُ :

يا مَىَّ ذاتَ الجوْرَبِ المنشَقِّ أَخَذْتِ خَاتَامِى بِغَيْرِ حَقِّ[٢]

(١) تكملة من س .

(٢) زيادات ر : كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى ؛ والصحيح أنه بالهمز على « فعلال » مثل « خضخاض » ، و « قمقام » ، فالذى حكى أبو العباس غلط ؛ لأن سيبويه رحمه الله قال ؛ ليس فى الصفات « فاعال » . قال أبو الحسن . يقال : « خاتم » على وزن « دانق » و « خاتِم » على وزن ضارب ، و « خيتام » على وزن « ديان » « وخاتام » على وزن « ساباط » .

أبكَ مَوْجِدَةٌ على هذا ؟ فقال : لا ، ولكنه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ ، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه .

* * *

وحدَّثني جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشميُّ ، قال : حضر عليٌّ عبدَ الملك وقد أُهْدِيَ له من خُراسانَ جاريةٌ وفصٌّ وسيفٌ ، فقال : يأبا محمدٍ ، إنَّ حاضِرَ الهديةِ شريكٌ فيها ، فاختَرْ مِنَ الثلاثة واحداً ، فاختارَ الجاريةَ ، وكانت تُسَمَّى سُعْدَى ، وهي من سَبْيِ الصُّغْدِ [1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ ، فأولدها سليمانَ وصالحاً ابْنَيْ عليٍّ .

* * *

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى أنه لمَّا أَوْلَدَهَا سليمانَ اجتنبَتْ فِرَاشَه ، فمرض سليمان من جُدَرِيٍّ خرج عليه ، فانصرفَ عليٌّ مِنْ مُصَلَّاهُ ، فإذا بها على فِراشه ، فقال : مرحباً بك يا أُمَّ سليمانَ ، فوَقَعَ بها ، فأولدها صالحاً ، فاجتنبتْ بَعْدُ ، فسألها عن ذلك ؟ فقالت : خفْتُ أن يموتَ سليمان فينقطعَ النَّسَبُ بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالآنَ إذْ وَلَدْتُ صالحاً فبالْحَرى إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخَرُ ، وليس مثلي اليومَ مَنْ وطِئَهُ الرجالُ .

وزَعم جعفرٌ أنه كانتْ فيها رُتَّةٌ .

فالرُّتَّةُ : تعذُّرُ الكلام إذا أراده الرجلُ ، فهي الآنَ معروفةٌ في ولدِ سليمان وولدِ صالحٍ .

* * *

وكان عليٌّ يقولُ : أكره أن أُوصِيَ إلى محمدٍ – وكان سَيِّدَ ولدِهِ – خوفاً من أن أَشِينَهُ بالوصيةِ ، فأَوْصَى إلى سليمانَ ، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء محمد

---

(١) الصغد : كورة قصبتها سمرقند .

وأما الرُّتّة فإنها تكون غَرِيزةً ، قال الراجز :

* يأيُّها المخلِّطُ الأرتُّ *

ويقال : إنها تكثُر في الأشراف ، ولم توجدْ تَخْتصُّ واحداً دون واحد .

وأما الغمغمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه ، لأنه صوتٌ لا يُفهَمُ تقطيعُ حروفِه .

[أفصح الناس]

وحدثنى مَنْ لا أُحصِى من أصحابنا عن الأصمعى عن شُعبة عن قتادة ، قال : قال معاويةُ يوماً : مَنْ أفصحُ الناسِ ؟ فقام رجلٌ من السِّماطِ فقال : قومٌ تباعَدُوا عن فُراتيَّةِ العِراق ، وتَيامَنُوا عن كَشْكَشَةِ تميمٍ ، وتَياسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بَكرٍ ، ليس فيهم غَمْغمةُ قُضاعةَ ، ولا طُمْطُمانيّةُ حِمْيَرَ . فقال له معاويةُ : مَنْ أولئك ؟ فقال : قومِى يأميرَ المؤمنين ، فقال له معاويةُ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من جَرْمٍ . قال الأصمعىُّ : وجَرْمٌ من فُصَحاءِ الناسِ .

قولُه : « تيامَنُوا عن كشكشةِ تميمٍ » ، فإنّ بنى عَمرِو بن تميمٍ إذا ذكَرتْ كافَ المؤنَّثِ فوقفت عليها أبدَلَتْ منها شيناً ، لقربِ الشين من الكافِ فى المَخرَجِ ، وأنها مهموسةٌ مثلَها ، فأرادُوا البيانَ فى الوقفِ ، لأنّ فى الشِّين تَفَشِّياً ، فيقولون للمرأة : جعَلَ اللهُ لكِ البركةَ فى دارِشْ ، وَيْحكِ مالَشْ . والتى يُدْرِجُونها يدعُونَها كافاً ، والتى يَقِفُون عليها يُبْدِلونها شينا .

وأما بَكرٌ فتختلفُ فى الكسكسةِ ، فقومٌ منهم يُبْدِلونَ من الكافِ

[لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم]

وقال رَبيعة الرَّقِّىُّ فى مَدْحِه يزيدَ بنَ حاتِم بن قَبِيصةَ بنِ المهَلَّب وربيعة احتج به الأصمعىُّ — وذَمِّه يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِىَّ :

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزِيدَيْن فى النَّدَى يَزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ بنُ حاتِمِ

فهَمُّ الفتَى الأزْدِىِّ إتْلافُ مالِهِ وهَمُّ الفتى القَيْسِىِّ جمعُ الدَّراهِمِ

فلا يَحْسِبِ التَّمْتَامُ أَنِّى هَجَوْتُه ولكنَّنِي فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ

وقال : آخرُ أيضاً .

ليس بفَأْفَاءٍ ولا تَمْتَامِ ولا مُحِبٍّ سَقِطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ :

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ فى لسانه إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غَيْرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرٍ الجاحظُ عن محمد بن الجَهْمِ قال : أقبلت على الفِكرِ فى أيامِ محاربة الزُّطِّ ، فاعتَرَتْنِي حُبْسَةٌ فى لسانِي . وهذا يكونُ لأنَّ اللسانَ يَحْتاجُ إلى التَّمْرِينِ على القولِ ، حتى يَخِفَّ له ، كما تحتاجَ اليد إلى التمرينِ على العملِ ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْيِ ، وكما يعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجرِ ليَصْلُب ويَشْتدَّ ، قال الراجزُ :

كأنَّ فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ مِن طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال ابنُ المُقَفَّعِ : إذا كَثُرَ تقليبُ اللسان رَقَّتْ جوانبُه ولانت عَذَبَتُه

وقال العتَّابىُّ : إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدَّتْ عليه مَخارِجُ الحروفِ .

وأمّا الطُّمْطُمانِيَّةُ ، ففيها يقولُ عَنْترةُ :

تَبْرِى له حُولُ النَّعامِ كأَنَّها ❊ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيى صاحِبُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، ويَذْكرونَ أَنَّ نَسَبهُ فى النَّمِرِ بن قاسط صحيحٌ .

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ ، وسَلْمَانُ سابِقُ الفرْس ، وبلال سابقُ الحَبَشَةِ »

وقال عمرُ لصهيبٍ فى قوله : إنه من النَّمِرِ بن قاسطٍ : قد سمعتَ ما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيمن انْتَمى إلى غيرِ نَسَبِه ، فقال صهيبٌ : أنا مِن القومِ ، ولكنْ وَقَعَ علىَّ سِباءٌ .

وكان عَبْدُ بَنِى الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً ، فلما أنشدَ عمرَ ابن الخطَّاب :

عُمَيْرةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غاديًا ❊ كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيَا

فقال عمرُ : لو كنتَ قدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لَأَجَزْتُكَ ، فقال : ما سَعَرْتُ ، يريدُ : ما شَعَرْتُ .

وكان عُبَيْدُ الله بن زِيادٍ يرتضخُ لُكنةً فارسيةً ، وإنما أتَتْه مِن قِبَلِ زوجِ أُمه شيرَوَيْهِ الإسْوارِىِّ .

ويقالُ : إن عليًّا عليه السلام عادَ زِيادًا فى منزل شِيرَوَيْه ، فقال عبيدَ الله يومًا لرجلٍ كلَّمه فظنَّ به رَأْىَ الخوارجِ (١) : أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ ؟ يريدُ : أَحَرُورِىٌّ . وهذه الهاء تَشْتَرِكُ فى قلبها من الحاءِ أصنافٌ من العجم .

---

(١) زيادات ر : « الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانئ بن قبيصة » .

سيناً ، كما يفعلُ التميميون فى الشين ، وهم أقلُّهم ، وقومٌ يُبَيِّنُونَ حركة كافِ المؤنَّثِ فى الوقْفِ بالسين ، فيزيدونَها بعدَها ، فيقولون : أَعْطَيْتُكِسْ .

أما الفمفمةُ فما ذكرتُ لك .

وقال الهاربُ[1] لامرأتِه يومَ الخَنْدَمَةِ ، وذلكَ أنها نظَرَتْ إليه يُحِدُّ حَرْبَةً فى يوم فتح مكةَ ، فقالتْ : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ قال : أَعْدَدْتُها لمحمدٍ وأصحابِه ، فقالت : والله إنْ أُراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ ، فقال لها : إنّى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم ، وأنشأَ يقولُ :

إنْ تُقْبِلُوا فَمَا بِيَ عِلَّهْ   هــذا سِلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ *

الأَلَّةُ : الحَرْبَه ، و الغِرَارُ هاهنا : الحَـدُّ ، يعنى « بذى غرارين » السَّيْفَ .

فلمَّا لَقِيَهم خالدٌ يومَ الخَنْدَمَةِ انهزمَ الرجلُ ، فلَامَتْهُ امرأتُه ، فقال :

إنّك لو شهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ   إذْ فَرَّ صَفوانُ وفرَّ عِكْرِمَهْ

ولَحِقَتْنا بالسُّيوف المُسْلِمَهْ   يَفْلِقْنَ كلَّ ساعِدٍ وَجُمْجُمَهْ

ضَرْباً ولا تَسْمَعُ إلَّا غَمْغَمَهْ   لهم نَهِيتٌ[2] حَوْلَنا وَحَمْحَمَهْ

لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

---

(١) زيادات ر : « الهارب هو أبو عثمان الهذلى » ؛ ويقال له الرعاش ؛ ويقال : الرجز المذكور بعدهذا لحماس بن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة ، أنشده له أبوإسحاق [illegible] جبل دخل منه النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح . وقيل : الخندمة مشى فيه [illegible] فأضيف إلى اليوم لما كثر فيا

(٢) الهنيت : صوت الأسد دون زئيره .

باب

[لمحمد بن عبد الله الثقفى]

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْر الثَّقَفِيُّ :

لم تَرَ عَيْنى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ من التَّنْعيمِ مُعْتَجِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ للرَّحمٰنِ مُؤْتَجِراتِ
تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نعمانَ أنْ مَشَتْ به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِراتِ
وقامتْ تَرَاءَى يومَ جَمْعٍ فأَفْتَنَتْ برؤيتها مَن راحَ مِن عَرفاتِ
وَلَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرضتْ وكنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
دَعَتْ نِسوةً شُمَّ العرانين بُدَّناً نَوَاعِمَ لا شُعْثاً ولا غَبِراتِ (١)
فأَدْنَينَ لمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونَها حِجاباً مِنَ القَسِّىِّ والحِبَرَاتِ
أَحِلَّ الَّذِى فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ أَوَانِسَ بالبَطْحاءِ مُعْتَمِرَاتِ
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُخْتَمِراتِ

قولُه : « مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ » ، هو القطْعةُ من النِّساءِ ، أو من الظِّباءِ ، أو من البقَرِ ، أو من الطَّيرِ ، كما قال :

لم تَرَ عَيْنِي مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ وَاقِفِ

فهذا يعنى نساءً (٢) . ويقالُ : مَرَّت بنا سُرْبةٌ من الطَّيرِ ، فى هذا المعنى ، قال ذُو الرُّمَّةِ :

سِوى ما أصاب الذِّئْبُ منه وسُربةٌ أطافتْ به مِنْ أُمَّهاتِ الجوَازِلِ

---

(١) زيادات ر ؛ « ولا غفرات » ، بالفاء أخت القاف ؛ من الغفر ؛ وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين ؛ يقال : غفرت المرأة إذا نبت لها ذاك الشعر » .

(٢) زيادات ر ؛ « القطيع من السباع يقال له سرب ، قاله ابن جنى ، وكذا من الماشية كلها »

وكان زيادٌ الأعْجَمُ — وهو رجلٌ من عَبْدِ القَيْسِ — يَرْتَضِخُ لُكْنَةً أعجميَّةً ، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قومٍ بأعيانهم من العجم .

وأنشدَ المُهَلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ فى مَدْحِه إيّاهُ :

فتًى زَادَه السُّلتَانُ فى المدحِ رَغْبَةً إذا غَيَّرَ السُّلتانُ كلَّ خليلِ

يريد « السلطان » ؛ وذلك أنّ بين التاء والطاء نَسَباً ، فلذلك قَلَبَها تاءً ، لأن التاء من مخرج الطاء ، فقال : « السُّلْتَان » .

أمّا الغُنَّةُ ، فَتُسْتَحْسَنُ من الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ ، لأنها مالم تُفْرِطْ تَميلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَةِ ، قال ابنُ الرِّقَاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها :

تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَها

وقولُه : « دَعَتْ نِسْوَة شُمَّ العَرَانِينِ » ، الشَّماء السابغَةَ الأنفِ ، والمصدرُ الشَّمَمُ .

وقال أحد الشعراءِ يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس :

يَانَاقَ إنْ قَرَّبتِنِي مِنْ قُثَمْ نَجَوْتِ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ رِحْلَةٍ

عاشَ لنا اليُسْرُ وَمَاتَ العَدَمْ إنَّكِ إنْ قَرَّبْتِنِيهِ غَداً

نورٌ وفى العِرْنِينِ منهُ شَمَمْ فى باعِهِ طُولٌ وفى وجهِهِ

فعافَها واعْتَاضَ منها « نَعَمْ » لم يَدْرِ مَا « لاَ » و « بَلى » قَدْ دَرَى

قال أبو الحسنِ : أنشدَنِيه أبى لسليمانَ بن قَتَّةَ ، وزادنِى :

وما عَنِ الخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ أَصَمُّ عن ذِكْرِ الخَنَا سَمْعُهُ

والعِرْنِينُ والمَرْسِنُ والأُنْفُ واحدٌ ، لِمَا يُحِيط بالجميع .

والبُدْنُ : واحدُها بادِنٌ كقولك : شاهدٌ وشُهَّدٌ ، وضامِرٌ وضُمَّرٌ ، وهو العظيمُ البَدَنِ ، يقالُ : بَدُنَ فلانٌ ، إذا كثر لحمُهُ ، وبَدَّنَ ، إذا أَسَنَّ . وفى الحديثِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى قد بَدَّنْتُ ، فلا تَسْبِقُونِى بالركوع والسجود[1] »

والأشْعَثُ والشَّعْثَاء : الخاليانِ من الدُّهْنِ ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يَتَمَثَّلُ :

أو الغُبَارُ يخَافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه

فسوفَ يَسكُنُ يوماً راغِمًا جَدَثَا ويَألفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُه

---

(١) زيادات ر : « من رواه : « بدنت » ، بضم الدال فقد أخطأ ؛ لأن « بدن » بمعنى ضخم ؛ ولم يكن من صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ؛ ولكنه الرجل بين الرجلين ؛ ومعنى « بدن » بالتشديد ، أسن .

ويقالُ : فلانٌ واسعُ السِّرْبِ ، يعنى بذلك الصَّدرَ ، ويقال : خَلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ ، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ فيه ، ويقالُ للإبلِ كذلك بالفتح : لأذعَرَنَّ سَرْبَكَ .

ويقالُ : حَذِرَاتٌ ، و حَذرَاتٌ ، و يَقِظٌ ، و يَقُظٌ ، قال ابنُ أحمرَ :

هل يُنسِئَنْ يومِى إلى غَيْرِهِ   أنى حَوَالِىٌّ وأنى حَذِرْ

وقوله :

* وكُنَّ مِنْ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ *

الأصلُ « مِنَ أن يلقينه » ولكنَّ الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروف اللّينِ الزوائد ، فتخفيفُها – متصلة كانت أو منفصِلةً – أن تُلْقِيَ حركتَها على ما قبلَها وتَحْذِفَها ، تقول : مَنَ أبوكَ ؟ ، فتفتحُ النُّونَ وتحذفُ الهمزةَ ، و مَنِ اخْوَانُك ؟ ، و مَنُ أُمّ زيدٍ ؟ ، فتَضُمُّ النونَ وتَكسرُها وتَفتحُها ، على ما ذكرتُ لك ، وتقولُ : ﴿ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبَ فِى السَّمٰوَاتِ ﴾ [1] وفلانٌ له هَيَةٌ ، و هذه مَرَةٌ ، إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى « الْخَبْءِ » و « الهَيْئَةِ » و « المرأةِ » ، وعلى هذا قولُه تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إسْرَائِيلَ ﴾ [2] لأنَّها كانت « اسأل » فلمّا حُرِّكَتْ السينُ بحركةِ الهمزةِ سَقَطَتْ ألفُ الوصْلِ ، لِتَحَرُّكِ ما بعدها ، وإنما كانَ التخفيفُ فى هذا الموضع بحذفِ الهمزةِ ، لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ من الساكنِ ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأُ إلا مُحَقَّقَةً ، كما لا يُبْتَدَأُ إلَّا بمتحرِّكٍ ، فلما الْتَقَى الساكنُ وحروفٌ تجْرِي مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها ، كما تَحْذِف لالتقاءِ الساكنَيْنِ .

---

(١) سورة النمل ٢٥ . .

(٢) سورة البقرة ٢١١ .

قوله :

* وكم من قتيلٍ لا يُباء به دَمُ *

يقولُ : لا يُقادُ به قاتِلهُ ، وأصلُ هذا أنه يقال : أَبأتُ فلاناً بفلانٍ ، فباءَ به ، إذا قتلتَه بهِ ، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاّ والثانى كُفْءٌ للأوَّلِ ، فمن ذلك قولُ مُهَلهِلِ بن ربيعةَ ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بْنَ الحارث بن عُبادٍ ، فقيلَ للحارث — ولم يكنْ دَخَلَ فى حربِهم : إنَّ ابنَك قُتِلَ ، فقال : إنَّ ابْنِى لأعظَمُ قتيلٍ بركةً ، إذْ أصْلَحَ اللهُ بهِ بَيْنَ ابْنَىْ وائِلٍ ، فقيلَ له : إنهُ لمّا قُتِلَ قالَ مُهَلهِلٌ : بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[1] ، فعندَ ذلك أدْخل الحارثُ يدَه فى الحرب ، وقال :

قرِّبا مَرْبِطَ النَّعامــةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ[2]

لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتيلاً ولا رَهْــطُ كُلَيْبٍ تزَاجَرُوا عن ضَلاَلِ

لم أكُنْ مِن جُنَاتِها عَلِمَ اللهُ وإنِّى بِحَرِّهَا اليــومَ صَالِى

وقالت لَيْــلَى الأخْيَلِيَّةُ :

فإنْ تــكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنــكم   فَتًى مَّا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ

وقال التَّغْلَبىُّ[3] :

ألا تَنْتَهِى عَنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقى   مَحَارِمَنَا لا يَبْؤءُ الدَّمُ بالدَّمِ

---

(١) الشسع : الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

(٢) مربط : اسم مكان الربط ، والنعامة : اسم فرسه .

(٣) هو جابر بن حنى ؛ وفى ر : « عمرو بن حبى » ؛ وهو خطأ صوابه من الأصل ، س.

[قال أبو الحسن ، وزادَنى أبى :

فى بَطْن مُظْلِمةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرةٍ ... كيما يُطِيل بها فى بطنها اللَّبثَا

تَجَهَّزِى بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ به ... يا نفس واقتصِدِى لم تُخلَقِى عَبثَا]

[لعمر بن أبي ربيعة فى أم عمر بنت مروان]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ[1] : ونَظَرَ إلى أم عمرَ بنت مَرْوانَ ابن الحكَم ، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرةً ، فرَأتْهُ وقَضَتْ من مُحادثتِه وَطَرًا ، ثم انصرفتْ ، فلما رجعَتْ مِنْ منًى عرفَها ، فعلمتْ ذلك ، فبعثتْ إليه : لا ترْفَعْ بى صوتًا ، وأهدتْ له ألفَ دينارٍ ، فاشترَى بها عِطْرًا وبزًّا وأهداهُ لها ، فأبَتْ أن تقبَله ، فقال : إذاً والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أذْيَعَ له . فقبِلَته ، وفى ذلك يقولُ :

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ ... ومِن غَلَقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ مِنَى

وكم مَالِئٍ عينيه مِنْ شَىْءِ غيْرِهِ ... إذا راح نحوَ الجَمْرَةِ البيضُ كالدُّمَى

يُجَرِّرْنَ أذْيالَ المُرُوطِ بِأَسْؤُقٍ ... خِدَالٍ إذا وَلَّيْنَ أعجازُها رِوَى

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤادَهُ ... فَيَاطُولَ ماحزْنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى!

فلمْ أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كَلَيَالِى الحَجِّ أفتَنَّ ذا هَوَى

وفيها أيضاً يقول :

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتِكارًا ... قد قَضَى من تِهامة الأوْطارَا

ليتَ ذا الحجِّ كان حَتْماً علينا ... كلَّ شهرَيْنِ حِجَّةً واعتِمارَا

---

(١) ر : « عمر بن أبي ربيعة » وما أثبته عن الاصل ، س .

أي قدَّر لك خيراً ، ويقال : منَى اللهُ أَنْ أَلْقَى فلاناً ، أي قدَّرَ ، والمَنِيَّةُ مِنْ ذا ، يقالُ : لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّته ، أي ما قُدِّرَ له من الموت ، فأمّا المَنيئَةُ (بالهمز) فهى المَدْبَغَةُ ، وهى المكانُ الذى يُدْبَغُ فيه .

وقولُه :

* إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى *

الجمرةُ إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الحَصَى فيها ، ومِن ثَمَّ قيلَ : لا تجمِّرُوا المسلمين فَتَفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نساءَهم ، أي لا تجْمَعُوهم فى المَغازِى ، والتَّجميرُ التَّجميعُ . وكذلك قيل فى جَمَراتِ العرب ، وهم : بنو نُمَيْرِ بن عامِرِ بن صَعْصَعَةَ ، وبنو الحارثِ بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْدٍ ، وبنو ضَبَّةَ بن أُدِّ بن طَابِخَةَ ، وبنو عَبْسِ بن بَغِيضِ بن رَيْثٍ . لأنهم تجَمَّعُوا فى أنفسهم ولم يُدْخِلُوا معهم غيرهم . وأبو عُبيدةَ لم يعُدَّ فيهم عَبْسًا فى كتاب « الديبَاجِ » ولكنه قال : فَطَفِئَتْ جَمْرَتانِ ، وهما بنو ضَبَّةَ — لأنها صارَتْ إلى الرِّبابِ فحالفتْ — وبنو الحارثِ ، لأنها صارتْ إلى مَذْحِجٍ ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعةِ ، لأنها لم تُحالِفْ ، وقال النُّمَيْرِيُّ يُجيبُ جريراً :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ العَرَبِ التى لمْ ... تزَلْ فى الحرب تَلْتَهِب الْتِهابَا

وإنِّى إذْ أُسَبُّ بها كُلَيْبًا ... فَتَحْتُ عليهمُ لِلْخَسْفِ بابَا

وقال فى هذا الشعرِ :

ولولا أنْ يقالَ هَجَا نُمَيْراً ... ولم نَسْمَعْ لشاعِرِهَا جوابَا

رَغِبْنَا عن هِجَاءِ بنى كُلَيْبٍ ... وكيفَ يُشَاتِمُ الناسُ الكِلابَا !

ويقالُ : بَاءَ فلانٌ بذَنْبِهِ ، أى . بَخَعَ به وأقرَّ ، قال الفرزدقُ لمعاوية :

فلو كان هذا الحكمُ فى غير مُلْكِكُم لَبُؤْتُ به أوْ غَصَّ بالماء شارِبُه

ويقالُ : باءَ فلانٌ بالشىء ، من قولٍ أو فعلٍ ، أى احتمله فصارَ عليه .

وقال المفسّرون فى قولِ الله جل وعزَّ : ﴿ إنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بإثْمِى وإثْمِكَ ﴾[1] ، أى يجتمعا[2] عليك فتَحْمِلهما .

وأما قولُه : « ومِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ[3] » فمَنْ جَرَّ فهو مِنْ قولهم : رَهْنٌ غَلِقٌ ، فلما قَدَّمَ النعتَ اضطراراً أَبْدَلَ منه المنعوتَ ، ولو قال : « ومِنْ غَلِقٍ رَهْنًا » فنصَبَ على الحال من المعرفة بَقِىَ الاسمُ المضمَرُ فى « غَلِقٍ » .

وقولُه : « إذا ضَمَّهُ مِنًى » فإنما سُمِّيَتْ « مِنًى » لما يُمْنَى فيها من الدَّمِ ، يقالُ فى المنِىِّ — وهى النُّطْفَة — مَنَى الرجلُ وأمْنَى ، والقراءة ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ[4] ﴾ . ويقالُ : مَذَى الرجلُ وأَمْذَى ، ووَدَى وأَوْدَى ، فقولهم : وَدَى ، يعني البِلَّةَ[5] التى تكونُ فى عَقِبِ البَوْلِ كالمَذْىِ ، وأمّا المذى فيَعْتَرِى من الشَّهْوَةِ والحَرَكةِ .

وقال علىٌّ بن أبى طالبٍ رحمه الله : كلُّ فَحْلٍ مَذّاءٌ .

ومن كلامِ العَرَبِ : كلُّ فحلٍ يَمْذِى وكلُّ أُنثَى تَقْذِى ، وهو أن يكونَ منها مثلُ المَذْىِ . و « مَنًى » موضعٌ آخرُ ، يقالُ : مَنَى اللهُ لك خيراً ،

---

(١) سورة المائدة ٢٩ .

(٢) كذا فى الأصل ، ر ، وفى س : « يجتمعان » .

(٣) رسمت فى ر ؛ وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان

(٤) سورة الواقعة ٥٨ .

(٥) زيادات ر : « بكسر الباء رواية عاصم ، وبفتحها رواية ابن سراج » .

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ ، كيفَ يَلْتَقِيَانِ !

هي شاميَّةٌ إذا ما استقلّتْ وسُهَيْلٌ إذا استقلّ يمانِي

وقوله :

* قال لى فيها عَتِيقٌ مَقالاً *

ويَزْعُمُ الرواةُ أنَّ كلَّ شىءٍ ذَكَرَ فيه عَتيقاً أو بكْراً فإنما يَعْنِي ابنَ أَبى عَتِيقٍ .

[طرف من أخبار ابن عتيق]

وكان ابنُ أبى عتيقٍ من نُسّاكِ قريشٍ وظُرَفائهم ، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفاً ، وله أخبارٌ كثيرةٌ ، سيَمُرُّ بعضُها فى الكتابِ ، إن شاءَ اللهُ .

* * *

فَمِنْ طَرِيفِ أَخبارِه أنهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبى ربيعةَ :

فَمَا نِلتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أَنَّنا كِلاَنَا من الثَّوْبِ الْمُطَرَّفِ لاَبِس

فقال : أَبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبى ربيعةَ ! فأَىُّ مُحَرَّمٍ بَقِىَ ! فركبَ بغلتَه متوجهاً إلى مكة ، فلما دَخَل أنْصابَ الحرم قِيل له : أَحْرِمْ ، قال : إن ذا الحاجةِ لا يُحْرِم ، فلَقِيَ ابنَ أبى ربيعةَ فقال : أَمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حراماً قَطُّ ! قال : بَلَى ، قال : فما قولُك :

* كِلاَنَا من الثوب المطرَّفِ لابسُ *

[لعمر بن أبي ربيعة فى الثريّا بنت عليّ]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعَةَ :

لَيتَ شِعرى هلْ أقولَنْ لِرَكْبٍ بفلاةٍ هُمْ لديها هُجُوعُ
طالما عرَّستمُ فاستَقِلُّوا حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلوعُ
إنَّ هَمِّى قد نَفَى النَّومَ عنِّى وحديثُ النفسِ شىءٌ وَلُوعُ
قال لى فيها عَتِيقٌ مَقالاً فَجَرَتْ ممَّا يقولُ الدُّمُوعُ
قال لى : ودِّعْ سُلَيمَى ، ودَعْها فَأَجابَ القَلْبُ : لا أستَطِيعُ
لا تَلُمْنِى فى اشْتِيَاقِى إليها وابْكِ لى مِمَّا تُجِنُّ الضُّلوعُ

قولَه :

* حَانَ من نَجمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ *

كناية ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنتَ عليٍّ بن عبد اللهُ بن الحارثِ بن أُمَيَّةَ الأصغرِ ، وهُمُ العَبَلاتُ . وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أعتَقَتا الغَرِيضَ المُغَنِّيَ ، واسمُهُ عبدُ الملك ، ويُكنَى أبا يزيدَ ، ويقولُ إسحاق بن إبراهيمَ المَوْصِلِيُّ : إنما سُمِّيَ الغَرِيضُ بالطَّلْع ، لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإغرِيضُ ، وليس هو عندى كما قال ، وإنما سُمى الغَرِيضَ لطَرَاءَتِهِ ، يقال : لَحْمٌ غَرِيضٌ . وكانت الثُّرَيَّا موصوفة بالجَمَالِ ، وتزَوَّجها سُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ الزُّهرِيُّ ، فنَقَلَها إلى مصرَ ، فقال عمرُ ، يَضرِبُ لهما المَثَلَ بالكَوْكَبَين :

قال لها : يابنتَ عمّ ، إنه قد ضمِنَ لى إن كلّمتِه عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فكلّميه حتّى آخذَها ، ثم عُودِى إلى ما عوّدَكِ اللهُ .

* * *

ومن أخبارِه أنّ مرْوانَ بنَ الحكَم قال يومًا : إنّى لمَشْغوفٌ ببغلة الحسنِ رحمهما الله ، فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : إن دَفَعتُها إليك ، أتقْضى لِى ثلاثين حاجةً ؟ قال : نعم ، قال : إذا اجْتَمَعَ الناسُ عندَكَ العَشِيَّةَ فإنى آخُذُ فى مآثِرِ قُريش ، ثم أمْسِكُ عن الحسنِ ، فَلُمْنى على ذلك ، فلمّا أخذ الناسُ مجالسَهم أخَذَ فى مآثِرِ قريش ، فقال له مروانُ : ألا تذْكُرُ أوّليَّةَ أبى محمد ، وله فى هذه ماليسَ لأحَدٍ ؟ فقال : إنما كُنَّا فى ذِكْرِ الأشْراف ، ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياءِ لقَدَّمْنَا ما لأبى محمدٍ ! فلمَّا خرجَ الحسنُ ليركبَ تَبِعَهُ ابن أبى عتيق ، فقال له الحسنُ — وتبَسَّمَ — : ألَكَ حاجةٌ ؟ فقال : ذكرتُ البغلةَ ، فنزل الحسنُ ودفعَها إليه .

* * *

ومِنْ طَرِيفِ أخبارِه أنَّ عثمانَ بنَ حَيَّانَ المرىَّ لمَّا دخلَ المدينةَ واليًا عليها اجتمعَ الأشرافُ عليه من قريشٍ والأنصارُ ، فقالوا له : إنك لا تعْمَلُ عملًا أجْدَى ولا أوْلَى مِن تحريمِ الغِناءِ والرِّثاءِ ، ففعَلَ ، وأجَّلَهُم ثلاثًا ، فقَدِمَ ابنُ أبي عتيقٍ فى الليلةِ الثالثة ، فحَطّ رَحْلَه بباب سَلامَةَ الزَّرْقاءِ ،

فقال له : إذاً أُخْبِرُكَ ! خرجَتْ بِعِلَّةِ المسجد ، فَصرنا إلى بعض الشِّعَابِ ، فأخذَتْنا السماء ، فأَمَرْتُ بمُطْرَفِي فَسَتَرَنَا الغِلْمَانُ به ، لئلاَّ يرَوْا بها بِلَّةً فيقولوا : هلاَّ استَتَرَتْ بسقائِفِ المسجدِ ! فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : يا عَاهِرُ ! هذا البيْتُ يَحْتَاجُ إلى حاضِنَةٍ .

* * *

وهو الذى سَمِعَ قولَ عمرَ بن أبى ربيعة :

مَنْ رَسُولى إلى الثُّرَيَّا بِأَنِّي   ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ !

فلبِسَ ثيابَه وركِبَ بغلته وأَتَى بابَ الثُّرَيَّا ، فاستأذَنَ عليها ، فقالَتْ : واللهِ ما كنتَ لنا زَوَّارًا ، فقال : أَجَلْ ، ولكنّى جئتُ برسالةٍ ، يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبى ربيعةَ :

* ضِقْتُ ذرعًا بهجركِ والكتابِ *

فلامَهُ عمرُ ، فقال له ابنُ أبى عَتيق : إنما رأيتُكَ مُتَلَدِّدًا تلتمسُ رسولاً ، فخففتُ فى حاجَتِك ، فإنما كان ثوابى أن أُشكَرَ .

* * *

ومن طَريفِ أخبارِه أن عائشةَ بنتَ طلحةَ عَتَبَتْ على مُصْعَبِ بن الزُّبير فهجَرَتْهُ ، فقال مصعبٌ : هذه عشرَةُ آلافِ درهمٍ لمنِ احتَالَ لِي أن تُكلِّمَني ، فقال له ابنُ أبى عتيق : عَدِّلِ المال ، ثم صار إلى عائشةَ ، فجعلَ يَسْتَعْتِبُها لِمصعبٍ ، فقالت واللهِ ما عَزْمِى أن أُكلمه أبداً . فلما رَأَى جِدَّها

الناسُ أَذِنَ لِسَلَامَةَ فى المقامِ ومَنعَ غيرَها ! فقال له عثمانُ : قد أَذِنْتُ لهم جميعاً .

[لابن نمير الثقفى]

وقال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقفىّ :

أَشَاقَتْكَ الظَّعَائِنُ يومَ بانُوا   بِذِى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاثِ
ظعائنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المنَقَّى   تَحُثُّ إذا وَنَتْ أَىَّ احْتِثَاثِ
كأنّ على الظّعائِنِ يوم بَانُوا   نِعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البِرَاثِ
يُهَيِّجُنِى الحمامُ إذا تغنَّى   كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمَرَاثِى

قولُه : « الظعائنُ » واحدتها ظَعينةٌ ، وإنما قيلَ لها : ظَعينةٌ ، وهم يريدون مَظْعُوناً بها ، كقولك : قتيلٌ ، فى معنى مقتولٍ ، ثم استُعمل هذا وكَثُرَ حتى قيلَ للمرأة المقيمة : ظعينةٌ .

وقوله :

* بذِى الزِّىِّ الجميل من الأثَاثِ *

هى الروايةُ الصحيحة ، وقد قيلَ بذِى « الرِّىِّ الجميلِ » واشْتَبَهَ عليهم إليه قولُ الله جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيًّا[1] ﴾ فالأثاثُ مَتاعُ البيت ، والرِّى ما ظَهَرَ مِن الزِّينةِ ، وإنما أُخِذَ من قولك : رَأَيْتُ ، فالرِّىُّ غيرُ الأثاثِ ، والزِّىُّ من الأثاثِ ، فمن هاهنا غَلِطوا .

---

(١) سورة مريم ٧٤ .

وقال لها : بَدَأْتُ بكِ قبلَ أن أصيرَ إلى منزلى ، فقالت : أوَ ما تدْرِى ما حدَثَ ؟
وأخبرَتْه الخبرَ ، فقال : أقيمِى إلى السَّحَر حتّى ألقاهُ ، فقالت : إنا نخافُ
ألا تُغنِىَ شيئاً وتُنكَظَ(١) ، فقال : إنه لا بأسَ عليكِ ، ثم مَضَى إلى عثمانَ
فاستأذنَ عليه ، فأخبره أنَّ أحبَّ ما أقْدَمَهُ عليه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له :
إنَّ مِنْ أفضلِ ما عَمِلْتَ به تحريم الغِنَاءِ والرِّثاءِ . قال : إنَّ أهْلَكَ أشاروا
علىَّ بذلك ، قال : فإنك قد وُفِّقْتَ ، ولكنّى رسولُ امرأةٍ إليكَ تقول :
قد كانت هذه صِناعَتِى فتُبْتُ إلى الله منها ، وأنا أسألك أيها الأميرُ ألاّ
تحُولَ بينَها وبينَ مجاورةِ قبرِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عثمانُ :
إذَنْ أَدَعَها لك ، قال : إذَنْ لا يَدَعها الناسُ ، ولكن تَدْعُو بها فتَنْظُرُ
إليها ، فإن كانت ممَّنْ يُترَكُ تَرَكْتَها ، قال : فادْعُ بها ، قال : فأمرَها ابن
أبى عتيق فتَقَشَّفت ، وأخَذَتْ سُبْحَةً فى يدِها ، وصارتْ إليه ، وحَدَّثَتْه عن
مآثر آبائِه ، ففَكِهَ لها ؟ فقال لها ابنُ أبى عتيق : اقْرَئى للأمير ، ففعلتْ ،
فأُعْجِب بذاك ، فقال لها : فاحْدِى للأميرِ ، فحَرَّكه حُدَاؤُها ، ثم قال لها :
غَنِّى للأمير ، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ ، فقال له ابنُ أبى عتيق : فكيفَ
لو سمعتَها فى صناعتِها ! فقال : قُلْ لها فلْتَقُلْ ، فأمرَها فتغنَّتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمّا دَخَلْنَه بكلِّ لَبَانٍ واضِحٍ وجَبِينِ

فنزل عثمانُ بن حَيَّانَ عن سريرِه حتّى جلس بين يديها ، ثم قال :
لا والله ، ما مثلُكِ يُخْرَجُ عن المدينةِ ! فقال له ابنُ أبى عتيق : إذَن يقولَ

(١) زيادة ر : « تعنى تنالنا شدة » .

[لعمر بن أبي ربيعة]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ :

قال لِي صاحبى لِيَعْلَمَ مَابى   أَتُحِبُّ القَتُولَ أخت الرَّبَابِ ؟
قلتُ : وَجْدِى بها كوَجْدِكَ بالما   ءِ إذا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
مَن رَسولِى إلى الثُّرَيَّا بأنى   ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ
سَلَبَتْنِى مُجاجَةُ المِسْك عَقْلى   فَسَلُوها بما تحِلُّ اغْتصابى(١) ؟
أَزْهَقَتْ أُمُّ نوْفَلٍ إذْ دَعَتْها   مُهْجَتِى ، ما لِقَاتِلِى من مَتابِ
حينَ قالتْ لها أَجيبِى فقالتْ   مَنْ دَعَانى ؟ قالت أبو الخطَّابِ
فاستجابتْ عندَ الدُّعاء كما لَبَّى   رِجالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثوابِ
أَبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى   بيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرابِ
وَهْىَ مَكْنُونةٌ تحَيَّرَ منها   فى أديمِ الخدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ
ثم قالوا : تحِبُّها ؟ قلتُ : بَهْرًا   عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرَابِ
دُمْيَةٌ عندَ راهب ذِى اجتهادٍ   صَوَّرُوها فى جَانِبِ المحرابِ

قوله :

* قلتُ وَجْدِى بها كوَجْدِكَ بالماء *

معنًى صحيحٌ ، وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ ، وكلُّهم أجادَ فيه

---

(١) قال المرصفى : مجاجة المسك : ريقتها التى تنفح رائحة المسك .

وقولُه : « أَسْلَكْتَ نَقْبَ المَنَقَّى » ، فالمُنَقَّى موضعٌ بعينه ، والنَّقب : الطريقُ فى الجبل ، والخَلُّ : الطريقُ فى الرَّمْلِ ، فإن اتَّسعَ الطريقُ فى الجبل وعلا فهو ثَنِيَّة ، قال ابنُ الأيهمِ التَّغلبيُّ :

وَتَرَاهُنَّ شُزَّبًا كالسَّعَالِى يَتَطَلَّعْنَ مِن ثَنايا النِّقابِ

وقولُه :

* نِعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البِرَاثِ *

فالنعجةَ عند العرب البقرةُ الوَحْشِيَّةُ ، وحُكْمُ البقرةِ عندهم حُكْمُ الضَّائنةِ ، وحُكْمُ الظَّبية عندهم حُكْمُ الماعِزَة ، والعربُ تَكْنِى بالنعجة عن المرأة وبالشاةِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ إنَّ هٰذَا أَخِى لهُ تِسْعٌ وَتِسْعُون نَعْجَةً[٢] ﴾ وقال الأعشى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عينِه عن شاتِه فأصبت حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَهَا

يريد المرأة . وأمَّا البِرَاثُ ، فهى الأماكنُ السَّهلةُ من الرَّمْلِ ، واحِدُها بَرْثٌ ، مفتوحُ موضعِ الفاءِ من الفِعْل ، وتقديرُها : كَلْبٌ وكِلَابُ ، والسَّجع من الكلام : أنْ تأتلِفَ أواخرُه على نسق ، كما تأتلفُ القوافِى ، وهو فى البهائمِ : مُوالاَةُ الصَّوْتِ ، قال ابنُ الدُّمَيْنَةِ :

أَأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى على فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ[٣]

(١) الشذب : الضوامر .
(٢) سورة ص ٢٣ .
(٣) زيادات ر : « الرند » : صغار الآس

تأويله : أبطلت وأذهبت . قال الله جل وعز : ﴿ فيدمغه فإذا هو زاهق [1] ﴾ ؛ وللزاهق موضع آخر ، وهو السمين المفرط ، قال زهير :

القائدُ الخيلَ منكوباً دوابرُها منها الشَّنُونُ ومنها الزاهقُ الزَّهِمُ [2]

وقوله : « ما لقاتلي من متاب » يقول : من توبة ، والمصدر إذا كان بزيادة الميم من « فعل يفعُل » فهو على « مَفْعَل » قال الله جل وعز : ﴿ فإنه يتوب إلى الله متاباً [3] ﴾ ، وأما قوله جل ذكره : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب [4] ﴾ فيكون على ضربين ، يكون مصدراً ، ويكون جماعا . فالمصدر قولك : تاب يتوب توباً ، كقولك : قال يقول قولا ، والجمع توبة وتوب ، مثل تمرة وتمر ، وجمرة وجمر .

وقوله :

* أبرزوها مثل المهاة تهادى *

المهاة : البقرة في هذا الموضع ، وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينيها ولمشيتها ، والبقرة يقال لها : العيناء ، والجماع ، العين ، وكذلك يقال للمرأة . وتكون المهاة البلورة في غير هذا الموضع .

وقوله : « تهادى » يريد : تهدي بعضها بعضاً في مشيتها ، ومشية البقرة تستحسن ، قال ابن أبي ربيعة :

---

(١) سورة الأنبياء ١٨ .

(٢) قال المرصفي : منكوبا ؛ من نكبت الحجارة الحافر تنكب أصابته فأمسته

(٣) سورة الفرقان ٧١ .

(٤) سورة غافر ٣ .

وقوله

* إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ *

يريد: عندَ الحاجَةِ، وبذلك صَحَّ المعنَى. ويُرْوَى عن على بن أبى طالب رحمه الله أنَّ سائلاً سأله، فقال: كيفَ كان حُبُّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كان واللهِ أحَبَّ إلينا من أموالِنا وأولادِنا وآبائِنا وأمَّهاتِنا ومن الماء البارِدِ على الظّمأ. وقال آخرُ — وأحْسَبُه قيْسَ بن ذَرِيحٍ:

حَلَفْتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ وذُو العرش فَوْقَ المُقْسِمِينَ رَقِيبُ[1]

[قال أبو الحسن: ويُرْوَى: «واللهُ فوقَ المُقْسِمِينَ»، وهو أحبُّ إلىَّ]

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صَادِيًا إلىَّ حبيباً إنَّها لحبيبُ

وقال القُطَامِىُّ:

يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِى

فهنَّ يَنْبِذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَوَاقِعَ الماءِ مِن ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

والقولُ فيه كثيرٌ.

وقولُه:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِها والكِتابِ[2] *

قوله: «والكِتابِ» قَسَمٌ.

وقوله:

* أزْهَقَتْ أُمُّ نوفلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتِى *

---

(١) أراد بالمشعرين، المشعر الحرام فثناه؛ وهو موضع بالمزدلفة؛ قاله المرصفى.

(٢) الذرع: الطاقة.

اُستَغْنَى بِلا الأُولى عن إعادتِها ؛ كما قال التَّمِيمِيُّ ، وهو اللَّعِينُ المِنْقَرِيُّ :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنْ كُنتُ دَارِياً ... شُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقَرِ

يريدُ « أَشُعَيْث » ، فدلَّتْ « أَمْ » على ألفِ الاستفهامِ ، وقال ابنُ أبي ربيعةَ :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وإنْ كنتُ دارِياً ... بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بثَمانِ

مثل ذلك : وبيتُ الأخطَلِ فيه قولانِ ، وهو :

كَذَبَتْكَ عينُكَ أَمْ رأيتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالاَ

قال : أراد : « أَكَذَبَتْكَ عينُكَ » كما قلنا فيما قبلَه ، وليس هذا بالأجوَدِ ، ولكنَّه ابْتَدأَ مُتيَقِّناً ثم شَكَّ ، فأدخلَ « أم » كقولك : « إنها لإبِلٌ » ثم تَشُكُّ فتقولُ : « أَمْ شاءٌ » يا قومِ .

وقولُه : « قلتُ بهراً » يكونُ على وجهين : أحدُهما : حُبًّا يَبْهَرُنِي بَهْرًا . أي يَمْلَؤُنِي ، ويقالُ للقمر ليلةَ البدرِ : بَاهِرٌ ، أي يَبْهَرُ النُّجوم ، يَمْلَؤُها ، كما قال ذو الرُّمَّةِ :

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوارِيا *

وقال الأعشى :

حَكَّمْتُموهُ فَقَضَى بينَكُمْ ... أَبْلجُ مثلُ القمرِ الباهِرِ

والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ أرادَ « بَهْرًا لكم » أي : تبًّا لكم حيث تلومونني على هذا ، كما قال ابن ميادة (١) :

تَفَاقَدَ قَوْمِي إذْ يَبيعونَ مُهْجَتِي ... بِجارِيَةٍ بَهْرًا لهم بَعْدَها بَهْرَا

---

(١) فى ر ، س : « ابن مفرغ » وصوابه من الأصل .

أبصَرْتُهَا لَيْلةَ ونِسوَتِها يَمْشِينَ بين المَقامِ والحَجَرِ
يَمْشِينَ فى الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما تمشِى الهُوَيْنَى سواكِنُ البَقَرِ

وقوله : « كواعب » الواحدة كاعِبٌ ، وهى التى قد كَعَّبَ ثَدْيَاها للنُّهُودِ .
أتراب أقرانٌ ، ويقال : تِرْبُ فلانٍ .

والمَكُورةُ : المكتنِزة .

وقوله :

* ثم قالوا تحِبُّهَا قلتُ بَهْرًا *

قال قومٌ : أراد بقوله : « تحِبُّهَا » الاستفهامَ ، كما قال امرؤ القَيْسِ :

* أحارِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وميضَهُ *

فحذفَ ألفَ الاستفهامِ ، وهو يريدُ « أتَرَى » ، وقالوا : أرادَ « أتُحِبُّها » ، وهذ ، خَطأ فاحشٌ ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان فى الكلامِ دليلٌ عليها ، وسنفسرُ هذا ونذكرُ الصَّوابَ منه ، إن شاء الله .

قولُه : « تُحِبُّهَا » إيجابٌ عليه ، غيرُ استفهامٍ ؛ إنما قالوا : أنتَ تُحبها ، أي قد علمنا ذاكَ ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورةَ فيهِ .

وأمَّا قولُ امرئِ القيسِ فإنما جازَ لأنه جَعَلَ الألِفَ التى تكونُ للاستفهامِ تنبيهاً للنِّداءِ ، واسْتَغْنَى بها ، ودَلَّتْ على أنَّ بعدها ألفاً منويَّةً ، فحُذِفَتْ ضرورةً ، لِدلالةِ هذه عليها . ونظيرُ قولِ امرئِ القيسِ : « أحارِ تَرَى بَرْقاً » فاكتفى بالألفِ عن أن يُعيدَها فى « تَرَى » قولُ ابنِ هَرْمَةَ :

وَلاَ أرَاهـا تَزَالُ ظالِمَةً تُظْهِرُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا

وَنَفَّضْتُ عَنِّي العَينَ أقبلتُ مِشْيَةَ الـــحُبَابِ وَرُكْنِي خِيفةَ القومِ أَزْوَرُ

فَحَيَّيْتُ إِذْ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهتْ ... وكادتْ بمكنونِ التَّحيَّةِ تَجْهَرُ

وقالت وَعَضَّتْ بالبَنَانِ: فَضَحْتَنِي ... وَأَنتَ امْرُؤٌ ميسورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ

أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَّا عليك أَلم تخفْ ... رَقيباً وَحَوْلِي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ

فوالله ما أَدرِي أَتَعْجِيلُ حاجةٍ ... سَرَتْ بكَ أم قد نامَ مَن كنتَ تَحْذَرُ

فقلتُ لها: بل قادَني الشَّوقُ والهَوى ... إليكِ وَما عَيْنٌ من الناسِ تَنْظُرُ

فَيالَكَ من ليلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ ... وما كانَ لَيلِي قبلَ ذلكَ يَقْصُرُ

ويا لكَ من مَلْهًى هُناكَ وَمَجْلِسٍ ... لَنَا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ

يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منها مُفَلَّجٌ ... رقيقُ الحَوَاشِي ذو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ

يرِفُّ إذا يَفْتَرُّ عنه كأَنَّه ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوَانٌ مُنَوِّرُ

وَتَرْنُو بعينيها إليَّ كما رنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَمِيلَةِ جُؤْذَرُ

فلما تَقَضَّى اللَّيلُ إلا أَقلَّهُ ... وكادتْ تَوَالِي نجمِهِ تَتَغَوَّرُ

أَشارتْ بأَنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمُ ... هُبُوبٌ وَلكنْ مَوْعِدٌ لكَ عَزْوَرُ

فما رَاعَنِي إلَّا مُنادٍ بِرِحْلَةٍ ... وَقد لاحَ مَفْتُوقٌ من الصُّبحِ أَشْقَرُ

فلمَّا رأَتْ مَنْ قَدْ تَنَوَّرَ منهمُ ... وَأَيْقَاظَهُمْ قالت أَشِرْ كيفَ تَأْمُرُ

فقلت: أُبَادِيهم فإمَّا أَفُوتُهمْ ... وإِمَّا يَنالُ السيفُ ثأراً فَيثْأَرُ

فقالتْ: أتحقيقاً لِمَا قال كاشِحٌ ... علينا، وتَصْدِيقاً لِمَا كانَ يُؤْثَرُ!

فإن كانَ ما لا بُدَّ منه فغَيْرُهُ ... مِنَ الأمرِ أدنَى للخفاءِ وأَسْتَرُ

أَقُصُّ على أُخْتَيَّ بَدْءَ حديثِنا ... وَمالِيَ مِن أَنْ تَعلَمَا مُتَأَخَّرُ

وقولُه :

* عَدَدَ النّجْمِ والْحَصى والترابِ *

فيه قولانِ : أحدُهما أنه أراد بالنَّجم النجوم ، وَوَضَعَ الواحدَ فى موضعِ الجمع ، لأنه للجنس ؛ كما تقولُ : أَهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ ، و قد كَثُرَتِ الشَّاة والبعيرُ ، وكما قال الله جل وعزَّ : ﴿ إِنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ(١) ﴾ .

وقال الشاعر :

فباتَ يَعُدُّ النَّجمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ ... سريعٍ بأيدى الآكلين جُمودُها

يريدُ النجومَ ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً(٢) . والوجهُ الآخرُ أن يكونَ النجمُ ما نَجَمَ من النَّبْتِ ، وهو مالم يَقُمْ على ساقٍ ، والشجرُ ما يقومُ على ساقٍ . واليَقطينُ : ما انتشر على وجه الأرض . قال الله عزوجل: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(٣) ﴾ ، وقال الحرث بن ظالمٍ ، للأسْـــوَدِ بن المُنْذِر ابن ماء السماء :

أَخُصْيَيْ حِمارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمَةً ... أَيُؤْكَلُ جِيرانِى وجارُكَ سالِمُ !

ومن طريف شعره وله :

فلمّا فَقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ ... مصَابيحُ شُبّتْ بالعِشَاءِ وأَنْؤُرُ
وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ ... وروَّحَ رُعْـــيانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

---

(١) سورة العصر ٢ ، ٣ .
(٢) الإهالة : ما أذيب من الشحم .
(٣) سورة الرحمن ٦ .

وقوله: «رُعْيَانٌ» يريد جمعَ الرّاعى . وَمثلُه راكبٌ ورُكبانٌ وفارِسٌ و فُرسانٌ

و السُّمَّرُ : جمعُ السّامِرِ ، وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً .

و الُحبَابُ : حَيَّةٌ بعينِه .

وقوله : «و نَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ» يقول : احترستُ منها وأمِنْتُها ، والنَّفَضَةَ : أمامَ العَسكرِ : القومُ يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ .

وقوله : «أزْوَرُ» ، يعنى متجافياً ، يقال : تزاورَ فلانٌ ، إذا ذهبَ فى شِقٍّ .

وقوله : «ذُو غُروبٍ» ، غَرْبُ كلِّ شىء : حَدُّهُ ، وإنما يعنى الأسنانَ .

وقوله : «مُؤَشَّرٌ» يعنى له أُشُرٌ ، وهو تشْرِيرُ الأسْنانِ فى قول الناس جميعاً ، يقال : لأسنانه أُشُرٌ ، فهذا الشائعُ الذائعُ ، وأمَّا الشَّنَبُ ، فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ فى الأسنانِ .

وحدَّثنى الرِّيَاشِىُّ عن ابنِ عائشةَ قال : أخذَ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصْبَعَيْه فإذا هى تَرِفُّ ، فقال : هذا الشَّنَبُ .

وقولُه :

* وَكَادَتْ توالِى نجمِهِ تتغَوَّرُ *

التَّوالِى : التوابعُ ، و تَتَغَوَّرُ : تَغُورُ فَتَذْهَبُ ، وهو مأخوذ من الغَوْرِ .

وقوله : «أشارتْ بأنَّ الحىَّ قد حانَ منهم هُبُوبٌ» يقول : انتباهٌ ، يقال : هَبَّ من نومه يَهُبُّ ، قال عمرُو بن كُلْثُوم :

ألاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ولا تُبْقِى خمورَ الأَنْدَرِينا

لَعَلَّهُمَا أنْ تَبْغِيا لكَ مَخْرَجاً وأنْ تَرْحُبا سَرْباً بما كُنْتُ أحْصَرُ
فقامتْ كَئيباً ليس فى وجهها دَمٌ من الحزنِ تُذْرِى عَبْرَةً تتحَدَّرُ
فقالت لأُخْتَيْهَا : أعِينَا على فَتًى أتَى زائراً والأمْرُ للأمْرِ يُقْدَرُ
فأقْبَلَتَا فارتَاعَتَا ثم قالتَا : أَقِلِّى عليكِ الهَمَّ فالخَطْبُ أيْسَرُ
يَقُومُ فيَمْشِى بيننا مُتَنَكِّراً فلا سِرُّنَا يَفْشو ولا هُوَ يَظْهَرُ
فكان مِجَنِّى دُونَ مَنْ كنت أتَّقِى ثلاثُ شُخُوص كاعِبَانِ وَمُعْصِرُ
فلمَّا أجَزْنَا ساحةَ الحىِّ قُلْنَ لِى : ألَمْ تَتَّقِ الأعداءَ واللَّيلُ مُقْمِرُ !
وَقُلْنَ : أهذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِراً أمَا تَسْتَحِى أو تَرْعَوِى أو تُفَكِّرُ !

* * *

قوله « شُبَّتْ » يقول : أُوقِدَتْ ، يقالُ : شَبَبْتُ النار والحربَ ، أى أوْقَدْتُهما .

وقوله : « وأنْؤُر » إنْ شِئتَ همَزْتَ ، وإن شئتَ لم تهمِز ، وإنما الهمزُ لانضمامِ الواوِ ، وقد مضى تفسيرُ هذا .

وقوله : « قُمَير » ، إنما صَغَّره لأنهُ ناقصٌ عن التَّمام ، وهذا فى أول الشهر ، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر ، لأن النقصانَ فيهما واحدٌ ، قال عُمَرُ :

وقُمَيرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وعشريـ نَ له قالت الفَتَاتَانِ قُومَا

فقال : « عشرُ أبطُنٍ » ، لأن البطنَ قبيلةٌ ، وأبانَ ذلك فى قوله : « من قبائِلها العَشْرِ » ، وقال الله جل وعز : ﴿ مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا[1] ﴾ . لأن المعنَى حسناتٌ .

ويُرْوَى أن يزيدَ بن معاويةَ لمَّا أرادَ توجيهَ مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ المرِّىِّ إلى المدينة اعترضَ الناسَ ، فمرَّ بِهِ رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيحٌ ، فقال له : يا أخا أهلِ الشأمِ ، مِجَنُّ ابن أبى ربيعةَ أحسنُ من مِجَنِّكَ ! يريدُ قولَ ابن أبى ربيعة :

فكانَ مِجَنِّى دونَ مَنْ كنتُ أَتَّقِى ... ثلاثَ شخوصٍ كاعِبَانِ ومُعْصِرِ

وقوله : « أما تستحى » ، يريد : « تستحيي » وله تفسير يبعد فى العربية قليلا ، وسنذكره بعد هذا ، إن شاء الله .

---

(١) سورة الانعام ١٦

وقال الآخرُ :

هَبّتْ تلومُ وليستْ ساعةَ اللاحِي هَلاَّ انتظرتِ بهذا اللومِ إصْباحِي

وعَزْوَرُ : موضع بعينه .

وقولَه : « وأيْقَاظُهُمْ » جمعُ يَقُظٍ

وقوله : « فقالتْ أتحْقِيقاً » أى أتفعلُ هذا تحقيقاً ، ومن كلام العربِ : أَكُلَّ هذا بخلاً ! وذاكَ أنهُ رآهُ يفعلُ شيئاً أنكرَهُ فقال : أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً !

وقوله : « أبادِيهِمْ » أظهرُ لهم ، غيرَ مهموزٍ يقال . بدَا يَبْدُو ، غيرَ مهموزٍ ، إذا ظهر ، وبدَأْتُ ، بهذا مهموزٌ ، إذا أردتَ به معنى الأوّل .

وقوله : « بدْءِ حديثِنا » يريد أوَّلَ حديثِنا .

وقوله : « أنْ ترْحُبا » يريد : أن تَتّسِعَا أى تَتّسِعَ صدورُهما ، من قولهم : فلانٌ رَحيبُ الصَّدْرِ .

وقوله : « أحْصَرُ » أضيقُ به ذَرْعًا ، قد مضى تفسيرُه .

وقول : « مِجَنِّى » يريد تُرْسِى .

وقوله : « ثلاثَ شُخُوصٍ » والوجهُ « ثلاثةَ أشْخُصٍ » ولكنه لمّا قَصَدَ إلى النساء أنّثَ على المعنى ، وأبانَ ما أرادَ بقوله : « كاعِبَانِ ومُعْصِرُ » .

ومثلُه قولُ الشاعرِ :

فإنَّ كِلاباً هذه عَشْرُ أبْطُنٍ وأنتَ برىءٌ من قَبائلها العَشْرِ

قال عمرُ : فحفظتُه عنه ، ثم تغنّيتُ به على الحالاتِ التى وَصَفَ ، فإذا هو كما ذكرَ .

[خالد صامة والوليد بن يزيد]

وتحدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدِ صامَةَ أنّهُ كانَ مِنْ أحسنِ الناسِ ضرباً بِعُودٍ[1] ، قالَ : فقَدِمْتُ على الوَليد بن يزيدَ ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ بهِ مجلساً ! فألفَيْته على سريره ، وبين يديه مَعْبدٌ ، ومالكُ بن أبى السَّمْح ، وابنُ عائشةَ ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِىُّ ، فجعلوا يُغَنُّونَ ، حتى بلغتِ النَوْبةُ إلىَّ فغنّيتُه :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى ... وغارَ النَّجْمُ إلّا قِيدَ فِتْرِ

أُرَاقِبُ فى المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ أوْ عَلَى المَجْراةِ يَجْرِى

لِهَمٍّ ما أزالُ له قَرِيناً ... كأنَّ القلبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ

على بَكْرٍ أخِى فارَقْتُ بَكْراً ... وأىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ !

فقال لى : أعِدْ يا صامُ[2] ، ففعلتُ ، فقال لى : مَنْ يقولُ هذا الشعرَ ؟ فقلتُ : هذا يقولُه عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أخاهُ بَكْراً ، فقال لى الوليدُ :

* وأىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ *

هذا العيش الذى نحنُ فيه ، والله قد تحَجَّرَ واسعًا على رَغْمِ أنفه .

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنت الحسين أنْشِدَتْ هذا الشعرَ ، فقالت :

(١) كذا فى الأصل ، ر ، وفى س : « بالعود » .
(٢) صام : بالترخيم .

بابٌ

[عمر الوادى والعبد الأسود]

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ أن عُمَرَ الوَادِىّ قال : أقبلتُ من مكةَ أُرِيدُ المدينةَ ، فجعلتُ أَسِيرُ فى صَمْدٍ[1] من الأرضِ ، فسمعتُ غِناءً من القَرارِ[2] لم أَسمعْ مثلَه ، فقلتُ : واللهِ لأتوصَّلَنّ إليه ولو بذَهابِ نفسِى ، فانحدرتُ إليه ، فإذَا عَبدٌ أَسْوَدُ ، فقلتُ له : أَعِدْ علىّ ما سمعتُ ، فقال لى : واللهِ لو كان عندى قِرًى أقريكَ ما فعلتَ ، ولكنِّى أجعلُه قِرَاكَ ، فإنى [واللهِ[3]] رُبَّما غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ ، ورُبما غنيتُه وأنا كَسْلَانُ فأنْشَطُ ، وربمَا غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى ، ثم انبَرَى يُغَنِّينِى[4] :

وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرْضِها ... أَرَى الأرضَ تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعِيدُها

مِنَ الخفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انقضت أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُها[5]

[وبعدَهُ :

تَحَلَّلُ أَحْقَادِى إذا مَا لَقِيتُها ... وتَبْقَى بلا ذَنْبٍ علىّ حُقُودُها

وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَن لَا يُحِبُّهُ ... بَلَى قد تريدُ النَّفسُ مَنْ لا يُرِيدُها][6]

---

(١) الصمد . المكان المرتفع من الجبال ، وفى ر : « صرد » .

(٢) القرار : المطمئن من الأرض .

(٣) تكملة من س .

(٤) س : « يغنى » .

(٥) ر : « إذا ما قضت أحدوثة » .

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر .

إثباتُ الواوِ، كما تقولُ: «مَغْزُوٌّ» و «مَدْعُوٌّ» ويجوز «مَغْزِىٌّ» و «مَدْعِىٌّ» وفى القرآنِ ﴿ وَعَتَوْا عُتوًّا كَبِيرًا ﴾[١] وقال: ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا ﴾[٢] وقال: ﴿ أرْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾[٣] والأصل «مَرْضُوَّةٌ» لأنه من لواو، من الرضوان. ومن القلبِ قولهم: «طأمن» ثم قالُوا: اطْمَأَنَّ، فأَخَّرُوا الهمزة وقدَّمُوا الميمَ، ومثلُ هذا كثيرٌ جدًّا.

وقوله: «هذا هامَةُ اليومِ أَوْغَدِ»، يقول: مَيِّتٌ فى يومه أوفى غَدِهِ، يقالُ: إنما فلانٌ «هامة» أى يَصِيرُ فى قبره، وأصلُ ذلك شىءٌ كانت العربُ تقوله، قد مَضَى تفسيرُه.

[إسحاقُ الموصلى والرشيد]

وحدثني عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ قال: سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصِلِيَّ يتحدَّثُ قال: حَجَجْتُ مع أمير المؤمنين الرشيدِ، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينةَ آخَيْتُ بها رجلًا كان له سِنٌّ ومعرفةٌ وأَدَبٌ، فكان يُمْتِعُنِى، فإنِّى ذاتَ ليلةٍ فى منزلى إذا أنَا بصوته يَسْتَأْذِنُ علىَّ، فظننتُ أمراً قد فَدَحَهُ ففزِعَ فيه إلىَّ، فأسرعتُ نحوَ البابِ، فقلتُ: ما جاءَ بك؟ فقال: إذَنْ أُخْبِرَكَ، دعانى صديقٌ لى إلى طعامٍ عتيدٍ[٤]، وشرابٍ قد الْتَقَى طرَفَاهُ، وشِوَاءٍ رَشْرَاشٍ، وحديثٍ مُمْتِعٍ، وغِنَاءٍ مُطْرِبٍ، فأجبتُه، وأقمتُ معه إلى هذا

---

(١) سورة الفرقان ٢١ .

(٢) سورة مريم ٦٩ .

(٣) سورة الفجر ٢٨ .

(٤) عتيد: معتد.

ومَنْ بَكْرٌ ؟ فوُصِفَ لها ، فقالت : أذاكَ الاسَيْدُ الذى يَمُرُّ بنا ؟ واللهِ لقد طابَ كلُّ شىء بعدَ ذاكَ ، حتى الخبزُ والزيتُ .

[من أخبار يزيد بن عبد الملك]

وَرَوى أصحابُنا أن يزيدَ بنَ عبد الملِكِ — وأمُّهُ عاتِكَة بنتُ يزيدَ ابن معاوية ، وإليها كان يُنْسَبُ — قال يوماً : يقالُ : إن الدنيا لم تَصْفُ لأحدٍ قَطُّ يوماً ، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عَنِّى الأخبار ، ودَعُونى ولَذَّتى وما خَلَوْتُ له ، ثم دعا بِحَبابَةَ ، فقال : اسْقِينِى وغَنِّينِى ، فَخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ ، فتناولتْ حَبَابَةَ حَبَّةَ رُمَّانٍ ، فوضعتها فى فيها ، فَغَصَّتْ بها فماتت ، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أذْهَلَه ومَنَعَ من دَفْنِهَا ، حتى قال له مشايخُ بنى أُمَيَّةَ : إن هذا عيبٌ لا يُسْتَقالُ ، وإنما هذه جيفة ، فأذِنَ فى دفنها ، وتَبِعَ جنازَتَهَا ، فلمّا وَارَاها قال : أمْسَيْتُ واللهِ فيكِ كما قال كُثَيِّرٌ :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أوتَدَعِ الهَوَى ... فباليأسِ تَسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءَنِى فهو قائلٌ ... مِن اجْلِكِ : هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَعُدَّ بينهما خمسةَ عشرَ يوماً .

وقوله : « رَاءَنِى » يريد « رَآنِى » ، ولكنه قَلَبَ ، فأخَّرَ الهمزةَ . ونظيرُ هذا من الكلامِ « قِسِىٌّ » فى جمعِ « قَوْسٍ » وإنما الأصلُ « قُوُوسٌ » ولمّا أخَّرَ الوَاوَيْنِ أبْدَلَ منهما يَاءَيْنِ ، كما يجب فى الجمعِ ، وتقولُ : دَلْوٌ ودُلِىٌّ ، وعاتٍ وعُتِىٌّ ، وإن شئتَ قلتَ : عِتِىٌّ ودِلِىٌّ ، من أجل الياءِ ، فإن كان « فُعُولٌ » لواحدٍ قلتَ : عُتُوٌّ . ويجوز القلبُ ، والوجهُ فى الواحدِ

يقول : عَجِبْتُ ما الذى اشْتَهى من أن تُبْكِيَا أباهُ . فقوله : « أَعْجَبنِى »، أى تركنى أَعْجَبُ ، ومثله قولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلاَ هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّــــةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُها
رأتْ بى شَيبةً فى الرَّأْ سِ عَنِّى مَا أُغَيِّبُها
فقالتْ : أَبْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ وبعضُ الشَّيبِ يُعْجِبُها

أى تتعجب منه .

[خليلان الأموى يغنى أمير البصرة]

وحدثني عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ ، قالَ : كان خَليلانُ[1] الأَمَوِىُّ يتغنَّى ، ويَرَى ذاكَ زائداً فى الفُتُوَّةِ . وكان خَليلانُ شريفاً وذا نِعمةٍ واسعةٍ ، فحضرَ يوماً منزلَ عُقْبَةَ بْنِ سَلْمٍ الهُنَائىِّ وهو أميرُ البصرة ، وكان عاتياً جبّاراً ، فلما طَعِمَا وخَلَوَا نَظَرَ خلِيلانُ إلى عودٍ موضوعٍ فى جانب البيت ، فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به ، فأخذه فتغنَّى :

بآبنةِ الأَزْدِىِّ قلبى كَئيبُ مُسْتهامٌ عندها ما يَؤُوبُ
ولقد لاموا فقلتُ : دَعُونى إنّ مَنْ تَلْحَوْنَ فِيهِ حَبيبُ

فَجَعَلَ وجهُ عُقْبَةَ يَتَغَيَّرُ ، وخليلانُ فى سَهْوٍ عمّا فيه عقبةُ ، يرَى أنه مُحْسِنٌ . ثم فَطِنَ لتغيُّرِ وجهِ عُقْبَةَ ، فعلم أنه كارِهٌ[2] لِمَا تَغَنَّى به ، فَقطَعَ الصَّوْتَ ، وجعلَ مكانه :

(١) خليلان : كان يلقب به خليل بن عمرو ، مولى بنى عامر بن لؤى ؛ كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد . (رغبة الآمل) .
(٢) كلمة « كاره » ساقطة من ر ، وهى فى الأصل ، س .

الوقت، فأخذت منى حميا الكأس مأخذها، ثم غنيت بقول نصيب:

زينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا، ثم وجدت فى الطرب نقصا إذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته، ففزعت إليك لأصف لك هذه الحال، ثم أرجع إلى صاحبى، وضرب نعليه موليا عنى! فقلت: قف أكلمك، فقال: ما بى إلى الوقوف إليك من حاجة.

[من أخبار حسان بن ثابت]

وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى، يسنده، قال: كانت وليمة فى أخوالنا، وهم حى يقال لهم بنو نبيط، من الأنصار، قال: فحضر الناس وجاء حسان بن ثابت وقد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده، فلما وضع الطعام وجىء بالثريد قال حسان لابنه: يا بنى، أطعام يد أم طعام يدين؟ فقال: بل طعام يد، فأكل ثم جىء بالشواء، فقال: أطعام يد أم طعام يدين؟ فقال: طعام يدين، فأمسك وفى المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان:

انظر خليلى بباب جلق هل ... تؤنس دون البلقاء من أحد؟ (١)

قال: وحسان يبكى، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب، وعبد الرحمن يومئ إليهما: أن زيدا، قال أبو زيد: فلأعجبنى ما أعجبه من أن تبكيا أباه.

---

(١) جلق: إحدى قرى دمشق.

يريدُ عبدَ الله بنَ جعفرِ بن أبي طالبٍ — فدخلاَ إليه ، وعنده سائبُ خاثر ،
وهو يُلْقِي على جوارٍ لعبدِ الله ، فأمر عبدُ الله بتنحيةِ الجوارِي لدخول معاوية ،
وثبتَ سائبٌ مكانَهُ ، وتَنَحَّى عبدُ الله عن سريره لمعاوية ، فرفَع معاويةُ عمراً
فأجلسه إلى جانبه ، ثم قال لعبد الله : أَعِدْ ما كنتَ فيه ، فأمر بالكراسيِّ
فأُلقِيَت ، وأَخْرجَ الجوَارِي ، فتغنَّى سَائِبٌ بقولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

دِيارُ التي كَادَتْ ونحنُ عَلَى مِنًى   تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجاءُ الرَّكائِبِ
ومِثْلِكِ قد أَصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ   ولا جَارةٍ وَلاَ حَليلَةِ صَاحِبِ (١)

ورَدَّدَهُ الجوارِي عليه ، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّكَ فى مجلسه ، ثم مَدَّ
رجليه ، فَجَعَل يضربُ بهما وجه السرير . فقال له عمرٌو : اتَّئِدْ يا أميرَ المؤمنين ،
فإن الذى جئتَ لِتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالاً وأقلُّ حركةً . فقال معاويةُ :
اسكُتْ لا أَبَالك ! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ .

[سفيان بن عيينة وجاره السهمى]

وحُدِّثْتُ مِنَ غير وجهٍ أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يوماً
إِنِّي أَرَى جارَنا هذا السَّهْمِيَّ قد أَثْرَى وَانْفَسَحَتْ له نِعمةٌ ، وصار ذا جاهٍ عند
الأمراء ، ووافداً إلى الخلفاء ، فَمِمَّ ذاكَ ؟ يَعني يحيى بنَ جَامِعٍ ، فقال له
جلساؤُه : إنه يَصِيرُ إلى الخليفة فيتغنَّى له ، فقال سفيانُ : فيقولُ ماذا ؟ فقال
أحدُ جُلَسائه : يقول :

أَطُوفُ نَهَارِى معَ الطائفينَ   وأَرْفَعُ مِن مِئْزَرِى المسْبَلِ

---

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

أَلاَ هَزِئَتْ بِنَا قرشِيةٌ يهتزُّ موكِبُهَا

فَسُرِّىَ عن عقْبة ، فلما انقضى الصوتُ ونَمَعَ حليلانُ العودَ ، ووكّدَ على نفسه الحلِفَ أَلّا يغنِّىَ عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أمرُه عليه أبداً .

[غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه]

وحُدِّثْتُ أن رجلًا تَغَنّى بحضرة الرشيد بشعرٍ مُدِح به علىُّ ابْنِ رَيْطَةَ ، وهو علىُّ بْنُ أمير المؤمنين المَهْدِىّ ، وتَغَنّاهُ المُغَنِّى على جهل ، وهو :

قُلْ لِعَلِىٍّ : أيا فتَى العَرَبِ وخيْرَ نَامٍ وخيرَ مُنْتَسِبِ

أَعْلاكَ جَدّاكَ يا علىُّ إذا قصَّرَ جَدٌّ فى ذِرْوَة الحَسَبِ

ففَتَّشَ عن المغنى فوجده لم يَدْرِ فيمن الشعرُ ، فبَحثَ عن أول مَنْ تغنّى فيه ، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقّاص ، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوط .

[معاوية وابنه يزيد]

وحُدِّثْتُ أَن معاويَةَ استمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلةٍ ، فسمع مِنْ عنده غِناءً أعجبه ، فلما أصبح قال ليزيد : مَنْ كان مُلْهِيكَ البارحةَ ؟ فقال له يزيد : ذاكَ سائِبُ خاثِر ، قال : إذاً فأَكْثِرْ له من العطاء .

[معاوية عند عبد الله بن جعفر]

وَحُدِّثْتُ أن معاويةَ قال لعمرٍو : امْضِ بنا إلى هذا الذى قد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَىَ فى هدم مُروءَتِهِ ، حتى نَنْعَى عليه ، أى نَعِيبَ عليه فعله —

لأصحابهِ : والله لكأنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ [١] ، وما أَحْسِبُ أُنثى تسمعُ هذا إلّا صَبَتْ . ثم أمرَ بهِ فخصِىَ .

[الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير]

وحُدِّثْتُ أن الفرزدقَ قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأَحْوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَحِ ، فقال له الأحوصُ : أَلاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القرَى ؟ فأتاه بمغَنٍّ فجعل يُغَنيه ، فكان مما غنَّاه :

أَتَنْسَى إذ تُوَدِّعُنا سُلَيْمى بفَرْعِ بَشَامَةٍ ، سُقِىَ البَشَامُ ! [٢]

ولو وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا بسُلْمانَيْنِ لا كْتَأَبَ الحَمام [٣]

فقال الفرزدق : لِمَنْ هذا [الشعرُ [٤]] ؟ فقالوا : لجريرٍ ، ثم غنَّاه :

أَسْرَى لِخالدةَ الخيالُ ولا أَرَى شيئًا أَلَذَّ مِنَ الخيالِ الطَّارِق

إنَّ البَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حديثَه فانْقَعْ فُؤَادَكَ من حديثِ الوَامِقِ [٤]

فقال : لمن هذا ؟ فقيلَ : لجرير ، ثم غنَّاه :

إنَّ الذين غدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلًا بعَيْنِكَ ما يَزَالُ مَعِينَا

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِى ماذَا لَقِيتَ من الهَوَى ولَقِينَا ؟

فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : لجريرٍ ، فقال الفرزدقُ : ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِهِ إلى خُشُونة شِعْرِى ، وأَحْوَجَنى مع فسُوقِى إلى رِقَّةِ شِعرِه !

---

(١) الجرجرة : هدير الفحل ، والشول : جمع شائلة ؛ وهى من الإبل التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها به .

(٢) سلمانين : واديا فى جبل لغنىّ .

(٣) تكملة من س .

(٤) الوامق : المحب .

فقال سفيانُ : ما أحسنَ ما قال ! فقال الرجلُ :

وأسهرُ لَيْلِي معَ العاكفينَ   وأتلو مِنَ الُمحكَمِ الُمنزَلِ

قال : حَسَن واللهِ جميلٌ ، قال : إنَّ بعدَ هذا شيئا ، قال سفيانُ : وما هو ؟ قال :

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفٍ   يُسَخِّرُ لى رَبَّةَ المِحْمَلِ

فزَوَى سفيانُ وجهَهُ ، وأومأ بيدِهِ أنَّ كُفَّ ، وقال : حلالًا حلالًا !

[ابن أبجر يغنى لعطاء بن رباح]

ولقىَ ابنُ أَبْجَرَ عَطَاءَ بنَ أبى رباحٍ وهو يطوفُ ، فقال : اسمعْ صوتاً للغَرِيضِ ، فقال له عَطاء : يا خَبِيثُ ، أفى هذا الموضِعِ ! فقال ابن أَبْجَر : ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنَّه خُفْيَةً ، أَو لَأُشِيدَنَّ به ، فوقف له ، فتَغَنَّى :

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ   إنَّكِ إلّا تَفْعَلِى تَحْرَجِى[1]

أَنَّى أُتيحَتْ لى يَمانِيَةٌ   إحْدَى بنى الحارثِ مِن مَذْحِجِ

تَلْبَثُ حَوْلًا كاملًا كلَّهُ   لا نَلْتَقِى إلَّا على مَنْهَجِ

فى الحجِّ إن حَجَّتْ ، وماذا مِنًى   وأَهْلُهُ إن هِىَ لم تَحْجُجِ !

فقال له عطاء : الكثيرُ الطَّيِّبُ ياخبيثُ !

[سليمان بن عبد الملك فى عسكره]

وسمعَ سليمان بن عبد الملك مُتَغَنِّياً فى عسكره ، فقال : اطْلُبوه ، فجاءوا به ، فقال : أَعِدْ ما تغنيتَ ، فتغنَّى واحْتَفَلَ ، وكان سليمانُ مُفرِطَ الغَيْرَةِ ، فقال

(١) تحرجى ؛ من الحرج ؛ وهو الاثم .

هذا الشِّواءُ أكلتَهُ ، والغناءَ سمعتَه ، فأنَّى لكَ بالطِّلاء ! قال : قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ ومعه دنانيرُ ، فأصْلِحْ بها ما نُرِيدُ من أمْرِنا ، ففعل كلَّ ما قال ، فقالت أمُّ كَرْدَمٍ لمعبدٍ : أتَهْجُرُ مَنْ إن زارنا أغْدَرَ[1] فينا فَضْلاً ونَيْلاً ، وإن فارَقَنا خَلَّفَ فينا عَقْلاً ونُبْلاً ! فانصرفَ الأحوصُ مع العصر ، فمرَّ بين الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبَتَيْ رَحْلِهِ .

[هجاء الأحوص لسعد بن مصعب]

وحُدِّثْتُ أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأةٍ فى ليلة مَناحةٍ أو عُرْسٍ ، وكانت تحتَه ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير ، فقال الأحوصَ — وكان بالمدينةِ رجلٌ يقالُ له : « سَعْدُ النَّارِ » :

ليس بسَعْدِ النَّارِ مَنْ تَذْكرونَه ... ولكنَّ سَعْدَ النَّارِ سَعْدُ بنُ مُصْعَبِ

ألم تَرَ أنَّ القومَ ليلةَ جَمْعِهم ... بَغَوْهُ فألْفَوْهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبِ

فما يَبْتَغِى بالشَّرِّ لادَرَّ دَرُّهُ ... وفى بيتِهِ مِثْلُ الغزالِ المُرَبَّبِ!

فأمرَ سعدُ بن مصعبٍ بطعامٍ فَصُنِعَ ، ثم حُمِلَ إلى قِبابِ العربِ ، وقال للأحوصِ — وكان له صديقاً : تعالَ نَمْضِى فنُصيب منه ، فلما خَلاَ به أَمَرَ به فأُوثِقَ ، وأرادَ ضَرْبَه ، فقال له الأحوصُ : دَعْنِى ، فلا واللهِ لا أهْجُو زُبَيْرِيًّا أبداً ، فحَلَّهُ ، ثم قال : إنى واللهِ ما لُمْتُكَ على مَزْحِكَ ، ولكنى أنكرتُ قولَكَ :

وفى بيتِهِ مثلُ الغَزَالِ المُرَبَّبِ

* * *

(١) أغدر : ترك .

[الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية]

وقال الأحوصُ يوماً لِمَعْبَدٍ : امْضِ بِنَا إلى عَقِيلَةَ حتى نتحدَّثَ إليها ، ونسمعَ من غِنائها وغِناء جواريها . فمضيا ، فألْفَيا على بابها مُعاذاً الأنصاريَّ ، ثم الزُّرَقيَّ ، وابنَ صائدٍ النجّارِي ، فاستأْذَنوا عليها جميعًا ، فأَذنتْ لهم إلَّا الأحوصَ ، فإنها قالت : نحن غِضَابٌ على الأحوصِ ، فانصرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابهِ على استبدادِهم ، فقال :

ضَنَّتْ عَقيلةُ لمَّا جئتُ بالزادِ ... وآثرَتْ حاجةَ الثَّاوِى على الغَادِى

فقلت : واللهِ لولا أن تقولَ له ... قد باح بالسِّرِّ أعدائِى وحُسَّادِى

قلنا لمنزِلهـا : حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ ... وللعَقِيقِ : أَلاَ حُيِّيتَ من وَادِى !

إنِّى خلعتُ نَصِيبى من مَوَدَّتِها ... لِمَعْبِدٍ ومُعـاذٍ وابنِ صَيَّادِ

لابن اللَّعِين الذى يُخْبَا الدُّخانُ له ... وللمغَنِّى رسولِ الزُّورِ قَوَّادِى

أمَّا معاذٌ فإنى لستُ ذَا كِرَهُ ... كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأجدادِى

قال الزُّبيرىُّ : وكان مُعاذٌ جَلْدًا ، فخافَ الأحوصُ أن يضربَه ، فحلف مَعْبَدٌ ألَّا يكلِّمَ الأحوصَ ولا يتغنَّى فى شعره ، فشقَّ ذلك على الأحوص ، فلما طالتْ هِجْرتُهُ إياه رَحَلَ نَجيباً له وجعلَ طِلاءً[1] فى مِذْرَعٍ[2] فى حقيبة رَحْلِهِ ، وأعَدَّ دنانيرَ ، ومضَى نحوَ معبدٍ فأناخَ ببابه — ومعبدٌ جالسٌ بفنائه — فنزل إليه الأحوص فكلَّمه ، فلم يكلمه معبدٌ ، فقال : يا أبا عَبَّادٍ ، أتَهْجُرُنى ! فخرجت إليه امرأتُه أمّ كرْدَمٍ ، فقالت : أتهجرُ أبا محمدٍ ! واللهِ لتكلِّمَنَّهُ ، قال : فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ ، وقال : واللهِ لا رِمْتُ هذا البيتَ حتَّى آ كُلَ الشِّوَاءَ وأشربَ الطلاءَ واسمعَ الغِناءَ ، فقال له معبدٌ : قد أَخْزَى اللهُ الأَبْعَدَ ،

(١) الطلاء : اسم لما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .

(٢) حاشية ر : « والمذرع : زق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع » .

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإن لامَ لائِمُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ أنتَ للبيْنِ وَاجِمُ

لقد كانَ فى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتهُ ... تَقَضَّى لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سائِمُ

قوله: « هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لَامَ لائِمُ » منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه « وَدِّعْهَا » كأنه قال: « وَدِّعْ هريرةَ »، فلمَّا اختَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجودَ من ألاّ يُضمِرَ، لأن الأمرَ لا يكون إلاّ بفعلٍ، فأضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به، وكذلك « زيداً اضْرِبْهُ » و « زيداً فأَكْرِمْهُ » وإن لم تُضْمِرْ ورَفعْتَ جاز، وليس فى حُسْنِ الأوّلِ، ترفَعُهُ على الابتداءِ وتُصَيِّرُ الأمرَ فى موضعِ خبرِه. فأمّا قولُ الله جلّ وعزّ: ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطَعوا أيدِيَهما[1] ﴾ وكذلك: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانى فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ[2] ﴾: فليس على هذا، والرفعُ الوَجْه، لأنَّ معناهُ الجزاءُ، كقوله: « الزانيةُ » أى التى تزْنِى، فإنما وجبَ القطعُ للسَّرَق والجَلْدُ للزنا، فهذا مُجَازَاةٌ، ومِن ثَمَّ جازَ: الذى يأتِينى فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ، فإن لم تُرِدْ هذا المعنى قلتَ: الذى يأتينى له درهمٌ، ولا يجوزُ: زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ، على معنى: هذا زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسنٌ جميلٌ، جازَ، على أنّ « زيداً » خبرٌ، وليس بابتداءٍ، وللإشارةِ دخلتِ الفاءُ، وفى القرآنِ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ[3] ﴾، ودخلتِ الفاءُ لأن الثوابَ دَخَلَ للإنفاق. وقد قرأت

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) سورة النور ٢.

(٣) سورة البقرة ٢٧٤.

وَحُدِّثتُ أنّ ابنَ أبى عَتيق ذُكِرَ له أن المخنّثين بالمدينة خُصُوا ، وأنه خُصِىَ الدّلّالُ فيهم ، فقال : إنّا لله ! أمَا واللهِ لئن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحسِنُ :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيـــشِ أمسى دارِساً خَلَقَا

ثم استقبلَ ابنُ أبى عَتيقٍ القبلةَ يصلّى ، فلما كبّر سلّمَ ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : اللهم إنه كان يُحسِنُ خفيفَهُ ، فأمّا ثقيلُه فلا — اللهُ أكبرَ !

[شفاعة]

وحُدِّثتُ أن مَدَنِيًّا كان يصلّى مُذْ طلعتِ الشمسُ إلى أن قاربَ النهارُ أن يَنْتَصِفَ ، ومن ورائه رجلٌ يتغنّى ، وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا رجلٌ من الشُّرَطِ قد قبَضَ على المغنّى ، فقال : أترْفَعُ عَقيرَتَكَ بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذه ، فانفتلَ المدنىُّ من صلاته ، فلم يَزَلْ يَطْلُبُ إليه فيه حتى استَنْقَذَهُ ، ثم أقبلَ عليه فقال : أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيك ؟ فقال : لا والله ، ولكن إخالُكَ رحمتَنى ؛ قال : إذاً فلا رحمنى اللهُ ! قال : فأحْسِبُكَ عرفتَ قرابةً بيننا ؟ قال : إذاً فقطعَها اللهُ ! قال : فَلِيَدٍ تَقَدَّمَتْ منّى إليك ؟ قال : لا والله ، ولا عرَفْتُكَ قبلَها ، قال : فَخَبِّرْنِى ، قال : لأنى سمعتُكَ غنّيْتَ آنفاً ، فأقمْتَ واواتِ مَعبدٍ ، أمَا واللهِ لو أسأتَ التأديةَ لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليكَ !

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واوات معبدٍ شعرُ الأعشى الذى يعاتبُ فيه يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبانىَّ ، وهو قولُه :

وقوله :

* هُريرةَ وَدِّعْها وإن لام لائم *

فللأعشى ، يعاتِبُ فيهما يَزِيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبانيَّ ، يقولُ :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِى شَيْبانَ مَأْلُكَةً أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفكُّ تأْتَكِلُ (١)

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نحتِ أَثْلتِنا ولست ضائرَها ما أَطَّتِ الإبِلُ (٢)

كناطِحٍ صَخْرَةً يومًا ليَفْلِقَها فلم يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضاً :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كأَنَّمَا زَوَى بين عَيْنَيْه علىَّ المَحاجِمُ

فلا يَنْبَسِطْ من بيْنِ عينيكَ ما انزَوَى ولا تَلْقَنِى إلاَّ وَأَنْفُكَ راغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ القَاطِعُ بيننا لَتَصْطَفِقَنْ يومًا عليكَ المآتِمُ (٣)

وتُلْقَى حَصانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّها كما كانَ يُلْقَى الناصِفاتُ الخَوادِمُ (٤)

إذا اتَّصلَتْ قالت : أَبَكْرَ بنَ وائِلٍ ! وبَكْرٌ سَبَتْها والأُنوفُ رَوَاغِمُ

* * *

فأمَّا الشعرُ الثالثُ فلِلشَّمَّاخ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غَطَفانَ ، يقولُه لِعَرَابَة ابن أَوْسِ بن قَيْظِيّ الأنصاريّ :

رأيت عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمو إلى الخيراتِ منقطِعَ القرِينِ

(١) المألكة : الرسالة . وتأكل : تغضب .

(١) أثلتنا : أصلنا وأطيطُ الإبل : أنينُها .

(٢) الاصطفاق : الاضطراب .

(٣) الحصان : العفيفة . وتنصف : تخدم .

القُرَّاء : ﴿ الزانيةَ والزَّانِيَ فاجْلِدُوا ﴾ ﴿ والسارقَ والسارقةَ فاقطَعُوا ﴾ بالنصبِ ، على وجهِ الأَمْرِ ، والوجهُ الرَّفْعُ ، والنصبُ حسنٌ فى هاتينِ الآيتين ، وما لم يَكنْ فيه معني جَزَاءٍ فالنصبُ الوَجْهُ .

[خبر معبد بخمسة أصوات من غنائه]

ويُرْوَى أَنّ مَعْبَداً بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ فَتح خَمْسَ مَدَائنَ ، فقال : لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أَصْوَات ، هُنَّ أَشَدُّ مِنْ فَتْحِ المدائنِ التى فتحها قتيبةُ والأصواتُ :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وهلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّها الرَّجلُ

وقولُه :

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لاَمَ لاَئمُ   غَداةَ غَدٍ أَمْ أنت للبَيْنِ واجِمُ

وقولُه :

رأيتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو   إلى الخيرَات مُنْقَطِعَ القرِين

وقولُه :

وَدِّعْ لبَابَة قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا   واسْأَلْ فإنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

وقولُه :

لَعَمْرِى لئنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا   لقدْ كنتُ مِن خَوْفِ الفراقِ أُلِيحُ

* * *

أمَّا قولُه :

* وَدعْ هُريرةَ إنّ الرَّكْبَ مرْتحِلُ *

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ اللهِ تجَلَّتْ عن وَجهِهِ الظَّلْماء
مُلْكهُ مُلْكُ قوَّةٍ ليس فيهِ جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرِياء
يَتَّقِي اللهَ فى الأُمورِ وقد أفـــلَحَ من كان هَمَّهُ الإتِّقاء

[قال أبو العباس[1]]: وله فيه أشعارٌ كثيرةٌ، فلمَّا قُتل مصعبُ [بن الزبير][1]

كان عبدُ الملك على قتل عبد الله بن قيس، فهَرَبَ فلَحِقَ بعبد الله بن جعفر، فَشَفَعَ فيه إلى عبد الملك، وشفَّعَهُ فى أنْ ترَكَ دَمَهُ. فقال: ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فتَسْمَعَ منه! فأَبَى، فلم يزَلْ به حتى أجابه. ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفرٍ:

أتيناكَ نُثْــنِى بالذى أنتَ أهلُهُ عليكَ كما أُثنِى على الأرْضِ جارُهَا
تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُهَا
تزُورُ فَتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه تجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُهَا
فو اللهِ لولا أنْ تزُورَ ابنَ جعفرٍ لـكانَ قليلًا فى دِمَشقَ قَرَارُهَا

والشعرُ الذى مَدَحَ به عبدَ الملك:

عادَ لَهُ مِن كَثِيرَةَ الطَّرَبُ فعينُهُ بالدُّموعِ تنْسَكِبُ

وفيها يقول:

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إلاَّ أنهم يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأنَّهُمْ سادَةُ الملوكِ فلا تَصْلُحُ إلاَّ عليهمُ العَرَبُ
إن الفَنيقَ الذى أبوه أبو العَــاصِى عليه الوَقارُ والحُجُبُ

---

(١) مو، سى

إذا ما رَايَة رُفِعَت لِمَجْدٍ تلقّاها عَرابةُ باليَمينِ

إذا بَلَّغتِني وحَملتِ رَحْلِي عَرابةَ فاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

* * *

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبي رَبيعةَ ، يقولُه في بعضِ الرِّواياتِ :

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ واسْأَلْ فإن قَلِيلَه أنْ تَسأَلاَ

امْكُثْ لعَمرُكَ ساعةً فتأنّها فعسَى الذى بَخلَتْ به أن يُبْذَلاَ

لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حاجَةً إنْ باتَ أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا[1]

والشعر الخامس لا أعرفُه .

* * *

ولم يَتَغَنَّ معبدٌ فى مدحٍ قَطُّ إلاّ فى ثلاثةِ أشعارٍ ، منها ما ذكرنا فى عَرَابَةَ ، ومنها قولُ عبد الله بن قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ فى عبدِ الله بن جعفر ابن أبى طالب :

تَقَدَّتْ بىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ سَوَاءٌ عليها لَيلُها ونهارُها

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتٍ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

حمزةُ المُبْتاعُ بالمالِ الثَّنا ويَرَى فى بَيْعِهِ أَنْ قد غَبَنْ

وَهْوَ إنْ أَعْطَى عَطاءً كاملًا ذا إخاء لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصِ هذه الأشعارِ التى جرَتْ فى عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ .

قال أبو العباسِ : كان عبدَ الله بنُ قيسِ الرُّقَيَّاتِ منقطعاً إلى مُصْعَبِ ابن الزبير ، وكان كثيرَ المدحِ له ، وكان يُقاتِلُ معه ، وفيه يقولُ :

(١) معقلا ، من عقلت الإبل إذا شددتها بالعقال .

بابٌ

[لعتبة بن شماس فى عمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباسِ: قال عُتْبة بن شَمَّاسٍ:

إنَّ أَوْلَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ   ثم أحْرَى بأن يكونَ حقِيقا

مَنْ أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوا   نَ وَمَنْ كانَ جَدُّه الفارُوقا

رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ   فى ذُرَا شاهقٍ يفُوتُ الأَنُوقا

يقولُ هذا الشعرَ فى عمرَ بن عبدِ العزيز، وأُمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ ابن عمرَ بن الخطاب، رحمه الله.

والأنوقُ: الرَّخَمَةُ، ولا يقالُ: الأنوقَ إلا للرَّخمةِ الأنثَى. ومن أمثال العربِ: «هو أعزُّ من بَيْضِ الأنوقِ»، وتقول العرب لمن يطلب الأمرَ العَسِير: «سألْتَنِى بَيْضَ الأنوقِ» وذاكَ أنها تبيضُ فى رُءوسِ الجبالِ، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضها، لبُعْدِ مطلَبه وعُسْرِه. فإن سأله مُحالًا قال: «سألتَنى الأَبْلَقَ العَقُوقَ»، وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل، ويقال: فرسٌ عَقوقٌ، إذا حملتْ فامتلأ بطنُها، فالأبلَقُ العَقُوقُ محال.

ويُرْوَى أنَّ رجلاً سألَ معاويةَ أمراً لا يُوجَدُ، فأعلمه ذلك، فسأل أمرًا عسِرًا بعدَه، فقال معاويةُ:

طلَبَ الأبلَقَ العَقُوقَ فلمَّا   لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأنوقِ

وإنما الأبلقُ الذكر من الخيل، يقال: فرس عَقُوقٌ إذا حَمَلت فامتلأ بطنها، فالأبلقُ العَقُوقُ محالٌ.

خليفةُ اللهِ في رَعِيَّتِهِ   جَفَّتْ بذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ   على جَبِينٍ كأنَّه الذَّهَبُ

فقال له عبدُ الملك : أتقولُ لِمُصْعَب :

إنما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ   تَجَلَّتْ عن وجهه الظَّلْماءُ

وتقولُ لِي :

يعتدلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ   على جَبِينٍ كأنَّه الذَّهَبُ !

* * *

وأما شِعْرُ الشَّمَّاخِ في عَرَابَةَ فقد ذُكِرَ في موضعه بحديثِه .

* * *

وأما الشِّعْرُ في حمزةَ بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شَهَوَاتٍ ، وكان موسى قال لمعبدٍ : أقولُ شعراً في حمزةَ وتَتَغَنَّى أنتَ به ، فما أعطاك من شيء فهو بَيْنَنَا ! فقال هذا الشعرَ :

حمزةُ المُبْتاعُ بالمالِ الثَّنَا   ويَرَى في بيعه أنْ قَدْ غَبَنْ
وَهْوَ إنْ أَعْطَى عطاءً كاملًا   ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بِمَنّْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ   بَرَتِ المالَ كَبَرْيٍ بالسَّفَنْ
حَسَرَتْ عنه نَقِيًّا لَوْنُهُ   طاهِرَ الأخْلاقِ ما فيه دَرَنْ

فأعطاه مالاً ، فقاسَمَهُ موسى .

وقال يرثيه أيضاً :

نَعَى النُّعاةُ أَميرَ المؤمنين لنا   يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعتَمرا

حَملْتَ أَمرًا جَسيما فاصْطَبَرْتَ له   وقمْتَ فيه بحقِّ اللهِ يا عُمرَا

فالشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسِفَةٍ   تَبْكِى عليكَ نجومَ الليلِ والقمَرَا

قولُه : « ياعمرَا » نُدْبةٌ ، أراد : ياعُمَراهْ ! وإنما الألِفُ للنُّدبة وحدها ، والهاء تزادُ فى الوقف لخفاءِ الألف ، فإذا وصَلْتَ لم تزِدْها ، تقول : ياعمرَا ذَا الفضلِ ، فإذا وقفتَ قلتَ : ياعمَراهْ ! فحذَفَ الهاءَ فى القافية لاستغنائه عنها .

فأما قوله : « نجومَ الليلِ والقمرَا » ، ففيه أقاويلُ كلُّها جيدٌ ، فمنها أن تَنْصِبَ « نجومَ ، والقمرَ » بقوله : « بكاسفةٍ » ، يقولُ : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليلِ والقمرَ . يقولُ : إنما تكسفُ النجومَ والقمرَ بإفْراطِ ضِيائِها ، فإذا كانت من الحُزْنِ عليه قد ذَهَبَ ضِياؤُها ظهرتِ الكواكبُ . ويقال : إن الغبارَ يوم حَليمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمسِ فظهرت الكواكبُ المتباعدةُ عن مَطْلعِ الشمسِ . ويومُ حَلِيمةَ هِو اليومُ الذى سافرَ فيه المُنْذِرُ بن المنذِرِ بعَرَبِ العِراق إلى الحارثِ الأعرَجِ الغَسَّانِىّ ، وهو الأكبر ، والحارثُ فى عَرَبَ الشَّأم وهو أشهر أيام العرب ، ومن أمثالهم فى الأمر الفاشى : « ما يَومُ حَليمةَ بِسِرٍّ » ، وفيه يقولُ النابغةُ :

تُخُيِّرْنَ من أَزمانِ يومِ حَليمةٍ   إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارب

(لجرير فى عمر بن عبد العزيز)

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز :

ما عَدَّ قومٌ كأجدادٍ تَعُدُّهُمُ ... مَرْوانَ ذو النور والفارُوقُ والحَكَمُ
أَشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سِيرتَهُ ... قادَ البَرِيَّةَ وائْتَمَّتْ به الأُمَمُ
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبيِّ له ... أَن يُمْتَعُوا بأبِي حَفْصٍ وما ظَلَموا

وفيه يقولُ جريرٌ أيضاً :

يعُودُ الحِلْمُ منكَ على قُرِيشٍ ... وتَفرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِّدَادَا
وقد آمَنْتَ وحْشَهُمُ برفْقٍ ... ويُعْيِي الناسَ وَحْشُكَ أَن يُصَادَا
[وتبنى المجدَ يا عمرَ بن ليْلَى ... وتكفِى الممحِلَ السَّنَةَ الجمادا][1]
وتَدْعُو اللهَ مجتهدًا ليَرْضَى ... وتَذْكُرُ فى رَعِيَّتِكَ المَعادَا
[فما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأجودَ منك يا عمر الجوادا][1]

وقال أيضاً — وكان ابنُ سعدٍ الأَزْدِيُّ قد تَوَلَّى صَدقاتِ الأعرابِ وأَعْطِيَاتِهم ، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ — :

إنَّ عِيَالِي لا فَوَاكِهَ عندَهم ... وعندَ ابنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وزبيبُ
وقد كان ظَنِّي بابنِ سَعْدٍ سَعادةً ... وما الظنُّ إلاَّ مُخْطِئٌ ومُصيبُ
فإن تَرْجِعوا رِزْقِي إليَّ فإنّه ... متاعُ لَيالٍ والأداءُ قَريبُ
تَحَنَّى العظامُ الراجفاتُ من البِلَى ... وليس لداء الرُّكبتين طبيبُ

* * *

(١) مابين العلامتين من زيادة ر .

فِعْلٌ انتصب لأنه فى المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ إليه فنصَبَه . ونظيرُ ذلك : « استَوَى الماءُ والخشَبَةَ » لأنك لم تُرِدْ استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ ، ولو أردتَ ذلك لم يكن إلا الرفعَ ، ولكنّ التقديرَ : ساوى الماءُ الخشبةَ ، وكذلك « مازِلْتُ أَسيرُ والنِّيلَ » يافتى ؛ لأنك لَسْتَ تخْبِرُ عن النِّيلِ بسير ، وإنما تريدُ أنَّ سَيْرَكَ بحِذَائِه ومعه ، فوصَلَ الفعلُ . وهذا بابٌ يطولُ شرحُه . فإن قلتَ : « عبدُ اللهِ وزيدٌ أَخَوَاكَ » وأنت تريدُ بالواو معني « مع » ، لم يكن إلاّ الرفعُ ، لأن قبلَها اسماً مبتدأً ، فهى على موضِعِه

وأَجْوَدُ التفسيرِ عندنا فى قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ فأَجْمِعُوا أمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ[1] ﴾ أن تكونَ الواوُ فى معني « مع » ، لأنك تقولُ : أجمعْتُ رأيِي وأمرِى ، و جَمَعْتُ القومَ ، فهذا هو الوجهُ . وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشَّرِكةِ مع اللام فى معنى الأوّل ، والمعنى الاستعدادُ بهما ، فيجعلونه كقولِ القائلِ :

يا ليتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا

والرمحُ لا يُتَقَلَّدُ ، ولكنْ أدخلَه مع ما يُتَقَلَّدُ . فتقديرُه : « متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً » ، ويكونُ تقديرُ الآيةِ : فأَجمِعُوا أمرَكم وأعِدُّوا شركاءَكم والمعني يَؤُولُ إلى أمرٍ واحدٍ ومن ذلك قولُه :

* شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ *

(١) سورة يونس ٧١ .

وأظنُّ قولَ القائلِ من العربِ : « لأُرِيَنَّك الكواكبَ ظهرًا » ، إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ ، قال طَرَفَةُ :

إنْ تُنَوِّلْه فقد تمنعُه وتُرِيهِ النَّجْمَ يجْرِى بالظُّهُرْ

وقال الفرزدقُ لخالدِ بن عبد الله القسْرِىِّ :

لَعَمْرِى لقد سارَ ابْن شَيْبةَ سِيرةً أَرَتْكَ نجومَ الليلِ مُظْهِرَةً تجْرِى

ويجوزُ أن يكونَ : « نجومَ الليلِ والقمرَا » أرادَ بهما الظَّرْف ، يقولُ : تبكى الشمسُ عليكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقمرِ ، كقولك : تبْكِى عليك الدَّهرَ والشّهرَ ، و تبكى عليك الليلَ وَالنهارَ ، يا فتى . ويكونُ : تُبْكِى عليك الشمس النجومَ ، كقولك : أبكَيْتُ زيدًا على فلانٍ لِمَا رأيتُ به .

وقد قال فى هذا المعنى أحَدُ المُحدَثينَ شيئًا مليحًا ، و هو أحمد أخو أَشْجَعَ السُّلَمِىِّ ، يقوله لنَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِىِّ ، وكان أَوْقعَ بقومٍ مِن بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ ، وهو أشبهُ بالشّعْرِ ، قال :

للهِ سَيْفٌ فى يدَىْ نَصْرِ فى حَدِّه ماءُ الرَّدَى يجْرِى

أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّوَاجِيرِ مَا لم يُوقِعِ الجحّافُ بالبِشْرِ

أَبْكِى بَنِى بَكْرٍ على تَغْلِبِ وتَغْلِبًا أَبْكِى على بَكْرِ

ويكون : « تبكى عليك نجومُ الليلِ والقمَر » ، على أن تكون الواوُ فى معنى « مع » ، وإذا كانت كذلك فكانَ قبلَ الاسمِ الذى يليه أو بعده

(عمر بن الخطاب مع أحد ولاته)

ويُرْوَى أنّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله وَلَّى رجلاً بلدًا ، فوَفَدَ عليه ، فجاءهُ مُدَّهِناً حسنَ الحالِ فى جسمه ، عليه بُرْدَانِ ، فقال له عمرُ : أهكذا وَلَّيْناك ! ثم عزَلَهُ ، وَدَفعَ إليه غُنَيْمَاتٍ يرعاها ، ثم دَعَا به بعدَ مُدَّةٍ ، فرآه بالياً أشْعَثَ فى ثوبينِ أَطْلَسَيْنِ ، وذُكِرَ عندَ عمرَ بخيرٍ ، فردَّه إلى عمله ، وقال : كلوا واشربوا وادَّهِنُوا ، فإنكم تَعْلَمُونَ الذى تُنْهَوْنَ عنه .

* * *

ويروَى عن الحسن أنه قال : اقْرُبوا من هذه الأعوادِ[1] ، فإنهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا الحِكْمَةَ ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامِ .

(لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثِيه ، أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ :

قد غَيَّبَ الدافِنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بِدَيْرِ سَمْعانَ قِسْطَاسَ الموازِينِ[2]

مَن لَمْ يكن هَمَّهُ عيناً يُفَجِّرُها ... ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذِينِ

أقولُ لَمَّا أتانِي ثَمَّ مَهْلَكُهُ : ... لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينِ

يقالُ : هذا قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ لا غيرُ ، وتقولُ : فلانٌ حَسَنُ القَوامِ ؛ مفتوحٌ ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ[3] ، لا يكونُ إلاّ ذاكَ ، وقِوَام إذا كان اسماً

---

(١) الأعواد هنا : المنابر .

(٢) دير سمعان : بلد بنواحى دمشق .

(٣) الشطاط : حسن القوام .

فأمّا ما جاء من القرآن على هذا خاصة ، فقوله جلّ وعزّ : ﴿ واللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابّةٍ مِن ماءٍ ، فمنهم مَن يَمشِي عَلَى بَطْنِهِ ، ومنهم مَن يَمشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، ومنهم مَن يَمشِي على أَرْبَعٍ[1] ﴾ فأدخل « مَنْ » هاهنا ، لأن الناسَ مع هذه الأشياءِ ، فجَرَتْ على لفظٍ واحدٍ ، ولا تكون « مَنْ » إلاّ لمن يَعْقِل إذا أفردتها .

(لرجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمّالَهُ :

إنّ الذينَ أَمَرْتَهُمْ أن يَعْدِلُوا　　نَبَذُوا كِتابَكَ واستُحِلَّ المَحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِيَ الأمانةَ منهمُ　　بَرٌّ ، وهيهاتَ الأَبَرُّ أُسْلِمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على مَنابِرِ أَرْضِنَا　　كلٌّ بِنَقْصِ نَصِيبِنا يَتَكَلَّمُ

أنشدنيه الرِّياشِيُّ عن الأصمعيّ .

ونظيرُ هذا قولُ ابنِ هَمّامٍ السَّلُولِيّ :

إذا نَصَبُوا للقولِ قالوا فأَحْسَنُوا　　ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالَفَهُ الفِعلُ
وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونَها　　أفاويقَ حتى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر . و الأَطْلَسُ : الأَغْبَرُ ، وربّما اشتدّتْ غُبْرَتُهُ حتى يَخْفَى في الغُبارِ ، وإنما أراد بقوله : « طلسَ الثيابِ » أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفاً ، ويكونُ أن يكونَ جعلَهم بمنزلة الذئاب ، وهو أحسنُ .

---

[1] سورة النور ٤٥ .

وكادتِ النفسُ تُساوى حَلقَهُ ‏ ‏ أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ

يا عمرَ الخيرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ‏ ‏ سُمِّيتَ بالفاروقِ فافرُقْ فَرْقَهُ

وارْزُقْ عيالَ المسلمين رِزْقَهُ ‏ ‏ واقْصِدْ إلى الخيرِ ولا تُوَقِّهُ

بحرُكَ عذبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ ‏ ‏ رَبُّكَ ، والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقالُ : لاَحَ البرقُ ، إذا بَدَا ، وأَلاَحَ إذا تلألأَ ، وهذا البيتُ يُنْشَدُ :

* مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرْقٌ أَلاَحْ *

ويقالُ : شَرَقَتِ الشمسُ ، إذا بَدَتْ ، وأَشْرَقَت إذا أضاءتْ وصَفَتْ .

ويقالُ : صاعِقَةٌ وصاقِعَةٌ ، وبنو تميمٍ تقولُ : صاقِعَةٌ ، والصَّعْقُ شِدَّةُ الرَّعْدِ ، ويعْنَى فى أكثرِ ذلك ما يَعْتَرِى مَنْ يسمعُ صوتَ الصاعقةِ .

وقوله : « تُزَجِّى » يقول : تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ .

والأَبْلَقُ من السحاب : ما فيه سوادٌ وبياضٌ ، وفى الخيلِ : كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو بَلَقٌ .

والأَوْرَقُ : الذى بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ ، وهو أَلأَمُ ألوانِ الإبلِ ، ويقال : إن لحمَ البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحمَانِ الإبلِ .

والوَدْقُ : المطرُ ، يقال : وَدَقَتِ السماءُ يا فتى ، تدِقُ وَدْقاً ، قال الله جل وعزّ : ﴿ فتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ من خِلالِهِ[1] ﴾ ، وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائىُّ :

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ‏ ‏ ولاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقالَهَا

---

(١) سورة النور ٤٣ .

لم تنقلب واوُه ياءً مِن أجل الكسرة ، لأنها متحرِكة ، إلاّ أن يكونَ جمعاً قد كانت الواوُ فى واحِدِه ساكنةً ، فتنقلبُ فى الجمع ، لأن حركتها لعلةٍ ، تقولُ : سَوْطٌ وسِياطٌ وثوبٌ وثِيابٌ وحَوْضٌ وحياضٌ ؛ فإن كانت الواوُ فى الواحد متحركةً ثَبَتَتْ فى الجمعِ ، نحو طويلٍ وطِوالٍ ، وكذلك « فِعالٌ » إذا كانَ مصدراً صَحَّ إذا صحَّ فعلُه ، واعْتَلَّ إذا اعْتَلَّ فعلُه ، فما كانَ مصدراً لـ « فاعَلْتَ » فهو « فِعَالٌ » صحيحٌ ، تقولُ : قَاوَلْتُه قِوَالاً ، و لاَوَذْتُه لِوَاذاً ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً[1] ﴾ ، أى مُلاوَذَةً ، وإذا كانَ مصدرَ « فَعَلْتُ » اعْتَلَّ لاعتلالِ الفعل فقلتَ : قُمتُ قِياماً ، ونمتُ نِياماً ، ولُذْتُ لِياذاً ، وعُذْتُ عِياذاً .

(لعويف القوافى يرثي سليمان بن عبد الملك)

وقال عُوَيْفُ القوافِي شعراً ، يَرْثِي سليمانَ بن عبد الملك ، ويذكر عمرَ ابن عبد العزيز ، هذا ما اخترنا منه :

لاحَ سحابٌ فرأَيْنا بَرْقَهُ ثم تَدانَى فَسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحتِ الرِّيحُ تزَجِّى بُلْقَهُ ودُهْمَهُ ثم تزَجِّى وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقاً فرَوَّى وَدْقَهُ قبرَ امْرِىءٍ أَعظَمَ ربِّى حَقَّهُ
قبر سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ وجَحَدَ الخير الذى قد بَقَّهُ
فى العالَمين جِـــلَّهُ ودِقَّهُ لمَّا ابتلَى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ

(١) سورة النور ٦٣ .

وقوله : « سُمِّيتَ بالفاروقِ » فتأويلُ الفاروقِ هو الذى يَفرُقُ بين الحقِّ والباطِلِ ، وكذلك قال المفسرون فى « الفُرْقان » ، وقد أبانَ ذلك بقوله : « فافرُقْ فَرْقَهُ » .

وقولُه :

* وارْزُقْ عِيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ *

يقال : رَزَقَه يَرْزُقُه رَزْقاً ، والاسم الرِّزْقُ .

وقولُه :

* بَحْرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ *

مقلوبٌ ، إنما هو ما أَقَعَّهُ رَبُّكَ . يقال : ماءٌ قُعَاعٌ ، وماءٌ حُرَاقٌ ، فالقُعاعُ : الشديدُ الملوحةِ ، يقولُ : ما أَملَحَه ربُّك ، والحُرَاقُ : الذى يُحْرِقُ كلَّ شىءٍ بمُلوحَتِه ، والماءُ العذبُ يقالُ له : النُّقَاخُ ، وما دونَ ذلك شيئاً يقالُ له : المَسُوسُ . أنشد أبو عُبيدةَ :

لو كُنْتَ ماءً كنتَ لا   عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا

يقالُ : ماءٌ عذبٌ ، وماءٌ فُراتٌ ، وهو أَعْذَبُ العذْبِ ، ويقال : ماءٌ مِلْحٌ ، ولا يقالُ : مَالِحٌ ، وسَمَكٌ مَمْلوحٌ ومَلِيحٌ ، ولا يقالُ : مالِحٌ ، وأشدُّ الماء ملوحةً الأُجاجُ ، قال الفَرَزْدَقُ :

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفًّى   بماءِ النِّيلِ أو ماءِ الفُرَاتِ

لقالوا إنه مِلْحٌ أُجَاجٌ   أَرَادَ به لنَا إِحْدَى الهَنَاتِ

وقوله :

* ذاك سقى ودقاً فروى ودقه *

وأصلُ العَقِّ القطعُ فى هذا الموضع ، ولِلعَقّ مواضعُ كثيرة ، يقال :
عَقَّ والديه يَعُقُّهما إذا قطَعهما ، وعَقَقْتُ عن الصبىّ[1] مِنْ هذا ، وقالوا : بل هو
من العَقِيقَةِ وهى الشَّعَرُ الذى يولَدُ الصبىُّ به ، يقال : فلان بعَقيقته إذا كان
بشَعر الصِّبا لم يَحْلقْهُ ، ويقال : سيفٌ كأنَّهُ عَقيقةٌ ، أى كأنّه لَمْعةُ بَرْقٍ ،
يقال : رأيتُ عَقيقَةَ البَرْقِ يافتى ، أى اللَّمْعَةَ منه فى السحابِ ، ويقال :
فلانٌ عُقّتْ تميمَتهُ ببلد كذا ، أى قُطِعَتْ عنه فى ذلك الموضِع ، قال الشاعرُ :

ألم تَعْلَمى يا دارَ بَلْجاءَ أَنَّنِى ... إذا أَخْصبَتْ أو كان جَدْباً جنابُها
أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مُشْرِفٍ ... إلىَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تَميمَتِى ... وأَوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلدِى تُرابُها

وقوله :

* وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ *

يقال : بَقَّ فلانٌ فى الناس خيرًا كثيرًا ، وبَقَّ ولدًا كثيرًا ، وأَبَقَّ
كلامًا كثيرًا .

وقوله :

* أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ *

فهذا مثلٌ ، يريد : قلَّدَهُ أمره ، والوَسْقُ الحَمْلُ

وقوله : الملَقَّى وَسْقَهُ ، يقال : لُقِّىَ فلانٌ خيرًا ، أى جُعِلَ يَلْقاهُ ، والوَسْق
من الكيلِ : مقدارُ خمسة أَقْفِزَةٍ بقَفِيزِ البصرةِ ، وهو قَفِيزانِ ونصفٌ بقفيز
مدينة السَّلامِ

وقولُه : « ليس فى أَقَلَّ من خمسةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ » إنما مبلغ ذلك خمسة
وعشرون قفيزاً بالبَصرىّ . والوَفْقُ : التوفيقُ .

---

(١) أى ذبحت عنه عقيقة .

يريد أنصارَكَ ، فأخرجه على « ناصِرٍ وَنَصِيرٍ » .

وقوله : « سلامُ امْرِئٍ » على البدلِ من قوله : « سلامٌ على سَيْرِ القِلاص » وإن شئت نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ ، كأنك قلتَ : اسَـلِّمُ سَلاَمَ امْرِئٍ ، لأنك ذكرت سلامًا أولًا ، وَمثلُ ذلك : له صوتٌ صوتَ حمارٍ ، لأنك لمَّا قلتَ : « له صـوتٌ » دللتَ على أنه يُصَوِّتُ ، كأنك قلت : يصوِّتُ صَوتَ حمارٍ ، وكذلك : « له حَنِينٌ حَنِينَ ثَـكْلَى » و :

* له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ *

أي : يَصْرِفُ صَرِيفًا ، فما كان من هذا نكرةً فنَصْبُه على وجهين : على المصدرِ ، وتقديرُه : يَصْرِفُ صريفاً مثلَ صريفِ جَملٍ ، وإن شئتَ جعلتَه حالًا ، وتقديره : يُخْرِجُه في هذه الحال . وما كان معرفةً لم يكن حالًا ولـكن على المصدر ، فإن كان الأولُ في غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ أَلْبَتَّةَ ولم يصلُح إلاّ الرفعُ على البدل ، تقول : له رأسٌ رأسُ ثورٍ ، وله كَفٌّ كفُّ أسدٍ ، فالمرتفعُ الثاني إذا كان نكرةً كان بدلًا أو نعتاً ، وإذا كان معرفةً كان بدلًا ولم يكن نعتاً ، لأن النكرةَ لا تنْعَتُ بالمعرفة ، وكذلك إذا كان الأوّلُ ابتداءً لم يَجُزْ إلاّ الرَّفعُ ، لأنَّ الكلامَ غيرُ مُسْتَغْنٍ ، وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء ، تقول : صوته صوتُ الحمار ، وغناؤُه غِنَاءُ المجيدِين ، وكذلك إن خَبَّرْتَ بأمرٍ مُسْتَقِرٍّ فيه اختيرَ الرَّفع ، تقول : له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء ، وله رأيٌ رأيُ القضاة ، لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له ، وليس الأبلغُ في مدحه أن تخبر بأنك رأيتَه في حال تَعَلُّمٍ . ويجوز النصبُ على أنك رأيتَه

يقالُ فيه قولانِ : أحدُهما : فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَه هذا القبرَ ، يريدُ : منْ وَدْقِهِ ، فلمّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ عَمِلَ الفِعْلِ والآخرُ كقولك : « رَوَّيْتُ زيدًا ماءً » ، ورَوَّى أكثرُ من أرْوَى ، لأن « رَوَّى » لا يكونُ إلا مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، يقولُ : « فروَّى اللهُ وَدْقَه » أى جعله رَوَاءً ، فأضمرَ لعلمِ المخاطَبِ ، لأنَّ قوله : « لاَحَ سحابٌ » ، إنما معناه : أَلاَحَهُ اللهُ ، فالفاعلُ كالمذكور ، لأنّ المعنَى عليه ، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ[(١)] ﴾ ولم يَذكر الشمس . وكذلك : ﴿ ما تَرَكَ على ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ[(٢)] ﴾ ولم يَذكر الأرضَ . وقال قومٌ : وَدْقَهُ ، يريد وَدْقَةً واحدةً ، وهذا رَدِىءٌ فى المعنَى ، ليس بمُبَالِغٍ .

(لإسحاق بن ابراهيم الموصلى)

قال ابن الموصلى :

لَعَمْرِى لَئِنْ حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصِّبَا لقد كنْتُ وَرَّادًا لمَنْهَلِه العَذْبِ
لَيَالِىَ أَمْشِى بين بُرْدَىَّ لاهِيا أَمِيسُ كغُصْنِ البانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْرِ القِلاَصِ مع الرَّكْبِ ووَصْلِ الغَوَانِى والمُدامَةِ والشَّرْبِ
سلامُ امْرِئٍ لم تَبْقَ منه بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ العينين أو شَهْوَةِ القلبِ

قوله : « والشَّرْب » ، يريد جمعَ شاربٍ ، يقال : شاربٌ وشَرْبٌ ، وراكبٌ ورَكْبٌ ، وتاجرٌ وتجْرٌ ، وزائِرٌ وزَوْرٌ ، قال الطِّرِمَّاحُ :

حَبَّ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى منه إلاّ صَفْحَةٌ عن لِمَام

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ ، قال العَجَّاجُ :

بِوَاسِطٍ أكرَمُ دَارٍ دَارَا واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأَنْصَارَا

(١) سورة ص ٣٢ .
(٢) سورة فاطر ٤٥ .

بابٌ

قال أبو العباس : نَذْكُرُ فى هذا الباب من كل شىء شيئاً ، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ ، وانتقالٌ يَنفِى المَلَلَ ، لحُسْنِ[1] مَوْقِع الاستطراف ، ونَخْلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشَىْء يسيرٍ من الهزْلِ ، ليستريحَ إليه القلبُ ، وتَسْكُنَ إليه النفسُ .

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله : إنى لأَسْتَجِمُّ نفسى[2] بشىء[3] من الباطلِ ليكونَ أَقوَى على الحقِّ .

وقال علىٌّ بن أبى طالبٍ رحمه الله : القَلبُ إذا أُكْرِهَ عَمِىَ .

وقال ابنُ مسعودٍ[4] رحمه الله : القلوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ فابتغوا لها طَرائفَ الحِكْمةِ .

وقال ابنُ عباسٍ رضى الله عنه : العلمُ أكثرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِرِه ، فخذوا[5] من كل شَىْء أَحْسَنَهُ .

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذى ذكرنا ، ولكن نذكر الشىء بالشىء ، إمَّا لاجتماعهما فى لفظٍ ، وإمَّا لاشتراكهما فى معنًى

---

(١) س : « بحسن »

(٢) أستجم نفسى ، يريد أريحها ، وأصله فى البئر ؛ تترك بعد الاستقاء ليتراجع ماؤها

(٣) كذا فى الأصل ، س ، وفى ر : « لشىء » .

(٤) س : « عبد الله بن مسعود » .

(٥) كذا فى الأصل ، س ، وفى ر : « نخذ » .

فى حالِ تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه ، فهذا يَصْلحُ . والأجودُ الرفعُ . فإذا قلتَ : « له صوتٌ صوتَ حمارٍ » ، فإنما خبّرْتَ أنه يُصَوِّتُ ، فهذا سوى ذلك المعنى .

ومِمَّا يُخْتارُ فيه الرفعُ قولك : عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحمامِ ، وإنما اختيرَ الرفعُ لأنّ الهاءَ فى «عليه» اسمُ المفعولِ له ، والهاءَ فى «له» اسمُ الفاعلِ . ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ : عليه نَوْحٌ دَلَّ النَّوْحُ على أن معه نائحاً ، فكأنك قلتَ : يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبواب .

[لابن الخياط المدني]

وقال ابنُ الخَيَّاط المَدِينىُّ ، يعنى مالكَ بنَ أنسٍ :

يَأْبَى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً والسائلون نَوَاكِسُ الأذقانِ
هَدْىُ التَّقِيِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهَى فهو العزيزُ وليس ذا سلطانِ

أراد : له هدىُ التَّقِيِّ ، أو معه هدىُ التَّقِيِّ .

إنَّ العَسِيرَ بهـا دَاءٌ مُخامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحسُورُ

قوله : « فَشَطْرَهَا » يريد قَصْدَها ونحوَها ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الْحَرَامِ ﴾(١) [و](٢) قال الشاعر(٣) :

لُهنَّ الوَجَالِمُ كُنَّ عَوناً على النَّوى ولاَ زالَ منها ظَالِـعٌ وحَسِيرُ

يعنى الإبلَ ، يقول : هى المُفرِّقَةُ ، كما قال الآخَرُ :

ما فرَّقَ الأُلَّافَ بَعْـــدَ الله إلاَّ الإبِلُ

ولاَ إذا صاحَ غُرَا بٌ فى الديارِ احْتَملوا

وما غرابُ البَيْنِ إلاَّ ناقـةٌ أو جَمَلُ

* * *

[قال أبو الحسن : ورَدانى فيه غيرُ أبى العباسِ :

والناسُ يَلْحَوْنَ غُرا بَ البَيْن لمَّا جَهِلوا

والبائِسُ المسكينُ مَا يُطْوَى عليه الرَّحَلُ

ويقالُ : إنه لأبى الشِّيصِ] .

* * *

فمنْ قال : « آلِفٌ » للواحد قال للجميع(٤) « أُلَّافٌ » كعامِلٍ وعُمَّالٍ ، وشاربٍ وشَرَّابٍ ، وجاهلٍ وجُهَّالٍ ومن قال للواحدِ : إلْفٌ ، قال للجميع : آلاَفٌ ، وتقديرهُ : عِدْلٌ وأعْدالٌ ، وحِمْلٌ وأَحْمَالٌ ، وثِقْلٌ وأثقالٌ .

---

(١) سورة البقرة ١٤٤

(٢) من س

(٣) هو جميل بن معمر العذرى ، قاله المرصفى

(٤) كذا فى س ، و فى الأصل ، س : « قال الآف »

وقال الحسنُ — وليس من هذا الباب — : حادِثُوا هذه القلوبَ ، فإنها سَريعةُ الدُّثورِ ، واقْدَعُوا هذه الأَنْفسَ ، فإنها طُلَعَةٌ ، وإنكم إلاّ تَزَعُوها تَنزِعْ بكم إلى شَرِّ غايةٍ . وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ .

وقال أرْدَشيرُ بن بَابَكٍ : إن لِلآذانِ مَجَّةً ، وللقلوبِ مَلَلاً ، فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلك اسْتِجْمامًا .

وكان أَنُوشَرْوان يقول : القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكْمةِ كاحتياج الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذَاءِ .

ويُرْوَى أنه أُصيبَ فى حِكْمَةِ آل داود[1] : لا ينبغى للعاقل أَنْ يُخْلِىَ نفسَه من واحدةٍ من أربعٍ : من عُدَّةٍ[2] لمعادٍ ، أو إصلاحٍ[3] لمعاش ، أو فِكْرٍ يَقف به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسدُه ، أو لَذَّةٍ فى غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاَت الثلاثِ .

* * *

وقال عبدُ الله بن عمرَ بن عبد العزيز لأبيه يوماً : يا أَبَةِ ، إنك تنامُ نومَ القائلةِ ، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ ؟ فقال له : يا بُنَىَّ ، إنَّ نفسى مَطِيَّتِى ، فإن حَمَلْتُ عليها فى التَّعَبِ حَسَرْتُها .

تأويلُ قوله : « حَسَرْتُها » : بَلَغْتُ بها أقصى غايةِ الإعْياء ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ[4] ﴾ وأَنْشَدَ أبو عُبيدةَ :

---

(١) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « داعود » بالهمزة والأوجه ما أثبتناه .

(٢) ر : « غدو » ؛ وما أثبته عن س والأصل .

(٣) س : «صلاح »

(٤) سورة الملك ٤

وقال الشاعر (١) :

وَلا يُنْسِينِيَ الحَدَثانُ عِرْضِي ولا أُرْخِي من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيس بن الأَسْلَتِ الأنصاريُّ :

تَمْشِي الهُوَيْنى إذا مَشَتْ قَطُفًا (٢) كأنَّها عُودُ بانةٍ قَصِفُ

* * *

[قال أبو الحسن : هذا وهم من أبي العباس ، ما تروى إلا لقيس بن الخطيم الأنصاريّ] (٢)

* * *

وقال الوَلِيدُ بن يزيد :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِرًا أُنْعِمُ بالِي وَأَتْبَعُ الغَزَلَا (٣)

أَنْقُلُ رِجْلِي إلى مَجالِسِها ولا أُبالِي مقالَ مَنْ عَذَلَا

غَرَّاء فَرْعاء يُسْتَضاء بهـا تَمْشِي الهُوَيْنَى إذا مَشَتْ فُضُلَا

* * *

ثم نعود إلى الباب ، قال الراجزُ يصفُ إبلا أو نوقا (٤) :

إنَّ لها لَسائِقًا خَدَلَّجَا لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أَدْلَجَا

الخدلَّجُ : المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ ، وإنما عَنَى المرأة التي ساقه حُبُّه إليها .

---

(١) زيادات ر : « ويقال إنه لقيس بن الخطيم » .

(٢) كذا في الأصل ، س ، و في ر : « فضلا » .

(٣) كذا في الأصل ، و في ر ، س : « قال علي بن سليمان : ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم الأنصاري ، يعني : « تمشي الهوينى » .

(٤) كذا في الأصل : س ، و في ر : « يعني إبله أو ناقته » .

[فى وصف الإبل]

وقد أنصفَ الإبلَ الذى يقولُ :

أَلاَ فرَعَى اللهُ الرَّوَاحِلَ إنمـا مَطَايا قلوبِ العاشقينَ الرَّوَاحِلُ
علي أنهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى إذا ما نَأَى بالآلِفِينَ التَّوَاصُلُ

وقال الآخر :

أقولُ والهَوْجَاء تمشِي والفضَلْ : قطعتِ الأَحْداجُ أعناقَ الإبلْ

الهَوْجَاء : التى تجُِدُّ فى السَّيْر وترْكَبُ رأسَها ، كأن بها هَوَجًا ، كما قال :

* لِلهِ درُّ اليَعْمَلاتِ الهُوجِ *

وكما قال الأَعشى :

وفيهـا إذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ إذا خِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أَصْيَدَا

والفُضلُ : مِشْيةٌ فيها اختيالٌ ، كأَنَّ مِشْيَتَها تَخْرُجُ عن خِطامها فتَفْضُلُ عليه ، والأصلُ فى ذلك أن يمشىَ الرجلُ وقد أَفْضَلَ مِن إزاره ، وتمشىَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيلِها ، وَإنما يُفعلُ ذلك من الخُيَلاء ، ولذلك جاء فى الحديثِ : « فَضْلُ الإزارِ فى النارِ » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى تميمةَ الهُجَيْمِىِّ : « وإيَّاكَ والمَخِيلَةَ[١] » ، فقال : يا رسول اللهِ ، نحن قومٌ عَرَبٌ ، فما المَخيلَةُ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «سَبَلُ الإزارِ» .

---

(١) المخيلة : الكبر والعجب والخيلاء

أعلمتَ[1] أنَّ الجوابَ جاء[2] من عندِ ذاكَ الإنسانِ ؟ فقال له : ما هو ؟
فقال : كَتَبْتُ :

أَضْحَى قَرِيضُكَ بالهَوَى نَمَّامَا فاقصِدْ هُدِيتَ وكُنْ له كَتَّامَا
واعْلَمْ بأَنَّ الحالَ حين ذَكَرْتَهُ قَعَدَ العَدُوُّ به عليكَ وَقَامَا

ويكونُ من الكنايةِ — وذاكَ أحسنها — الرغبةُ عن اللفظِ الخسيسِ المُفْحِشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيرِه ، قال اللهُ — وله المَثَلُ الأعلى : ﴿ أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نسائِكم[3] ﴾. وقال : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ[4] ﴾ والمُلامَسَةَ فى قولِ أهلِ المدينة ـ مالكٍ وأصحابه ـ غير كنايةٍ ، إنما هو اللَّمْسُ بعينه ، يقولونَ فى الرجلِ تقعُ يدهُ على امرأتِهِ أو على جاريتِه بشهوةٍ[5] : إنَّ وضوءه قد انْتَقَضَ .

وكذلك قولهم فى قضاء الحاجةِ : جاءَ فلانٌ من الغائِط . وإنما الغائطُ الوادِى ، وكذلك المرأةَ ، قال عمرُو بن مَعْدِى كَرِب الزُّبَيْدِىُّ :

فكَمْ مِّن غائطٍ مِن دُونِ سَلْمَى قَلِيلِ الأنسِ ليس به كَتِيعُ

وقال اللهُ جلَّ وعزَّ فى المسيحِ بنِ مريمَ وأُمِّهُ صلى الله عليهما : ﴿ كانَا يَأْكُلانِ الطَّعامَ[6] ﴾ . وإنما هو كنايةٌ عن قضاءِ الحاجة . وقال :

---

(١) كذا فى الأصل ، ص ، وفى س : « أما علمت » .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى س : « قد جاء » ، وفى ر : « جاءنا » .
(٣) سورة البقرة ١٨٧
(٤) سورة النساء ٤٣
(٥) ر : « بشهوة » .
(٦) سورة المائدة ٧٥

[ضروب الكلام]

والكلامُ يجرى على ضروبٍ ؛ فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِهِ ، ومنه ما يُكنى عنه بغيره ، ومنه ما يَقَعُ مَثَلاً ، فيكونُ أبلَغَ فى الوصفِ .

والكنايةُ تَقَعُ على ثلاثةِ أَضْرُبٍ :

أحدها : التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِية ، كقول النابغِ الجَعْدىّ :

أَكْنِى بغيرِ اسمِهَا وقد عَلِمَ اللّا هُ خَفِيَّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ[1]

وقال ذو الرُّمَّةِ ، استِرَاحةً إلى التصريح من الكناية :

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أَجْلِ أَننِى به أَتَغَنَّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وقال أحدُ القرشيين[2] :

وقد أَرْسَلَتْ فى السرِّ أَنْ قد فَضَحْتَنِى وقد بُحْتَ باسمى فى النَّسِيبِ وما تَكْنِى

ويُرْوَى أن عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعةَ قال شعراً ، وكتب به إلى امرأةٍ مُحْرِمَةٍ[3] بحضرةِ ابن أبى عتِيق ، وهو :

أَلِمَّا بِذَاتِ الخالِ فاسْتَطْلِعَا لَنَا على العَهْدِ بَاقٍ وُدُّهَا أَمْ تَصَرَّما

وقولاَ لها إنَّ النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ بِنَا وبِكُمْ قد خِفْتُ أَنْ تَتَيَمَّما

قال : فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : ماذا تُرِيدُ إلى امرأةٍ مسلمةٍ[4] مُحْرِمة تكتبُ إليها بمثل هذا الشعر ! قال : فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ :

---

(١) ر « مكتتم » بفتح التاءين .

(٢) زيادات ر : « هو محمد بن نمير الثقفى » .

(٣) ر : « وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق إلى امرأة محرمة » .

(٤) كلمة « مسلمة » ساقطة من س .

قوله : « باكَرَتنِى شَمولها » ، زعمَ الأصمعىُّ أنَّ الخمر إنما سُميت شَمولاً ، لأن لها عصفةً كعصْفة الرِّيح الشَّمال .

وقوله : « أباءَةَ بَرْدِيّ » ، الأباءَة : القَصَبَةُ ، وجمعُها الأباء ، يافتى[1]

قال كعبُ بن مالكٍ الأنصاريُّ :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بعضَهُ بعضًا كَمَعْمَعةِ الأباءِ المُحْرَقِ[2]

المَعْمَعَةُ : صوتُ إحْراقه ، يقال : سمعتُ معمعةَ القَصَب . والقَوْصَرَة فى النار ، أى صوتَ احتراقها .

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدية والقَصبةِ لنقاء اللونِ المستترِ منها وما وَالاهُ وَرِقَّته .

قال حُمَيْد بن ثَوْر الهِلاَلِيُّ :

لم أَلْقَ عَمْرةَ بعدَ إذْ هِيَ ناشِئٌ خرجتْ مُعَطَّفَةً عليها مِئزر
بَرَزَتْ عقِيلَةَ أَرْبَعٍ هَادَيْنَهَا بِيضِ الوجوه كأَنَّهُنَّ العُنْقُرُ

العطاف : الوشاح للناس ، والعُنْقُرُ : أصولُ القَصبِ ، يقال : عُنْقُرٌ وعُنْقَرٌ ، وفى هذا الشعر :

ذهبتْ بعقلك رَيْطةٌ مَطْوِيّةٌ وهِىَ التى تُهْدَى بها لو تُنْشَرُ[3]

* * *

[قال أبو الحسنِ : أنشدنيه ثعلبٌ فى قوله : « لو تُنْشَرُ » : « تَشْعُرُ »]

* * *

(١) ساقطة من ر
(٢) يرعبل : يمزق
(٣) الرابطة : الملاءة البيضاء .

﴿ وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينا[1] ﴾ ، وإنما هى كنايةٌ عن الفُرُوج . ومِثْلُ هذا كثيرٌ .

والضربُ الثالثُ من الكناية : التفخيمُ والتعظيمُ ، ومنه اشتُقَّتْ « الكُنْيَةُ » وهو أن يُعَظَّمَ الرجل أَنْ يُدْعَى باسمه ، ووقَعَتْ فى الكلام على ضربين : وقعتْ فى الصَّبىِّ على جهةِ التَّفَاؤُل ، بأن يكون له ولدٌ وَيُدْعَى لولده كنايةً عن اسمه ، وفى الكبير أنْ يُنادَى باسم ولدِهِ صيانةً لاسمِهِ ، وإنما يقال : كُنِىَ عن كذا بكذا ، أى تُرِكَ كذا إلى كذا ، لبعض ما ذكرنا .

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرِىُّ لعنه الله يَلْعَنُ عليًّا رضى الله عنه على المنبرِ فيقول : فَعَلَ اللهُ على علىٍّ بن أبى طالب بن عبد المطَّلِبِ بن هاشِم بن عبد منافٍ ابنِ عَمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وزوجِ ابنتِهِ فاطمةَ وأبى الحسنِ والحسين . ثم يُقبِلُ على الناسِ ويقولُ : أَكَنَيْتُ ! فهذا تأويلُ هذا .

[لأعرابى]

ونرجعُ إلى الباب الذى قَصَدْنا له :

وقال أعرابىٌّ :

وحُقَّةِ مِسْكٍ من نساءٍ لَبِسْتُها ... شَبابى وكأسٍ باكَرَتْنِى شَمولُها[2]

جَدِيدَةِ سِرْبالِ الشَّبابِ كَأَنَّها ... أَباءَةُ بَرْدِىٍّ سقَتْها غُيولُها

مُحَمَّلَةِ باللَّحْمِ مِن دُونِ حَضْرِهَا ... تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تطولُها

---

(١) سورة فصلت ٢١

(٢) حقة مسك هنا ، كناية عن المرأة

[بين رياح بن سنيح وجرير]

وقال رياحُ بن سُنيح الزَّنجِيْ مولَى بنى نَاجِيَةَ — وكان فصيحاً ، يَجيبُ جَريرًا ، لمَّا قال جريرٌ :

لاَ تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغلِبٍ   فَالزَّنجُ أكرمُ منهم أَخْوَالاَ

فتحركَ رِيَاحٌ فذَكَرَ أَكْثر مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنجُ من أشراف العربِ فى قصيدةٍ مشهورةٍ معروفةٍ ، يقول فيها :

والزَّنجُ لو لاقيتهمْ فى صَفِّهِمْ   لاَقَيْتَ ثَمَّ جَحاجِحاً أَبْطَالاَ

ما بالُ كلبِ بَنِى كُلَيْبٍ سَبَّهُمْ   إن لَمْ يُوَازِن حاجِبًا وَعِقَالاَ

إنَّ الفرزدقَ صخرةٌ عادِيَّةٌ   طالتْ فليس تنالَهَا الأجْبَالاَ

يريدُ : طالتِ الأجبالَ وعَلَتْ (١) فليس تنالها .

[لمروان بن أبي حفصة]

ثم نعودُ إلى ذكرِ البابِ .

وقال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ ، وهو مروانُ بن سليمانَ بن يحيي بن أبى حفصةَ ، واسمُ أبى حفصةَ يَزيدُ :

إنَّ الغَوانِىَ طالما قَتَلْنَنَا   بعُيونهنَّ ولا يَدِينَ قَتيلاَ

---

(١) ساقطة من ر ، وهى فى الأصل

فَهَمَمْتُ أَن أَغْشَى إليها مِحْجَرًا وَلِمِثْلِهَا يُغْشَى إليــه المَحْجَرُ[1]

وقوله : « سَقَتْهَا غُيُولَهَا » الغِيلُ : هاهنا : الأَجَمَةَ ، ومن هذا قولهم : أُسْدُ غِيل ، قال طَرَفَةَ :

أُسْد غِيلٍ فإذا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرّ[2]

وقد أملينا جميعَ ما فى الغَيْلِ والغِيلِ .

وقوله :

* تَطُولَ القِصَارَ والطِّوَالُ تَطولها *

طال : يكون على ضرْبين : أحدُهما تقديرُه : فَعُلَ ، وهو ما يقع فى نفسه انتقالا لا يتعدى إلى مفعول ، نحو ما كان كريماً فكَرُمَ ، وما كان وضيعاً ولقد وَضَعَ ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ ، وكان الشىء صغيراً فكَبُرَ ، وكذلك كان قصيراً فطال ، وأصله « طَوُلَ » .

وقد أخْبَرْنا بقصةِ الياءِ والواوِ إذا انفتح ما قبلَهما وهما مُتَحَرِّكتانِ ، وعلى ذلك يقال فى الفاعل : « فَعِيلٌ » نحو شَرِيفٍ ، وكَرِيم ، وطويل . فإذا قلتَ : طَاوَلَنى فطُلْتُهُ : أى فَعَلوتُه طُولًا ، فتقديرُه « فَعَلَ » نحو خاصمنِى فَخَصَمْتُهُ ، وصارَ بنِى فضَربته ، وفاعِلُهُ طائِلٌ ، كقولك ضارِبٌ ، وخاصِمٌ .

وفى الحديث : « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوقَ الرَّبْعَةِ ، وإذا مَشَى مع الطِّوَالِ طَالَهُمْ » .

---

(١) المحجر : المحرم .

(٢) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق .

وَليتُ ، فإذا وَقفْتَ قلت : لِهْ ، و شِهْ ، و قِهْ ، لا يكونُ إلّا ذلك ، لأن الواوَ تَسْقُطُ فَتَبْتَدِئُ بمتحرّكٍ ، فلا تحتاجُ[1] إلى ألِفِ وصلٍ[2] .
فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاءَ لبيانِ الحركةِ[3] فى الأوّل ، ولم يَجُزْ إلا ذلك . ومن قال لك : الْفِظْ « لِى » بحرفٍ واحدٍ غيرِ موصولٍ فقد سألك[4] مُحالاً ، لأنك لا تبتدئُ إلّا بمحرّكٍ ، ولا تقفُ إلّا على ساكنٍ ، فقد قال لك الْفِظْ « لِى » بساكنٍ متحركٍ فى حالٍ .

وقوله : « ضُمِّنَ » يقالُ : ضُمِّنَ القبرُ زيداً ، وضُمِّنَ القبرَ زيدٌ ، كلٌّ صحيحٌ . فمن قال : ضُمِّنَ القبرُ زيداً ، فإنما أرادَ جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيدٍ ، ومن قال : ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ ، فإنما أراد : جُعِلَ زيدٌ فى ضِمْنِ القبر ، ويُنْشَدُ هذا البيتَ على وجهين :

وَمَا غَائِبٌ مَنْ غاب يُرْجَى إيابُهُ ولـكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائِبُ[5]

ومن روى « مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدُ غائِبُ » يريدُ من ضُمِّنَهُ اللَّحْدُ ، وحَذَفَ الهاءَ من صِلةِ « مَنْ » ، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسيرٍ .

وقوله : « أَحْوَر » يعنى ظَبْياً ، وأهلُ الغَريب يذهبون إلى أن « الْحَوَرَ » فى العين شِدّةُ سَوَادِ سَوَادها وشدّةُ بياضِ بَياضها ، والذى عليه العربُ

---

(١) س : « يحتاج »
(٢) س : « الوصل »
(٣) س : « حركة الأول »
(٤) س : « سأل »
(٥) زيادات ر : « لأبى حبة النميرى »

مِن كلِّ آنسةٍ كأنَّ حِجالَها ضُمِّنَّ أحْوَرَ فى الكِناسِ كَحيلا

أَرْدَيْنَ عُرْوَةَ والمُرَقِّشَ قبلَه كلٌّ أُصيبَ وما أطاقَ ذُهُولا

ولقد ترَكْنَ أبا ذُؤَيبٍ هائماً ولقد تبَلْنَ كُثَيِّراً وجَميلا

وترَكْنَ لابنِ أبى ربيعةَ منطِقاً فيهنَّ أصْبَحَ سائراً محمولا

إلّا أكنْ ممَّنْ قَتَلْنَ فإنَّنى ممَّنْ ترَكْنَ فؤادَهُ مَخْبُولا

قوله : «ولا يَدِينَ قتيلاً » يقال : ودَى يدِى ، وكلُّ ما كان مِن « فعَلَ » ممّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه « يَفْعِل » ، فالواوُ ساقطةٌ منه[1] ، لوقوعها بين ياء وكسرةٍ ، وكذلك ما كان منه على فَعِلَ يَفْعِلُ ، لأنَّ العلةَ فى سقوط الواو كَسْرَةَ العينِ بعدَها . وقد مضى تفسيرُ هذا .

ولكنْ فى « يَدِينَ » عِلّةٌ أخرى ، وهى أن الياءَ التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرةٍ ، فهى تعتَلُّ اعتلالَ آخِرِ « يَرْمِى » ، وأوَّلُه يعتلُّ اعتلالَ واوِ « يَعِدُ » ، واحتمَلَ عِلَّتين لأنَّ بينهما حاجزاً ، ومِثْلُ ذلك وَعَى يَعِى ، ووَقَى يَقِى ، ووَفَى يَفِى ، ووَشَى يَشِى ، ووَنَى فى أمرٍ[1] يَنِى ، وما أشْبَهَ ذلك . ويَقَعُ فى « فَعِلَ » ، نحو وَلِيَ الأميرُ الآنَ يَلِى .

فإذا أمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ فى الوصلِ ، لاتّصاله بما بعدَه ، تقولُ : يازَيْدُ عِ كلاماً ، وشِ ثوباً ، وتقولُ : لِ عمراً يازيدُ ، مِن

---

(١) س : « فى أمره »

والكُنَّسُ : التى تَلْزَمُ الكِنَاسَ . وقال غيرُه : أَقْسَم بالنُّجُومِ التى تجْرِى بالليل وتخْنِسُ بالنهار ، وهو الأكثر .

وقوله : « أَرْدَيْنَ » ، يقولُ[1] : أَهْلَكْنَ ، والرَّدَى : الهلاكُ والموت مِن ذا .

والذهُولُ الانصراف ، يقال : ذَهِلَ[2] عن كذا وكذا : إذا انصرف عنه إلى غيره . قال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ أى تسلى وتنسى عنه إلى غيره .

قال كُثَيِّر :

صَحَا قَلْبُهُ ياعَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ   وَأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ

وقوله :

* ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرا وجَمِيلا *

أصلُ التَّبْلِ التِّرَةَ . يقال : تَبْلِى عندَ فلانٍ . قال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ   تَشْفِى الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

والخريدة : الحَيِيَّةَ .

وقوله :

* مِمَّنْ تَرَكْنَ فؤادَه مخبولاَ *

يريد : الخَبْلَ ، وهو الجنون ، ولو قال : « مَحْبولا » لكان حسناً يريدُ مصيداً واقعًا فى الحِبَالَةِ ، كما قال الأعشى :

فكلُّنَا هائمٌ فى إِثْرِ صاحِبِه   دَانٍ ونَاءٍ ومَحْبُولٌ ومُحْتَبِلُ

---

(١) كذا فى س ، والأصل : أردن : ، أهلكن .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ر . « ذهل » ، بكسر الهاء .

إنما هو نَقاء البياضِ ، فعندَ ذلك يَتَّضِح السوادُ . وقد فَسَّرنا الحَوَرَ والحَوَارِىّ

و الكِنَاسُ : حيثُ تكْنِسُ البقرة والظَّبْيَةَ ، وهو أن تَتَّخِذَ فى الشجرةِ العَادِيَّةِ كالبيتِ تَأْوِى إليه وتبعَرُ فيه ، فيقال إنَّ رائحته أَطْيَبُ رائحة ، لِطيبِ ما ترْتَعِى ، قال ذو الرُّمَّةِ :

إذَا استَهَلَّتْ عليه غَبْيَةٌ أَرِجَتْ   مَرَابِضُ العِينِ حتّى يَأْرَجَ الخَشَبُ

كأنه بيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ   لَطائمَ المِسْكِ يَحْوِيهَا وتُنْتَهَبُ[(١)]

قوله : « غَبْيَة » هى الدُّفْعَةَ من المطرِ ، وعند ذلك تتحرَّكُ الرائحةَ .

والأَرَجُ : توَهُّجُ الرِّيحِ ، وإنما يُسْتَعْمَلُ [ذلك] فى الريح الطيبةِ .

و العِين : جمعَ عَيْناءَ ، يعنى البقرةَ الوحشيةَ ، وبها شبِّهَتِ المرأة ، فقيل : حورٌ عِينٌ .

و اللَطِيمَةَ : الإبلَ التى تَحمِلَ العِطْرَ والبَزَّ ، لا تكونُ لغيرِ ذلك .

فيقولَ : ضَمَّنَ ظَبْياً أَحْوَرَ العَيْنِ أكْحَلَ ، وجعَلَ الحِجَالَ كالكِنَاسِ .

وقال ابنُ عباس فى قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ . الجَوَارِ الكُنَّسِ[(٢)] ﴾ . قال : أقسم[(٣)] بِبَقَرِ الوَحْشِ لأنها خُنْسُ الأنوف

---

(١) من س

(٢) سورة التكوير ١٥ ، ١٦ .

(٣) كذا فى الأصل ، و ى ر : « أقسم » على المضارع

خَرْجَة ولم يَعْلَمْ بها فينتظر تحيَّتها فى أُخْرَى فتلاَ : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ[١] ﴾ . وإنْ وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بنبإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ[٢] ﴾ .

* * *

وذكروا أن أبا القمقام[٣] بن بَحْرٍ السَّقّاء عَشِقَ جارية مَدِينيَّة ، فبعث إليها : إنَّ إخوانًا لِى زارُونى ، فابعثِى إلىَّ برءوسٍ حتى نتغدّى[٤] ونصطبحَ [اليوم[٥]] على ذِكْرِكِ ، ففعلتْ . فلما كان فى[٦] اليومُ الثانى بعثَ إليها : إنّ القَوْمَ مُقيمونَ لم نفترقْ ، فابعثى إلىَّ بِقَلِيَّةٍ جَزُورِيَّةٍ وبَقَرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ[٧] حتى نَتَنَدَّاهَا ونَصْطَبِحَ على ذِكْرِكِ . فلما كانَ فى اليوم الثالثِ بعثَ إليها : إنّا لم نفترقْ ، فابعثِى إلىَّ بِسَنْبُوسَكٍ[٨] حتى نصطبحَ اليومَ على ذكركِ ، فقالت لرسوله : إنى رأيتُ الْحُبَّ يَحُلُّ فى القَلْبِ ، ويَفِيضُ إلى الكَبِدِ والأحشاء ، وإنَّ حُبَّ صاحِبِنا هذا ليس يُجاوِزُ الْمَعِدَةَ .

* * *

(١) سورة الأعراف ١٨٨
(٢) سورة الحجرات ٦
(٣) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « الفهاقم » .
(٤) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « نأكلها »
(٥) تكملة من س
(٦) ساقطة من ر
(٧) القلية الجزورية : مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها : وبقرية : قطعة من لحم البقر ؛ و قدية : طيبة الطعم ، طيبة الريح .
(٨) سنبوسك ؛ فارسى معرب ؛ وهو من ضروب الأطعمة .

[من طرائف العشاق]

وخُبِّرْتُ أن رجلاً جافياً عَشِقَ قَيْنَةً حضرِيَّةً ، فكلّمها يوماً على ظَهْرِ الطَّريقِ فلم تكلمهْ ، فظَنَّ أن ذاك حياءٌ منها ، فقال : يا خَرِيدةُ ! قد كنتُ أحْسِبكِ عَرُوباً ، فما بالنا نمِقُكِ وتَشْنَئِينَنا ! فقالت : يا بْنَ الخبيثةِ ! أتجَمَّشُني بالهمْزِ !

الخَرِيدَةُ : الحيِيَّة . والعروبُ : الحسنةُ التبعُّلِ ، وفُسِّرَ فى القرآنِ على ذلك فى قوله : ﴿ عُرُباً أتْرَاباً [١] ﴾ . فقيلَ : هُنَّ المحبّاتُ لأزواجِهِنَّ .

قال أَوْسُ بن حَجَر [٢] :

* تَصْبِي الحليمَ عَرُوب غَيرِ مِكْلاَحِ [٣] *

* * *

وذكر الليثيُّ أن رجلا كان يحب [٤] جاريةً ولم يكنْ يُحْسِنُ مما يُتَوصَّلُ به إلى النساءِ شيئاً ، إلاَّ أنه كان يحفظُ القرآنَ ، فكانَ يَتوصَّلُ إليها بالآيةِ بعدَ الآيةِ ، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تحَيَّنَ وقتَ مرورِها ، فقال : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مالاَ تَفْعَلُونَ [٥] ﴾ وإن خَرَجَتْ

---

(١) سورة الواقعة ٣٧

(٢) زيادات ر : « ويقال عبيد بن الأبرص » وصدره كما فى الزيادات .

* وقدْ لَهَوْتُ بمثْل الرئْمِ آنسةٍ *

(٣) أى غير عبوس .

(٤) ر : « أحب جارية »

(٥) سورة الصف ٢

ذِكْراً. قالت: أَمَا تستحيي! أَمَا فى وَجْهِي ما يَشْغَلُكَ عن ذا؟ فقال لها: جعلني الله فِداكِ! لو أنَّ جميلا وبُثَيْنَةَ قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لَبزَقَ كلُّ واحدٍ منهما فى وجهِ صاحبِه وافترقا.

* * *

وأُنشِدْتُ لأعرابيٍّ:

وقد رابني من زَهْدَمٍ أَنَّ زَهْدَمًا	يَشُدُّ على خُبْزِى ويَبْكى على جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاقَةِ لم تكنْ	سَمِيناً وأنساكَ الهوى كثرةَ الأَكْلِ

وقال أعرابىٌّ:

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا	وكنتُ إذا ذكرتكِ لا أَخِيبُ

[لذى الرمة فى مىّ]

وقال ذو الرُّمَّةِ:

أَلم تعلمى يامَىَّ أَنَّا وَبيننا	مَهاوٍ لِطَرْفِ العَيْنِ فيهنَّ مَطْرَحُ
ذكرتُكِ إنْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ	أَمَامَ المطَايا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
مِن المؤْلِفَاتِ الرمْلَ أَدْماءُ حُرَّةٌ	شعاعُ الضُّحٰى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ
هىَ الشِّبْهُ أعطافاً وجِيداً ومُقْلَةً	ومَيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ
كأنَّ البُرَى والعاجَ عِيجتْ مُتُونُه	على عُشَرٍ نَهْىٍ به السَّيْلُ أَبطَحُ
لئنْ كانتِ الدُّنيا علىَّ كما أَرَى	تَباريحَ مِن ذِكْراكِ لَلْمَوتُ أَرْوَحُ

قوله: «مَهاوٍ»، واحدتُها مَهْوَاةٌ، وهو الهواء بين الشيئين

وَخُبِّرْتُ أن أبا العَتاهِيَةِ كان قد استأذنَ فى أن يُطْلَقَ له أن يُهْدِىَ إلى أميرِ المؤمنينَ المَهْدِىِّ فى النَّيْرُوزِ والمِهْرَجانِ ، فأَهْدَى فى أحدِها بَرْنِيَّةً ضَخْمَةً ، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ ، قد كَتَبَ فى حَواشِيهِ :

نَفْسِى بشىءٍ مِن الدُّنيا معلَّقةٌ   اللهُ والقائمُ المهدِىُّ يَكفِيها

إنّى لَأَيْئَسُ منها ثم يُطْمِعُنِى   فيها احتقارُكَ للدنيا بما فِيهَا[1]

فهَمَّ بدفعِ عُتْبَةَ إليه ، فَجَزِعَتْ ، وقالت : يا أميرَ المؤمنين ، أبعد حُرْمَتِى وخِدْمَتِى تَدْفَعُنِى[2] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكْتَسِبٍ بالعِشْقِ ! فأَعْفَاهَا ، وقال : امْلَئُوا له[3] هذه البرنيةَ مالاً ، فقال للكُتَّابِ : أَمَرَ لِى بدنانيرَ فقالوا : ما نَدْفَعُ ذلك ، ولكِنْ إن[4] شئتَ أعطيناكَ دراهمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ ، فاختلَفَ فى ذلك حولاً ، فقالتْ عُتْبَةُ : لو كان عاشقاً كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنْذُ حَوْلٍ فى التَّميِيز بين الدراهمِ والدنانيرِ ، وقد أَعْرَضَ عن ذِكرِى صَفْحًا .

* * *

ودَعَتْ أبا الحارثِ جُمَّيْنَ[5] واحدةٌ كان يحبُّها ، فجعلَتْ تحادثه ولا تذكرُ الطعامَ ، فلما طالَ ذلك به قال : جعلنى اللهُ فِداكِ ! لا أسْمَعُ لِلغداءِ[6] ،

---

(١) ر ، س : «وما فيها» ؛ وما أثبته من الأصل

(٢) ر : «حرمتى وحدمتى أندفعنى» ، وما أثبته عن الأصل

(٣) ساقطة من ر

(٤) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : «إذا» .

(٥) ر ، س : «جميز» ؛ وصوابه ما فى الأصل ؛ وهو جمين المدنى صاحب النوادر والمزح» وانظر المشتبه ١٧٥ .

(٦) كذا فى الأصل ، س ، وفى ر : «للغذاء»

رحمه الله ، وكانَ قائفًا[1] ، لِيُثْبِتَهم فى قرَيْشٍ ، فقال : اخرُجُوا بِنا إلى البَقِيعِ . فنظرَ إلى أَكُفِّهِم ، ثم قال : اطْرَحُوا العُطُفَ — واحدها عِطَاف — ثم أمرَهُم فأقبلُوا وأدبَرُوا . ثم أقبل عليهم فقال : لَيستْ بأكفِّ قريشٍ ولا شمائِلِها ، فأعطاهم فيمَنْ هم منه

والجِيدُ : العُنق

والبرَى : الخلاخِيلُ ، واحدتُها بُرَةٌ ، وهىَ من الناقةِ التى تَقَعُ فى مارنِ الأنفِ ، والذى يَقَعُ فى العَظْم يقالُ له الخِشاش .

والعاجَ كانَ يُتَّخذ مكانَ الأَسْورةِ ، قال جَرِير :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِها لها مَسَكًا منْ غيرِ عاجٍ ولا ذَبْلِ

العَبَسُ : ما تعلّق[2] من الأبعارِ والبولِ بِأذناب الإبل . والوَذَحُ : الذى تعلّق بأطرافِ إلْيَة الشَّاء ، ويكونُ العَبَسُ فى أذنابِ الإبلِ من البول إذا خَثَرَ .

والجَوْن هاهنا : الأسودُ . وهو الأغْلَبُ فيه ، والكوعُ : رأسُ الزَّنْد الذى يَلِي الإبهام . والكُرْسوعُ : رأسُه الذى يلى الخِنْصرَ . والمَسَكَةُ : السِّوارُ والذَّبل : شىءٌ يُتَّخَذ من القرون كالأسورةِ ، ويقال : سِوَارٌ وسُوارٌ ، وإسْوارٌ . قالت الخنساء :

---

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها .
(١) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « مايتعلق » .

ويقال : لفلانٍ فى دارِه مَطْرَحٌ إذا وصفها بالسَّعَةِ ، يقـال : فلانٌ يَطْرَحُ بصَرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً ، وأنشد سيبويه :

نَظَّارَةٌ حين تَعْلُو الشمسُ راكبَها   طَرْحًا بِعَيْنَىْ لِيَاحٍ فيه تَحْدِيدُ

اللِّيَاحُ من البياض ، واللَّوْحُ : العطش ، واللُّوحُ : الهواء .

والشَّادِنُ : الذى قد شَدَنَ ، أى تحرَّك .

وقوله : « تَشْرَئِبُّ » ، يقال : إذا وقَفَ ينظرُ كالمتحيِّر : قد اشْرَأَبَّ نحوى ، ويقـال : هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى .

قوله : « منَ المُؤْلِفَاتِ » ، يقال : « آلَفْتُ المكانَ أو لِفُهُ إيلافًا » ، ويقال : أَلِفْتُه إلْفًا ، وفى القرآن الكريم : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ ﴾[1] وقرءوا : ﴿ إلَافِهِمْ ﴾ على القصرِ

وقوله : « الرَّمْلَ » النصبُ فيه أَجْوَدُ بالْفِعْلِ ، ويجوز الخفضُ على شىء نذكره بعدَ الفراغ من هذا الباب ، إن شاء الله

وأصلُ الهِجَانِ الأبيضُ

والعِطْفُ : ما انثَنَى من العُنقِ ، قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾[2] .

ويقالُ للأَرْدِيَةِ : العُطُفُ ، لأنها تقعُ على ذلك الموضعِ .

وفى الحديثِ : أنَّ قومًا يزعمون أنهم من قريش أتوا عمرَ بن الخطابِ

---

(١) سورة قريش : ١ .   (٢) سورة الحج : ٩ .

ماحَدَّثت به نفسَك ، كما قال : ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُم[1]﴾ ، تقديرُه فى العربية : وأَخْفَى منه .

والعربُ تحذفُ مثل هذا ، فيقولُ القائلُ : مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ ، و إنه كالبَقَّة[2] أو أصْغَرُ . ولو قال : رأيتُ زيداً أو شَبيهاً لجازَ ، لأنَّ فى الكلام دليلا ، ولو قال : رأيتُ الجملَ ، أو راكباً ، وهو يريدُ : «عليه» : لم يَجُزْ لأنه لا دليلَ فيه ، والأوَّل إنما قرَّبَ شيئاً من شىء ، وهاهنا إنما ذكر شيئاً ليس من شَكْلِ ما قبلَه .

فأمَّا قوله جلَّ ثناؤُه : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[3]﴾ ففيه قولان : أحدُهما وهو المَرْضِىُّ عندنا - : إنما هو : وهو عليه هَيِّنٌ ، لأن اللهَ جلَّ وعزَّ لا يكونُ عليه شىءٌ أَهْوَنَ من شىء آخرَ . وقد قال مَعْنُ بن أوْسٍ :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِى وإِنِّى لَأَوْجَلُ ... على أَيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

أراد : وإنى لوَجِلٌ ، وكذلك يُتأوَّلُ ما فى الأذانِ : « اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبرُ » ، أى اللهُ كبيرٌ ، لأنه إنما يُفاضلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ واحدٍ[4] ، يقال : هذا أكبرُ من هذا ، إذا شاكلَهُ فى بابٍ .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٥

(٢) ر : «لكالبقة» ، وما أثبته عن الأصل ، س

(٣) سورة الروم ٢٧

(٤) ساقطة من ر

* كأنّه تحتَ طَيِّ البُرْدِ إسْوَارُ *

والعُشَرُ : شجرٌ بعينه .

والأَبطَحُ : ما انبطحَ من الوادِى ، يقال : أبطَحُ وَبطْحَاء ياقتى ، وأَبْرَقُ وبَرْقَاء ، وأمْعَزُ وَمَعْزَاء ، وهذا كثيرٌ

والتَّبارِيحُ : الشدائدُ ، يقال : بَرَّحَ به ، وفى الحديث : « فأَيْنَ أصحابُ النَّهْرِ » ؟ قال : لَقُوا بَرَحًا ، والعربُ لا تعرفه إلاَّ ساكنَ الراء .
قال جريرٌ :

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْعوفٍ أَضَرَّ به　　　بَرْحُ الهوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ

* * *

[قال أبو الحسن . وقد سمعنا من غير أبى العباسِ ، يقال : لقيتُ منك برَحًا ، بالفتح ، ويقال : لَقِىَ منه البَرْحِيْن ، أى الدَّوَاهِىَ الشِّدَادَ التى تُبَرِّحُ]

[ماقِيل فى السر وكتمانه]

قال أبو العباس فى المثل السائر : قيلَ لرجلٍ : مَا خَفِى ؟ قال : مالم يكنْ

وفى تفسير هــــذه الآية : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [1] ﴾ . قال :

---

(١) سورة طه ٧

والقولُ الثانى فى الآية : وهو أهونُ عليه عندَكم ، لأن إعادةِ الشيء عندَ الناسِ أهونُ من ابتدائِه حتى يجعلَ شيئاً مِنْ لا شىء

* * *

ثم نعودُ إلى الباب .

قال زُهَيْرٌ :

ومهما تكُنْ عند امرئٍ من خَليقةٍ ولو خالَها تخْفَى على الناس تُعلَمِ

فهذا مِثْلُ المثَلَ الذى ذكرناه .

وقال عمرُو بن العاص : إذا أنا أفشيْتُ سِرّى إلى صَدِيقى فأذاعَهُ فهو فى حلٍّ ، فقيل له : وكيف ذاكَ ؟ قال : أنا كنتُ أحقَّ بصيانته .

وقال امْرُؤُ القَيْس :

إذا المَرْءُ لم يخْزُنْ عليه لِسانَهُ فَلَيْسَ على شىءٍ سِوَاهُ بخزَّانِ

وأحْسَنَ ما سُمِعَ فى هذا ما يُعْزَى إلى علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، فقائلٌ يقولُ : هُوَلَهُ ، ويقولُ آخرونَ : قاله مُتَمَثِّلاً ، ولم يُخْتَلَفْ فى أنه كان يكثِرُ إنشادَهُ :

فلا تُفْشِ سِرّكَ إلاَّ إليكَ فإنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحا

وإنّى رأيتُ غُوَاةَ الرِّجا لِ لا يَترُكونَ أدِيماً صَحِيحا

وذكر العُتْبىُّ أنَّ معاويةَ بن أبى سفيانَ أَسَرَّ إلى عثمان بن عَنْبَسَة ابن أبى سفيانَ حديثاً ، قال عثمانُ : فجئتُ إلى أبى ، فقلتُ : إنَّ أميرَ المؤمنين

فأما « اللهُ أجودُ مِنْ فلان » و « الله أعلمُ بذلك منك » ، فوجهُ[1] بَيِّنٌ ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعطاءِ .

وقومٌ يقولون : « الله أكبرُ من كلِّ شيءٍ » ، وليس يقع هذا على مَحْضِ الرويّة[2] ، لأنه تباركَ وتعالى ليس كمثلِهِ شيءٌ[3] ، وكذلك قولُ الفرزدقِ :

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بَيْتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ

جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخاطبُه : « مِنْ بيتِكَ » ، فاستغنى عن ذكرِ ذلك بما جرَى من المخاطبَةِ والمفاخَرةِ ، وجائزٌ أن تكون دعائمُه عزيزة طويلةً ، كما قال الآخر[4] :

قُبِّحتُمُ يا آلَ زيدٍ نفرَا ... ألأَمُ قومٍ أصغرًا وأكبرَا

يريدُ : صِغاراً وكِباراً .

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذُؤَابِ بن رَبيعةَ حيث قتلَ عُتَيْبةَ ابن الحارثِ بن شهابٍ ، وفخرُ[5] بنى أسدٍ بذلك ، مع كثرةِ من قَتَلَتْ بنو يَرْبوعٍ منهم :

فَخَرَتْ بنُو أسَدٍ بمَقْتَلِ واحِدٍ ... صَدَقَتْ بنو أسَدٍ عُتَيْبَةُ أفضلُ

فإنما معناه أفضلُ ممن قتَل ، على ذلك يدلُّ الكلامُ . وقد أبانَ ما قلنا فى بيتِه الثانى بقوله :

فَخَروا بمَقْتَلِهِ ولا يُوفِى بهِ ... مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الذينَ نُقَتِّلُ

---

(١) ر : «توجهه» .
(٢) ر : « الرؤية» ، وما أثبته عن الأصل ، س
(٣) ساقطة من ر .
(٤) ر : « قال الراجز » ، وما أثبته عن الأصل ، س
(٥) ر : « وفخر » بالرفع ، وما أثبته عن الأصل .

يظلّونَ فى الأرض الفضاءِ وسِرُّهُمْ   إلى صَخْرَةٍ أعْيَا الرجالَ انصداعُها

لكُلِّ امرئٍ شِعْبٌ من القلبِ فارغٌ   ومَوْضِعُ نجوَى لا يرام اطِّلاعها

وقال آخرُ :

سأكتمه سِرِّى وأحفظ سِرَّهُ   ولا غرَّنى أنِّى عليهِ كريمُ

حَليمٌ فينسَى أو جهولٌ يُضيعُهُ   وما الناسُ إلَّا جاهلٌ وحَليمٌ

وكان يقال : أصبرُ الناسِ مَنْ صبَرَ على كِتْمَانِ سِرِّهِ ولم يُبْدِهِ لصديقه فيوشِكُ أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ .

* * *

وقال العُتْبِىُّ :

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكَتَّمُ عنده   مَخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تَحَرَّقُ[1]

عَطَفْتُ على أسرارِه فكسَوْتُها   ثياباً من الكِتْمَانِ لا تتَخَرَّقُ

فَمَنْ تكُنِ الأسرارُ تطفو بصدرِه   فأسرارُ صَدْرِى بالأحاديث تُغْرَقُ

فلا تودِعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقاً   فإنك إن أودعتَهُ منه أحمقُ

وحَسْبُكَ فى سَترِ الأحاديثِ واعِظاً   منَ القول ما قال الأريبُ المُوَفَّقُ :

« إذا ضاق صَدْرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِه   فصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَعُ السِرَّ أضْيَقُ »

* * *

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِىُّ :

ولستُ بمُبْدٍ للرجالِ سَرِيرَتِى   ولا أنا[2] عن أسرارهم بسَئُولِ

---

(١) مخاريق : جمع مخراق ؛ وهو ماتلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، يضرب بعضهم بعضا ، وكنى بتحريفها عن إذاعة سره . قاله المرصفى

(٢) ر : « وما أنا » .

أَسَرَّ إلىَّ حديثاً ، أفأُحَدِّثُكَ به ؟ قال : لا ، إنه مَنْ كَتَمَ حديثَه كان الخيارُ إليه ، ومَنْ أظهره كان الخيارُ عليه ، فلا تجعلْ نفسَكَ مملوكاً بعْدَ أنْ كنتَ مالكا ، فقلت له : أَوَيدْخُلُ هذا بين الرّجلِ وأبيه ؟ فقال : لا ، ولكني أكره أن تُذَلِّلَ لسانَكَ بإفشاء السِّرّ ، قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له ، فقال معاويةَ : أَعْتَقَكَ أخى من رِقِّ الخطإ .

وقال معاويةُ : أُعِنْتُ على عليٍّ رحمه الله بأربعٍ : كنتُ رجلًا أَكْتُمُ سِرِّى ، وكان رجلًا ظُهَرَةً[1] ، وكنتُ فى أطوَعِ جُنْدٍ وأصلَحِهِ ، وكان فى أخبثِ جندٍ وأعصاهُ ، وتركتُه وأصحابَ الجملِ وقلتُ : إنْ ظَفِرُوا به كانوا أَهْوَنَ علىّ منه ، وإن ظَفِرَ بهم اعْتَدَدتُ بها عليه فى دينه ، وكنتُ أحَبَّ إلى قرَيْشٍ منه ، فيالَكَ من جامعٍ إلىَّ ومُفَرِّقٍ عنه ! وعَوْنٍ لى وعونٍ عليه !

وقال أرْدَشيرُ : الدَّاء فى كلِّ مكتومٍ .

وقال الأخطلُ :

إن العداوةَ تَلْقاها وإن قَدُمتْ كالعُرِّ يَكْمُنُ حيناً ثمَّ يَنْتَشِرُ

وقال جَميلٌ :

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّكَ ثالثٌ ألاَ كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثنينِ شائعُ

* * *

وقال آخرُ ، وهو مِسْكِينُ الدارمِىُّ :

وفِتيَانِ صِدْقٍ لستُ أُطْلِعُ بعضَهم[2] على سِرِّ بعضٍ غيرَ أَنِّى جِمَاعُها

---

(١) أى يظهر أمره للناس .

(٢) ر : « لست مطلع بعضهم » ، وما أثبته عن الأصل ، س

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِىّ(١) :

إذا جاوَزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنه   بِنَثٍّ وَإفشَاء الحديثِ قَمِينُ

وتأويل قَمِين ، وحَقِيق ، وجَدِير ، وخَلِيق ، واحدٌ ، أى قريبٌ من ذاكَ ، هذه حقيقته ، يقال : قَمِينٌ ، وَقَمِنٌ ، فى معنًى . قال الحارث بن خالدٍ المخزومىُّ :

مَنْ كان يسأَلُ عنَّا أينَ منزلَنا   فالأُقْحُوَانةُ منَّا منزلٌ قَمِنُ

وفى الحديثِ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « من باعَ داراً أو عقاراً فلم يَرْدُدْ ثمنه فى مثلِهِ فذلك مالٌ قَمِنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه » .

وقال الرَّقَاشِىُّ :

إذا نحنُ خِفْنَا الكاشحينَ فلم نُطِقْ   كلاماً تكلَّمْنا بأَعْيُنِنا سِرّا
فَنَقْضِى ولم يُعْلَمْ بنا كلّ حاجةٍ   ولم نكْشِفِ النَّجْوَى ولم نَهْتِكَ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعباس(٢) بن صُحَارٍ العَبْدِىّ : ما أَقْرَبُ الاختصارِ ؟ فقال : لَمْحَةٌ دَالَّةٌ .

وقيلَ : خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِهِ .

وقيل : النمام سهمٌ قاتلٌ .

---

(١) المرصفى : « هذا غلط ؛ صوابه : وقال قيس بن الخطيم » .
(٢) ر : « عياش » ، وما أثبته عن الأصل ، س ، وهو الصواب .

[ولا أنا يوماً للحديثِ سَمِعْتُهُ　　إلى هاهنا مِنْ هاهنا بنَقُولِ] (١)

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بن عبدِ المُطَّلِبِ رحمه الله لابنِهِ عبدِ الله : إن هذا الرجلَ قد اختصَّكَ دونَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحْفَظْ عنى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِباً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، ولا تَغْتَبْ عنده أحداً . فقيلَ لابن عباس : كلٌّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ ، فقال : كلٌّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ .

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

لى حيلةٌ فيمن يَنُمُّ　　وليس فى الكذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كان يكذب ما يريد　　فحيلتى فيه قليلَهْ (٢)

وقال آخرُ [قال أبو الحسن : هو أبو العباس المُبَرِّدُ] :

إنَّ النمومَ أَغَطَّى دونَه خبَرِى　　وليس لى حِيلةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المحْدَثِينَ :

كَتَمْتُ الهَوَى حتى إذا نَطَقَتْ به　　بوادِرُ من دَمعٍ يَسِيلُ على خدِّى (٣)
وشاعَ الذى أضمرتُ من غير مَنْطِقٍ　　كَأَنَّ ضميرَ القلبِ يرْشَحُ من جِلْدى

* * *

---

(١) حاشية الأصل : « البيت الثاني سقط من الأصل ، وثبت عند س » .
(٢) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « من كان يخلق ما يقول » .
(٣) ر : « تسيل على الخد » .

ويقالُ للنـكاح : السِّرُّ ، على غيرِ وجهه : وهذا ليس من الباب الذى كُنَّا فيه ، ولـكن يُذكَرُ الشىء بالشىء ، وهذا حرف يُغلَطُ فيه ، لأن قومًا يجعلونَ السِّرَّ الزِّنا ، وقومٌ يجعلونَه الغِشيانَ ، وكِلاَ القولين خطأٌ ، إنما هو الغشيان من غيرِ وجهِه . قال اللّٰه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً[1] ﴾ ، فليس هذا مَوضِعَ الزِّنَا .

وقال الحُطَيئَةُ :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهم ويأكُل جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

وقال الأعْشَى لسَلامةَ ذِى فائشٍ الحِمْيَرِىِّ :

وَقومُكَ إن يضمنُوا جارةً وكانوا بموضِعِ أنضادِها[2]

فلنْ يطلبُوا سِرَّها للغِنَى ولن يُسلِمُوها لأزهادِها[3]

فى هذا قولان :

أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها إليهم على رغم أوليائها من أجل مالها ، غصباً[4] للجوار ، ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمـكافأة .

والآخر أنهم لا يرغبون فى ذواتِ الأموال ، إنّما[5] يرغبون فى ذواتِ الأحساب ، اختياراً للأولاد ، وصيانةً للأصهار ، أن يطمع فيهم من لا حسب له

---

(١) سورة البقرة ٢٣٥
(٢) الأنضاد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف . قاله المرصفى .
(٣) يقول : لايتركونها لقلة مالها ، وهو الإزهاد . قاله صاحب اللسان — زهد .
(٤) كذا فى الأصل ، س ، و فى ر : « غصبا »
(٥) ر : « وإنما »

وقال أحدُ المُحْدَثين :

لا أَكْتمُ الأَسْرارَ لكنْ أُذِيعُها ولا أَدَعُ الأَسرارَ تَغْلِى على قَلْبِى
وإن قَليلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً تقَلِّبُه الأَسْرارُ جَنْبًا على جَنْبِ

وقال آخرُ :

وأَمنعُ جارَتى من كلّ خَيرٍ وأَمشِى بالنَّميمةِ بين صَحْبِى

ويقالُ للنَّمامِ : القَتَّات .

وفى حديثٍ : « لا يَراحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنَّةِ » .

وفى الحديثِ عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم : « لعَنَ اللّٰهُ المثَلِّثَ » . فقيلَ : يا رسولَ اللّٰه ، ومَنِ المُثَلِّثُ ؟ فقال : « الذى يَسْعَى بصاحِبِه إلى سُلْطانِه ، فيهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه »

وقال معاويةُ للأَحْنَفِ فى شىء بلغه عنه ، فأنكر ذلك الأحنفُ ، فقال له معاويةُ : بَلَّغَنى عنك الثقةُ ، فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ .

وقال أحدُ الماضينَ[1] :

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سَمِعوا شَرًّا أُذِيعَ ، وإن لم يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال المُهلَّب بن أبى صُفْرَةَ : أَدْنَى أخلاقِ الشريفِ كتمانُ السرِّ وأَعْلَى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ إليه .

* * *

(١) زيادات ر : « هو طريح بن إسماعيل الثقفى » .

وقول الحطيئة :

* ويأكُل جارهم أنفَ القصاعِ *

إنما يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شىء ؛ يقال : روضة أُنُف ، إذا لم ترْعَ ، وكأس أنف ، إذا لم يشرب منها شىء قبل ، قال لقيط بن زرارة :

إنّ الشواء والنَّشيلَ والرُّغُفْ[1] والقينةَ الحسناءَ والكأس الأُنُفْ

* للطاعنينَ الخيلَ والخيلُ خُنُفْ *[2]

---

(١) النشيل : لحم يطبخ بلا توابل .

(٢) الخنف : جمع خنوف ؛ من خنف الفرس إذا لوى حافره .

فهرس الموضوعات

باب

الصفحة

باب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

باب

الصفحة

باب

باب

مطبعة نهضة مصر
الفجالة . القاهرة